

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190030

UNIVERSAL
LIBRARY

كتاب
تاريخ مصر الحديث

مع
فذلكة في تاريخ مصر القدم



تأليف

جرجي زيدان

الجزء الثاني

طبع بالرخصة الرسمية (مرة ٦٢)

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

طُبع بمطبعة المنتطف بمصر سنة ١٢٠٦ هجرية أو ١٨٨٩ مسيحية

دولة الممالك الأولى

من سنة ٦٤٨ - ٧٨٤ هـ أو من ١٢٥٠ - ١٢٨٢ م

منشأ الممالك ومبدأ أمرهم في السلطنة

منشأ الممالك في قنجاك من شمالي اسيا وكانت من المستعمرات الاسلامية فكانوا يجعلون عليها ولاية من امراء السلاف الذين كانوا من حكام روسيا فلما غزا المغوليون تلك الاصقاع تحت قيادة باتوخان حفيد جنكيز خان اخرجوا منها سكان الولايات القسبينية والفوقاسية فنشنت قبائلهم وتفرقوا في القارة فالتخوارزميون نزحوا الى سوريا وما بين النهرين وحطوا رحالهم هناك اما ما بقي من تلك القبائل النائية فلم يجدوا لهم مفرًا بقيموني فبيعوا بطوفون البلاد باولادهم ونساءهم لا يستقروا على حال . وكانت تجارة الرقيق في ابانها فاغنم تجارها فرصة ثمينة وجعلوا ينتفون من ابناء اولئك المساكين اجملهم صورة واقوام بنية وانورهم عقلاً ويبيعونهم بيع السلع اما الضعفاء وقبيح الصورة فكانوا يذبحونهم فاكثر امراء سوريا وملوكها من اقتناء اولئك الارقاء البيض ودعوم بالممالك . فالملك الصالح كان قد ابتاع منهم نحو الالف حتى جعل منهم امراء دولته وخاصة بطانتهم والمحيطين بهدليزه ودعاهم بالخلقة اشارة الى انه لا يبرح محاطاً بهم كيفما توجه وكانت ممالك الملك الصالح صنوفاً يميز كل منها بعلامات خصوصية يجعلونها على ثيابهم واسلحتهم فكانت علامة بعضهم الورد وعلامة البعض اشكال الطيور وكانوا يتمنطون بمناطق جميلة مختلفة الالوان فتألف منهم جيش مخصوص تسبب عنه قلاقل في سائر المملكة المصرية

وقد كانوا بالواقع مبالين الى الاستقلال بالحكم لا يمكنهم الرضوخ لسلطان من السلاطين باختيارهم لانهم كانوا كثيري العدد والعدد وكانت ام مصالح الدولة في ايديهم وامنع حصون البلاد في قبضتهم قد اتخذوها مستقراً لهم حتى اذا ضاقت ذرعاً عن الاحاطة بهم ابنتوا بامر الملك الصالح قصوراً عظيمة متقنة البناء منيعة الجانب في جزيرة الروضة قرب المقياس وقد زادها مركزها الطبيعي مناعةً وجمالاً لان النيل يتفرع هناك الى فرعين وكان يدعى عند نقطة تفرعه بالبحر لعظم انساعه فسمي هؤلاء الممالك بالممالك البحرية ومنها اسم دولتهم تمييزاً لها من دولة اخرى ستأتي بعدها وتدعى بدولة الممالك الشراكسة

وكانت سطوة الممالك البحرية تنتشر يوماً فيوم الى انهم طمعوا بمخلع السلطان وتولي الملك مكانه . فلما تولى الملك المعظم وكان على ما كان عليه من الاستبداد انتت نفوسهم من اعماله فسعوا بما سعوا الى ان قتلوه على ما تقدم . وكان الملك لويس التاسع والذين معه لا يزالون اسرى في البرج الخشبي الذي التجأ اليه الملك المعظم قبل قتلوه . ولما لعبت النار بالبرج فر الملك لويس ومن معه وروا بين المصريين وهم يقتلون ملكهم ثم نزلوا على مراكب كانت في انتظارهم واقبلوا بعد ان شامدوا مقتل الملك المعظم ثم جاءهم رجل من المصريين يدعى الفارس اقطاعي حاملاً قلب الملك المعظم واعطاه للملك لويس وطلب اليه ان يكافئه على قتل عدوه . وقال بعض المؤرخين ولا اراه في مكان الثقة ان الامراء المصريين بعد قتلهم ملكهم طلبوا الى لويس المذكور ان يتولى زمام الاحكام مكانه فرفض

سلطنة شجرة الدرّ

سنة ٦٤٨ هـ أو ١١٥٠ م

فلما قتل الملك المعظم اخلفت الاحزاب على من يبايعون بعده
وكانت كل فئة منهم تحاول استبقاء الحكم في يدها وعلا الخصام حتى كاد
ينفضي الى الحرب فتداركت الامر شجرة الدرّ ام الملك المعظم (وعلى قول
بعضهم مريئته) بعد ان رأت ما حلّ بابنها تاركة الحنو الوالدي جانباً
وتبصرت في امر من يجب ان يخلفه فرأت حزب الماليك اعزّ جانباً من
الجميع . ونظراً لكونها من ابناء جلدتهم وافقهم على رأيهم وكانت قبل
ذلك قد تمكنت بطريقة غريبة لم يسبق لها مثيل في الاسلام ان تستلم زمام
الاحكام باقرار الجميع . وكيفية ذلك انها توطأت مع ابيك عز الدين
وكان من اعظم الامراء الماليك واقوام نفوذاً وكان بينهما علاقات ودية
منذ ايام الملك الصالح ويقال انه من قتله الملك المعظم فتمكنت بذلك
التواطى من مبايعة جميع الاعيان لها واقبت بعصمة الدين ام خليل في ١٠
صفر وكانت توقع بما مثاله « والدّ خليل » ونقشت اسمها على النقود بما هو
« المستعصمة الصالحية ملكة المسلمين والدّة المنتصور خليل خليفة امير
المؤمنين » وعيّنت عز الدين اتابكاً عندها . ثم اخذت في التقرب من
ارباب الدولة ووجهاء البلاد فجعلت تخلع عليهم الخلع الثمينه وتغهم المناصب
والرتب وتخضع الضرائب الا ان جميع هذه المساعي لم تأت بها بفائدة لان الناس
لم يرتاحوا الى طاعتها فانفذ السوريون الى الخليفة العباسي في بغداد يستنونه
في امر هذه الملكة فكتب اليهم ما مفاده « اذا لم يكن بينكم من يصلح للسلطنة
اقدم اليكم فاقم عليكم من يحكم فيكم اما قرأتم ما قاله النبي (صلعم) عليهم »
فاستمسك ممالك مصر بهذه الفتوى وثار رفقائهم في دمشق واخلعوا طاعة

شجرة الدر وبايعوا سلطان حلب الملك الناصر يوسف الابوي في ٨ رجب
اول وقتلوا كل من كان في دمشق من المماليك على دعوة شجرة الدر
ومثل ذلك فعل اهل بعلبك وشميس وعجلون فنشأ بسبب ذلك خصام
بين ممالك سوريا وممالك مصر آل الى مواقع حربية فتمكن عز الدين
ايك في هذه الانقسامات من الاستقلال عن صديقه والجأ الامراء شجرة
الدر على الاستقالة فاستقالت

سلطنة ابيك الجاشنكير

سنة ٦٤٨ هـ او ١٢٥٠ م

وفي سنة ٦٤٨ هـ بويع عز الدين ابيك على مصر ولقب بالملك
المعز الجاشنكير التركماني الصالح وتزوج بشجرة الدر فانضم حزبا الى
حزبه . وبعد قليل انقسم المماليك الى قسمين عظيمين عرفا بالمعزيين
نسبة الى الملك المعز ابيك والصالحين نسبة الى الملك الصالح نجم
الدين وتنازعا النفوذ ففاز الصالحيون

سلطنة الملك الاشرف بن يوسف

من سنة ٦٤٨ - ٦٥٥ هـ او من ١٢٥٠ - ١٢٥٧ م

فاجبروا ابيك ان يقبل بمبايعة شاب من العائلة الابوية لم يبلغ الثامنة
من العمر وكان في اليمن واسمه موسى مظفر الدين بن يوسف انسر ملك اليمن
فبايعة في ٥ جمادى الاولى وبايعة الناس ولقبوه بالملك الاشرف وتعين عز
الدين انا بكالة غير ان ازمة الاحكام ما برحت في يد ولم يكن الاشرف الا
اسما بلا رسم ومن الغريب تألف هذه السلطة المزوجة من احد سلالة العائلة
الابوية واحد ممالكها والاغرب من ذلك ان يُخطب لها معاً

وفي خلال ذلك نهض سلطان دمشق الجديد ناصر الدين يوسف الايوبي للأخذ بنار الملك المعظم فدعى اليه اقرباءه امراء العائلة الايوبية للتعاقد على ذلك وتأكيدها لنجاح مساعده استمد لويس التاسع ملك فرنسا وكان اذ ذاك في عكا على ان يعيد له مقابلة لذلك بيت المقدس فارسل ملك فرنسا الى ناصر الدين راهباً لعقد المعاهدة وانفذ الى الممالك في مصر مندوباً يطلب اليهم التعويض على نكث المعاهدة التي عقدوها مع الصليبيين وكان من صالحهم الاتفاق مع الصليبيين على سلطان دمشق فاجابوا مطالبة واطلقوا عدداً كبيراً من الاسرى المسيحيين بعثوا بهم الى عكا وارفقوهم بمندوبين لتجديد المعاهدة فاقترح لويس التاسع ان يضاف اليها البنود الثلاثة الآتي ذكرها وهي

اولاً . ارجاع رؤوس الصليبيين التي كانت مغروسة على متاريس القاهرة
ثانياً . ارجاع جميع الاولاد الذين كانوا قد أُجبروا على الاسلام
ثالثاً . التنازل عن المائتي الف دينار التي تعهد الصليبيون بدفعها
بمقتضى معاهدة المنصورة

فرضي الممالك بجميع ذلك واهدو فوقها فيلاً جميلاً وكان هذا اول فيل أرسل الى فرنسا وتبرعوا ان يعيدوا اليه بيت المقدس اذا تغلبوا على سلطان دمشق . فانصل امر تلك المخابرات بسلطان دمشق فانفذ فرقة من عشرين الف مقاتل تحول دون اتحاد الجيوش فعضوا بالمصريين في غرة فنهاضوهم حتى ارجعوهم الى الصحابة فانهزم الفارس اقطاعي فاعادوا السوريين على اعقابهم الى سوريا ثم تشدد السوريون وعادوا بمدد كبير تحت قيادة شمس الدين لولو حاكم مملكة دمشق ومعهم سلطان دمشق نفسه فالتقوا بالممالك تحت قيادة ابيك والفارس اقطاعي يوم الخميس ١٠ ذي القعدة سنة ٦٤٩ هـ في العباسية وتقاتلا فانكسر المصريون اولاً فتعقبهم السوريون فجعل ابيك والفارس اقطاعي انهزامها نحو سوريا ومعها

جماعة من الفرسان فالتقيا بشمس الدين لولوفي شرذمة من رجاله فقتلاه
 وشنتا رجاله فاشتد ازرها فعادا لهاجمة سلطان دمشق وكان في معسكره
 مع شرذمة قليلة من المجد . اما باقي الجيش فكانوا يتعقبون الجيوش
 المصرية المنهزمة فاضطر السلطان الى الفرار بنفسه فتبعا فلم يدركاه
 فعادا الى مصر فرأيا الجيوش السورية قد دخلت القاهرة وخاف اهلها
 ظناً منهم ان النصر لناصر الدين فبايعوه وخطبوا له . الا ان الآية لم
 يوافقوا على تلك المبايعة شخصياً على انهم لم ينجوا من انتقام ابيك . فلما
 علم المصريون ان النصر لم فرحوا جداً وابتلوا مبايعة ناصر الدين اما
 هذا لما رأى امر انعكساره على ما تقدم لم يعد يمكنه اعادة الحرب ثانية
 فصالح المصريين على ان يتخلى لهم عن مصر وغزة واورشليم وقد رجع من
 الجهة الثانية ما كان يرومه من فساد المعاهدة بين المصريين والصليبيين
 فانفق مع المماليك على محاربة الصليبيين

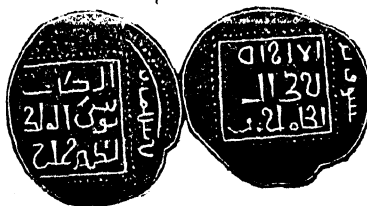
ثم اتفق المماليك البغرية على تخريب مدينة دمياط خوفاً من سير
 الافرنج اليها مرة اخرى فسيروا اليها الحجارين والفعلة فوق الهدم
 في اسوارها يوم الاثنين ١٨ شعبان سنة ٦٤٨ هـ ومجيت آثارها ولم يبق
 منها سوى الجامع ويعرف بجامع الفتح واخصاص ابتناها بعض الفقراء
 للسكن في قبلها ودعوا ذلك المكان المنشية اما دمياط الباقية الى هذا
 العهد فابتنيت على انقاض تلك فبلغت جمالاً فائقاً وقد ساعدها على ذلك
 حسن مركزها الطبيعي واهميتها للتجارة وقد بالغ المفرزي في وصفها لانها
 كانت في ايامه (في القرن التاسع للهجرة) ازهى واعمر مما هي الآن فنظم
 في مدحها قصيدة ٢٣ بيتاً اقتطفت منها هذه الايات

سقى عهد دمياط وحياء من عهد فقد زادني ذكراً وجداً على وجد
 وبشنيها الريان يحكي متباً تبدل من وصل الاحبة بالصد
 فقام على رجليه في الدمع غارقاً براعي نجوم الليل من وحشة الفقد

وظل على الاقدام تحسب انه لطول انتظار من حبيب على وعد
كان التفاء النيل بالبحر اذ غدا مليكان سارا في الحجاب من جنـ
وقد نزلا للحرب واحندم اللنا ولا طعن الا بالثقة الملد
وعظم الفارس اقطاعي في عيون المصريين لما اظهره من البسالة
والاقدام في الحروب الاخيرة فلقبه احرابه بالملك وتزوج اخت المنصور
سلطان حماه واسكنها في القلعة لانصال جبل قرباها بالعائلة الملوكية
فاوجس ايبك شراً من انتشار نفوذ الفارس المذكور حتى خشي مناظرته
في الملك فاخذ يسعى للتخلص منه وكان الفارس زعيماً لحزب من المماليك
الصالحيين وكانوا يطلبون له المشاركة في الملك مع الملك الاشرف وما
زالوا حتى نالوا مطلوبهم فرقى كثيرين منهم وفي جملتهم سيف الدين قطوز
الذي صار بعد ذلك ملكاً اما الفارس اقطاعي فتتله ايبك وهو داخل
بسرائر القلعة ثم خشي الوقوع في شر اعماله فامر بقتل ابواب القلعة وابواب
المدينة وابست يتوقع الحوادث فلم تضي برهة حتى جاء الامراء الصالحيون
برأسهم يهرس وتجههروا على ابواب القلعة وطلبوا الفارس اقطاعي ظناً منهم
انه كان مأسوراً فرمى اليهم برأسه من على السور فلما علموا يقتله ارتفعت
قلوبهم فعمدوا الى الفرار فاصدين باب القراطين فتفتحوا وساروا قاصدين
سوريا وبقي منهم شذمة قبض عليهم واودعوا السجن

فلما تخلص الملك المعز ايبك من طائفة الصالحيين قبض على الملك
الاشرف والقاء في سجن مظلم فمات فيه تعيساً بعد ان حكم سنة وشهراً

وترى في الشكل السابع والخمسين
صورة النقود التي ضربت على عهد
الملك الاشرف بن يوسف وعليها
اسم واسم الامام المستعصم بالله



العباسي - والاشرف آخر من ملك ش ٥٧ نقود الملك الاشرف

في مصر من الابويين . وحكم بعض افراد هذه العائلة في دمشق وحلب
وحمص وميافركين الا ان هؤلاء لم تمض عليهم عشر سنين حتى انقرضوا
ولم يبقَ منهم الا فرع واحد في حماه بقي حاكماً فيها قرناً بعد انقراض
جميع الدولة وكانت سلطنته ضعيفة لا تخصارها في تلك الامارة الصغيرة
وقد جاء من نسله ابو الفدا المؤرخ المشهور سنة ٧١٨ هـ . وقد نسي
كثيرون منا ذكر الدولة الابوية وفتوحاتها العظيمة ولكننا لم ننسَ
ابا الفدا لانه ترك لنا ذكراً لا يحى بتاليه المشهور

واستوزر ايلك شخصاً من نظار الدواوين يدعى الشريف الدين هبة الله
ابن صاعد النازي احد كتاب الاقباط وكان قد اظهر الاسلام من ايام
الملك الكامل وترقى في خدمة الكتابة وكان طبيباً للسلطان الابوي
الخامس مشهوراً بالطب والسياسة فلما صار وزيراً قرر على التجار
وذوي اليسار وارباب العقاقير اموالاً ورنب مكوساً وضمانات سموها
حقوقاً ومعاملات وهو اول قبضي ولي الوزارة

ولما استتب المقام لايك وتخلص من الممالك الصالحين وغيرهم
من كانوا ينازعونه الملك حسب الجوف قد خلا له وما درى ان شجرة الدر
لا تزال واقفة له بالمرصاد بعد ان صارت له زوجة فكانت تحول دون
كثير من مقاصده ولم يكن يجسر على مقاومتها مع علوه باستقلالها من مهام
الملك على انه لم يستطع احتمال هذا التقيّد والسلطان في يده فجعل يبحث
عن طريقة تنفذه من هذه القيود مع علوه ان مكاييد النساء اشد وطأة من
ملافة ابطال الرجال . فادعى انها عقيمة لا يرجو منها نسلأ فافتنى عليها
سراري اخريات فولدت له احدهن ولداً دعاه نور الدين علي ثم بلغها
انه ساع الى التزوج بابنة بدر الدين لولو ملك الموصل وكان قد امسك
عن زيارتها فاشتعلت حسداً لعلها ان هذه الزوجة الاخيرة من بنات
الملوك فخافت ان تحل محلها من العظمة فاقرت على الكيد به

فبينما كان ماراً في ٢٢ ربيع اول سنة ٦٥٥ هـ في الدهليز السري الى دار المحرم وثب عليه خمسة خصيان بيض كانوا قد كمنوا له هناك وخنقوه بعامته وكان ذلك بدسيسة شجرة الدر فاشاعت انه مات مصروعاً وكان ابيك ظلوماً غشوماً سفاكاً للدماء

ولم تجسر شجرة الدر نعاطي الاحكام بنسبها خوفاً من الابقاع بها فجاءت بخاتم الملك الى اميرين من كبار الامراء وها جمال الدين عضوغدي وعز الدين الحلبي وطلبت اليهما امام جنة زوجها ان يستلما زمام الاحكام فايما . وكان قتل ابيك في داخل السراي ليلاً ولم يشع الخبر في القاهرة حتى الصباح التالي . فلما علم اصحابه من المماليك بما حل به اضمروا على الانتقام وكان سن ابنه نور الدين علي ١٥ سنة فبايعوه ولقبوه بالملك المنصور وكانت مدة ابيك في الاحكام عشر سنوات واحدى عشر شهراً شاد في خلالها بنايات عظيمة وفي جملتها مدرسة دعاها المدرسة المعزية نسبة اليه بناها على ضفة النيل في مصر القديمة وربط لها دخلاً مخصوصاً للنفقة عليها . وهو اول من اقام من ملوك الترك بقلعة الجبل

سلطنة نور الدين علي بن ابيك

من سنة ٦٥٥ - ٦٥٧ هـ او من ١٢٥٧ - ١٢٥٩ م

فالمملك المنصور حالما بوع قبض على قاتله ابيه وعهد بها الى نساء يتيه فاماتوها ضرباً بالقباقيب على رأسها وطرحوا جثتها في خندق القلعة فاكلت الكلاب نصفها ودفن النصف الباقي قرب مدفن السيدة نفيسة . فانتهت حياة هذين الخادعين شجرة الدر وابيك كما رأيت فجوزي كل منهما بما فعل لانهما قتلا الملك المعظم

اما نور الدين علي فلم يحكم إلا مدة قصيرة تحت مناظرة وصيه شرف الدين هبة الله المتقدم ذكره . ولم يلبث حتى استبدله بسيف الدين قطوز مع لقب اتابك اي وصي الملك ونائبه ولما تولى سيف الدين هذا المنصب استقدم اليه المماليك الصالحين من سوريا وعقد معهم مجلساً اقروا فيه على عدم لياقة نور الدين للاحكام نظراً لصغر سنه واذاعوا ذلك فانزلوا نور الدين في ٤ ذي القعدة سنة ٦٥٧ هـ بعد ان حكم سنتين وبابعدوا سيف الدين قطوز

سلطنة المظفر سيف الدين قطوز

من سنة ٦٥٧ - ٦٥٨ هـ او من ١٢٥٩ - ١٢٦٠ م

وسيف الدين هذا شريف الاصل من عائلة ملوكية خلافاً لسلفه فهو ابن مودود شاه ابن اخ ملك خراسان فتح التتر بلاده فتشتت عائلته ولما تولى سلطنة مصر لقب بالملك المظفر وحالها استوى على السلطنة قبض على نور الدين وامر بقتله فحاول العلامة شرف الدين المدافة عنه فصلبه على باب القلعة

ثم لاح له ان دمياط بعد ان دكت اسوارها لم يعد ثم ما يعيق مراكب العدو عن المرور في النيل فامر بردم مصب النيل هناك وبعث بفرقة من المحجرين فمضوا وقطعوا كثيراً من الحجارة والقوفا فيه حتى ضاق وتغذر سبيل المراكب منه الى دمياط وهو على ذلك الى اليوم فان المراكب الكبيرة لا تستطيع المرور فيه فتنقل البضائع منها الى الجروم والمتواتر على السنة البعض ان سبب ذلك وجود جبل او رمل متجمع هناك وفي خلال ذلك جاء القاهرة قائد توري ناقلاً منشوراً من هولاكو

ملك المغول حنيد جنكيز خان وكان النتر قد انتشروا في جميع اسيا الشمالية والشرقية وكان هولاكو قد غزا العراقيين بجيش عظيم واستولى على مدينتي الموصل وحلب وفتح بغداد سنة ٦٥٦ هـ وقتل الخليفة المستعصم بالله وبقتله سقطت الدولة العباسية وبعد هذه الفتوحات نزل هولاكو الى سوريا ففتح دمشق وجميع السواحل البحرية حتى قدم مصر فبعث اليها منشوراً ونصه «من ملك الملوك الحاكم من الغرب الى الشرق اعظم الخانات هولاكو خان فاتح الفتوحات الغربية صاحب الجيوش العديدة الى اهل مصر. فيا اهل مصر لا تخاطروا بانفسكم في محاربي لانكم ان فعلتم اذا اتمم محذولون فاقتدوا بغيركم من سكان حلب والموصل»

فلما قرأ قطوز ذلك المنشور وعلم ما كان من امر فتوحات هذا النتر وما هو عليه من القوة والمنعة اوجس خيفة غير ان جيوشه كانوا قد حاربوا الجيوش الصليبية وانتصروا عليها ولم يزل في تنوهم عزه الظفر واثقة النصر فاستخفوا بقول هولاكو واصروا على القتال فحشد قطوز وجهزهم بما يلزم من العدة والسلاح واستقدم اليه قبائل العربان وفرق فيهم وفي سائر جيشه نحواً من ستماية الف دينار جمعها من الضرائب التي اقامها على المصريين ما دعاه تصفيع الاملاك وزكايتها وحدث على كل انسان ديناراً بوخذ منه واخذ تلك التراكات الاهلية فكان يجمع منها ٦٠٠٠ ديناراً سنوياً ثم سار من القاهرة للملاقاة النتر في غاية شعبان سنة ٦٥٨ هـ وما كاد الجيشان يلتقيان حتى انصل بهولاكو خبر موت ابيه منجوخان ملك النتر فاضطر الى العود حالاً ليطالب بحقوق الوراثة فعاد ناركاناً في سوريا نحواً من عشرين الف من نخبة فرسانه تحت قيادة نسيب ونائبه كتبوا لمحاربة قطوز فالتقيا في فلسطين في عين الجالوت فالتحم الجيشان وحصلت بينهما موقعة كبيرة شنت عن هلاك كتبوغا وكل رجاله والقبض على ابنه . وغنم المصريون غنيمة كبيرة تكفي لاغناء كل المشرق لانها تحتوي على اثن

ما نهبه هولاكو من اغنى المدن اثناء فتوحاته . فعاد الملك المظفر الى القاهرة ظافراً ولم تتم سعادته لان المنية كانت في انتظاره على الطريق فقتله بعض رجاله الذين كانوا يتربصون فرصة لقتله فتمكنوا من ذلك يوم السبت في ١٧ ذي القعدة سنة ٦٥٨ هـ بعد ان حكم ١١ شهراً و ١٢ يوماً

وتفصيل ذلك انه بينما كان عائداً بجيشه الى القاهرة مر من امامه ارنب برى وكان مولعاً بالصيد فسار على اثره في عرض الصحراء حتى امعن فيها ثم عاد وحده ولا صيد معه فتقدم للملاقاة احد امرائه المدعو ركن الدين بيبرس البندقداري فلما دنا منه هم الى يده كانه يريد ثقيلها فامسكها باحدى يديه وطعنه بالآخرى في قلبه فسقط صريعاً مخطئ الارض فجاء باقي الامراء وكانوا متواطئين معه على هذه الفعلة فرفعوا جثة سلطانهم ودفنوها في قبر صغير قرب قبر خلف فحشي ذوو الفقيد ان تبلغ موسى لحام فتفروا في مصر السفلى لا يظهرون على احد وكان الانابك اذ ذاك في الصحابة مع السواد الاعظم من الجيش فسار اليه قتلة قطوز واخبروه بما فعلوا فقال لهم « من منكم ضربة الضربة الاولى » فاجاب بيبرس انا هو فقال له احكم اذا مكانه

فبوع بيبرس للحال ولقب بالملك الفاهر ثم نشاء من هذا اللقب فابدله بالملك الظاهر وازاف اليه ابا الفتوح وكان يلقب ايضاً بالعلي وبالبندقداري نسبة الى سيده الذي كان يدعى علاء الدين بندقدار

سلطنة الظاهر بيبرس البندقداري

من سنة ٦٥٨ - ٦٧٦ هـ او من ١٢٦٠ - ١٢٧٧ م

ولما تم ليبيبرس امر السلطنة سار الى القاهرة وجعل بهاء الدين وزيراً

ويبلي بك وهو من اعز اصدقائه من المماليك خزنداراً واستقدم من بقي عائلة قطوز فامنهم وضمهم اليه واطلق من في السجون جميعاً بغير استثناء واكثر من العطايا لرجالو وابطل كثيراً من الضرائب التي كان قد ضربها سلفه كتصفيح الاملاك وتقويتها واخذ زكاة ثمنها في كل سنة وجباية دينار من كل انسان وغير ذلك واعلن امره هذا على لسان الخطباء في المنابر

على انه مع ذلك لم ينل رضا كل الرعية لاسيما السوريون فانهم شقوا عصا الطاعة وبايعوا الامير سنقر حاكم حلب ولقبوه بالملك المجاهد وعضدهم على ذلك التتر تحت قيادة هولاء كوفسار يببرس حالاً الى دمشق لاختداد الثورة فحارب التتر ونغلب عليهم في ٢٠ مواقع متوالية ففقط الدمشقيون من المساعدة فسلوا المدينة فدخلها وانتقم منها اشر الانتقام وما زال حتى اخضع سائر بلاد الشام . ولما عاد الى القاهرة اخذ في اصلاح الداخلية

وفي سنة ٦٦٠ هـ قدم اليه من بقي من الدولة العباسية منهزمين من وجه التتر بعد ان وقعت بغداد في يدهم فالتجأوا اليه وفي جملتهم ابن الخليفة الظاهر بامر الله الذي ذبحه التتر فاكرم وفادته ولم يخسره شيئاً من حقوق الخلافة بل اقامه خليفة في القاهرة ولقبه بالمستنصر بالله فاصبحت القاهرة من ذلك الحين مقر الخلفاء العباسيين غير ان سلطتهم لم تكن تعتبر الا من وجهها الديني فقط وكانوا يلقبون بالائمة . وقد رافق نزول العباسيين في القاهرة فحط عم سائر الفطرفشاهم الناس مجلوم . اما يببرس فلم يأل جهداً في استجلاب الاقوات من سائر جهات سوريا وغيرها وتفريقها في الناس فانفذ بلاده من ضيق عظيم

ثم اراد يببرس ان يسترجع بغداد للخلفاء العباسيين فانفذ مع الخليفة المستنصر بالله جنداً كبيراً لاجراجه التتر منها وتسليمها للخليفة المستنصر

فلاقام التتر في الطريق فحاربوم وشتموا شملهم وقتلوا الخليفة ولم يجلس على كرسي الخلافة الا خمسة اشهر وعشرين يوماً فبايعوا في القاهرة الخليفة الحاكم بأمر الله . ثم أُلحى بيبرس الى تجريد آخرى انتقاماً من فسخ الدين رئيس قلعة الكرك . وسبب ذلك ان بيبرس قبل توليه سلطنة مصر كان قد ترك امرأته عند فسخ الدين وقاية لها مما كان يقاسيه من الاسفار والعذاب وعهد اليه رعايتها فلم يحترم هذا حرمة الدين والشرف فنتك بها بغير وجه الحق فانصل ذلك بيبرس وكان قد تولّى امور مصر فنثار فيه حب الانتقام فجرد الى الكرك وحاصر قلعتها وكانت منيعة الجانب طالما امتنعت على كبار الناعمين ومنهم السلطان صلاح الدين . ثم تمكن بيبرس من القبض على فسخ الدين احياناً وسلمه الى امرأته فقتلته على مثل ما قُتلت عليه شجرة الدر فامست الكرك بغير رئيس فسلمت وصارت جزءاً من مملكة مصر

ولما عاد بيبرس الى القاهرة حشد جيشاً كبيراً لمناهضة الصليبيين وكانوا لا يزالون حاكمين في اماكن كثيرة من فلسطين وما زالت الحرب بينهما سجلاً مدة سنتين (سنة ٦٦٢ و ٦٦٤) وانتهت باستيلاء بيبرس على قيصرية . وفيما هو محاصر عكا ألحى الى المسير لمحاربة التتر وكانوا قد استولوا على دمشق بمساعدة اهل ارمينيا وتهددوا سائر سوريا فاغفل حصار عكا وسار فلما وصل الى دمشق لم يجد عدواً لان هولاكو كان قد مات وتشتت جيوشه فسار بيبرس الى ارمينيا وكان عليها ملك مسيحي يقال له هيتون فاستولى على عاصمتها سيس وعلى سائر مدنها وتابع فتوحاته الى الاناضول فهاجمه ريكاً خان بن هولاكو وولي عهده فاعاده على اعقابه فرجع الى سوريا وفتح صند وذبح اهلها . ثم رجع الى عاصمته بعد ان فتح ابله على البحر الاحمر

وقضى بيبرس سنة ٦٥٦ هـ في القاهرة يستعد لحرب جديدة وينظم

داخليته فابطل ضمان المزروعيه وامر باراقة الخصور وابطال المنكرات
ونعنية بيوت المسكرات ومنع الخانات والخواطى بجميع افطار مملكة
مصر والشام فظهرت من ذلك البقاع وعادت البلاد الى الهدوء والرغد
فقال احد الشعراء المعاصرين

ليس لايلىس عندنا ارب غير بلاد الامير مأواه

حرفته الخمر والحشيش معاً حرمتا مأوه ومرعاه

ثم رأى ان بعض الرعية لا يزالون على ما كانوا قد اعتادوه من
الفواحش فامر بمنع النساء الخواطى من التعرض للبعاء ونهب الخانات
التي كانت معدة لذلك وسلب اهلها جميع ما كان لهم ونفى بعضهم وحبس
النساء حتى يتزوجن وكتب بجميع ذلك توقيماً قرياً في المنابر . وعلم
بعد ذلك ان الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر البازانة يشرب
المسكر فشقة تحت قلعة الجبل . ولا شك ان الملك الظاهر لم يشدد في
ابطال جميع هذه المنكرات الا لعله يقيناً ان استعمالها يورث الفقر والذل
ويجهد الهمة ويضعف عزه النفس ويغضب الله

وفي سنة ٦٦٢ هـ بنى الملك الظاهر دار العدل القديمة تحت القلعة
وصار يجلس بها لعرض العساكر في كل اثنين وخميس وكان ينظر في
امر المتظلمين بنفسه فاذا كان لاحد مظلمة يأتي رأساً ويشكوها للسلطان
وهو يأمر بالحال بصرفها بوجه الحق

وفي سنة ٦٦٦ هـ استأنف الحرب مع فلسطين فاستولى على يافا
والشقيف وطبرية وارصوف وانطاكية وبقراس والقرين وصافيتا ومرقية
وايباس وختم ذلك بفتح بغداد ثم احب بطريقه الى مصر ان يمر بالحج الى
مكة مع ابنه برقة خان فمر بحلب فطرد التتر منها ثم زار قبر ابراهيم في
حبرون وسار لزيارة بيت المقدس ثم عاد الى مصر وقد اتم سياحته
الجهادية والدينية معاً

وقد كانت طريق الحج من مصر الى مكة المشرفة عن طريق صحراء
عذيبا يركبون البيل من ساحل النساط الى قوص بمصر العليا ثم
يركبون الابل من قوص فيقطعون صحراء عذيبا الى البحر الاحمر حيث
ينزلون فيه الى جدة ساحل مكة وهكذا يعودون الى مصر . وكانت قوافل
التجار من الهند واليمن والحبشة تأتي مصر على هذه الطريق ايضا وكانت
صحراء عذيبا اذ ذاك آهلة بالسكان امينة المسلك . وبقيت طريق الحج
على مثل ذلك الى السنة التي زار فيها السلطان الملك الظاهر مكة
المشرفة وكساها وعمل لها منتاحا فصارت طريق الحج برّا من ذلك الحين
اما التجار فما زالوا يقدمون مصر عن طريق الصحراء الى سنة ٥٧٦٠ ومن
ذلك الحين قلت اهمية مدينة قوص فصارت في حالة تشبه حالتها في الوقت
الحاضر بعد ان كانت مدينة زاهرة بالتجارة والعمارة

وفي سنة ٥٦٢٠ هـ سار بيبرس لمحاربة من بقي من طائفة الباطنيين
وكان هولاء قد اهلك السواد الاعظم منهم في جزبات العراق فافتتح
بيبرس قلعة الاكراد وقتل من فيها من الباطنيين فتنفرت جموعهم وهكذا
كان انقراض دولتهم

وفي خلال ذلك عاد النتر الى سوريا وحاصروا بيرا فتجند اليهم
بيبرس وسارت معه فرقة تحت قيادة الامير قلاون الالفي فالتقى الجيشان
عند بيرا واشتدت الحرب بين المسلمين والنتر وانتهت بانتصار المسلمين
فاستولوا على بيرا . ثم ساروا الى ارمينيا ففتحوها وغنموا منها غنائم كثيرة .
ثم عاد بيبرس الى مصر ففرشوا له القاهرة بالسط والسجاد الثمين احتفالا
بعودته ظافرا وقد قرض الباطنيين وغلب النتر

ثم ان اباكا خان بن هولاءكو خان قدم سوريا وحاصر بيرا ثانية
فلاقاه الامير قلاون بفرقة من الجيوش المصرية وارجعه على اعقابهِ فسرَّ
بيبرس من بسالته واتخذ ابنته زوجة لابنه ليكون ابنه في المستقبل آمنا

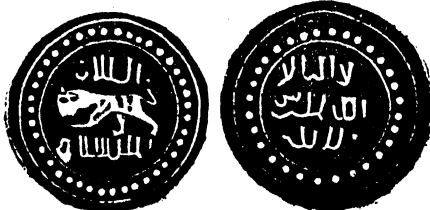
في حى حيو . فأمنت سوريا بعد هذه الانتصارات ولم تعد تخشى اغتيالاً
فانفذ يبيرس الأمير اق سنقر الفرغني سنة ٦٧٤ هـ لافتتاح نوبيا فافتتح
اصوان بعد ان استولى على جميع مصر العليا . وفي هذه السنة حارب
يبيرس برقة وافتحها وعاد التتر على اثر هذه الفتوحات لافتتاح سوريا
العليا فسار يبيرس الى حمص يريد دفعهم بنفسه فالتقى خسوف القمر
خسوفاً تاماً فنشأ من بعض الذين يصدقون الخرافات وقالوا ان ذلك
دليل على موت امير كبير وكان يبيرس يعتقد مثل اعتقادهم فلاح له
ان هذا التشاؤم يصح عليه ولكنه قال بسسوه « يجب عليّ قبل موتي ان
اميت من اخشى ان يتولى الحكم بعدي من ليسوا على دعواي » فلم يجد الا
الامير داود ناصر الدين بن طوران شاه آخر سلالة الابويهيين فامر
باحضاره ولما حصر اعطاه كأساً فيه سمّ و امره ان يشرب فشرب بعضه
واعطى الكأس ليبيرس فلأهه وشرب هو ايضاً فسهطاً معاً قتلي الخرافات
فبعثها الله ما اضعف جثمانها وما اشد وطأتها

وكانت وفاة الملك الظاهر يبيرس في ٢٧ محرم سنة ٦٧٦ هـ بعد ان
حكم ١٧ سنة وشهرين وعشرة ايام . وكان ملكاً جليلاً عموماً كبير
المصادرات لرعيته ودواوينه طویل القائمة ملج الشكل سريع الحركة
فارساً مقداماً . وترك من الذكور ثلاثة وهم السعيد محمد برقة خان وقد
ملك بعده وسلامش وهذا ملك بعده ايضاً والمسعود خضر . وترك من
البنات سبعة . وما فتح الله على يده من ايدي الصليبيين فيسارية وارصوف
وصدد وطبرية وبافا والشقيف وانطاكية وبفراس والقصير وحصن
الاكراد والقرين وحصن عكا وصافيتا ومربية وحلب وقد ناصبهم على
المرقب وبانياس وترسوس وادنة والمصيصة وغيرها من المدن في
بر الاناضول وصار الى يده ما كان في يد المسلمين دمشق وبعكك
وعجلون وبصرى وصرخد والصلت وحمص وتدمر والرحبة وتل ناضر

وصهبون وبلاطس وقلعة الكهف والقدموس والعليفة والنحواني والرصافة
ومصبايف والقلعة والكرك والشوبك وفتح بلاد النوبة وبرقة . ومن أعماله
المأثورة انه عمر الحرم النبوي وقبة الصخرة ببيت المقدس وزاد في اوقاف
الخليل وعمر قناطر شبرامنت بالجيزة وسور الاسكندرية ومنار رشيد وردم
فم بحر ديباط ووعر طريقه وعمر الشواني وعمر قلعة دمشق وقلع الصببة
وبعلبك والصلت وصرخد وعجلون وبصرى وشيرز وحمص وعمر المدرسة
بين النصرين بالقاهرة والجامع الكبير بالحسينية وقد جعله الفرنسيون
عند مجيئهم الى مصر قلعة وهو البناء القديم في سكة الظاهر جعلته الحكومة
مخازن للاقات . وحفر خليج الاسكندرية القديم وباشره بنفسه وبنى هناك
قرية سماها الظاهرية وحفر بحر اشمون طناح وجدد الجامع الازهر
بالقاهرة واعاد اليه الخطبة وعمر بلد السعيدية من الشرقية بمصر وبنى
القصر الابلق في دمشق . ومن آثاره في القاهرة ايضاً قناطر السباع وهي
عبارة عن سلسلة من قناطر ممتدة عرضاً من جوار فم الخليج الى قلعة الجبل
ولا بد للتوجه من القاهرة الى مصر القديمة من ان يقطعها هذا اذا لم يمر
عند فم الخليج فانه اذ ذاك يمر بجانب منشأها . وهي تنتهي من طرفها الغربي
بالسبع سقايات بجانب فم الخليج . والسبع سقايات بناء قديم فيه سبع
دوايب (سواني) ارفع المياه من النيل وتحويله الى قناة على ظهر هذه
القناطر ليجري الماء فيه الى قلعة الجبل وجعل عليها سباعاً من الحجارة
ولذلك قيل لها قناطر السباع والقناطر المذكورة بعضها مهدوم وبعضها
باق وفي الحاليين لا فائدة منها لانها لا تستخدم لشيء . وكان محباً لركوب
الخيول المجياد وربي النبال فانشأ ميدياً دعاه ميدان الفبق ويقال له
ايضاً الميدان الاسود وميدان العيد والميدان الاخضر وميدان السباق
وكان شاعراً بقعة من الارض تمتد بين النفرة التي ينزل اليها من قلعة
الجبل وبين قبة النصر التي هي تحت الجبل الاحمر وبنى فيه مصطبة

سنة ٦٦٦ هـ للاحتفال برمي النشاب والتمرين على الحركات العسكرية .
 وكان يجمّع الناس على لعب الرمح ورمي النشاب ونحو ذلك فكان ينزل
 كل يوم الى هذه المصطبة من الظهر فلا يركب منها الى العشاء وهو برمي
 ويحرص الناس على الرمي والنضال والرهان فما بقي امير ولا مملوك الا
 وهذا شغلة وما يرح من بعده اولاده ومن بعدهم يمارسون هذا الميدان
 بجميع انواع الالعاب الحربية

وكان يقوم بنققات جميع هذه الاعمال بدون ان يسلب الاهالي درهما
 واحداً فوق ما اعتادوا دفعه من الضرائب لان
 الغنائم التي كان يكسبها من اعدائه كانت
 تساعد كنيّراً في النققات



هذه هي اعمال
 الملك الظاهر بيبرس
 قد تركت له ابراً يفتي
 ذكره دهوراً طويلاً
 وترى في الشكل
 الثامن والخمسين صور
 نقود الملك الظاهر
 بيبرس وعليها صورة

ش ٥٨ نقود الملك الظاهر بيبرس

اسد

سلطنة برقة خان بن بيبرس

من سنة ٦٧٦ - ٦٧٨ هـ أو من ١٢٧٧ - ١٢٧٩ م

فلما توفي بيبرس اقر الامراء على مبايعة ابنه البكر محمد ناصر الدين برقة خان . ولكنهم كانوا قد اجمعوا بعد المشورة طويلاً على ان يكتسبوا وفاة بيبرس لئلا يقطع فيهم العدو فارسلوا جنته سرّاً الى دمشق واشاعوا هناك انه مريض فنقلوه الى القاهرة في هودج ثم استقدموا الجيوش جميعها الى مصر فقدمت وحالما ادخلوا الجنته الى القلعة بايعوا ابنه البكر برقة خان ولقبوه بالملك السعيد . واقاموا الامير بلباي (بيلي بك) انا بگا وكان بلباي في الاصل مملوكاً ابتاعه بيبرس بثمن بخس الا انه ارتقى في خدمته حتى صار امين خزائنه . ثم استحق بعد طول الخدمة الصادقة الامينة ان يكون وصياً على ابنه في مهام السلطنة وكان للملك السعيد ثقة كبرى في بلباي حتى انه اتى اليه كل مهام الدولة فسعدت مصر في بادئ الرأي الا انها ما لبثت حتى تعكر كأس صفائها بوفاة ذلك الوصي الامين الحكيم ولم يكن الملك السعيد واثقاً باحد من امرائه ليعهد اليه مهام الامة لانه كان يظن انهم هم الذين سعيوا الى قتل وصيه ولكنه لم يتأكد ذلك ففتر منهم فوق اخياره على اق سفر فاتح نوبيا فولاه الانابكية وبعد يسير خنته في احد ابراج الاسكندرية فتباعد الامراء عن هذا المنصب وارادوا بالسلطان سوءاً لكنهم شغلوا عنه بشورة الدمشقيين . وذلك ان شرف الدين سنقر الملقب بالاشقر كان والياً على دمشق تحت رعاية برقة خان فادعى الملك لنفسه فبايعه اهله ولقبوه بالملك الكامل فاسرع برقة خان الى دمشق ونزل بجيشه في القصر الابلق الذي كان قد بناه ابوه وبعد الثوري عن اسباب تلك الثورة علم انها

دسيسة من امراءه . فلما علم هؤلاء بانكشاف امرهم عادوا بمن كان على دعوتهم من المالك الى القاهرة وتحصنوا فيها فنبههم بركة خان فامتنعوا عليه وعجز عن قهرهم لكثرتهم فالتجأ الى قلعة الجبل فحاصروه فيها وشددوا عليه الحصار فسلم فانحط اعتباره عندهم وهما يقتلوه فنبههم الخليفة الحاكم بامر الله العباسي لكنهم اصرروا على خلعهم فخلعوه في ربيع اول سنة ٦٧٨ هـ بعد ان حكم سنتين وثلاثة اشهر فبعثوه الى قلعة الكرك منفيًا وحبسوه فيها ثم عادوا الى قتله فانفذوا اليه من يقتله ثم بلغهم انه سقط عن جواده ومات

سلطنة سلامش بن بيبرس

من سنة ٦٧٨ - ٦٧٨ هـ او من ١٢٧٩ - ١٢٧٩ م

فبايعوا اخاه بدر الدين سلامش وسنه سبع سنوات وبضعة اشهر ولقبوه بالملك العادل واقاموا الامير سيف الدين قلاون الالفي وصيًا عليه ولم يكن ثم هذا الوصي الا خلع ذلك السلطان الرضيع . وفي رجب من تلك السنة تمكن من مراده فبعثه الى قلعة الكرك منفيًا واستلم هو زمام الاحكام وطلب المبايعة فبايعة الناس ولقبوه بالملك المنصور وهو لقب ثاني سلاطين هذه الدولة

سلطنة الملك المنصور قلاون

من سنة ٦٧٨ - ٦٨٩ هـ او من ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م

ولما استوى قلاون على كرسي السلطنة استوزر فخر الدين وكان كاتب سره الخصوصي وبعث الامير طرطباي الى دمشق لاختاد ثورة

اهلها . فسار في فرقة من الجند فلاقاه الملك الكامل ودافع دفاعاً حسناً ولكنه الجى في سنة ٦٨٠ هـ الى الانسليم فقبضوا عليه وجاؤا به الى القاهرة وادعوه مجنناً مظلماً ولوا على دمشق وسائر الشام الامير حسام الدين لاجين وفي سنة ٦٨١ هـ عاد التتر الى الشام بجيشين الواحد تحت قيادة اباكه خان والآخر مؤلف من ثمانين الف فارس تحت قيادة اخيه منجور تيمور فحاربهم المصريون وفازوا بهم وقتلوا منجور تيمور وفرّ اباكه خان الى حمدان فاسمه اخوه الثالث نيكودار اوغلان وتولى الحكم بعده ثم اعتنق الاسلام ولقب باحمد خان وكان اسلامه وسيلة لحسن الدماء لانه تخار مع قلاون مخابرة سلمية وتعهدا على حفظ الولاء . وما زال ذلك مرغياً حتى بعد قتل احمد خان وتولية ارغون مكانه . فكانت مصر في خلال ذلك مطمئنة في خارجيتها فنشأت القلاقل في داخلها بسبب تمرد المماليك فانهم نبذوا الطاعة فغضب السلطان غضباً اعمى بصره حتى لم يعد يميز المحرم من البري فساق الجميع بعضا واحدا وعمل فيهم السيف ثلاثة ايام متوالية حتى غصّت الاسواق بجثثهم رجالاً ونساءً واولاداً . فجاء العلماء الى السلطان واخذوا يخفون من غيظه ويبتون له وجهه عسفه فاتبه لما جاءه من الاستبداد الناحش فندم ندماً لا مزيد عليه وتكفيراً لذلك امر ببناء البنايات والتكايا رحمة بالمساكين وذوي الاسقام ومن اجل ذلك ايضا بنى ابنه الملك الناصر المستثنى الشهير المعروف بالبيارستان . وكان المماليك الى ذلك الحين يلبسون لباس الزينة بما يناسب جمالهم . ففي سنة ٦٨٣ هـ امر قلاون ان يغير المماليك ملابسهم فمنعهم من استعمال الوشي والزينة بالذهب وعن الضنائر الطويلة التي كانوا يجعلونها في اكياس من حرير وجعل حالتهم من اللباس وغيره كما تقتضيه حالة رجال الحرب . ثم سار الى حصن مرفد فحاصره ٢٢ يوماً فسلم . وفي سنة ٦٨٤ هـ افتتح قلعة الكرك وقبض على سلامش لانه كان يحاول

الاستقلال عن مصر فقاده الى القاهرة وادعاه سجنًا مظلماً مكث فيه الى ما بعد وفاة قلاون

ولما اطمأن باله في داخله عكف على تنظيم الوزارة وما زال يعزل ويؤي حتى اقر على وزارة تميم الدين سنة ٦٨٥ هـ فبقي على دسنتها زمناً طويلاً . ثم اوصى قلاون بولاية العهد لابنه علي ولقبه بالملك الصالح (الثالث) واخذ منذ ذلك الحين في تدريبه على الاحكام وادارتها على نية ان يستخلفه عليها اذا طرأ عليه ما يستدعي غيابه عن مصر في حرب او غيرها فلم يصح تقديره لان علياً أصيب بحمى شديدة ذهبت بجيانه سنة ٦٨٧ هـ فحزن قلاون حزناً شديداً وكثرت هواجسه حتى كره الاحكام ثم رأى ان يجرّد حملة لافتح طرابلس الشام تسليّة له عن هواجسه وكانت في حوزة الصليبيين منذ مائة وثمانين سنة لم يتنازعهم احد عليها فसार اليها قلاون وافتحمها وذبح من فيها وأخربها ثم أعاد بناءها وجعل عليها حامية

ولما عاد الى القاهرة جاءه وفد من قبل ملك اراغون الفونس عقدوا معه معاهدة في ١٢ ربيع اول . غير ان كل ذلك لم يكن ليشغله عن احرايه وما زال كئيباً حتى قضى يوم السبت في ٦ ذي القعدة فاحتمل بجنازته احتفالاً حضره جمع غفير من جهادية وملكية وشيعية الى البيمارستان حيث واروه التراب ولا يزال مقامه هناك الى هذا العهد وكانت مدة حكمه ١١ سنة و٢ اشهر و٦ ايام

ومن آثاره الباقية الى هذا اليوم جامعة الشهير ومقامه وكلاهما داخلان في بناء البيمارستان الذي يشاهد المار في شارع النحاسين شمالاً بعد ان يتجاوز خان الخليل ولا تزال هذه الابنية رغباً عن تكرار السنين قومية العماد نجلى فيها العظمة والقوة الا البيمارستان فانه اصبح اقرب الى الان من العين . وقد زرتُ مقام هذا السلطان فرأيت فيه كما رأيت في غيره من مثله جماعات من النساء والاطفال هم في الغالب من ذوي الامراض قد جاؤا يطلبون

الشفاء وهم يأتون غالباً في أيام السبت ولم في ذلك اساليب مختلفة فرأيت بعضهم يضع الطفل المريض تحت المحراب ويجلس مصياً متضرعاً وآخر يأتي بشيء من اللبمون الحامض يمرح به جدار المحراب او ما يقاربهُ ثم يلحسه بلسانه طلباً للشفاء ورأيت آخرين يفعلون غير ذلك

ومن اعماله ميدانه الذي عرف بالميدان السلطاني جعله في موضع بستان الخشاب حيث موردة البلاط وكان يتردد اليه كثيراً . ولا يمر عليه من قلعة الجبل حتى يركب قناطر السباع فتضرر من علوها وقال لمن حوله اني عند ما اركب الى الميدان وأمر بهذه القناطر بنا لم ظهري من علوها واشاع بعضهم انه اراد بالحقيقة نزع آثار من كان قبله ليبقى الخرقه فامر بهدمها جميعها وبنائها ثانية فبنيت ولكن السباع لم توضع عليها فعندما رأى السلطان ذلك امر باعادتها فاعيدت السباع الى اماكنها . وما يحكى عنه انه كان يجعل في بناياته اماكن مخصوصة يضع فيها الخبواب طعاماً لطيور السماء

وقد كان قلاون سبباً لاجراج السلطنة من يد نسله كما كان الملك الصالح الابوي باستكثاره من المماليك الشراكسة حتى جمع منهم نحواً من ١٢ ألفاً جعل منهم بطانته وكان يلقب بعضهم بالاناي اي المبتاع بالف دينار وبعضهم باي المعالي وغير ذلك



ونرى في شكل ٥٩ صورة نفود الملك المنصور قلاون مضروبة في حلب

ش ٥٩ نفود الملك المنصور قلاون

سلطنة خليل بن قلاون ثم الملك القاهر بيدرا

من سنة ٦٨٩ - ٦٩٢ هـ او من ١٢٩٠ - ١٢٩٢ م

وتولّى بعده على سلطنة مصر ابنه البكر صلاح الدين خليل ولقب بالملك الاشرف فاستوزر بدر الدين وجرّد للجهد على الصليبيين فسار في سنة ٦٩٠ هـ حتى اتى عكا فحاصرها وكانت الحصن الوحيد الذي بقي للصليبيين فحصنوه تحصين اليأس لكنه لم يمتنع على جيوش الاسلام فهدموه ودخلوا المدينة وامنعوا فيها قتلاً ونهباً . وفي سنة ٦٩١ هـ عاد الى القاهرة واخرج سلامش متغيّاً الى القسطنطينية لانه كان سبباً للفلاقل . ثم سار الى ارمينيا ففتح ارضروم فذاع صيته حتى ارباب اعداءه فعاد الى القاهرة ليستريح من الاسفار ففاجأته المنية على فراشه . وسبب موته ان احدى نساؤه تواطأت مع مملوك له يدعى بيدرا فقتلته بخنجر في جوفه في شهر محرم سنة ٦٩٢ هـ بعد ان حكم ثلاث سنوات وشهرين واربعه ايام . واليه ينسب الخان المشهور بخان الخليل او الخان الخليلي في السكة الجديدة في القاهرة وكان في مكانه قبل بنائه مدافن الخلفاء الفاطميين فبني على انقاضها و اضاف الغوري الى بنائه في القسم العلوي كما يفهم ذلك مما هو مكتوب فوق مدخله وفي هذا الخان تباع الان جميع انواع الاقمشة السورية والهندية وما شاكل من طنافس ومطرزات واواني نحاسية وغيرها وبيع بيدرا ولقب بالملك القاهر الا انه لم يحكم الا يوماً واحداً ثم قتله المماليك اخذاً بثار سلطانهم السابق وباعوا اخاه الملك الاشرف المدعو محمد بن قلاون وسنة ٩ سنوات ولقب بالملك الناصر

سلطنة الملك الناصر بن قلاوون (اولاً)

من سنة ٦٩٣ - ٦٩٤ هـ او من ١٢٩٣ - ١٢٩٤ م

وسلطنة هذا الملك اكثر اهمية من سلطنات سلفائه لكثرة ما حصل فيها من التقلبات السياسية والثورات المتعددة المتوالية . ونظراً لصغر سن هذا الملك اقاموا له وصياً يدعى زين الدين كتبوغا الملقب بالمنصوري لانه كان من ممالك الملك المنصور قلاوون فما استتببت له الوصاية حتى نافت نفسه الى السلطة وكان معه وزير آخر يقال له علم الدين سنفر وكانت تحدته نفسه بئثل ذلك ايضاً فاختلفا وتحاصما وانتهت المخاصمة بقتل سنفر ولما خلا الجو لكتبوغا ولم يعد من ينافره عمد الى الملك الناصر فخلعه وتولى مكانه سلطاناً على مصر ونفاه الى الكرك ولم يكن حكمه هذه المرة الا سنة واحدة

سلطنة الملك العادل كتبوغا

من سنة ٦٩٤ - ٦٩٦ هـ او من ١٢٩٤ - ١٢٩٦ م

وفي شهر محرم سنة ٦٩٤ هـ بويغ كتبوغا ولقب بالملك العادل وهو اللقب الذي لقب به قبله سلامش بن بيبرس الاول واستوزر فخر الدين وزير قلاوون . ولم يكن هذا الاخلاص الا داعياً لتراكم المصائب على مصر وتداخل الاجانب فيها فداها الطاعون ثم الفحط فاهلك جزء كبيراً من اهلها ثم جاء الحرب تنمة هذه الضربات

وذلك ان قبيلة المغل (المغول) التي كانت تحت قيادة بيدو بن طرغاي بن هولاكو اصبحت بعد وفاته تحت قيادة الملك غازان محمود بن خربنده

ابن ايفاني فتخوفت منه طائفة من رجاله عرفوا تحت اسم الاويرانية وفروا عن بلاده الى نواحي بغداد فقتلوا هناك مع كبيرهم طرغاي وجرت لهم خطوب آلت بهم الى اللحاق بالفرات فاقاموا بها هنالك وبعثوا الى نائب حلب يستأذونه في قطع الفرات ليعبروا الى ممالك الشام فاذن لهم وعبروا الفرات الى مدينة بهنسا فاکرمهم نائبها وقام لهم بما ينبغي من العلوفاة والضيافات فانصل ذلك بالملك العادل زين الدين كنبوغا فاستشار الامراء فيما يفعل بهم فاتفق الرأي على استقدام اكابرهم الى الديار المصرية وتفرق باقهم في البلاد الساحلية وغيرها من بلاد الشام فجيء بثلاثمائة من اكابرهم الى القاهرة وفرّق الباقون بالبقاع العزيزية (لبنان) وبلاد الساحل ولما قرب الجماعة من القاهرة خرج الامراء بالعسكر الى لقاءهم واجتمع الناس من كل مكان حتى امتلأ النضاء للفرجة عليهم فكان لدخولهم يوم عظيم فساروا الى قلعة الجبل فانعم السلطان على مقدمهم طرغاي بامر طليخانة واجرى عليهم الرواتب وانزلهم بالحسينية وكانوا على غير الملة الاسلامية فشق ذلك على الناس ولبوا مع ذلك منهم بانواع البلاء لسوء اخلاقهم ونفرة نفوسهم وشدة جبروتهم وكان اذ ذاك في مصر والقاهرة غلاء عظيم فتضاعفت المضرة واشتد الامر على الناس وقال في ذلك شمس الدين محمد بن دينار

ربنا اكشف العذاب عنا فانّا قد تلتنا في الدولة المغلية
جاءنا المغل والغلا فانصلقنا وانطبخنا في الدولة المغلية
وفي اول رمضان سنة ٦٩٥ هـ لم يصم احد من الاويرانية فأعلن السلطان بذلك فابى ان يكرهم على الاسلام ومنع من معارضتهم ونهى ان يشوش عليهم احد. وكان مراده ان يجعلهم عوناً له فبالغ في اكرامهم فشق ذلك على امراء الدولة وخشوا ايقاعه بهم لان الاويرانية كانوا من مواطني كنبوغا وكانوا مع ذلك جميلي الصورة فافتتن بهم الامراء وتنافسوا

فيهم وبالغوا في تقريبهم حتى بعثوا الى البلاد الشامية استجلبوا طائفة كبيرة منهم فتكاثروا نسلهم في القاهرة واشتد الخاسد والنشاجر بسبهم بين اهل الدولة الى ان آل الامر بسبهم وباسباب اخرى الى خلع السلطان الملك العادل كتبوا في ذلك في صفر سنة ٦٩٦ هـ

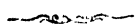
سلطنة الملك المنصور لاجين

من سنة ٦٩٦ - ٦٩٨ هـ او من ١٢٩٦ - ١٢٩٩ م

وبويع حسام الدين لاجين المنصوري ولقب بالملك المنصور كما كان لقب سيده قلاون فاذن لكتبوا ان ينسحب الى صرخد في سوريا وقبض على طرغاي مقدم الاويرانية وعلى جماعة من اكابرهم وبعث بهم الى الاسكندرية فسجنهم بها . ثم قتلهم وفرق جميع الاويرانية على الامراء فاستخدموهم وجعلوهم من جندهم فصار اهل الحسينية لذلك يوصفون بالحسن وما برحوا ايضا يوصفون بالزراعة والشجاعة وكان يقال لهم البدورة فيقال البدر فلان والبدر فلان وكانوا يعانون لباس الفتوة وحمل السلاح وبوثر عنهم حكايات كثيرة وكانت الحسينية قد فاقت عمارتها على سائر اخطاط مصر والقاهرة

وكانت ارض مصر ٢٤ قيراطا يختص السلطان منها باربعة والاجناد بعشرة والامراء بعشرة وكان الامراء يأخذون كثيرا من اقطاعات الاجناد فلا يصل الى الاجناد منها شيء وكان يصير ذلك الاقطاع في دواوين الامراء ويحتمى بها قطاع الطريق وتثور بها الفتن وتنع منها الخنوق الديوانية وتصبح طعمة لاعوان الامراء وتستخدمهم ومضرة على اهل البلاد التي تجاورها . فعندما تولى الملك المنصور لاجين راء البلاد ورد تلك الاقطاعات على اربابها واخرجها باسرها من دواوين

الامراء وجعل للامراء والاجناد احد عشر قيراطاً وافرد تسعة قراريط ليعمد بها العسكرا ويقطعهم اياها . ثم رتب اوراقاً بتكفية الامراء والاجناد بعشرة قراريط ووفر قيراطاً لزيادة ما عساه يطلب زيادة لفلة متحصل اقطاعه وافرد لبطانيه عدة اعمال جليلة . فتنكرت قارب الامراء وحفدوا عليه وما اسكوا حتى قتلوه في ١١ ربيع آخر سنة ٦٩٨ هـ فبقيت كرسي السلطنة خالية ٤١ يوماً تمكن في خلالها الامير سيف الدين طنجي من دعوة الناس الى حربه فالتف عليه جماعة كبيرة فبايعوه ولقبوه بالملك الفاهر كما لنب يدرا قبله وكان حفظه من الملك كحظ سميّه فلم يحكم الا يوماً واحداً ثم ذمحه المماليك



سلطنة الملك الناصر بن قلاون ثانية

من سنة ٦٩٨ - ٧٠٨ هـ او من ١٢٩٩ - ١٣٠٨ م

فكر المماليك في انتخاب سلطان يحكم فيهم فافقروا على استفدام الملك الناصر بن قلاون من منفاه وقد بلغ الخامسة عشرة من العمر لبايعوه فبعثوا اليه وفدًا يبلغه ذلك الفرار فقدموا اليه في الكرك . وكانت والدته عدة فام تسمح بسفره معهم لئلا يكون تحت اقوالهم هذه مقاصد خطيرة فالحوا عليها واكدوا لها صدقهم ثم جثوا امام الملك الناصر وبايعوه فتأكدت اخلاصهم فسحبت بمسيرهم فصاروا حتى اتوا القاهرة فحاول بعض دعاة لاجين الايقاع بحياة الملك الناصر لكنهم تهددوا فبايعوه وكان غازان خان ملك التتر قد عاد ثانية الى افتتاح سور يا فجرد اليه الملك الناصر سنة ٧٠٠ هـ جيشاً جراراً واسرع حتى التقى به في حمص فتهتقر الناصر ثم جمع رجاله وامدهم بالعدة والرجال واستأنف الحرب .

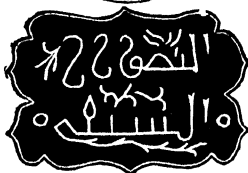
وكان التتر قد حسبوا ان الفوز قد نقرر لم فوضوا يدهم على سوريا وضربوا عليها الضرائب واخذوا في ادارة احكامها . وبينما هم في ذلك وصل الملك الناصر في جيشه الى مرج الصفر بقرب دمشق فخرج اليهم التتر وانتشبت القتال بين الفريقين فانقلب المصريون في بادئ الامر ثم ارتدوا على صفوف التتر كالسيل الهاطل بعزم اشد من الجبال ففرقوا جموعهم واتخذوا فيهم ضرباً بالسيف حتى تطهرت الشام منهم فعاد الملك الناصر الى القاهرة ظافراً ودخلها من باب النصر باحتفال عظيم

ولما لم يعد ما يشغله في سوريا عكف على اخضاع قبائل العربان الذين شقوا عصا الطاعة في مصر العليا فجرد اليهم فدانوا له واغنم منهم خمسة آلاف فرس ومائة الف رأس غنم وثلاثين الف من المواشي الكبيرة كالبقر والجاموس وعدداً وافراً من الاسلحة . فلما كانت سنة ٧٠٢ هـ داهمت الشرق زلزلة قوية اخرجت قسماً عظيماً من سوريا ومصر واخرجت المياه من الابار الى سطح الارض وطافت الابحر على اليابسة فاغرقت خلفاً كثيراً . والظاهر ان هذا الحادث الطبيعي اثر في اخلاق المصريين فانهم احراباً يضاد بعضها بعضاً ثم عادوا فاتخذوا على خلع الناصر فرأى انه لا يقوى على دفعهم وخاف على حياته فترك القادق . ظهر الحج وسار مع بطائنه الى الكرك وكان له فيها ثروة تبلغ ٢٧ الف دينار ومليون وسبعماية الف درهم فاستولى عليها وحسن المدينة ثم بعث بالحنم السلطاني الى المماليك مصرحاً بتنازله ومنوذاً لهم تولية من ارادوا

سلطة بيبرس الجاشنكير

من سنة ٧٠٨ - ٧٠٩ هـ او من ١٢٠٨ - ١٢٠٩ م
فوصل كتابة اليهم في ٢٥ رمضان سنة ٧٠٨ هـ فبايعوا الامير ركن

٣٦



الدين يبيرس الجاشنكير (يبرس الثاني) ولفوه
بالمك المظفر وهو من ممالك الملك المنصور
قلاون وما يؤكد ذلك انهم وجدوا بين
السيوف سيفاً منقوشاً عليه اسمه مشفوعاً بلقب
« المنصوري والسيفي » كما ترى في الشكل الستين
وفي اواخر هذه السنة قدم الافرنج بموافقة
صاحب قبرص لغزو دمياط بجرأ فاتفق الامراء

ش ٦٠ اسم السلطان يبيرس الثاني على سيفه
في القاهرة على انشاء جسر يمتد من القاهرة الى دمياط خوفاً من قدوم الافرنج
بجرأ في ايام الفيضان فيتعذر الوصول الى دمياط فكتبوا بذلك الى الاعمال
ان يخرجوا بالرجال والايقار لاتمام ذلك فاجتمع ستماية راس بقر و ٢٠
الف رجل وباشروا العمل وانتهوا في شهر واحد فكان طوله من دمياط
الى قلوب وعرضه اربع فصبات من اعلاه وست فصبات من اسفله ومشى
عليه ستة رؤوس من الخيل صفاً واحداً ومن آثاره في القاهرة جامعة
المعروف بجامع جاشنكير في الجميلية مبنية على مثال جامع السلطان حسن
ولا يزال مسجداً الى هذه الغاية

ثم ندم الملك الناصر لاستفلاته وتخليه عن مقابلد الاعمال لاحد
ماليكه فجعل يترب فرصة لتسلق العرش ثالثة . وفي شهر شعبان من
سنة ٧٠٩ هـ بارح الكرك مستخلفاً عليها ارغون احد ماليكه المتفربين وجاء
دمشق فبايعه امراؤها فوجد الى مصر ومعه رجال عديدون وكان الامير
برلك احد زعماء الممالك قد نبذ طاعة يبيرس ومعه كثيرون من نخبة
رجالهم فتشجع الناصر وقدم القاهرة . اما يبيرس فخاف ولم ير سبيلاً
لنجائه الا بالتنازل فاستقال في الليلة الاولى من شهر شوال بعد ان
ضم اليه مبلغاً مقداره ٢٠٠ الف دينار وكثيراً من الجمال والخيل وم

الى مصر العليا طامعاً في الاستيلاء عليها فلاقاه خارج القاهرة سرب من الاسافل اوسعوه شتاً ورجماً فرشقهم بما كان معه من النقود وسار حتى جاء اخميم فنزل فيها

سلطنة الملك الناصر بن قلاوون الثالثة

من سنة ٧٠٩ - ٧٤١ هـ او من ١٢٠٩ - ١٢٤١ م

وفي غد مبارحة يبهرس القاهرة دخلها الملك الناصر باحتفال عظيم وهي المرة الثالثة لتوليهِ وكان ذلك يوم عيد رمضان فزاد العيد بهجة . فاستنبح الهاربين وقبض عليهم وجردهم ما اخذوه وقتل يبهرس وكان سن الملك الناصر اذ ذاك ٢٥ سنة صرف ١٦ منها في مفاصة الاهوال حتى عرف كيف تؤكل الكتف وكيف يجب ان ترسخ قدمه في الملك فكان ذلك بمثابة الامثلة له فمكث على دست السلطنة هذه المرة حتى توفي اي مدة ٢٢ سنة وكان النصارى الى ايام هذا الملك يقيمون احتفالاً سنوياً في ٨ بشنس في ناحية شبرا من ضواحي النيل بسمونه احتفال عيد الشهيد زعماء منهم ان النيل لا يبني الا اذا القوا فيه تابوتاً من خشب فيه اصبع من اصابع اباثم المائتين فكانوا يجتمعون من سائر القرى افواجاً على اختلاف الدرجات والزرعات ويكثرون بسبب ذلك من الغناء وشرب المسكر فكانوا ينفقون مبالغ فاحشة في هذا السبيل وكان فلاحو شبرا يركبون في وفاء الخراج على ما يبيعونه من الخمر في ذلك العيد فامر الملك الناصر بابطال هذه العادة كلياً . وابطل كثيراً من الضرائب الظالمة كزكاة الدولة وهو ما كان يؤخذ من الرجل عن زكاة ماله ابداً ولو عدم منه واذا مات يؤخذ من ورثته وابطل ما كان يُجبي من اهل القاهرة وضواحيها اذا حضر مبشرف فتحصن او نحو فانهم كانوا يأخذون من الناس كل واحد على

قدر طاقته وكان يمنح من ذلك مال كثير . وبطل ما كان يجي من اهل
الذمة وهو دينار سوى الجالية برسم نفقة الاجناد في كل سنة وكانت
العادة اذا كان وفاء النيل ان يجبوا من التجار والباعة ديناراً من كل
واحد قياماً باحتفال كانوا يقيمونه عند المقياس يكثرون فيه من الشوى
والحاوى والناكهة فابطل الجباية وامر بصرف ذلك من بيت المال

اما اعماله فاكثرها بناء وترميم فقد بنى في سنة ٧١٧ هـ جسراً بين
بولاق وميت شبرج لحجز مياه النيل عند الفيضان وكانت الارض واطية
ولم يكن فيها شي من البناء فاذا ارتفع النيل جرى على مسافة قصيرة من
المنس (ثمن الازبكية) فلما بنى الجسر كنت الماء الا يسيراً فتكون هناك
جزيرة دعوها جزيرة بولاق فاقامت فيها المساكن ثم اتصلت بالبر الحقيقي
فاصبحت جزءاً منه فاتخذوها مرسى للسفن الواردة الى مصر ولا تزال كذلك
الى هذا اليوم وهذا ما يعبر عنه الآن بثن بولاق

وفي سنة ٧١٨ هـ ابنتى جامعاً في القلعة دعاه الجامع الناصري وكان
هو الجامع الملوكي الذي يصلى فيه السلطان وحاشيته ولما بنى جامع محمد
على بجانبه صار يدعى الجامع العتيق . وقد جعلته الحكومة المصرية مؤخراً
مخزناً للمهمات العسكرية اما الآن فقد اخلي من المهمات وعرض للفرجة وهو
قائم على يسار المقبل على جامع محمد علي في القلعة

وكانت مدة حكم الناصر هذه المرة كلها سكونية وسلاماً خارجاً وداخلياً
ولم يخرج من مصر كل هذه المدة الا مرتين لزيارة الحرمين ولم يتخبر مع
دولة اخرى الا التتر وذلك بشأن تزوجه بابنة اربك خان سنة ٧٢٠ هـ
فكان منعكفاً بكليته الى ترقية شأن البلاد فاقام فيها ولا سيما في القاهرة
مشروعات كلية الاهمية منها ترح الخليج المدعو باسمه (الخليج الناصري)
سنة ٧٢٧ هـ . وقد انشأ سنة ٧٢٨ هـ سبعة جسور وفي السنة التالية انشأ
مرصداً في الميدان وشاد قصراً على انقاض قصر الاشرف فانهى منه في

سنة ٧٢٤ هـ وإقام جسور شبين سنة ٧٢٥ هـ . وأبى عدا عن الجامع الناصري المتقدم ذكره جامعاً آخر بجانب جامع أبيه في شارع النحاسين يشاهد فيه عند الدخول إليه اعمدة ملتفة يقال ان الملك الأشرف بن قلاوون جاء بها من عكا تذكاراً للظفر وهناك كتابة يقول فيها ان الذي بنى ذلك المشهد هو السلطان محمد بن الملك المنصور قلاوون الصالحى سنة ٦٩٨ هـ والمقريزى يقول ان بناءه تم سنة ٧٠٢ هـ وإن الملك العادل كتبوا هو الذي وضع أساسه أيام السلطنة . وشاد الناصر داراً كبيرة دعاها دار العدل وإنشأ عيونا كثيرة ومدارس عالية متعددة وأتم بناء البيمارستان الذي شرع أبوه في بنائه وزاد فيه كثيراً وخصص مالا معلوماً للنفقة عليه ومن أعماله الحميدة انه أبطل جميع الضرائب الظالمة التي كانت تؤخذ على كل ما يباع ويشترى من حيوان ونبات وعقار فاحتبه الرعية واجمعوا على طاعه . فاستتببت الراحة وعمر الصعيد على وجه خاص . ولم يشب الراحة إلا تنازع الوزراء على منصب الوزارة فالغاه حسماً للمشاكل وفي سنة ٧٢٨ هـ توفي ابنه أنوق فحزن عليه حزناً شديداً أورثه مرضاً رافقه حتى الموت فتوفي الناصر في ٢١ ذي الحجة سنة ٧٤١ هـ وسنة ٥٧ سنة ومدته حكمه ٤٤ سنة وبضعة أشهر عن ثمانية اولاد ذكور تناوبوا الملك بعده الواحد بعد الآخر إلا ان تنصيبهم وخلعهم كانا منوطين باحزاب متضادة لا يستقرون على حال فكانت مذات حكمهم قصيرة جداً



وترى في الشكل الحادي
والستين صورة نفود الملك الناصر
ابن قلاوون النحاسية

ش ٦١ نفود الملك الناصر بن قلاوون

سلطنة اولاد الناصر وهم ابو بكر وقوجوق واحمد واسماعيل

وشعبان وحاجي وحسن وصلاح الدين

من سنة ٧٤١ - ٧٥٢ هـ او من ١٢٤١ - ١٢٥١ م

فاول من تولى بعد الملك الناصر ابنه البكر سيف الدين ابو بكر وأُلقب بالملك المنصور (الرابع) وبعد اربعين يوماً عُزل ونفي الى قوص في مصر العليا وتوفي سنة ٧٤٢ هـ وفي يوم خلعه سطا المماليك على نساء ابيه واهانوهن ونهبوا متاعهن . فُبِيع أخوه علاء الدين قوجوق وله من العمر ست سنوات فقط وأُلقب بالملك الاشرف .

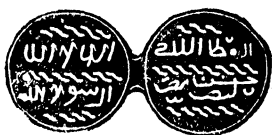
وبعد خمسة اشهر ابي في رمضان من تلك السنة خلع الاشرف وسجن في قلعة القاهرة فتوفي هناك . فبُيع اخوه شهاب الدين احمد وكان متغيباً في الكرك فاستقدم وبُيع وأُلقب بالملك الناصر (الثاني) وفي ١٢ محرم سنة ٧٤٢ هـ اعيد الى الكرك منفاً الاول . فبُيع اخوه عماد الدين اسماعيل وأُلقب بالملك الصالح وهذا بقي على كرسي السلطنة اكثر قليلاً من اخوته السابقين اي ثلاث سنوات وشهرين وبضعة ايام . واهم ما حصل في ايامه انه اعاد منصب الوزارة الى حكمه سنة ٧٤٤ هـ وكان قد الفاه ابيه كما رأيت وانه قتل اخاه شهاب الدين احمد سنة ٧٤٥ هـ وكان منفيّاً في الكرك ثم انتهت سلطنته بموته في ٤ ربيع آخر سنة ٧٤٦ هـ . فبُيع اخوه الخامس زين الدين شعبان وأُلقب بالملك الكامل ولكنه لم يكن اسماً على مسمى فابغضته الرعية وهجاه الشعراء . ومكث حاكماً سنة وبضعة اشهر وفي جمادى الاولى سنة ٧٤٧ هـ عُزل . فبُيع اخوه السادس زين الدين حاجي وأُلقب بالملك المظفر (الثالث) وكان اكثر استبداداً

من سلفه فلم تطل مدة حكمه أكثر من سنة وثلاثة اشهر فُدِّمَ في ١٢ رمضان سنة ٧٤٨ هـ . فبُوع اخوُ السابع ناصر الدين حسن ولقب بالملك الناصر (الثالث) وقد كان من سيره في الملك ما كان لايه فحكم ثلاث سنوات وعشرة اشهر بمساعدة نائيه الامير الشمس وخلع في غرة رجب سنة ٧٥٢ هـ وسجن في قلعة القاهرة . فبُوع اخوُ الثامن صالح صلاح الدين ولقب بالملك الصالح (الثاني) وكان على وزارته الامير شينخو العمري والى هذا الامير ينسب الجامع المعروف بجامع شينخو او شينخو في الصليبية غربي الرملة اوها جامعان واحد على كل من جانبي الطريق وكلاهما يعرفان بهذا الاسم . وبقي الصالح على دست السلطنة ثلاث سنوات وثلاثة اشهر و ١٤ يوماً

وفي سنة ٧٥٤ هـ دم الفطر طاعون وانتشر حتى عمَّ البلاد واخطف الامام الحاكم بامر الله (الثاني) وصي الخلافة فبُوع عمه المعتضد بالله وفي اوائل سنة ٧٥٥ هـ رفع المسلمون الى الملك الصالح تقارير مفصلة بما للنصارى من الاملاك الموقوفة للاديرة فاحيلت هذه التقارير الى ديوان الاحباس فوجد ان للنصارى اوقافاً تبلغ ٢٥ الف فداناً من الطين كلها موقوفة للكنائس والاديرة فعرضت على الامير شينخو والامير صرغتمش والامير طاز وكانوا قائمين بتدبير الدولة فقرروا ان ينعم بذلك على الامراء زيادة على اقطاعاتهم وهدموا للنصارى عدة كنائس . وفي اخر رجب من هذه السنة خرج الحاجب والامير علاء الدين علي بن الكوراني وكان والياً على القاهرة الى ناحية شبرا الخيام من ضواحي مصر فهدم كنيسة للنصارى واخذ منها اصبع الشهيد في صندوق واحضره الى الملك الصالح فأحرق بين يديه في الميدان وذرى رماده في البحر حتى لا يأخذ النصارى فبطل عيد الشهيد من يومئذ كلاً . وكان بين المترشحين للوزارة وزيران قبطيان مرتدَّان هما موفق الدين وعلم الدين فتنازعا عليها وانضم الى كل

منها احزاب فانهى الخصام بخلع الملك الصالح في ٢٢ شوال سنة ٥٧٥٥ هـ وكان منشأ هذا النزاع دسيسة من اخيه الملك الناصر حسن باتفاق مع الامير تاج الدين وكان الناصر مسجوناً ففاز بمراده وخلع اخاه فأخرج من السجن وبويع وبقي الملك الناصر حسن على دست السلطنة هذه المرة ست سنوات وسبعة اشهر وبضعة ايام بمساعدة الامير تاج الدين فولاه الوزارة مكافأة لمساعدته . وفي ٩ جمادى الاولى سنة ٥٧٦٢ هـ قتل بمكينة من كبار امرائه

ومن مآثره الباقية الى هذا العهد جامعة في الرملة مقابل قلعة الجبل في القاهرة وهو المعروف بجامع السلطان حسن او بجامع الحسينية وهو من اجمل جوامع القاهرة وانتها اقتضى لبنائه ٢ سنوات أنفق عليه في خلالها ما يساوي ستماية جنيهاً كل يوم وقد جاء بالحجارة الكيين من انقاض الاهرام ونقش عليه الكتابات الكوفية والعربية فزادته رونقاً وجمالاً وقد اصبح الآن وعلى وجهه ملامح الشيوخة لكنها لم تزده إلا عظمة ووقاراً



وترى في الشكل الثاني والستين صورة النقود الذهبية للملك الناصر ناصر الدين حسن

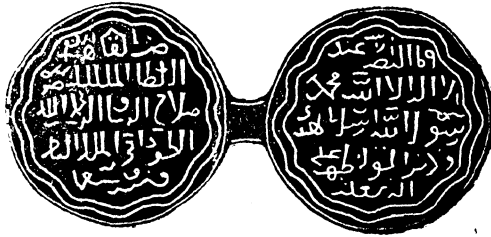
ش ٦٢ نقود الملك ناصر الدين حسن

سلطنة محمد بن حاجي

من سنة ٧٦٢ - ٧٦٤ هـ او من ١٢٦٠ - ١٢٦٢ م

ولما قتل السلطان حسن بويع ابن اخيه محمد بن الملك المظفر حاجي وسنة ١٤ سنة ولقب بالملك المنصور (الخامس) وفي منتصف شعبان

سنة ٧٦٤ هـ اضطر الى التنازل عن الملك لابن عمه شعبان بن حسن وسنة
عشر سنوات فبويع ولقب بالملك الاشرف (الثالث)



وترى في شكل ٦٣
صورة النقود الذهبية
للملك المنصور محمد
ضربت في القاهرة
سنة ٧٦٤ هـ

ش ٦٣ نقود الملك المنصور ضربت في القاهرة سنة ٧٦٤ هـ

سلطنة شعبان بن حسن

من سنة ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ او من ١٢٦٢ - ١٢٧٦ م

وحكم الاشرف شعبان ١٤ سنة وشهرين وبضعة ايام معظمها سكينه
وسلام وفي السنة الثالثة من حكمه اصبحت مصر وسوريا تقطع ضايق على
الناس حتى اكلوا الكلاب والقطط واكل بعضهم اولاده من شدة الجوع
واستمر الامر كذلك في بعض الاماكن ٣ سنوات ولما كانت السنة
الحادية عشرة من حكمه اصاب البلاد حروب اهلية اشد وطأة من الجوع
وسببها ان يلبغا العربي احد امراء المماليك كان نائباً للملك . ففي سنة
٧٧٦ هـ سطت عليه عصبة من مماليكه في قصره فقتلوه وساروا يريدون
مثل ذلك من السلطان نفسه فردم بعد حرب هائلة قتل فيها زعيمهم
فشتتوا قوتى على النيابة الجاي البوسفي وكان طامعاً مريداً فتقرب من
السلطان حتى تزوج بوالدته فنال منها ثروة عظيمة فقويت شوكتة وكثر
متشيعوه فطمع بالسلطة فقتل زوجته المذكورة ونواطعاً مع قاتلي يلبغا على

قتل السلطان فهاجموه فدفعهم ورئيسهم وقتل منهم جمعا كبيرا ونبهم رجاله حتى اغرقهم في النيل . ولم يكذبطان من هذا القبيل حتى اجتمع عليه اصداد يريدون قتله فتربصوا ينتظرون فرصة حتى اذا كان عائدا من زيارة الحرمين كمنوا له في مضيق العقبة فقتلوا من معه من الحاشية ولم يبقوا للسلطان على اثر فظنوا انه قتل فعادوا الى القاهرة وعهدوا الى الخليفة المتوكل بالله العباسي وكان قد تولى الخلافة بعد المعتضد بالله سنة ٧٦٢ هـ ان يبايع من يشاء . فكتب اليهم « اخناروا من بينكم من تشاؤون وانا اصادق على بيعته » ثم علم الامراء ان الاشرف لا يزال حيا مخبئا في القاهرة فقبضوا عليه وخنقوه في ١٥ ذي الحجة سنة ٧٧٨ هـ



وترى في الشكل الرابع والستين نقود
الملك الاشرف شعبان

ش ٦٤ نقود الملك الاشرف شعبان

سلطنة علي بن شعبان

من سنة ٧٧٨ - ٧٨٢ هـ او من ١٢٧٦ - ١٢٨١ م

وبابعد ابنه علاء الدين علي وسنه ٧ سنوات فسر بذلك المنصب لصغر سنه ولم يعلم انه مدفن ابيه ولا يلبث حتى يلحق به . فلقبوه بالملك المنصور (السادس) واقاموا له الامير لاين بك وصيا . ثم ابدل لاين بالامير قرطاي ثم ابدل هذا بالامير برقوق . وهو الذي سيأتي على ختام هذه الدولة وتأسيس دولة جديدة . وقد كانت هذه مفاصل منذ ولي الوصاية لكنه بقي محافظا على ولاء مولاه الى ان توفاه الله في شهر ربيع اول سنة ٧٨٢ هـ وكانت مدة حكمه اربع سنوات واربعة اشهر

سلطنة حاجي بن شعبان

من سنة ٧٨٢ - ٧٨٤ هـ او من ١٢٨١ - ١٢٨٢ م

فبويغ اخوه زين الدين حاجي وسنه ست سنوات ولقب بالملك الصالح (الثالث) ولم تمر على مبايعته سنة ونصف حتى مل برقوق من اخفاء مقاصده فخلعه ونفاه في ١٩ رمضان سنة ٧٨٤ هـ واستلم مقاليد الملك . وكان الملك المنصور هذا آخر من حكم من دولة الممالك الاولى سلافة فلاون المسماة بالبحرية او التركمانية فانقرضت دولتهم بعد ان حكمت نحواً من مائة وست وثلاثين سنة اولها امرأة وآخرها صبي وقامت دولة الممالك الثانية او الشراكسة

دولة المالك الثانية

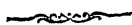
من سنة ٧٨٤ - ٩٢٢ هـ او من ١٢٨٢ - ١٥١٧ م

منشأ الممالك الشراكسة

وقد دعيت هذه الدولة بدولة الممالك الشراكسة نسبة الى منشأ سلاطينها فانهم من الشعب الشرقي ويدعى ايضاً كركس او جركس او كركزوم لم ينشأوا في اسيا العليا انما جاءوا اليها من سيبيريا ونواحي بحيرة بيكال منذ الجيل السادس لليلاد ثم هاجروا الى غربي مجرقسين فاستوطنوا هناك ودعيت تلك البلاد شركاسيا . وكان المالك الشراكسة يحملون من بلادهم للتجار بهم في جهات العالم فاقتنى منهم سلطان المالك

البحرية الاخير عدداً وافراً فضلاً عن الممالك البحرية افتداءً بأسلافه .
 وكانوا يستخدمونهم في مصالح الدولة فارتقوا فيها تبعاً لما خصّتهم به الطبيعة من
 الجمال والذكاء حتى صارت اليهم حماية الحصون والقلاع فجعلوا سكناهم في
 الابراج فلقبوا بالبرجية وما زالوا يزدادون عدداً وقوةً ومنعة حتى نافت
 نفوسهم الى تسليق كرسي الملك يجعلونها ارثاً لنسبهم . وقد رأينا انهم تمكنوا
 مما ارادوا فخلعوا حاجي بن شعبان وباعوا برقوق

اما برقوق فهو ابن مرتد شرکسي اسمه أنس من قبيلة كسا استملك
 في شرکاسيا وقيد الى القرم فاشتره رجل مسلم يقال له عثمان وجاء به
 الى مصر سنة ٧٦٢ هـ وباعه للامير يلبغا فجعله في عداد مماليكه الا ان
 نباهة برقوق وجماله ومهابته استلقت انتباه سيده فبالغ في اكرامه وترقيته
 حتى ادخله في بطائيه ولقبه بالشيخ اشارة الى براعته بالفقه وسائر العلوم
 الاسلامية وجعله في مصاف الامراء وكان يلقب ايضاً بالعثماني واليبلغاوي
 وما زال في خدمته الى ان قضى الله على يلبغا بما قضى ونشنت مماليكه فبقي
 برقوق وامير آخر يقال له بركة لانها كانا في السجن ثم اطلقا فدخلا في
 خدمة منجك حاكم دمشق . ثم عاد الى مصر بطالب من الملك الاشرف
 شعبان فتمكن برقوق بوسائط مختلفة من الحصول على رتبة باش امير باخور
 وقيادة الف رجل فاصبح من الذين يطعون في نيابة الملك فتولاها ولقب
 باتابك الجيوش . وتولى رفيقه بركة رئاسة حكومات الاعمال (المدبريات)
 وما زالت الحال كذلك حتى خلع الملك الصالح حاجي فتمكن برقوق
 بمساعدة احزابه ان ينسلي كرسي الملك في ٩ ارمضان سنة ٧٨٤ هـ كما رأيت



سلطنة الملك الظاهر برقوق

من سنة ٧٨٤ - ٨٠١ هـ او من ١٢٨٢ - ١٢٩٨ م

فاقر الخليفة المتوكل بالله على تولية برقوق وبايعه جميع الفضاة والمشايخ والعلماء والامراء ولقبوه بالملك الظاهر وهو لقب اعظم من حكم مصر من دولة المماليك الاولى يعني به ركن الدين بيبرس البندقداري وكان يبورلنك الشهير اذ ذاك قد ملأ الارض بافتتاحاته حتى سمع دويها في سوريا اذ جاء يتهدد حدودها فنهض اليه برقوق في جيش عظيم فاروقته عند حده لكنه لم يكذب بخلص من ذلك العدو التتري حتى ظهر له عدو في بيته يعني به الخليفة المتوكل بالله فانه دعا الى خلع برقوق فالتفت حوله دعاة عديدون فاجتمع برقوق بالمشايخ والائمة والعلماء واجمع معهم على خلع الخليفة فخلعه وحسبه في القلعة سنة ٧٨٧ هـ ونصب عمرا اخا ابراهيم ولقبه بالوائق بالله . ثم توفي الوائق في ١٩ شوال سنة ٧٨٨ هـ فنصب ابا يحيى زكريا عمر ابن الخليفة المستنصر بالله . وهذا لم يلبث طويلا لانه اساء السلطان برقوق فخلعه في جمادى الاولى سنة ٧٩١ هـ واعاد المتوكل بالله لكنه ندم بعد ذلك لما رأى من سعيه الى خلعه فحاول تنزيله ثانية فلم يستطع لان المتوكل كان قد تواطأ مع احد الامراء المسمى منطاش على خلعه ووافقها سائر الامراء ورجال الدولة فخلعوه بعد ان حكم ست سنوات وسبعة اشهر وبضعة ايام وارسلوه منفيا الى قلعة الكرك منفى السلاطين في تلك الايام واستقدموا السلطان حاجي آخر سلاطين دولة المماليك البحرية وهو الذي خلعه برقوق . فبايعوه في ٦ جمادى الآخرة سنة ٧٩١ هـ . وكان يلقب بالملك الصالح فابدله بالملك المنصور لكنه لم يهنأ بهذه التولية الثانية لان المتوكل ومنطاش بعد ان سعيوا الى توليته

ندما فازت لاه وإعادا برقوق في ٤ صفر سنة ٧٩٢ هـ فتعلم برقوق هذه المنة كيف يستبقي الملك في يد فيادر حالاً إلى الملك المنصور حاجب وإمانه وكل من كان على دعوته منعاً لدسائسهم . ثم عمد إلى الخارجية فوطد الأمن في أنحاءها ولم يكن يثق بمقاصد أحزاب الخلفاء فجعل يتدخل في أحوالهم فيتخذ نارة مع هؤلاء وطوراً مع هؤلاء لاستدامة الشقاق بينهم فلا ينفكون على خلعه

وفي سنة ٧٩٤ هـ أهداه قرا يوسف أمير الدولة المادية مدينة تبريز فبعث إليه برقوق خلعة وفوض إليه أن يفتح ما استطاع من المدن على أن يكون والياً عليها . لكنه لم يلبث حتى أتى القاهرة في السنة التالية مع أحد مخالفيه أحمد بن عويس فارّين من وجه نيمورلنك وكانا قد التجأ إلى منوبل إمبراطور القسطنطينية فلم يؤتمنهما لأنه كان في ريبة من أمره مع دولة جديدة قارب صبحها من الانفجار وهي الدولة التي لقيت بعد ذلك بالدولة العثمانية نسبة إلى عثمان الغازي أول سلاطينها . وكان ذلك في عهد بيازيد بن مراد رابع سلاطين هذه العائلة الظافرة وكان قد غزا معظم إيلات المملكة الرومانية الشرقية وأعظمها حتى تهدد القسطنطينية فجاءه التتري من ورائه تحت قيادة نيمورلنك فأوقفوه عن مقصد وأصبحت قارة آسيا بين منازعين عظميين يتنازعانها وكل منها ذوباً شديداً وهما نيمورلنك التتري وبيازيد التركي فتلاطمت الزوبعتان فأرجفت لها أفريقيا واضطربت مصر من دونهما

وطمحت انظار هذين الناحين إلى مصر فبعث كل منهما وفداً إلى القاهرة فطلب وفد بيازيد إلى برقوق أن يعاهدهم على السلم وإلى الخليفة المقيم في القاهرة أن ينزله رسمياً على سلطنة الأناضول فاجابهم إلى ما طلبوه أما وفد نيمورلنك فاتخذوا خطة أخرى في مأموريتهم لأنهم استعملوا الخشونة والنظاظة في أقوالهم ومطالبهم وطلبوا إليه أن يسلم لهم قرا يوسف

وأحمد بن عويس الدين قد التجأ إليه . فطينب برقوق خاطرهم وأخذهم
بالملاينة فازدادوا فجوراً فأمر بقتلهم فشق ذلك على تيمورلنك فساق
جيشه وقدم للانتقام فمر بالرها فافتتحها وقتل من فيها ثم جاء حلب
فأنكى فيها ثم توقف تيمورلنك عن مسيره لغرض في نفسه ليسهل
عليه افتتاح مصر . فلم يغفل برقوق عن ذلك فأكثر من الجند والسلاح
وتأهب للدفاع أو الهجوم لكنه لم يكسب به هذه التأهبات حتى أدركته
الوفاة بداء الصرع في يوم الجمعة ١٥ شوال سنة ٨٠١ هـ وسنة ستون
سنة فأسف عليه الناس أسفاً شديداً لما كان من عدله ويقظته ورفقه
برعيته . ومن أدلة ذلك أنه خفف عوائد الحبوب وأبطل العوائد التي
كانت تؤخذ على الأثمار والنواكح الواردة عن طريق بولاق وكان كثير
التصدق على الفقراء محباً للعلم والعلماء فبنى مدرسة دعاها المدرسة
الظاهرية نسبة إليه . وابتنى جامعاً لا يزال إلى الآن معروفاً باسم جامع
السلطان برقوق واقعاً بجانب جامع الملك الناصر المتقدم ذكره في
شارع الخاسين . وكان له ولع خاص في اقتناء الأسلحة والخيل الجياد
والاستكثار من الممالك الشراكسة أبناء جلدته فنظم منهم فرقة بركن
اليها عند الحاجة . وجعل في مصالح الدولة مراتب هذه أهمها

- (١) أنابك العساكر
- (٢) رأس نوبة الامراء
- (٣) امير السلاح
- (٤) امير المجلس
- (٥) امير البياخور
- (٦) دوا دار
- (٧) رأس النوبة الثاني
- (٨) حاجب المحجاب

(٩) النائب

وكانت مقاليد المحل والربط بيد هؤلاء التسعة فاذا اجمعوا على امر
انفذوه ولا مرد لقضائهم

سلطنة فرج بن برقوق (اولاً)

من سنة ٨٠١ - ٨٠٨ هـ او من ١٢٩٨ - ١٤٠٥ م

فلما توفي السلطان برقوق بايعوا بكر ابنائه فرج زين الدين الملقب
بابي السعادات وسنه ست وعشرون سنة ولقبوه بالملك الناصر. وفي اول
حكمه ثار الا تالك يطمش وتمم الفرساني حاكم سوريا فتواطأ هذا الاخير مع
يلغا السالي حاكم حلب فاستولى على مضايق فلسطين على نية الاستيلاء على
سائر مدنها الا ان حذسه لم يتحقق فأخذت منه المضايق وضويق عليه
حتى قيد اسيراً وقتل هو وكل دعائه. ولم تكد تجو مصر من هذه النازلة
حتى داهمتها نازلة اشد وطأة واصعب مراساً. فان تيمورلنك بعد ان
انتهى حروبه في الهند وبغداد وسيواس وملاطية سنة ٨٠٢ هـ امعن في
سوريا فاستولى على حاب وحمص بعد حرب شديدة وفر فرج الى
مصر رغماً عنه فجمع اليه رجاله وتأهب للدفاع ثم بلغه ان عدوه انشغل
عنه بمحاربة بيازيد في الاناضول فسكن روعه ثم جاءه الانباء بنور تيمور
وانكسار بيازيد واسره سنة ٨٠٤ هـ في وقعة انقرة فخارت قواه وقطع
من الفرج فبعث اليه تيمورلنك ان يسلم بسلطنة التتر ويبعث اليهم
باحمد وقرا يوسف حالاً وبعث اليه فيلاً هندياً. فلم يسع فرج الا الاذعان
لقضاء الله. فاجابه الى طلبه صاغراً واهداه زرافة حبشية معترفاً بسيادة
التتر على مصر وقيامه باحكامها بالنيابة عنهم. اما احمد وقرا يوسف فقال
انها احتيا به وحقوق الضيافة تمنعه من تسليمها فيكون هو الجاني عليهما

لكنه وعد ان يسجنهما عنده فاستقرت سيادة نيمور على مصر . وفي سنة ٥٨٠٦ هـ شرقت مصر بنصور النيل فدهي اهل الصعيد من ذلك بما لا يوصف حتى انه مات في مدينة قوص وحدها ١٧ الف انسان ومات في مدينة اسبوط ١١ الفاً ونحو ذلك من مدن اخرى . وفي ١٧ شعبان من السنة التالية ادرك نيمور القضاء المبرم في اوترار وتخاصم ابناءؤه على الملك فاعنم فرج تلك الفرصة للتخلص من سلطة التتر والافراج عن احمد وقرا يوسف فافرج عنها فسارا الى بلادها

ثم اخذ بالتاهب لاسترجاع سوريا بنفسه فلم يكذبهم الاستعداد حتى ضوبق عليه في قصره . وسبب ذلك ان المصريين لما رأوا اذعانه لتيمور لنك وتسليمه بسيادته على بلادهم حسبوا ذلك خيانة وضعفوا وابقنوا انه لا يصلح لادارة الاعمال فاقرؤا على خلعه وتولية اخيه عز الدين عبد العزيز وكان اعظم في عيونهم منه فاجتمعوا تحت لوائه وساروا لمحاصرة اخيه في قصره في ١٦ ربيع اول سنة ٥٨٠٨ هـ وما زالوا يهددونه حتى تنازل حفظاً لحياهه وقد حكم ست سنوات وخمسة اشهر و ١١ يوماً

سلطنة عبد العزيز بن برقوق

من سنة ٨٠٨ - ٥٨٠٨ هـ او من ١٤٠٥ - ١٤٠٥ م

ثم خرج من قصره واخفى في مكان غير معلوم فظن الناس انه قتل من الضوضاء والازدحام فبايعوا اخاه ولقبوه بالملك المنصور . ولم يمض شهران من توليته حتى تحققت خيبة ظنهم به فملأوا من طاعته ومالوا بكليتهم الى سلفه فانصل ذلك بفرج فخرج من خبائه فتقدم اليه الناس ورجال الدولة ان يعود الى منصبه فعاد في جمادى الآخرة ونفى اخاه عز الدين الى الاسكندرية فعاش فيها اشهرًا قليلة وتوفي في ٧ ربيع آخر سنة ٥٨٠٩ هـ

سلطنة فرج بن برقوق ثانية

من سنة ٨٠٨ - ٨١٥ هـ او من ١٤٠٥ - ١٤١٢ م

فلما عاد فرج الى منصبه وجه انتباهه خصوصاً الى استرجاع ثقة الاهلين فيه فغزا دمشق وافتتحها ثم فجع غيرها من مدن سوريا واهتم في راحة الرعية فساد الأمن وسكنت القلوب . فاذا كانت سنة ٨١٢ هـ ظهرت في القاهرة ثورة دينية ذهبت مجبانه . وتنصّل ذلك ان احد امراء المالك المدعو ابا نصر الملقب بالشيخ الحمودي الظاهري نسبة الى سيد الامير محمود احد امراء الملك الظاهر برقوق . وكان الملك الظاهر قد عنقه ووعده بالخدمات الحربية فطمعت ابصاره الى السلطنة فاستخدم هذه الغاية الخليفة المستعين بالله وكان قد ولي الخلافة بدلاً من الخليفة المتوكل بالله منذ خمس سنوات . وقد كان الخلفاء العباسيون منذ استئصال شوكتهم من بغداد واقامة فرعها في القاهرة لا يخرجون في اعتبار الاهالي عن حد السلطة الدينية وكانوا يلقبونهم بالائمة . فاسرّ الشيخ الحمودي الى المستعين بالله انه يمكنه اعادة السلطة السياسية اليه كما كانت لاسلافه وقال له « ان الناس مبالون الى ذلك بكليتهم وهم مستعدون لمبايعتك وتنفيذ اوامرك » فثار في قلب الخليفة حب السيادة فوافق الشيخ الحمودي وكان فرج اذ ذاك في دمشق فاتفقا على استقدامه فانفذ اليه اولاً ان يتنازل عن الملك فاجاب ان جوابه الوحيد على ذلك انما هو السيف واخذ في اعداد مهات الحرب ومثل ذلك فعل الخليفة والشيخ الحمودي وتقدم الجيشان لكنهما لم يتلاحما حتى اصدر الخليفة خطاً شريعاً بتوقيعه فجهاء بما لا يجيئ به السيف ونصّه « من الامام ابي النضر العباسي المستعين بالله امير المؤمنين الى اهل مصر . اننا نصرح بخلع فرج بن قوق عن سلطنة

مصر وسوريا لان السلطان الحقيقي عليها انما هو الخليفة سلالة النبي (صلعم) ونائبه . فطوبى لمن اذعن له وويل لمن اعرض عنه والسلام»
 فلما دار ذلك بين الجيوش اعرضوا عن فرج ولم يبق له نصير فحاول الفرار فلم ينج فقبض عليه وقيد الى الخليفة فانتحل له ذنباً يستوجب عليه المحاكمة . وهو انه كان قد اضطر لكثرة ما انفق في محاربة التتر ان يفرض على الاهالي ضرائب فوق العادة فرفعت عليه عرائض التشكي الى مجلس الائمة والفقهاء انه اخنلس الاهالي وخرّب البلاد وانه تمرد على الخليفة ظل الله على الارض فاتخذ الخليفة هذه التشكيات ذريعة للحكم على فرج بالاعدام فقتلوه في ٢٥ محرم سنة ٨١٥ هـ خارج اسوار دمشق وتركوا جثته ملفاة على دمنة هناك

سلطنة الامام المستعين بالله

من سنة ٨١٥ - ٨١٥ هـ او من ١٤١٢ - ١٤١٢ م

فاصبحت السلطنة الروحية والسياسية بيد المستعين بالله فبايعة الامراء وقواد الجند ولقبوه بالملك العادل فاستلم مقاليد الاحكام وجعل الشيخ المحمودي رئيساً لشوراه . واخذ في اصلاح الاحوال وتنظيم الاحكام ووجه انتباهه الى ما يكسب به ثقة الرعية فاعاد الامن الى البلاد بمقاصدة المعتدين واظهر لياقته لما عهد اليه فشرع في اصلاح امور الاحكام وانصاف المظلومين وبذل العطاء فاحبته الاهالي . اما الشيخ المحمودي فقد كان في باله انه اقام هذه الثورة خدمة لاغراضه وليس للخليفة فرأى انه اصبح بعدها آلة بيد ذلك السلطان الجديد فاضمر له شراً ونوى على خلعهِ لكنه استخدم الحزم والتأني واغتنم الفرص المناسبة خوفاً من الوقوع في شر اعماله فعمل على توطيد العلاقات الودية بينه وبين امراء المالك

والتقرب منهم واقناعهم تحت طي البساطة والاخلاص ان في هذا الخليفة شيئاً من ضعف الرأي والمحمول فضلاً عن كونه اجنبياً عنهم. فاستمال قلوبهم واشتد ازراءُ بهم فاخذ يشكو من منصبه فولاهُ الخليفة نيابة الملك في ٨ ربيع اول من تلك السنة فصار اقدر على تنفيذ ما ربه وما زال ساعياً الى مطمح انظاره حتى كثرت احرابه واصبحت ازمة البلاد في يده فاجبر الخليفة على مشاركته في السلطنة فاجابه ولقبه بالملك المؤيد وبعد يسير خطا خطوة اخرى فتخاع الخليفة وحسه في بعض غرف القصر

سلطنة الشيخ المحمدي

من سنة ٨١٥ - ٨٢٤ هـ او من ١٤١٢ - ١٤٢١ م

فلم يستطع المستعين بالله اذنى مناصرة لكنه كتب سرّاً الى نوروز احد اصدقائه القدماء وكان قد ولاه سوريا يستجده فقدم نوروز مسرعاً الى القاهرة في جيش فرأى انه يقصر عن مناصرة المحمدي فاورع الى الخليفة ان يستخدم الوسائط الدينية كما فعل الملق الماضية وكان الشيخ المحمدي في دمشق فاصدر منشوراً بجرمايه فاغنم المشايخ والامراء فرصة غيابيه وجاهروا بخلعه . وبلغ ذلك الشيخ المحمدي فاسرع الى القاهرة فخافه المشايخ والعلماء وانكروا مجاهرته بجرمايه وقالوا ان الخليفة اولى بذلك الحرمان والحقوا على معاقبه لانه يرد على سلطانهم فخلعوه من السلطنة والخلافة وتجنه ثم نفوه الى الاسكندرية سنة ٨١٨ هـ واقاموا اخاه داود خليفة مكانه ولقبوه بالامام المعتضد بالله فعاد الشيخ المحمدي على كرسي السلطنة واخذ يسعى الى اكتساب ثقة الاهلين فانتع خطة الخليفة المستعين فانصف ورفق فأمنت الرعية وسعدت البلاد وما زالت الحال كذلك ثماني سنوات وخمسة اشهر وفي ٩ محرم سنة ٨٢٤ هـ توفي السلطان الشيخ المحمدي . وكان

محباً للعلماء بكرم منوهم . وله بنايات جميلة من جملتها الجامع المسى جامع المؤيد بالقرب من باب زويلة وقد جدد بناءه وهو كثير النفوس ولم يبق من البناء القديم إلا ليوان القبلة . وبعد وفاته عادت الامور الى مجراها الاول من الفلاقل فتولى على السلطنة بعده ثلاثة سلاطين لم يحكموا الا مدة قصيرة



سلطنة احمد بن المحمودي ثم سيف الدين تتر ثم محمد بن تتر
من سنة ٨٢٤ - ٨٢٥ هـ او من ١٤٢١ - ١٤٢٢ م

اولهم ولده شهاب الدين احمد الملقب بالملك المظفر وفي شوال من تلك السنة تخلى عن الملك لوصيه وحميه سيف الدين تتر الملقب بالملك الظاهر وهذا توفي في ذي الحجة من السنة المذكورة فبويغ ابنه ناصر الدين محمد ولقب بالملك الصالح وبعد اربعة اشهر خلعه وصيه سيف الدين برس باي ففضى باقى حياته في الشقاء



سلطنة الملك الاشرف برس باي

من سنة ٨٢٥ - ٨٤١ هـ او من ١٤٢٢ - ١٤٢٧ م

وبعد خلعه اخلف الامراء على من يخلفه فتغى برس باي حتى اهلك الاحزاب بعضها بعضاً فتسلق السلطنة غنية باردة . فبويغ في ٨ ربيع آخر سنة ٨٢٥ هـ ولقب بالملك الاشرف وقد كان برس باي مملوكا احبه سيده الملك الظاهر تتر فاعنته ورقاه حتى جعله وصياً على ابنه . وفي اول حكمه تزايد وفاء النيل حتى غمر الارض بالخيرات فكثرت الحبوب وشيع الفقراء وكان برس باي كالشيخ المحمودي حكمة ورفقاً وقد رم عدة مدن وشاد في القاهرة عدة بنايات منها الجامع المعروف بجامع

الاشرفية تجاه سوق العطارين ابتداءً في بنائه سنة ٨٢٦ هـ . وقد تمكن برس باي لحسن سياسته وحزمه من استبقاء السلطنة بيده مدة طويلة والبلاد في سكينه الا في سنة ٨٢٧ هـ اذ ثار الامير بنبق النجاشي وكان قد ولاه حكومة دمشق . غير ان تلك الثورة ما لبثت ان ظهرت حتى اضعلت وعوقب الثائرون بمساعدة امير زنجي يقال له عبد الرحمن فولاه برس باي على سوريا بدلاً من النجاشي وكانت هذه الثورة اول التلاقل واخرها في ايامه . اما محاربته مع الدول الاخرى فمجدبة بالاعتبار لانه جرّد على الافرنج عدة تجريدات وتغلب عليهم فاخضع جزيرة قبرص وحمل الملك جان لوسينيان الثالث على الاعتراف بسلطانه وفرض عليه الجزية وقد عقد مع ملوك الافرنج وسليمان آل عثمان اذ ذاك مراد بن محمد عدة معاهدات سلمية تدل على عظيم شوكته . فكانت مصر في ايامه سعيدة داخلاً وخارجاً . وقد قال بعض المؤرخين ان الملك الاشرف برس باي احذر الملوك الشراكسة بالمدح لانه كان ارفعهم همة واشدهم عزيمه واكثرهم تدرباً في الاحكام وما يمتدح عليه انه ابدل جميع التدلّلات التي كانت تقدم للملوك قبله بتفصيل اليد فقط . وبعد ان حكم ١٧ سنة و١٨ اشهر و٦ ايام قضى يوم السبت في ١٢ ذي الحجة سنة ٨٤١ هـ وسنة ستون سنة

سلطنة يوسف بن برس باي

من سنة ٨٤١ - ٨٤٢ هـ او من ١٤٢٧ - ١٤٢٨ م

فبوقع ابنه جمال الدين يوسف الملقب باي الحاسن ولقب بالملك العزيز وبعد ثلاثة اشهر من مبايعته نخاصه ماليكه وسيف الدين جقمق اتابك جيشه خصاماً انتهى بعزله ومبايعه جقمق في ٩ اربيع اول سنة ٨٤٢ هـ

سلطنة الملك الظاهر جقمق

من سنة ٨٤٢ - ٨٥٧ هـ أو من ١٤٢٨ - ١٤٥٢ م

وكان سن جقمق اذ ذاك ٦٩ سنة ولقب بالملك الظاهر وبعد سنتين من حكمه اصبحت مصر بطاعون انتشر في سائر انحاءها . وفي سنة ٨٤٦ هـ توفي الامام المعتضد بالله وكان باراً نقياً واوصى بالخلافة بعده الى اخيه بالرحم فبايعوه ولقبوه بالمستكفي بالله وكان صديقاً للسلطان جقمق وبعد ثماني سنوات من خلافته توفي سنة ٨٥٤ هـ وكان كاخيه نفاء وبراً حتى تخاصم الاعيان والكبراء تسابقاً الى حمل نعشه وقت الجنازة حتى السلطان جقمق فانه حمل به على منكبيه . فبويغ اخوه ولقب بالقائم بامر الله . وكان سير هذا الخليفة مغايراً لسير سابقيه فابغضه السلطان وخشي من دسائسه وكان قد تجاوز الثمانين من سنه ولم تعد فيه عزيمة على مقاومة الدسائس فتنازل عن السلطنة لابنه فخر الدين عثمان وتوفي في ٢٩ صفر سنة ٨٥٧ هـ وهي السنة التي فجع فيها السلطان محمد بن مراد القسطنطينية وباد مملكة الرومان

سلطنة عثمان بن جقمق

من سنة ٨٥٧ - ٨٥٧ هـ او من ١٤٥٢ - ١٤٥٢ م

وبويغ فخر الدين عثمان ولقب بالملك المنصور اما الخليفة فلم ينفك عن دسائسه طمعاً بالسلطة فدعا اليه زمرة من الامراء وحملهم على نبذ طاعة الخليفة على امل ان يتال بذلك ما ناله المستعين بالله فانتشبت الثورة وخلع الملك المنصور عثمان في غرة شهر ربيع آخر من تلك السنة بعد ان حكم شهراً وبوماً . اما الخليفة فخاب انتظاره وحبطت مساعيه فغادرته

الاحزاب وبايعوا مملوكاً سناً اسمه ابو النصر ينال ولقبوه بالملك الاشرف

سلطنة الملك الاشرف ينال

من سنة ١٥٧ - ١٦٥ هـ او من ١٤٥٢ - ١٤٦٠ م

فقال الخليفة في نفسه ان هذا السلطان شيخ فلننتظر وفاته انه لا يلبث ان يصيب حنة . فانتظر ست سنوات فلم يمت فعمد الى الدسيسة فاتهمل ذلك بالوزير بلجيوني فاعلم السلطان بامرہ فاستحضر الخليفة وقرعه ثم امر بخلعه عن الخلافة . فقال الخليفة « من اين لك ان تخلع الخلفاء ولهم وحدهم ان يولوا ويعزلوا » فلم يجبه الا بالنفي الى الاسكندرية فبقي فيها مدة ثم مات . فبايعوا يوسف اخا المعتضد بالله ولقبوه بالمستجد بالله وكان حكيماً معتدلاً وعاش السلطان ينال بعد ذلك ستين ولّى وعزل اثناءها كثير من الوزراء ثم توفي يوم الخميس ١٥ جمادى الاولى سنة ١٦٥ هـ بعد ان حكم ٨ سنوات وشهرين وستة عشر يوماً

سلطنة احمد بن ينال

من سنة ١٦٥ - ١٦٥ هـ او من ١٤٦٠ - ١٤٦١ م

فتولى بعده ابنه شهاب الدين احمد الملقب بابي الفخ وكان قد نعاطى الاحكام في آخر ايام ابيه . وترى في شكل



٦٥ صورة نفود مضروبة في عهد شهاب الدين احمد يوم كان يتعاطى الاحكام في حياة ابيه

فلما بوبع لقب بالملك المؤيد ش ٦٥ نفود ابي الفخ والاشرف ولكنه لم يحكم الا اربعة اشهر فعزل في ١٨ رمضان من تلك السنة وبوبع سيف الدين خوش قدم ولقب بالملك الظاهر

سلطنة الظاهر خوش قدم

من سنة ٨٦٥ - ٨٧٢ هـ او من ١٤٦١ - ١٤٦٧ م

ويعرف خوش قدم هذا بالرومي لانه يوناني الاصل وبالناصري لانه كان من ماليك الملك الناصر وكان محباً للاداب اليونانية محافظاً عليها وكان حكماً باراً حليماً محباً لرعيته ساهراً على راحتهم ولم يكن يستوزر الا الذين اختير نراهم ونشاطهم فاحيته الرعية واجمعوا على طاعته والاخلاص له . ويقال بالجملة ان هذا السلطان من افضل سلاطين مصر وقد اقتدى به رجال دولته فساد الامن . اما الخليفة فلم يكن يتجاوز سلطنة الدينية فحكم خوش قدم ست سنوات ونصف كلها سلام ونعيم ونوفي في ١٠ ربيع اول سنة ٨٧٢ هـ وسنة ستون سنة فاسف عليه الناس كثيراً

سلطنة الملك الظاهر بلباي ثم الظاهر تمار بوغا

من سنة ٨٧٢ - ٨٧٢ هـ او من ١٤٦٧ - ١٤٦٧ م

فبايعوا ابا سعيد بلباي ولقبوه بالملك الظاهر فكان سبياً لسابقه بالاسم لا بالفعل فجاء من السيئات اكثر مما جاء ذاك من الحسنات لانه كان مسنبداً عاتياً لا يغادر كبيراً ولا صغيراً فكرهته الناس . ولم يمض ٦٦ يوماً من توليته حتى خلعه وذلك في ١٧ جمادى الاولى من تلك السنة وبايعوا الامير ابا سعيد تمار بوغا الملقب بالظاهري ولقبوه بالملك الظاهر ايضاً فكان حظه من الملك كحظ سلفه لانه خلع بعد شهرين من توليته وبايعوا الامير قايت باي الملقب بالهمودي وبالظاهري ولقبوه بالملك الاشرف

سلطنة الملك الأشرف قايت باي

من سنة ٨٧٢ - ٩٠١ هـ أو من ١٤٦٧ - ١٤٩٥ م

فتوالى على مصر في سنة ٨٧٢ هـ أربعة سلاطين . أما السلطان الأخير فمكث على سرير السلطنة مدة طويلة رغماً عما كانت عليه البلاد اذ ذاك من الاضطراب . وكان قايت باي مملوكاً محرراً من ممالك جفنى وكان لعلوهم وحسن سجاياه قابضاً على ازمة الاحزاب فكانت البلاد آمنة مطمئنة الا انها اضطربت بخبر انتصار محمد الثاني العثماني على اوزون حسن ملك الفرس . وكان بين الفرس والمصريين تحالف فتنبأ قايت باي ان ذلك التحالف سيكون سبباً لعزم العثمانيين على فتح سوريا . فارسل حامية كبيرة الى الحدود فاجل العثمانيون عزيمهم لانشغالهم اذ ذاك بنزع البلاد النصرانية . اما قايت باي فخاف سوء العقبى ولم ير سبيلاً لرفع المسؤولية عنه الا بالنزاع عن الملك فادرك الامراء شدة احتياجهم اليه في مثل تلك الاحوال الصعبة فاجبروه على قبول السلطنة ولم يكذبوا عليها حتى جاءته الانباء بانتصار محمد الثاني على الافرنج وعزمه على فتح سوريا وذلك سنة ٨٨٥ هـ . لكنه لم يخرج من بر الاناضول حتى داهمته المنية في مدينة طيقور جابر . ونخاص ابنه يازيد وجم (اوزبزم) على الملك فانشغلا عن النزع فاغنم قايت باي تلك الفرصة للانتحاب فعاد بجيشه الى مصر وما زال الخصام يتعاضم بين ابني محمد حتى كانت بينهما واقعة بني شهر فانهزم جم حتى اتى مصر فالتجأ الى قايت باي فاکرم وفادته ثم علم ان ذلك الاكرام بهيج حاسة الانتقام في يازيد . فقال في نفسه « اذا كان لا بد لنا من محاربة العثمانيين فلنكن مهاجمين اولى من ان نكون مدافعين » فجعل بناوي الاتراك ويقطع السبل على قوافلهم الناقلة الحجاج الى الحرمين

حتى قبض على وفد هندي مرسل في مهمة سياسية الى يازيد واستولى على
ادنه وترسوس وكاتنا في حوزة العثمانيين . اما يازيد فكان وافقاً بالمصاد
يتخلل حجة لمهاجمة المصريين فجاءت تلك الاجراءات طينة على عجيبة الا انه
رأى ان يأنيهم من باب الحزم فانفذ اليهم رسلاً في طلب التعويض عما سببوه
من الخسائر والاضرار فارجع قايت باي الرسل وبعث بهاجم الجيوش
العثمانية فقاومته اشد مقاومة وارجعت جيشه الى ملاطية فاتجدهم قايت
باي بخمسة آلاف رجل فعادوا الى العثمانيين وهم في مضائق الجبال فهجموا
عليهم بغتة وذبحوا منهم عدداً كبيراً وفرّ الباقيون وتحصنوا في ترسوس
وآدنه . فانصل ذلك بقايت باي فارسل الاميرالازبكي في نجدة لاجراج
العثمانيين من نينك المدبنتين فسار وحارب وفاز فشق ذلك على السلطان
ييازيد وآلى على نفسه الا ان يسترجع ترسوس وادنه فانفذ جيشاً كبيراً تحت
قيادة صهره احمد وهواين امير بوسنا ولد في البانيا ثم اعتنق الاسلامية
واخذ يرتقي في اعمال الدولة حسب استحقاقه حتى تمكن مع صغر سنه وكونه
غير مولود في الاسلام من قيادة هذه الحملة لمحاربة الجيوش المصرية . فلما
وصل الى معسكر الازبكي اقتتل الجيشان فهجم احمد هجمة قوية الا ان
رجالاه لم يستطيعوا الثبات ففازت الجيوش المصرية وأسر احمد بعد ان
جاهد جهاداً حسناً فعاد الازبكي بمأسوره الى مصر ظافراً فبنى جامعهُ
المشهور المعروف بجامع الازبكية واليه ينسب ثمن الازبكية وحديقة
الازبكية وكانت في ايامه بركة يجتمع اليها الماء في ايام الفيضان وسأني
كيفية تحويلها الى ما هي عليه الان

فلما بلغ ييازيد ما كان من انكسار جيوشه استشاط غضباً وجند جنداً
كبيراً جعله تحت قيادة علي باشا لمحاربة المصريين فسارت تلك الحملة
من الاسطانة فعبرت البوسفور في ٢ ربيع آخر سنة ١٢٩٢ هـ ونزلت في
قرمان فانصل خبرها بقايت باي فاوجس خيفة فعمد الى جانب المصالحة

فانفذ الى بيازيد صهره احمد واسطة لعقد شروط المصالحة فرفض
 بيازيد ذلك رفضاً كلياً وسار حتى النقي بالمصريين في ادنه وترسوس
 فحاربهم وفاز عليهم واسترجع المدينتين الواحدة بعد الاخرى بعد ان
 اهرق دماء غزيرة ثم سار الى ارمينيا الصغرى واخضعها وحاصر عاصمتها
 فافتتحها بعد ان دافعت دفاعاً قوياً واسر حاكمها وارسله بعد ذلك الى
 مصر بدلاً من الامير احمد . فبعث قايت باي الازبكي ثانية لدفع العثمانيين
 فواقهم في ترسوس فغلبوه أولاً ثم عاد اليهم وفاز بهم واعادهم النهري وعاد
 الى القاهرة ظافراً فخلع عليه قايت باي . ثم رأى ان ينتم كونه ظافراً
 لمصالحة العثمانيين فبعث الى بيازيد في ذلك فاجابه منهجداً وطلب اليه ان
 يتنازل له عن ترسوس وادنه وانه اذا لم يفعل يدعو الناس الى الجهاد فيجمع
 تحت لوائه كل من يدعو لآل عثمان فيجئ مصر ويفتحها فتحاً ميبئاً . فخاف
 قايت باي وتنازل عن المدينتين ارضاء باهون الشرين وكان ذلك سنة ٨٩٦ هـ
 وعاش قايت باي بعد مصالحة الدولة العثمانية خمس سنوات وتوفي
 في ٢٢ ذي القعدة سنة ٩٠١ هـ بعد ان حكم ٢٩ سنة واربعة اشهر وعشرين
 يوماً فبكاه الناس . ومن آثاره جامعة المعروف باسمه الى هذا العهد في
 القرافة خارج القاهرة . وفيه مقام قايت باي وهو مثال لما بقي من مدافن
 الماليك في تلك الجهة . وبنى قايت باي جامعاً في جزيرة الروضة لا يزال
 يشاهد هناك الى هذا اليوم

سلطنة محمد بن قايت باي ثم قنسو خمسمية ثم قنسوا بي سعيد
 ثم قنسوجان بلد ثم الملك العادل طومان باي

من سنة ٩٠١ - ٩٠٦ هـ او من ١٤٩٥ - ١٥٠١ م

وتولى بعد قايت باي ابنه ابو السعادة محمد ولقب بالملك الناصر

ولم يجلس على سلطنة مصر رجل اقل لياقة لها منه فانه كان احق جيصاً وحشياً لا ديدن له الا الانعاس في الملذات الحيوانية ولو كلفه ذلك ارتكاب اسر الآثام. وقد زادت قبحه حتى سلخ جلد احد ماليكه جياً فنار عليه المالك وخلعه بعد ان حكم ستة اشهر وبايعوا الامير قنسو الملقب بخمسمية لانه ابتيع بالاصل بخمسمية دينار ولقبوا بالملك الاشرف وبعد خمسة اشهر تنازل عن الملك عجزاً فاعادوا الملك الناصر محمد ثانية لكنه لم يبق الا ١٨ شهراً ونصف فذبحه المالك في ١٦ ربيع اول سنة ٩٠٤ هـ وبايعوا عم قنسو واسمه قنسو الثاني الملقب بابي سعيد ولقبوه بالملك الظاهر ولم يقبل هذا المنصب الا رغماً عنه وبعد عشرين شهراً وبضعة ايام عزلوه وبايعوا قنسو الثالث جان بلد ولقبوه بالملك الاشرف ولم يحكم الا سبعة اشهر ثم خلع في ١٨ جمادى الآخرة سنة ٩٠٦ هـ فاقام امراء دمشق الامير سيف الدين طومان باي وكان من ممالك قايت باي ولقبوه بالملك العادل . فوافقه امراء القاهرة على ذلك . وبعد ثلاثة اشهر اضمر له الممالك مكيكة يقتلون بها فعلم هو بذلك ففر طلباً النجاة فأوى الى مكان ظنه ملجأ حصيناً مكث فيه اربعين يوماً ثم اكتشف عليه الممالك وقتلوه في ذي القعدة سنة ٩٠٦ هـ ثم اجتمع الممالك والاعيان وارباب الدولة ونداولوا فيمن يجب ان يختاروا ليحكم فيهم من اهل اللياقة فافروا على الامير قنسو الرابع الملقب بالغوري وكان هو ايضاً من ممالك قايت باي وكان رجلاً نقياً مخلصاً محترماً من الناس عفيفاً غير عالم بما كان يتخاضم عليه الامراء وما كانوا يدسونه من الدسائس . فلما بلغه امر مبايعته انذهل ورفض قائلاً للذين انتخبوه «اني لا اخالف لكم امراً انما اراني غير لائق بهذا المنصب لاني لم اعند معاناة الاحكام والامر والنهي» فاجابوه ان صدق نيته واخلاصه وثقة الناس فيه كافية لاستحقاقه هذا المنصب . فلم يردوا من القبول لكنه قال لم «أكون في غاية السرور اذا جئتموني

يوماً تنبؤني بالاقالة من هذا المنصب فارجع الى ما اعندته من معيشة السكينة « فولوه في غرة شوال من تلك السنة ولقبوه بالملك الاشرف ايضاً

سلطنة قنسو الغوري

من سنة ٩٠٦ - ٩٢٢ هـ او من ١٥٠١ - ١٥١٦ م

فاستلم الغوري مقاليد الاحكام واخلص في الحكم فاطمّنت البلاد وسكن حالها فاخذ في اصلاح شأنها فابتنى في القاهرة جامعاً ومدرسةً ينسبان اليه وهما مدرسة الغورية وجامع الغورية في اول شارع الغورية في السكة الجديدة كل منهما الى جانب من الطريق . فالى الشرق البناية التي كانت فيها المدرسة ويلبها الى الجنوب مدفن فيه مقام بعض اعضاء عائلته . والى الغرب الجامع ويظهر للناظر عندما يشرف عليه انه هائل وهو مبني على مثال جامع قايت باي وعلى القبة كتابة كوفية . وقد رمم بمساعي جمعية حفظ الآثار والى الشمال سبيل جميل . ثم كانت الحوادث السياسية فتوقف الغوري عن اتمام ما كان يقصده من البناء والتعسين فان البرتغاليين لما استولوا على بعض بلاد الهند أنقلوا على العلاقات التجارية بينها وبين مصر فجهز قنسو الغوري الى محاربهم حملة عظيمة ذهبت غنيمة باردة لجيوش الافرنج في البحر الاحمر

وفي سنة ٩١٨ هـ جاء كركود اخو السلطان سليم بن بيازيد (سليم الاول) الى مصر ملتجأ اليها بعد ان تخاصم مع اخيه على الملك كما حصل معهم وبيازيد المتقدم ذكرها . فترحب به قنسو الغوري ترحاباً عظيماً وجرهه بعشرين بارجة بحرية لافتتاح القسطنطينية فذهبت هذه العاراة ايضاً غنيمة لمراكب اورشليم في البحر المتوسط ولم تكن النتيجة الا اثاره غضب السلطان سليم على مصر فجهز اليها وابتدأ بافتتاح الحدود السورية

وارسل الى مصر رسائل التهديد . فاتخذ الغوري مع ملك الفرس اسماعيل شاه على قهر العثمانيين وكان الفرس في حرب معهم الا ان الجيوش العثمانية لم تبال بكثرة العدد فشنت المجيشين واي تشيت . فعبد قنسو الغوري الى محاربة العثمانيين بامر الصلح على اي وجه كان وبعث الى السلطان سليم بذلك فسارت الرسل حتى اتوا السلطان سليم فخرؤا سجدًا وخاطبوه بامر الصلح فقال لهم وقد استشاط غيظًا « لقد فات الاوان انهضوا وارجعوا الى سلطانكم وقولوا له ان الرجل لا تعثر بحجر واحد اكثر من مرة واحدة . وما انا ذاهب الى القاهرة فليستعد للدفاع ان كان له اهلاً » فعادوا واخبروا بما كان فجمع اليه رجاله وسار لملاقاة الجيوش العثمانية فالتقى بها في مرج دابق قرب حلب فانتشبت الحرب هناك وظهر الغوري بسالة واقدامًا عظيمين حتى اوشكت رجاله من الاستظهار فمنعتها مدافع العثمانيين من ذلك ولم يكن سلاح المصريين الا الرماح والحراب والسيوف فتشوش نظامهم ووقع الرعب في قلوبهم وانحاز قائدا جناحيهم الى العثمانيين وكان الغوري قائداً لقلب الجيش فاضطر الى الفرار فحوّل شكيمه جواده فسقط عنه اشدّة الازدحام وذهب قتيلاً تحت ارجل الخيل في ٢٥ رجب سنة ٩٢٢ هـ بعد ان حكم مدة ١٥ سنة وتسعة اشهر و ٢٥ يوماً

سلطنة الملك الاشرف طومان باي

من سنة ٩٢٢ - ٩٢٣ هـ او من ١٥١٦ - ١٥١٧

وكان السلطان قنسو الغوري قبل مبارحته القاهرة هذه المرة قد استخلف عليها ابن اخيه طومان باي (الثاني) فلما اتصل خبر تلك الموقعة بالامراء بايعوا طومان باي ولقبوه ايضاً بالملك الاشرف وكان حازماً باسلاً . فلما وصلت بقية الجيوش المنهزمة الى القاهرة امر باعداد حملة

أخرى لمحاربة العثمانيين . وكان العثمانيون في سوريا قد توفقوا للاستراحة فظن طومان باي ان الرمال المتراكمة بين سوريا ومصر تحول بين العثمانيين وما يريدون . ألا ان الامر لم يكن كما ظن لانه لم يكذب ثم اعداداته حتى اناه كتاب السلطان سليم الى القاهرة ونصه

« من السلطان سليم خان ابن السلطان يياريد خان سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان الخ . الى طومان باي الشركسي

الحمد لله . اما بعد فقد تمت ارادتنا الشاهانية وبأداسماعيل شاه الهرطوقي . اما قنسوا الكافر الذي حملته القحة على مساواة الحجاج فقد نال جزاءه منا ولم يعد لدينا الا ان تغلص منك فانك جائر معادي والله سبحانه ونعالي يساعدنا على معاقبتك فاذا اردت اكساب رحمتنا الملوكانية اخطب لنا واضرب النفود باسمنا ونعال الى اعتابنا واقسم على طاعتنا والاخلاص لنا والا »

فلما قرأ طومان باي الكتاب وما في ذيله من التهديد المستر استشاط غيظاً واصر على المقاتلة وكان عالماً بعجزه لكنه فصل الموت في ساحة الحرب على التسليم . فزاد في حصون دمياط وغيرها من الحدود السورية وجمع كل ما امكنه جمعه من الرجال وسار لملاقاة العثمانيين حتى اتى الصالحية فعسكر هناك . اما السلطان سليم فسار من مرج دابق وافتتح غنم والعريش والقطيعة . ثم علم بمقر الجيوش المصرية في الصالحية وما هم فيه من العزم على المدافعة لشدة اليأس فخرج بجيشه تاركاً الصالحية عن يمينه وسار حتى اتى الخانكة على بضع ساعات من القاهرة . فلما بلغ طومان باي تقدم العثمانيين الى هذا القدر عاد بجيشه لما جئهم من الورا فالتقى الجيشان في سهل قرب بركة الحج يوم الجمعة في ٢٩ ذي الحجة سنة ٩٢٢ هـ واقتل طوبلاً والمصريون يحاربون ببسالة شديدة لكنهم لم يكونوا يعرفون البارود ولا المدافع كما قدمنا فكانت الغلبة للعثمانيين ففر المصريون

الى القاهرة وعسكر العثمانيون في الروضة . فجمع اليه طومان باي عدداً كبيراً من العربان بعد ان ارضاهم بالمال وهجم على معسكر السلطان سليم هجمة اليأس فلم يئل هذه المرة غير ما نال في المرات الماضية فعاد الى القاهرة على نية الحصار فزاد في حصونها واستحكاماتها وحسن القلعة تحصيناً عظيماً واقام في كل شارع وفي كل بيت طابية وحمل السلاح كل من يستطيع حملة للدفاع عن الوطن . ولكن رغماً عن كل هذه الاعدادات وعما اظهره طومان باي من البسالة والاقدام وما سعى اليه امرأؤه لم تنجح القاهرة من يد العثمانيين فانهم دخلوها عنوة وامعنوا فيها قتلاً ونهباً وحرقة واستلموا القلعة . اما طومان باي فتمكن من الفرار على معدبة قطع بها الى الجيزة ثم سار منها قاصداً الاسكندرية فقبض عليه بعض العربان الرجل وباعوه للعثمانيين . فاستخضره السلطان سليم مغلولاً ونظر اليه فاذا هو في حالة الكدر وقد علا وجهه القنوط لما حلّ ببلاده من الذل والدمار فحركت عواطف السلطان سليم فامر بان تحل قيوده وأن يؤذن له بالحضور في مؤتمرات كان يعقدها السلطان سليم لاجل المداولة في امر البلاد فكان يسأله مسائل كثيرة تتعلق بمحصولات البلاد وخراجها وادارتها وبقي الحال كذلك نحو عشرة ايام وفي اليوم العاشر رأى السلطان سليم انه لم يعد في احتياج الى مشورة طومان باي فامر بشنقه وذلك في ١٩ ربيع اول سنة ٩٢٢ هـ فعلقوه تحت رواق باب زويلة بكلاّب من حديد كان باقياً هناك الى عهد قريب

ويقتل طومان باي انتهت دولة المماليك الشراكسة او البرجية بعد ان تسلطوا نحو ١٢٩ سنة ومن ذلك الحين اصبحت مصر احدى الايالات العثمانية الكبيرة . وبقيت جثة طومان باي ثمانية ايام معلقة ليراها الناس



الدولة العثمانية

من سنة ٩٢٢ - ١٢٠٤ هـ او من ١٥١٧ - ١٧٨٩ م

وقد كانت دولة المماليك الثانية التي بادت بقتل طومان باي أكثر
عربية واقل اشتهاً بالاعمال الحربية من الاولى لكنها ذهبت شهيدة
الشرف بالمدافعة عن بلادها ورعاياها كالاويين . اما مصر فاستعاضت
بدولة آل عثمان الذين لم يخسوها حقها ولم يألوا جهداً في اعادة الامن
اليها والتعويض عما خسرت من المال والرجال

سلطنة سليم بن بيازيد

من سنة ٩٢٢ - ٩٢٦ هـ او من ١٥١٧ - ١٥٢٠ م

وامر السلطان سليم بدفن طومان باي قرب قبر فنسوا الغوري وبعد
دفنه بثلاثة ايام دخل السلطان سليم عاصمة الديار المصرية ظافراً في
غاية ربيع اول سنة ٩٢٢ هـ . وبعد بسير نزل الى الاسكندرية في فرقة
من جيوشه لوضع الحماية عليها . ثم عاد الى القاهرة ومكث فيها الى ٢٠
شعبان من تلك السنة فبارحها قاصداً الرومي . ويقال انه نقل معه الف
جمل محملة ذهباً وفضة فضلاً عن اسلاب اخرى وهدايا قدمت له . وقبل
مبارحته اياها جعل فيها حكومة منظمة فاصبحت مصر اباله عثمانية
سياسياً ودينياً

وكان فيها من الخلفاء العباسيين اذ ذاك محمد المتوكل على الله (الثالث)
الخليفة الثامن عشر من الدولة العباسية الثانية . وكيفية توصل الخلافة
اليه ان الامام المستنجد بالله الخليفة الخامس عشر الذي تولى الخلافة في

أيام ينال سنة ١٥٩ هـ كما تقدم توفي في ٢٤ محرم سنة ١١٤ هـ بعد أن تولّاها ٢٥ سنة ووُلِّي مكانه الخليفة عبد العزيز بن يعقوب حفيد الخليفة العاشر المتوكل على الله ولقب بلقب جدّه . ثم توفي يوم الجمعة في ٢ صفر سنة ٩٠٢ هـ فخلفه الخليفة أبو صابر يعقوب الملقب بالمستمسك بالله ثم خلف هذا نحو الفتح العثماني الخليفة محمد المتوكل على الله المنقدم ذكره . فلما فتح العثمانيون مصر رأى السلطان سليم الفاتح أن نصره لا يؤيد إلا إذا قبض على الأئمة الدينية . فاستخرجها من أيدي الخلفاء العباسيين فصارت الخلافة الإسلامية إلى العثمانيين وأول خلفائهم السلطان سليم . وأما الخليفة العباسي فبقِيَ إلى الأستانة وخصَّص له راتبٌ معين لنفقاته وقبل وفاة السلطان سليم بيسير عاد المتوكل إلى مصر وعاش فيها منفرداً إلى أن توفاه الله سنة ٩٤٥ هـ وهو آخر الخلفاء العباسيين

وأخذ السلطان سليم في تأييد سلطته في مصر ليأمن من تمردِها وتلاعب ذوي الأغراض فيها وكان قد جعل عليها حاكماً بلقب بالباشا إليه مرجع المحل والعقد . وكان من جملة الذين انجازوا إلى العثمانيين في وقعة مرج دابق أمير يقال له خير بك وكان من كبار رجال قنسو . فلما فتح الله على العثمانيين ولَّاهُ السلطان سليم على مصر بلقب باشا . ثم خشي أن تفرد هذا الحاكم بالامر مع بُعد مصر عن الأستانة ربما يكونان داعياً لعصيانه فعمل الفكرة فيما يكفيه مؤنة هذا المخطر فاهتدى إلى طريقة تضمن له ذلك . وهي أن يجعل في مصر ثلاث إدارات كل منها تراقب أعمال الآخر بين فلا يخشى من اتحادها وتمردِها . فالنوع الأول « الباشا » وأهم واجباته إبلاغ الأوامر السلطانية لرجال الحكومة وللشعب ومراقبة تنفيذها والنوع الثانية « الوجاقات » فانه أقام في القاهرة وفي المراكز الرئيسية من القطر ستة آلاف فارس وستة آلاف ماش بالبنادق جعلها ستة وجاقات « فرق » تحت قيادة أوامر خير الدين أحد قواد العثمانيين العظماء وأمره

ان يتم في القلعة ولا يخرج منها لاي سبب كان وواجبات هذه الوجاقات
حفظ النظام في القطر المصري والدفاع عنه وجباية الخراج . وقد رتبها
على الوجه الآتي

- (١) وجاق المنفرقة . وهو مؤلف من نخبة الحرس السلطاني
- (٢) وجاق الجاوشية . وهو مؤلف في الاصل من صف ضابطان
جيش السلطان سليم فعهد اليهم جباية الخراج
- (٣) وجاق الهجانة
- (٤) وجاق التنقيجة . وهم ناقلو البنادق
- (٥) وجاق الانكشارية . وهم اخلاط من نخبة القبائل الخاضعة
للدولة العثمانية وكانوا يعرفون ايضاً بالمستعظفين لاناطة
محافظة البلاد بهم
- (٦) وجاق العزب

وكان كل من هذه الوجاقات مؤلفاً من افراد يقال لهم «وجاقلية» واحدهم
«وجاقلي» على كل وجاق منها ضابط يلقب بالآغا يصحبه الكتيا والباش
اخييار والدقردار والخزندار والروزنامجي . ومن اجتماع هؤلاء الضباط
من سائر الوجاقات يتألف مجلس شورى الباشا فلا يقضي امراً الا
بمصادقتهم . اما هم فلم ان يوقفوه عن الاجراء وان يستأنفوا الى ديوان
الاستانة عند الاقتضاء . ولم ايضاً ان يطلبوا عزلة حالما يشتهون بمقاصده
اما القوة الثالثة فالماليك . وهم بقايا الدولتين السالفتين والفائدة منهم
حفظ الموازنة بين الباشا والوجاقات لانهم في الاصل اعداء لكل الفريقين
ومن غرضهم الانتصار للفريق الاضعف ليمنعوا التوي من الاستبداد .
وقد كان القطر المصري منقسماً الى ١٢ «سجنلية» (مدبرية) بحكم كلاً منها
حاكم يقال له «سجنق» او «بك» يعينه الديوان (وهو مجلس شورى الباشا)
من امراء الماليك . ولا غرو ان تقاطع المصالح على هذه الصورة واختلاطها

مع تعداد الأمرين ما يقود الى الفلاقل والمتاعب اما الدولة العثمانية فقد اجتنبت راحة من هذا التعب لانها كانت على ثقة من استبقاء الديار المصرية في حوزتها

وبقي خير بك باشا والياً على مصر الى ان داركنه الوفاة بمرض جلدي سنة ٩٢٨ هـ ودفن في المدرسة التي تدعي الخيرية التي كان قد بناها في القاهرة في شارع درب الوزير تحت القلعة . وبعد وفاته لهجت الالسة بذمه لعظم استبداده فكانوا يقولون انه كان ينهض من لحدّه ليلاً ويستغفر الله على ما اتاه من الشرور في حياته . ومن آثاره في القاهرة جامع يعرف بجامع خير بك في درب الوزير

سلطنة سليمان بن سليم

من سنة ٩٢٦ - ٩٧٤ هـ او من ١٥٢٠ - ١٥٦٦ م

وقبل وفاة خير بك باشا بسنتين توفي السلطان سليم وخلفه ابنه السلطان سليمان سنة ٩٢٦ هـ وسنة ٩٢٦ سنة فمكث على كرسي الخلافة نحواً من نصف قرن وقد اكثر من اهتمامه بمصر وتنظيمها . وكان ابوه قبل وفاته قد رسم الخطة التي يجب ان تسير عليها مصر في حكومتها وادارتها لكنه توفي قبل ان يبرزها الى حيز الفعل فلما تولى السلطان سليمان جعل اهتمامه اتمام مشروع ابيه

وكان من رأي السلطان سليم ان ينشئ ديواناً تحت رئاسة الباشا حفظاً للموازنة . اما السلطان سليمان فاتمّ الموازنة بانشاء ديوانين عرفا بالديوان الكبير والديوان الصغير «والديوان فقط» واناط رئاستهما بالباشا الذي عليه ان يجلس عند انعقاد الجلسة وراء ستار المنبر . وعلى الكتيا والدفتردار استئذانه قبل المفاوضة ومتى اقرّ الديوان على امر ابلاغه

ذلك الفرار وليس له إلا المصادقة والامر بالتنفيذ . وجعل إقامة هذا الباشا بالقلعة تحت ملاحظة ألاغا الذي هو قومندانها ويجدد تعيين الباشا في كل سنة

اما واجبات الديوان الكبير فهي المناوضة والامر على ما يتعلق بالاشغال العمومية التي لا تتعلق ادارتها بالباب العالي ننسب . اما اعضاء هذا الديوان فهم اغوات الوجاقات الستة ودفتر داربوها وروزنامجوها . ونواب من جميع فرق الجيوش وامير الحج والفاضي الاكبر واعيان المشايخ والاشراف والمفتيون الاربعة والائمة الاربعة والعلماء . اما المحاطبات التي ترد الى هذا الديوان فتعنون باسم الديوان الكبير لكنها تسلم للباشا وله وحده الحق ان يامر بعقد جلساته التي لم تكن كثيرة . اما جلسات الديوان الاصغر فكانت تنعقد يومياً في قصره واعضائه هذا الديوان هم كخيا الباشا ودفتر داره وروزنامجة ونائب من كل من الوجاقات والأغا وكبار ضباط وجاق المتفرقة . ومن واجبات هذا الديوان النظر في الحوادث اليومية ومن اختصاصاته البحث في الادارات الثانوية

وانشأ السلطان سليمان فضلاً عن الستة وجاقات التي كان قد انشأها ابيه وجاقاً سابعا دعاه وجاق الشراكة وهم بقية دولة المماليك . ومن هذه الوجاقات السبعة تتألف حكومة مصر وجامعتها . اما نفقاتها فمن مخصصات يتولى ضبطها وتفريقها « افندي » من كل وجاق . وجعل لكل وجاق مجلساً مولفاً من ضباط ذلك الوجاق وبعض صف ضباطه لحاسبة الافندية والنظر في الدعاوي الخصوصية وعرض الترقيات للباشا المصادقة عليها ومقامهم في القاهرة ولكل منهم لباس خاص برتبته وعليه علاماته . ومجموع رجال الوجاقات معاً عشرون ألفاً وقد يزيد او ينقص حسب الاقتضاء . اما مقرهم في القاهرة على انهم كثيراً ما كانوا يخرجون منها لمهام في المديرية . وكان لوجاق الانكشارية امتيازات على سائر الوجاقات

وكان فائدهُ (الآغا) مفضلاً على سائر القواد وله نفوذ عليهم وجعل السلطان سليمان للبكوات المالك الذين اقامهم السلطان سليم امتيازات خصوصية وحقاً بالارتقاء الى رتبة الباشوية . وإضاف اليهم ١٢ ييكاً آخرين لمأوريات فوق العادة . وهاك أسماء الموظفين الذين ينتخبون من البكوات المالك وهم الكخيا او نائيب الباشا والقباطين الثلاثة وهم قومندان ثغور السويس ودمياط والاسكندرية ويسمى واحدهم قبطان بك والدفتردار واميرالحج واميرالخزنة وحكمداريو او مدير بوالمدبريات الخمس الآتي ذكرها وهي جرجا والبحيرة والمنوفية والغربية والشرقية . ولم يكن لغير الكخيا والدفتردار وامير الحج الحق في دخول الديوان فالدفتردار كان عليه ضبط الحسابات وحفظ الدفاتر والسجلات ولا ينفذ امرٌ بيع عقار الا بعد توقيعهِ عليه اشارة الى تسجيلهِ في دفتريه . وامير الحج يحمل الهدايا والصدقات التي كانت ترسل من السلطان سنوياً الى مكة او المدينة وعليه حماية قافلة الحج ذهاباً وإياباً . واما امير الخزنة فيحمل القسم المخصص بالقسطنطينية من حاصلات مصر براً وعليه حماية وكانت مديريات القليوبية والمنصورة والجيزة والنيوم في عهده كشاف لا فرق بينهم وبين البكوات في النفوذ . ولا يعمل باقرار احدهم الا بعد مصادقة الشريحية وغيرهم من الوجاقليين الذين يتألف منهم ديوان خاص في كل مديرية

ثم ان تعيين كخيا الباشا وقباطين السويس ودمياط والاسكندرية متعلق رأساً بجمالة السلطان فيُرسلون من الاستانة ويستدعون اليها في آخر كل سنة . اما البكوات الآخريين فيعينهم الديوان وبوليهم الباشا ويشتمهم الباب العالي ومراكزهم ثابتة الا ان واجباتهم تنغير الا بالدفتردار . وقد ينتخب البكوات من وجاق المنفرقة ومتى انتخبوا لا يعودون تابعين لذلك الوجاق . وكان من ثم الباب العالي الانتباه الى السويس ودمياط

والاسكندرية على الخصوص لانها الابواب التي يدخل منها الى مصر فكان يرسل حاميتها رأساً من الاسنانة تحت قيادة القباطين ويجدها كل سنة وهؤلاء القباطين لم يكونوا يحسبون من جيوش مصر الا باعتبار اقامتهم فيها وبما ينالونه من الامدادات المالية لنفقاتهم . اما فيما خلا ذلك فكانوا يحسبون اجانب في اعنار الباشا وديوان مصر ولم يكونوا تحت اوامر البلاد في شيء فاول امرهم كانت ترد اليهم رأساً من ديوان الاسنانة

هذا من قبيل الادارة . اما من قبيل محصولات البلاد فان السلطان سليمان صرح بانّه المالك الحرّ لجميع ارض مصر فكانت له ملكاً وكان يفرقها اقطاعات على مزارعين كان يدعوم «الملتزمين» . على انه لم يكن له ان يمنع اقطاعها او يوقفه فلم يكن بالحقيقة فرق بين هذه الاقطاعات والملك الحقيقي . والفلاحون الذين كانوا يحرثون تلك الاراضي كانوا يتمتعون بنصيبهم منها ويورثونها لاعقابهم ولكنهم كانوا مجبورين على العمل فيها بدون حق التصرف بها وعليهم خراج لا مناص من دفعه للملتزمين فاذا توفي فلاح عن غير وريث تعطى ارضه للملتزم وهو يعد حرائثها الى من يشاء واذا مات الملتزم عن غير وريث تعود الارض للسلطان . وكان على كل من الملتزمين والنلاحين خراج يدفعونه اما نقداً واما عيناً فاذا تأخر الفلاح عن الدفع يمنع من نوال نصيبه واذا تأخر الملتزم تؤخذ الارض منه . ونظراً لانساع ارض مصر لم يكن ممكناً حصر املاك كل الملتزمين فلم يكن ممكناً تعيين مقدار خراجها فارسل السلطان سليمان مساحين مسحوا الاراضي المصرية فقسموا المديرية الى اقسام دعواها بالقرابط ومسحوا كلاً منها على حدة وحددوه

كل هذه النظمات الادارية والمالية اجراها السلطان سليمان بالتتابع بواسطة الباشوات الذين اقامهم على مصر مدة حكمهم وعددهم ١٤ . اولهم مصطفى باشا تولى بعد وفاة خيربك باشا في ذي الحجة سنة ١٢٦٦ هـ وبعد

تسعة اشهر و ٢ يوماً ابدل باحمد باشا وكان عدواً للصدر الاعظم ابراهيم باشا فاسر الصدر سنة ٩٢٠ هـ الى امراء القاهرة ان يقتلوه فلم هو بذلك فقبض على التحارير قبل ان نصل الى اصحابها ثم استدعاهم واعلمهم انها اوامر واردة من جلالة السلطان بقتلهم ولم يطلعهم عليها فابوا الاذعان الا ان اباءهم لم يمنع قتلهم . ولما تأكد انه صار في مأمن من المناوئين صرح باستقلاله وامران يخطف له وان تضرب النقود باسمه وبالغ بالعسف والفجور فاخذت ممتلكات البعض وحبس البعض فنارت الافكار عليه حتى اصبحت حياته في خطر . وبينما كان ذات يوم في الحمام فاجأه اميران من امراءه كان قد امر بسجنها وهما جهم الحمزاوي ومحمود بك فكسرا باب السجن وخرجا رافعين العلم الشاهاني يستنصران الناس حتى اتيا الحمام فعلم الباشا بذلك ففر من السطح والتجأ الى احد مشايخ عربان الشرقية واسمه ابن بقر فرفعته اعداؤه حتى ادركوه وقطعوا رأسه وعلقوه على باب زويلة ثم نقل الى الاستانة سنة ٩٢١ هـ . فارسل السلطان عوضاً عنه قاسم باشا مصمماً على تقصير مدته بولاء الولاة لئلا يشور في خواطرهم حب الاستقلال فبعد تسعة اشهر و ١٤ يوماً استبدله ابراهيم باشا وكان نشيطاً محباً للاصلاح والنظام الا ان قصر مدته لم تمكنه من انعام ما كان شارعاً فيه من تنظيم الضابطة فعزل واقيم بدلا منه سليمان باشا سنة ٩٢٢ هـ . وكان السلطان راضياً عن هذا الباشا واثناً فيه فابقاه في الحكم مدة تسع سنوات و ١١ شهراً وفي سنة ٩٤١ هـ استقدمه الى الاستانة لیسلمه قيادة حملة اعداها لمحاربة الفرس والهند . وقد اقام في مدة حكمه بنايات كثيرة من جملتها جامع سارية او شارية في القلعة . وناب عنه في مدة غيابه خسرو باشا نحو سنة وعشرة اشهر فعاد سليمان باشا الى مصر وبقي عليها بعد ذلك نحو سنة وخمسة اشهر وفي سنة ٩٤٥ هـ عهدت باشوية مصر الى داود باشا فبقي عليها ١١ سنة و ٨ اشهر وكان رجلاً مستقيماً كريماً الاخلاق محباً للعلماء آخذاً بناصرهم

كُلِّفَ بالمطالعة وعلى نوع خاص مطالعة المؤلفات العربية فجمع منها عدداً وافراً واستنسخ كل ما ظفر به من الكتب غير المطبوعة فجمع مكتبة جميلة جداً . وكانت الاهالي في مدة حكمه في مجبوحه السعادة والامن ونوفي في القاهرة سنة ٩٥٦ هـ فتولّى مكانه على باشا وهذا ريم وبني عدة بنايات عمومية في القاهرة وفي فوه ورشيد واقندى به غيره من بكوات مصر فجعلوا يشيدون الجوامع منها الجامع الذي ابتناه عيسى بك في دبروط . وكان علي باشا محبوباً مكرماً من المصريين يعتبرونه بمنزلة الاب لكنه رغباً عن ذلك لم يحكم الا اربع سنوات وستة اشهر . ففي سنة ٩٦١ هـ تولى باشوية مصر محمد باشا وكان مبغوضاً من الناس فلم يحكم الا ثلاث سنوات ولما زاد التشكي منه عزل واستقدم الى الاسنانة للمحاكمة فحكم عليه بالقتل سنة ٩٦٢ هـ

وبعد محمد باشا تولى اسكندر باشا فحكم ٢ سنوات و ٢ اشهر ونصف وفي سنة ٩٦٨ هـ تولى علي باشا الخادم . وبعد ١٧ شهراً تولى مكانه مصطفى باشا (الثاني) في سنة ٩٦٩ هـ ثم في سنة ٩٧١ هـ تولاها علي باشا الصوفي مدة سنتين و ٢ اشهر . وكان علي الصوفي قبلاً حاكماً في بغداد مشهوراً فيها باعوجاج الاحكام والخيانة فلما تولى مصر كثرت فيها السرقات والتعديبات حتى غصّت ضواحي القاهرة باللصوص واخترفت فئة منهم المدينة حتى الجامع الابيض فاضطرت الحكومة ان تقيم سوراً من قنطرة الحاجب الى هذا الجامع منعاً لمثل ذلك

وفي شوال سنة ٩٧٢ هـ استبدل علي باشا الصوفي بمحمود باشا وهو آخر من تولى مصر في ايام السلطان سليمان فجاء من الاسنانة بموكب عظيم فأهدي اليه اثناء مروره من الاسكندرية الى القاهرة هدايا عظيمة . فلما وصل القاهرة لاقاه الامير محمد بن عمر متولي الصعيد على قارب فيو جميع انواع الهدايا وخمسون الف دينار فأخذ الباشا الهدايا منه وأمر بخفيه حال خروجه من مجلسه وأمر ايضاً بختن القاضي يوسف العبادي لانه

لم يأت ملاقاته ولم يهد شئاً واستمر على هذا الاستبداد حتى قتل معظم اعيان القاهرة فكان لا يرأى الا مصحوباً بالشوباشي (رئيس الجلادين) فاذا مرّ باحدٍ واراد قتله اشار بيده الى الشوباشي فيبعد حالاً الى ذلك السبي الطالع فيعدمه الحياة باسرع من لمح البصر

وفي ٢ رجب سنة ٩٧٤ هـ توفي الامير ابراهيم الدفتردار وكان اميراً للحج فاستولى محمود باشا على كل ما ترك من المال والمالِك والجواري وجملة ذلك مائة الف دينار ضمها الى المال الذي يرسل الى الاستانة سنوياً وبعث معها هدايا ثمينة للسلطان ووزرائه استجلاً بالخطايرم لكنه لم يتنفع من ذلك قبل ان قتل في يوم الاربعاء غاية جمادى الاولى سنة ٩٧٥ هـ بينما كان ماراً في موكبهِ الاعنيادي بين البساتين ولم تقف الحكومة على الفاتل فاتهمت اثنين من النلاحين وقتلتهما ظملاً لانهما وجدا بقرب مكان القتل . وكان السلطان سليمان الثاني قد توفي قبل ذلك بسنة (صفر سنة ٩٧٤ هـ) وسنة ٧٤ سنة ومدة حكمه ٤٨ فتولى بعده ابنه سليم شاه (سليم الثاني) في ٩ ربيع اول من تلك السنة

وترى في الشكل ٦٦ نقود السلطان سليمان الثاني ضربت في القسطنطينية



سنة ٩٢٦ هـ . وما يحسن التنبيه اليه ان سلاطين آل عثمان لا يؤرخون نقودهم الا بسنة جلوسهم على السلطنة

وليس بسنة ضربها ش ٦٦ نقود السلطان سليمان الثاني

سلطنة سليم بن سليمان

من سنة ٩٧٤ - ٩٨٢ هـ او من ١٥٦٦ - ١٥٧٤ م

فلما بلغ السلطان سليم شاه موت محمود باشا امر بنقل سنان باشا

من باشوية حلب الى باشوية مصر وبعد وصوله اليها بتسعة اشهر انتقل
لحاربة اليمن فسار سنان من مصر في ٤ شوال سنة ٩٧٦ هـ مصحوباً بجمعة
بك وماي بك وغيرها من امراء مصر واستخلف على مصر اسكندر باشا
الشركسي ومكث سنان باشا في تلك الحملة سنتين و ٤ اشهر ففزع اليمن
وعاد ظافراً الى مصر فرأى الاحوال هادئة والنظام مستتباً بدراية اسكندر
باشا المذكور لانه كان حكيماً محباً للريعية فرفع الضرائب عن الفقراء
والعاجزين والقسم الاعظم من طلبة العلم لانه كان شديد التعلق بالعلم
وذويه فلما عاد سينان باشا الى مصر (اول صفر سنة ٩٧٩ هـ) عادت
احكامها الي يده فاهتم بتأييد النظام وحفظ رونق البلاد فاعاد حفر
ترعة الاسكندرية ورّم وبني فيها جامعاً وشارعاً وعدة حمامات . وبني في
بولاق بمصر شارعاً ووكالات وجامعاً لا يزال معروفاً باسمه . وما زال
على مصر الى ذي الحجة سنة ٩٨٠ هـ فخلفه حسين باشا وكان على جانب
من اللطف والدعة وحب العلم والادب ولا يعاب الا لكثرة حلمه الامر
الذي آل الى تكاثر اللصوص في ايامه ولم يحكم الا سنة وتسعة اشهر . وفي
ايامه توفي السلطان سليم شاه (سليم الثاني) في ٢٨ شعبان سنة ٩٨٢ هـ
بعد ان حكم ثمانين سنة وخمسة اشهر و ١٩ يوماً

وترى في الشكل ٦٧ صورة نفود



السلطان سليم الثاني مضروبة في
حلب بتاريخ سنة ٩٧٤ هـ

ش ٦٧ نفود السلطان سليم الثاني

سلطنة مراد بن سليم

من سنة ٩٨٢ - ١٠٠٢ هـ او من ١٥٧٤ - ١٥٩٤ م

وفي ١٠ رمضان ببيع ابنة مراد خان (مراد الثالث) و حال جلوسه على كرسي السلطنة ولّى على مصر بدلاً من حسين باشا مسيح باشا وكان خزنداراً عند السلطان سليم الثاني فحكم في مصر خمس سنوات وخمسة اشهر ونصف وجه اهتمامه خصوصاً الى ابطال السرقات والتعديات فكان يقبض على اللصوص ويقتلهم بدون شفقة حتى بلغ عدد من قتل من اللصوص عشرة آلاف فارتاحت البلاد من شرورهم . ثم عكف على اصلاح شؤون الرعية وكان نزيهاً لا يقبل الرشوة ولا الهدية . ومن آثاره مسجد عظيم في ضواحي القرافة لا يزال يعرف باسمه . وقد بناء على اسم الشيخ نور الدين القرافي وجعله له ونسله ملكاً حراً وخصص دخلاً معلوماً للنفقة عليه . وامر مسيح باشا ان تستهل الاوامر والكتابات الرسمية والاحكام بهذه العبارة « الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا وآل وصحبه ان المؤمنين اخوة فاحفظوا السلام بين اخوتكم واتقوا الله »

وفي سنة ٩٨٨ هـ ولّى مصر حسن باشا الخادم خزندار السلطان مراد الثالث فلم يكن همه الا جمع الاموال باي وسيلة كانت واعادة ما كان حظره سابقه من الرشوة والهدايا . فبقي على ولاية مصر سنتين وعشرة اشهر ولما عزل عنها سار من القاهرة خفية وطلع من باب المقابر لئلا ينتقم منه الاهالي . وفي سنة ٩٩١ هـ ولّى مكانه ابراهيم باشا فاخذ يستطلع ويغري ما اتاه سابقه من الاختلاس فجعل في جامع السلطان فرج بن برفوق مأوراً خصوصاً لاستماع تشكيات المتظلمين على الوالي السابق من . ارجب من تلك السنة الى غاية رمضان فاطلع على مظالم لا تحصى من

جملتها ١٠٠٤٤٢ اردب قمع من الشون العمومية باعها حسن باشا واستولى على قيمتها فرفع ابراهيم باشا تقريراً مدققاً بشأن ذلك الى السلطان فامر بقتله خفياً . ثم طاف ابراهيم باشا بنفسه يتفقد احوال المديریات ويتحقق حالتها وزار ايضاً آبار امرود في الصحراء ورسم بعضها . وفي عودته الى القاهرة استقال من منصبه سنة ٩٩٢ هـ وتولى مكانه سنان باشا الثاني وكان دفتداراً وبعد ستة اشهر وعشرين يوماً بارح مصر هارباً وسبب ذلك انه ساء التصرف فاشتكاؤه الناس الى الاستانة فجاء عويس باشا الى مصر ليتحرى امر تلك الشكايات فحالما علم سنان بمجيء عويس فرَّ هارباً

فتولى عويس حكومة مصر سنة ٩٩٤ هـ وكان رجلاً صارماً في الاحكام وكان في اول امره قاضياً ثم صار دفتداراً في الروملي ثم نقل الى باشوية مصر كما تقدم وبقي عليها خمس سنوات وخمسة اشهر وعشرة ايام واراد ان يعيد تعليم الجنود فعصوه وهجموا عليه في الديوان في ٢٨ شوال سنة ٩٩٧ هـ واهانوه ونهبوا بيته وفي جملة ما نهبوا منه ساعة كبيرة تعرف منها الايام . ثم ذبحوا الامير عثمان قائد وجاهق الجاويشية واخربوا بيت قاضي العسكر وقتلوا قاضيه من قضاة مصر ثم عمدوا الى الخوانيت فنهبوها كل ذلك والامراء لا يستطيعون منعهم والاضطراب يزداد اشكالاً والناثرون نمرذاً وقد حاول الدفتدار ايقافهم عند حدهم فذهب سبعة باطلاً . ثم ظن عويس باشا انه اذا جاءهم بالحسنى ربما يلينون . فبعث الى القضاة ان لا يخالفوا لم امرأ فلم يزدحم ذلك الاعناداً وفجوراً حتى انهم قبضوا على اولاد الباشا رهناً لما يريدون فاضطر الباشا الى الاذعان لكل ما ارادوه واعطاهم كل ما طلبوه واستقال من تلك الولاية بعد ان مل من خيبة مساعيه المحببة فيها . فتولى مكانه حافظ احمد باشا الملقب بالخدام سنة ٩٩٩ هـ وكان حاكماً في قبرص وعلى جانب عظيم من حب

في سائر انحاء القطر المصري . ثم اجتمع العصاة الى القاهرة وكان السيد محمد باشا اذ ذاك في منزله في بركة الجيزة فعاد الى القاهرة تحف به السناجق وزمرة من الغفر فلم يبال العصاة بذلك بل اطلقوا عليه النار ولم يتخلص من ايديهم الا بعد شق الانفس . فسار الى احد منازل فتبعوه وحاصروه هناك ليلاً ونهاراً والحوا عليه ان يسلمهم بعضاً من ضباطه وفي حيلهم دالى محمد احد كبار الامراء والامير جلاد الشوباسي والامير خضر كاشف المنصورة فطلب اليهم ان يعطوه مهلة ثلاثة ايام . فلما جاءهم رسوله قالوا له « سيحكم الله بيننا وبين سيدك » وتفرقوا في المدينة فظفروا بقاضي العسكر عبد الراؤف عزب الزادين فاجبروه على القيام بمطالبتهم . اما الباشا فاغتم فرصة اشتغالهم بذلك الشأن وفر من منزله ودخل القلعة وقتل ابوابها ورائه ملتجئاً الى حسن باشا السكراني قائد عموم الجيش ويبري بك امير الحج فحاولوا تسكين الثورة فذهب سعيها عبثاً . ثم علما ان العصاة قتلوا الامير محمد بك والدالي محمد وعلقوا راسيها على باب زويلة ونهبوا بيوتها وانحوا في الناس قتلاً ونهباً

وفي ١٧ اذي الحجة سنة ١٠٠٦ هـ ابدل السيد محمد باشا بخضر باشا فحكم ثلاث سنوات و١٢ يوماً وقد اغضب الاهالي منذ وصوله القاهرة لانه امر بقطع جميع العطايات التي كانت توزع على العلماء والنفراء من الخطة ولم يقتصر على الابقاء بهؤلاء الضعفاء فقط بل تجاوزهم الى الضابطه فاحرمهم من زادهم فتجهروا في ٢٠ رمضان سنة ١٠٠٩ هـ وساروا الى قاضي العسكر . ثم اتحدوا جميعاً والقاضي في مقدمتهم وتوجهوا الى الديوان يريدون الانتقام فقتلوا كتحيا الباشا وامراء آخرين فخاف الباشا فسلم لهم بكل ما كانوا يطلبون واعاد لهم العطايات كما شاءوا فحمدت الثورة وعادت المياه الى مجاريها . الا ان الباشا لم يلبث هنيهة حتى جاءه الامر بالاقالة فاستقال وولي مكانه الوزير علي باشا السلحدار وكان شجاعاً محباً للحرب

العلم وطالبه حاذقاً مدرباً في امور الاحكام . وكان رفوقاً بالاھالي ففرق
الحسنات على المحجاج الفقراء . وابتنى في
بولاق وكالتين وعدة فيسريات وعدة
بيوت وخصص ربع دخلها العمل الخيري وبقي



حاكماً في مصر ٤ سنوات ش ٦٨ نقود السلطان مراد بن سليم



وترى في الشككين ٦٨ و ٦٩ صورة
نقود السلطان مراد بن سليم مضروبة
في القاهرة بتاريخ سنة ٩٨٢ هـ

ش ٦٩ نقود السلطان مراد بن سليم

سلطنة محمد بن مراد

من سنة ١٠٠٢ - ١٠١٢ هـ او من ١٥٩٤ - ١٦٠٢ م

وفي ١٧ رمضان سنة ١٠٠٢ هـ تولى الخلافة في الاستانة السلطان

محمد بن مراد (محمد الثالث) عوضاً عن ابيه مراد الثالث

فولى على مصر قورط باشا فلم يبق فيها الا سنة وغثاية ايام
وكان محبوباً من الالھالي نظراً للطفه ودعته وتنشيطه لطالبي الادب
ومساعدته للفقراء ولكل من يلجئ اليه . وفي شوال سنة ١٠٠٤ هـ اُبدل
بالسيد محمد باشا وبقي على الحكومة سنتين اتبع اثناءها خطة اسلافه في
في محبة العلم والادب وتنشيطها فاعاد بناء الجامع الازهر وجعل فيه
توزيعاً يومياً من العدس المطبوخ على الطلبة الفقراء ورسم ايضاً المشهد
الحسيني . ومع كل ما كان يتوخاه من السعي في حفظ النظام بين الالھالي
لم يمكنه اكفاءهم شر ثورة عسكرية انتشبت في غرة رجب سنة ١٠٠٦ هـ

ولذلك كان بكرم الجند على الخصوص ألا أنه كان سفكاً للدماء فظلم
الاهالي من قساوته . ولم يكن يخرج في موكله الى المدينة او ضواحيها إلا
وبيت على الأقل عشرة اشخاص تحت اقدام جواده فكان الناس يرتعدون
خوفاً عند ذكر اسمه ورافق كل ذلك جوع عظيم فكثرت الوفيات وعم
الخراب فازداد الرعب حتى امر الباشا ان تدفن الموتى سرّاً اما هو فترك
القاهرة فراراً من تلك العائلة مستخلفاً عليها بيبري بك وبعد يسير توفي
هذا فانتخب السناجق الامير عثمان بك ليقوم مقامه وبقي هذا حتى عين



الباب العالي بدلاً من علي باشا وكان
ذلك التغيير بسبب وفاة السلطان
محمد الثالث في ١٦ رجب سنة
١٠١٢ هـ وترى في الشكلى ٧٠ و ٧١

ش ٧٠ نفود السلطان محمد بن مراد ضربت في القاهرة



صورة نفود السلطان محمد بن مراد
الاولى مضروبة في القاهرة والثانية
في دمشق

ش ٧١ نفود السلطان محمد بن مراد مضروبة في دمشق

سلطنة احمد بن محمد

من سنة ١٠١٢ - ١٠٢٦ هـ او من ١٦٠٢ - ١٦١٧ م

فنصب ابنه احمد بن محمد (احمد الاول) فولّى على مصر ابراهيم
باشا . فحكم فيها مدة قصيرة انتهت بخطب جسم وذلك انه منذ وضوله اليها
نوى على ابطال طلبات الجند ولما سعى الى انفاذ ما نواه زادت الجنود
تمرداً وعصياناً . وفي ٢٩ ربيع آخر سنة ١٠١٢ هـ علموا ان الباشا

خرج من القاهرة في زمرة من رجاله وركب في النيل الى بولاق قاصداً
 شورا قرب جسر ابي النجا . فاجتمعوا في ضواحي القرافة وتحالفوا بالايمان
 العظيمة على قتله . وفي الصباح التالي جاؤا وعسكروا في بولاق
 منتظرين عوده . ثم قاموا من هناك على نية مهاجمة في قلعة الدولاب
 وكانوا قد علموا بالتجاءؤ اليها . فلما عرف هو ومن معه من السناجق بقدم
 تلك العصابة تشاوروا فيما بينهم فنصح له السناجق ان يسافر بجرأ قبل
 ان يصل اليه ضيمٌ فلم يصغُ لهم لانه تشدد بمن معه من الجاويشية والمتفرقة
 ثم جاءت الجنود الثائرة واحاطوا بالقلعة ثم بعثوا من بينهم ١٥
 شخصاً ليأتوا برأس الباشا فدخل هؤلاء القلعة والسيوف في ايديهم الى ان
 جاءوا مجلسه فانتهرهم قائلاً « ماذا تريدون مني الم تستولوا على
 مرتباتكم والانعام التي تعطى اعبيادياً عند اول تولية الحكم عليكم فماذا
 تطلبون اذاً » فاجابوه « لا نطلب منك شيئاً الا رأسك » قالوا هذا
 وضربة احدثهم صنفاً على وجهه وادركه الباقون بالطعن مراراً .
 ثم عمد احدثهم الى رأسه فقطعه فناداهم الامير محمد بن خسرو منتهراً
 وموجهاً على ما جاءوا به من القحة فلم يجيبوه الا بما اجابوا ذاك واخذوا راسي
 الاثنين وعادوا بهما الى ارفاقهما حول القلعة . ثم حملوها جميعاً وداروا بهما
 في شوارع المدينة ثم علقوها على باب زويلة الذي كان قد تعود مثل
 هذه الاكاليل . وفي ذلك اليوم وثوا عليهم عثمان بك فلم يقبل فولوا
 قاضي العسكر مصطفى افندي . فلما علم ديوان الاستانة بقتل ابراهيم باشا
 ارسل عوضاً عنه الوزير محمد باشا الكورجي الملقب بالخدام . وحال
 وصوله القاهرة وردت الاوامر الصارمة من الباب العالي موجهة الى جميع
 السناجق بان يستطلعوا اصل الثورة واسبابها ويقضوا على زعمائها .
 فاجتمع في الحال السناجق والقسم الاعظم من الجيش في قرا ميدان وكان
 الباشا في القلعة فبعث يستقدم السناجق اليه ليلبغهم هذه الاوامر رسمياً

فرفضوا المثل بين يديه فتواسط الامراء ووعدوا السناجق انهم اذا سلموا
القاتلين ينجون هم وينالون العفو العام فقبلوا وسلموا القاتلين الى الباشا
فامر بقطع اعناقهم بين يديه حالاً واطلق السناجق . فهاب الناثرون
وضعف عزيمهم ولا سيما لما رأوا من محمد باشا الاتباه الكلي لحفظ النظام
ومعاقبة المعتدين المعاقبة الصارمة حتى قتل منهم نحواً من مائتي رجل في
مدة حكمه القصيرة التي لم تدم أكثر من سبعة اشهر وتسعة ايام

فتولى بعده الوزير حسن باشا وكان اقل صرامة من سلفه وكان
يعامل المجد بالحسنى وكان ابنه فيهم برتبة بيلربك وكانت الاحوال
هادئة جداً في اثناء حكمه . ثم تولى بعده الوزير محمد باشا وذلك في ٧
صفر سنة ١٠١٦ هـ وبقي على حكومة مصر اربع سنوات واربعة اشهر
و ١٢ يوماً وكان رجلاً حكيمًا حازماً اخذ منذ وصوله القاهرة في المحافظة
على السلام فنجى الاهالي من كل ما كان يكدر راحتهم فاكسب ثقتهم
ومحبهم الا انه لم ينج من الحساد وذوي الاغراض

وفي اواخر شوال من السنة التالية ثارت عليه الجيوش واجتمعوا
في برج سيد احمد البدوي وتحالفوا ان لا يوافقوا على الغاء الضرائب
غير العادلة التي كانت مضروبة على الفطر الى ذلك العهد . ثم اخناروا
من بينهم رئيساً ولوه عليهم سلطاناً بايعاز الوزراء ونفاسموا مصر الى اقسام
تولى كل واحد منهم اثاره الشعب والنهب في قسم منها فانتشرت تعدياتهم
في جميع الدلتا . فلما علم محمد باشا بذلك جمع السناجق والجاويشية
والمتفرقة وسار بها تحت قيادته لردع العصاة في ٩ ذي الحجة سنة ١٠١٧ هـ
واخذ معه ستة مدافع وانضم اليه عدة من مشايخ قبائل العرب وفي الليلة
التالية عسكر الجميع في بركة الحج . وفي الصباح التالي هاجموا العصاة في
الخانكاه فضيقت عليهم بالنيران فاضطر اولئك الى التسليم فاخذ عليهم
الباشا عهداً اولها ان يسلموا اليه سلطانهم وكبار رؤسائهم ووعدهم بمقابلة

لذلك بالتأمين على حياتهم فقبلوا وسلموا الروساء وعددهم نحو ٧٧ فامر
 وقتلهم حالاً . ثم جرّد الباقين من سلاحهم فتنفروا فتعقبهم رجال الباشا
 قتلوا كل من ظفروا به منهم . فلما رأى قاضي العسكر محمد افندي
 الملفت ببخشي زادة ما كان يحصل من مثل هذه المذابح يومياً نصح للباشا ان
 ينفي كل من يقبض عليه من بعد ذلك الى اليمن ففعل وكانت النتيجة
 حسنة وبطلت التعديات

ولما ارتاح محمد باشا من تلك الثورات أخذ في اصلاح الادارة المالية
 فتفحص بنفسه النفقات التي كانت تدفع من الخزينة وبطل منها على سبيل
 الوفرة كلها لم يكن ضرورياً ثم نظر الى الضرائب فمنع اتباع طريقة المالك
 الشراكسة فيها واتبع القوانين التي أصدرت سنة ٩٢٢ هـ تحت سلطة السلطان
 سليمان ثم نظم المكوس وعدّها ولم يكن يكلف نفساً الاّ وسعها فاذا رأى
 ارضاً لا تقوى على القيام بما فرض عليها من المكوس تنازل لها عنه
 وساعدها في احياء خصبها . ولما بارح مصر نال من المكافآت والانعامات
 ما لم ينله احد من اسلافه في مصر . وتولى بعده محمد باشا الملفت بالصوفي
 وكان يحب العلماء ورجال الفضيلة وكان ورعاً حليماً عفيفاً لم يقبل رشوة
 ولم يأت ظمناً الاّ انه كان ملوماً لزيادة ضعفه بما يتعلق بمحبوه يوسف
 الذي كثيراً ما تعدى حدوده

وفي سنة ١٠٢٢ هـ ارسل الصدر الاعظم عشرة آلاف جندي الى
 اليمن لاختاد ما كان نائراً من الشغب هناك وارسلت الفرقة المذكورة
 عن طريق مصر مرفوقة بامر سام الى الباشا بدفع النفود اللازمة لها
 وتشجيع الحملة الى اليمن فلما وصلت الجيوش الى مصر وعلموا بما ورد من
 الاوامر بشانهم ادعوا انهم انما جاؤا ليقبوا في مصر ولم يدعوا لوامر
 الباشا بالسفر فاتخذوا لهم منازل في مخازن باب النصر وبعض بيوت
 الاهالي بعد ان طردوا اصحابها منها فاجتهد الباشا ان يحملهم على التسليم

بالاوامر الواردة اليه بشأنهم فذهب سعيه باطلاً واقاموا لهم متاريس في ابواب الحارة وقتلوا باب النصر واقاموا المدافع في برجيه فاضطر الباشا لحاصرتهم بكل ما لديه من الوجاقات والمدافع فتمكن الامير عابدين بك من الدخول الى حصنهم من مدخل في المدرسة المدعوة بالجانبلاطية فخاف العصاة وسلموا ففرق فيهم الباشا نحو ثمانين كيساً وسافروا من المدينة

وبعد يسير عزل محمد باشا الصوفي فاعتزل في قبة العدلية ولم يبارحها الا بعد ان علم بوصول خلفه احمد باشا دفتردار مصر سابقاً الى الاسكندرية ثم جاء القاهرة ودخلها بموكب حافل وبينما هو بمخفله في المدينة رماه احد الناس بحجر من على سطح احد البيوت فكسر الهلال الذي كان فوق عمامته ولم يضربه فأمسك الناعل فاعترف بذنبه فقتل في المكان عينه وفي محرم سنة ١٠٢٥ هـ ورد الى الباشا المذكور امر من الاسنانة ان يرسل الثامن جنود مصر لتتضم الى الجيش العثماني الذاهب لمحاربة الفرس فارسلهم تحت قيادة صالح بك امير الحج فساروا على اتم نظام ومروا بالمديريات ولم يشعر الاهالي بمرورهم مع انه لم يكن يتيسر قبل ذلك مرور مائة رجل بمقاطعة واحدة ما لم ينهبوها . وذلك لما كان لهذا الباشا من النوذ وما اقام في مصر من النظام واعطاء الجيوش حقهم من المرتبات . فالتفت هذه الفرقة بالجيش العثماني في الخانكاه وانضمت اليه وعند ما ودع الباشا عساكره فرق فيهم المال فاصاب الواحد منهم ٢٠ ديناراً على الاقل وكانت مدة حكم احمد باشا سنتين وعشرة اشهر واثنا عشر يوماً لم يقتل اثناءها اكثر من عشرة اشخاص جأوا اموراً استوجبوا من اجلها القتل ولم يكن يحكم على احد الا بعد التحري الدقيق واستماع تقارير الدعوى من الطرفين

سلطنة مصطفى بن محمد ثم عثمان بن احمد ثم مصطفى

بن محمد ثانية

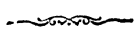
من سنة ١٠٢٦ - ١٠٢٢ هـ او من ١٦١٧ - ١٦٢٢ م

وفي يوم الاربعاء في ٢٢ ذي القعدة سنة ١٠٢٦ هـ توفي السلطان احمد الاول وتولى بعده اخوه السلطان مصطفى الاول وعند توليته استبدل احمد باشا بمصطفى باشا الفغلي الا ان السلطان مصطفى لم يمكث على كرسي السلطنة الا ثلاثة اشهر وثمانية ايام . وفي يوم الاربعاء ٢ ربيع اول سنة ١٠٢٧ هـ عزل السلطان مصطفى وولى مكانه بالانتخاب ابن اخيه ابن النصر عثمان . اما الوزير مصطفى باشا فلم يبق على مصر بعد خلع السلطان الذي ولاه الا بضعة اشهر لانه جعل سيلاً لنفوذ ذويه في الاحكام فنشأت ثورة عسكرية في ٧ شوال سنة ١٠٢٧ هـ فقتل الثائرون عدد كبيراً من الامراء والاغوات وغيرهم من كبار المأمورين واضطر الباقون الى الفرار ولم يسكن الاضطراب الا بعزل مصطفى باشا بامر السلطان عثمان فتولى مكانه الوزير جعفر باشا وهذا لم تدم حكومته اكثر من خمسة اشهر ونصف وكان محباً للعلم والعلماء وكان يجمع اليه رجال الادب ويكرم مثوالم ولم يهتم كل تلك المدة الا بما فيه صالح البلاد وراحة العباد وحصل في ايامه وباء انتشر في مصر وقتك باهيا فتكاً ذريعاً من غاية ربيع اول سنة ١٠٢٨ هـ الى غاية جمادى الثانية من السنة المذكورة وقد لوحظ ان معظم من مات بهذا الوباء كانوا بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين من العمر وبلغت جملة من توفي بسببه ٦٢٥٠٠٠ نفس وتولى بعد جعفر باشا مصطفى باشا فقبض على مصطفى بك الملقب بالكليجي زعيم الثورة التي نشأت في ايام مصطفى باشا الفغلي وحكم عليه

بالاعدام فسرّ الاهالي لذلك لان مصطفى بك المذكور كان مصدرًا
لمتاعهم . الاّ ان ذلك السرور لم يلبث ان ظهر حتى اُبدل بالكدر لان
مصطفى باشا حاكمهم الجديد اضطهد تجّارهم اضطهادًا عنيفًا وضيق عليهم
مسالك رزقهم . فرفعوا نظلماتهم الى السلطان فنظر في دعواهم وانصفهم بعزل
ذلك الباشا وتولية حسين باشا . فبادر هذا الى ابطال جميع الضرائب غير
الاصولية التي كان قد ضربها سلفه . وفي ايامه ارتفع النيل ارتفاعا غير اعتيادي
فطاف على الارض بكثرة حتى يئس الناس من البقاء لنهاية ذلك الفيضان
فحصل بسبب ذلك ضيق عظيم عقبه طاعون شديد . ثم عُزل حسين باشا
واُسْتُعْدِم الى الاسطانة وقبل وصوله اليها خلع السلطان عثمان الثاني يوم
الخميس في ٨ رجب سنة ١٠٢١ هـ . وبويع مصطفى الاول الذي كان قبلة
اما الباشا المعزول فوصل الى الاسطانة في اسعد الاوقات له لان
اعراض السلطان السابق عنه كان داعيًا لرغبة السلطان الجديد في تقريبه
منه فانفتحت الاحزاب هناك فولّوا الصدارة العظمى . وكان عثمان الثاني
قبل فاته قد بعث الى مصر محمد باشا بدلًا من حسين باشا لكنه لم يصل
مصر الاّ بعد ان اُنْبِئ اهله بما كان يأتيه في الرومي يوم كان واليًا عليها
ما جعلهم ينفرون منه ويخشون من تصرفه ولحسن حظهم لم يبقَ بينهم الاّ
شهرين ونصف فلما تولى حسين باشا الصدارة العظمى عزله بامر السلطان
مصطفى الاول وولى ابراهيم باشا . وبقي هذا على مصر سنة وقد تمكن
بحسن سياسته وتدييره من استجلاب رضى الاهالي وثقتهم الاّ انه حصل في
ايامه ضيق عيش وغلت اسعار المأكولات جدًّا

ولما عزل ابراهيم باشا سافر الى الاسكندرية بحرًا خلافًا لما كانت
العادة عند من سبقوه على حكومة مصر فانهم كانوا اذا عُزلوا من مناصبهم
سافروا برًّا . وتولّى مكانه مصطفى باشا واستلم زمام الاحكام في ٢٢ رمضان
سنة ١٠٢٢ هـ فاتاه كعبة الديوان يشكون من تصرف سلفه وقالوا انه

مدبون للخزينة بمبلغ وافر فارسل في اثره بعض الجاويشية فالتقوا به
فنهدهم بالقتل اذا لم يعودوا عنه فحافوا وعادوا الى القاهرة فارسل الامير
صالح بك فادركه وقد نزل البحر عند الاسكندرية فاستدعاه ان يقف
فاجاب انه متوجه الى الاستانة فاذا كان عليه شيء يدفعه هناك الى
السلطان نفسه . قال ذلك ونشر الشراع فخرجت به السفينة فاطلقوا عليه
من طابية منارة الاسكندرية بعض الطلقات المدفعية فلم يبال بها



سلطنة مراد بن احمد

من سنة ١٠٢٢ - ١٠٤٩ هـ او من ١٦٢٢ - ١٦٤٠ م

وما زال حتى بلغ الاستانة فاذا بالسلطان مصطفى الاول قد خلع
وتولى مكانه السلطان مراد الرابع بن احمد ولذلك لم يتعرض احد لبراهيم
باشا ولم يهتم احد بقضيتو وبعد تولية مصطفى باشا بثلاثة اشهر . اي في
١٥ ذي الحجة ورد الى القاهرة خبر عزله وتولية علي باشا مكانه . فاجتمعت
الاجناد وساروا الى القائنقام عيسى بك يطلبون الاعطاءات التي توزع
عند تولية كل وال جديد فانتهرهم عيسى بك قائلاً « اني كل ثلاثة اشهر
تجددون هذه الطلبات » فاجابوه « وما المانع الم يغير مولانا السلطان
كل ثلاثة اشهر واليا علينا ألا يضر ذلك بصالح البلاد فاذا أراد ان
يولي كل يوم والياً نحن ايضاً كل يوم نطلب الاعطاءات الاعيادية التي
لنا » . فحاول القائنقام اقناعهم فلم ينجح ولم يزدحم ذلك الأعناداً وتهديداً
وصرخوا جميعهم بصوت واحد « نحن لا نرضى حاكماً آخر غير مصطفى
باشا وليرجع هذا الى حيث اتى » ثم قرأوا الفاتحة على محافظتهم لما
قالوه وان لا يحنث احد منهم بذلك وبناء عليه أعيد مصطفى باشا
الى مركزه

فلما رأى ان الحزب العسكري كله معه حرّر الى السلطان يطلب
ثبتيته وارفق الكتاب برسائل عديدة ممضية من علماء القاهرة ومشائخها
وقضاها وجميعهم يطالبون بثبتيته بصوت واحد . ثم بلغهم وصول علي باشا
الى الاسكندرية فبعثوا اليه وقد يبلغونه ان الجند والاهالي منتفون على
رفضه فجمع اليه الوفد والى اليهم كتباً كلها مدح واطناب للامراء
والجيوش فلما تليت تلك الرسائل على الجند لم يكن جوابهم الا اعادة ذلك
الوفد ثانية يعيدون مطالبهم الاولى فلما رأى ما كان من اصرارهم استشاط
غضباً وامر فقيض على ذلك الوفد وقيدوا الى سجن قلعة الاسكندرية
مغلولين فتأمروا مع جند الاسكندرية وكانوا من حزبهم فحلوا وثاقهم
وهجموا جميعاً على علي باشا وهدموا خيمته واجبروه على مبارحة الاسكندرية
فوراً فانزلوه في قارب مخصوص واخرجوه من المينا وكان الرجح ضده
فاعاده اليها ثانية فاطلق عليه الامير مصطفى من قلعة المنارة عدة طلقات
ثقت مركبة ثقباً لم تفرقها لكنها اخرجتها من المينا ولقب الامير مصطفى
من ذلك الحين بالطبعي

وفي ٢٠ ربيع آخر سنة ١٠٢٢ هـ جاء القاهرة كتاب محمول على
حماسة يفيد قرب وصول مندوب عثماني ناقل لبعض الاوامر السلطانية .
وبعد ايام وصل ذلك المندوب ودخل القاهرة وجمع اليه السناجق
والامراء وكبار المأمورين في الديوان وألبس مصطفى باشا الخلعة المرسلة
اليه من السلطان . ثم تلا عليهم فرمان بثبتيته على مصر

وفي السنة التالية زاد النيل زيادة غير اعتيادية فبلغ ٢٤ ذراعاً
فغشي الاهالي ان لا تنخفض المياه عن اراضيهم في زمن يمكنهم فيه زراعتها .
لكنه اخذ في الهبوط بسرعة فانكشفت الارض وزاد خصبها ولم تك مصر
تجوع من الجوع حتى داهيها ما هو اصعب مراساً منه وهو الوباء فانه ظهر فيها
في اوائل ربيع أول سنة ١٠٢٥ هـ واخذ ينتشر في جميع انحاءها بسرعة

وفي شعبان من تلك السنة اخذ بالتناقص ولم ينقض الا في اوائل رمضان . قال بعضهم ان عدد الذين ماتوا بسبب هذا الوباء ثلاثمائة الف نفس . فاغنم الباشا من هذه الضربات فرصة لاختلاس اموال الناس فجعل نفسه وريثاً لكل من مات بالوباء من الاغبياء فاستولى على تركاتهم فتنظّم الورثاء الاصيلون منه الى الاستانة . ولا يخفى ان هذا الباشا لم يتوكل مصر الا رغماً عن ارادة الباب العالي فاغنم هذه الفرصة فعزل وولّى بيرام باشاً . وهذا حاكم مصطفى باشا وحكم عليه بدفع الاموال التي اخلاسها فباع كل ماله من المتاع والمقتنيات ودفع ما عليه . ولما عاد الى الاستانة (سنة ١٠٢٧ هـ) حكم عليه بالاعدام

ولا يخفى ان محاولة الجيوش والامراء عزل وتولية باشوات مصر بمجرد ارادتهم مخالف للنظام العمومي ولما وضعه السلطان سليم الناتج وما جعله لكل فئة من فئات مصر الحاكمة من الحدود . وقد اعتبرت موافقة الباب العالي على مطالب الامراء خرقاً للحدود السابقة . وعلى ما تقدم حصل ما حصل من التحويل في النواعد الاساسية التي سنّها السلطان سليم الاول منذ نحو قرن

وكان بيرام باشا محباً للعلم والعلماء لكنه كان اكثر حياءً لاهواز المال واقامة المشروعات المفيدة وتنشيط التجارة على انواعها لكنه اكثر من الضرائب عليها حتى على الصابون . وما فيما خلا ذلك فكان حازماً لم يترك للجند فرصة للتمرد فهدأت مصر في ايامه . ثم استدعي الى الاستانة وعيّن وزيراً في ديوانها وهذه هي المرة الثالثة لتعيينه في ذلك المنصب . فتولّى بعده الوزير محمد باشا فساس الامور بحكمة ودراية وكان محباً للحياة الانفرادية فلم يظهر في طرق القاهرة اثناء مدة حكمه التي هي نحو سنتين الا ست مرات . وانصل به ما حصل في اليمن من الشغب الناتج عن سوء السياسة مع القبائل البدوية فعرض على السلطان اخضاعها وتعهدها

بارسال فرقة من رجاله تحت قيادة قنسوبك امير الحج لهذه الغاية فاجابه السلطان الى ما طلب وولى قنسوبك على اليمن مع رتبة باشا وجعله ييلربك على الجيش . فانشأ قنسوبك جيشاً من ثلاثين الف مقاتل وقبض مبلغاً كبيراً ليدفع منه نفقات الحملة الا انه بعد ان قبضه توقف عن السفر وترك جيشه نفقة لمصر يسلبون وينهبون ويقتلون فتكأ في الاهالي وتعريضاً للمسافرين في طريقهم . ولحسن الحظ كان بين تلك الجيوش الف رجل من الرومي جاء الى المشاركة في تلك الحملة تحت قيادة الامير جعفر آغا فاخذوا تلك الثروة والزموا قنسوبك على المسير بهم الى اليمن في محرم سنة ١٠٣٩ هـ فسار وحارب وفاز وبعد سبعة اشهر من سفر تلك الحملة (في ١٩ شعبان) مرّ في مكة تيار من الماء فاغرق القسم الاعظم من ارضها حتى مقام الكعبة فهدم جميع بناؤها ولم يبق من جدرانها الا الايمن . فانصل ذلك بوالى مصر فاوصله للسلطان مراد الرابع فانفذ السلطان الى محمد باشا بعهد اليه ترميمها ففعل . فبلغت جميع النفقات على ما قاله بعضهم نحواً من مئة الف قرش (القرش يساوي اربع فرنكات تقريباً)

وفي سنة ١٠٤٠ هـ كان ارتفاع النيل قليلاً فجاء شهر توت ولم يبلغ ١٦ ذراعاً ولكن رغماً عن ذلك نقص فح الخليج وسيقت المياه قليلة الى الاراضي ولكن البلاد امنت من الجوع بتدبير محمد باشا . وفي هذه السنة استدعى محمد باشا الى الاستانة وقلده السلطان منصب الوزارة في الديوان الشاهاني مكافأة لحسن سياسته ودرايته . وتولّى مكانه في مصر الوزير موسى باشا وكان للاهلين في بادئ الرأي ثقة تامة فيه وكانوا بحبونه ويعتبرونه فانهم ساروا لملاقاته في شبرا الا انه لم يكذب يمكن قدمه حتى التى بنفسه الى هوى النفس من المطامع فاخذ في الاخلاص ظالماً والاستبداد بانفس العباد فامر بقتل اكبر رجال مصر بغير وجه حق

وجعل يراقب سير اغنيائها ويترصدهم تصرفاتهم لعلّه يأتى على طريقة للاستيلاء على ثرواتهم

وفي شعبان من تلك السنة بعث السلطان يطلب اليه اعداد حملة من جنده لمحاربة الفرس فجمعهم وجعل قيادتهم في عهدة قيطاس بك وضرب على البلاد ضرائب فاحشة تحت اسم اعانة حرية . ولما وصلت تلك المبالغ الى يده اوعز الى قيطاس بك ان مصر لا يمكنها تجريد مثل هذه الحملة لان ماله لا يسمح لها بدفع النفقات اللازمة فنصح له قيطاس ان يتبع الاستقامة فهي افضل له فذهبت جميع اقواله عبثاً . ثم اوحس موسى باشا خينة من قيطاس بك لانه اطلع على اعماله فاستدعاه الى القلعة في عيد الاضحى يوم الاربعاء في ٩ ذي الحجة وامر اربعين من رجاله ان يقتلوه ففعلوا . فلما رأى ذلك الاميران كنعان بك وعلي بك وقع الخوف في قلوبهم واسرعوا الى الجيوش فاعلموهم بما كان من امر قيطاس بك مع موسى باشا فاجتمعت العساكر حالاً في الرملة . واما السناجق والامراء والقضاة وكبار المأمورين فاجتمعوا في جامع السلطان حسن وتفاوضوا في الامر فاقروا على عزل موسى باشا وتولية من يقوم مقامه وقتياً لئلا يأتى امر الباب العالي بشأنه فخلعوه واقاموا حسن بك مكانه . فكتب موسى باشا الى السلطان يعلمه بما كان من تلك الثورة . اما رؤساؤها فكانوا قد رفعوا الى ديوان الاستانة كتيابين الواحد بالتركية ممضي من السناجق والاغوات وكبار ضباط العسكرية والآخر بالعربية ممضي من القضاة والمشايخ والعلماء يطلبون بصوت واحد خلع موسى باشا فاجابهم السلطان الى طلبهم فولى عليهم خليل باشا

وفي ربيع اول سنة ١٠٤١ هـ وصل خليل باشا الى مصر واستلم ازمته . وبعد يسير بلغه ان جماعة من اللصوص ثاروا تحت رئاسة احد الاشراف المدعونامي ونهبوا مكة فجمع جند القاهرة وارسلهم تحت قيادة

الامير قاسم بك لاختاد تلك الثورة فساروا وحاربوه وقتلوا زعماءهم وفي صفر سنة ١٠٤٢ هـ عاد قاسم بك بجيشه الى القاهرة ظافراً . واقبلت محصولات مصر تلك السنة وزاد خصيها وتضاعف ربعها وتزلت اسعار الحنطة من ثمانية غروش الاردب الى غرشين

وفي سنة ١٠٤٢ هـ استقال خليل باشا من حكومة مصر فخرج منها والناس يثنون عليه ثناء طيباً لانه كان عادلاً مع رفق فلم يكن يصدر حكمه الا بعد التروي بما يقوله الطرفان . وما يحكى عنه انه حي اليه يوماً بثلاثة لصوص قبض عليهم في حال اجراء المجناية فأمر أن يحاكموا فقال احد رجال ديوانه ان مثل هذه الحادثة لا تحتاج الى محاكمة لثبوت المجناية فعلاً فيجب اصدار الحكم رأياً بالاعدام . فلم يكن جواب الباشا الا الامر بهدم بيت ذلك الناصح فاستغرب الرجل ذلك وطلب السبب الموجب له فاجابه الباشا قائلاً « كيف يحق لك الاعتراض عليّ اذا امرت بهدم بيتك المبنى من حطام الدنيا ولا يحق لذلك الباني العظيم معارضتنا اذا هدمنا بنايته بغير وجه شرعي » ثم ابطل الامر بالهدم وامر باطلاق اللصوص . قال ابن ابي السرور ناقل هذه الحكاية ان اللصوص قتلوا بعد تلك الحادثة اهابة للباشا

وبعد استقاله خليل باشا من مصر عين على الرومي وولي على مصر الوزير احمد باشا الملقب بالأكورجي وكان قبلاً امير ياخور . وفي صفر سنة ١٠٤٢ هـ وردت له الاوامر الشاهانية ان يبعث الفين من العساكر المصرية الى سوريا مساعدة للحملة العثمانية على دروز لبنان مع خمسة آلاف قنطار من البنسائط واربعة آلاف قنطار من البارود . ثم وردت اوامراً اخرى بطلب التي رجل آخزين وثلاثة آلاف قنطار من البارود لحاربة الفرس . فرأى احمد باشا ان مصر لا تقوم بهذه الطلبات فاعتمر الى السلطان فبعث اليه ١٢ الف قنطار من النحاس ليسكبها نفوداً وطلب

اليه ان يبعث عوضاً عنها الى الاستانة ثلاثمائة الف محبوب^(١) فاخذ في سكب النحاس واعد لذلك عمالاً ومعاملاً . ثم رأى بعد حين ان جميع هذه الاجراءات ذاهبة عبثاً لان النعلة ملأوا من العمل ومات منهم كثيرون من الحر والجهد فجمع اليه ذوي شوره من الامراء وقضاة الاقسام والقرى واستشارهم . وكان من رأيه ان يدفع مطالبيب السلطان من ماله الخاص ثم يجعل النحاس سبائك صغيرة لتباع في بلاد السودان بين تكرر وبلاد الزنج . فارتأى احد القضاة رأياً آخر وهو ان يُجبر اهالي القاهرة على استلام هذا النحاس ودفع المبالغ المطلوبة . وان يفرق النحاس عليهم مقادير متناسبة لما يدفعون فوافق الجميع على ذلك واخذوا في تنفيذه في ١٦ ذي الحجة سنة ١٠٤٢ هـ ونموه في آخر شعبان من السنة التالية . وكان ذلك ثقلًا عظيمًا على كاهل المصريين لانه لم ينج من هذه الضريبة غني ولا فقير فقالت النفود وغلت الحبوب وسائر المأكولات غلاء فاحشاً وزاد في الطننور نعمة ان النيل في السنة التالية لم يكن وفاءً حسناً غير ان ذلك لم يمنع استغلال الارض غلة متوسطة

وبعد يسير استدعى احمد باشا الى الاستانة فسار وقد توقف عن دفع المبالغ التي جمعت للخرينة فرفع المصريون التقارير اللازمة بشأن ذلك متظاهرين فلما وصل الى الاستانة حكم عليه بالاعدام . وتولى مكانه الوزير حسين باشا فجاء مصر في زمة من رجاله الدروز قد التقطهم من كل ناد وكانوا من قاطعي السبل فجعلوا يسومون المصريين انواع

(١) كان من النفود الذهبية في مصر زرمحوب او محبوب ويقال له ايضاً سكوين وهو عبارة عن قطعة من المعاملة تساوي ٤٥ غرشاً مبرياً مصرياً او اقل قليلاً من اثنا عشر فرنكاً . نصفها يدعى نصف محبوب او نصف وربها يدعى ربع محبوب او ربع

العذاب نهياً وقتلاً فاضطربت الاحوال وقفلت الحوانيت ووقفت حركة الاعمال . وهذا اصل استقباح المصريين لكلمة « درزي » على ما يظن
وابطل حسين باشا حقوق الوراثة فكان اذا مات احد الاهالي استولى هو على تركته واحرم منها الذين تركهم الفقيد من الايتام والارامل او الثكالى واذا اراد احد الانتقام من عدو له لا ينجح الى اكثر من الوشاية به الى حسين باشا بانه غني وابن غني فيجعل الباشا في السجن فلا يخرج منه الا بالبدل الكثير . ولم يكن يمر يوم لا يطوف فيه حسين باشا في المدينة راكباً ولما تغيب الشمس قبل ان يقتل رجلاً او رجلين او اكثر وكان يخطر له احياناً ان يقتل كل من لاقاه في طريقه انساناً كان او حيواناً .
وقد حسب عدد الذين ذهبوا فريسة عنو هذا العاشم في مدة حكمه التي لم تتجاوز سنة و ١١ شهراً فبلغوا نحواً من الف ومائتي نفس فضلاً عما كان يقتلهم بيده . وقد كان له هبة في قلوب رجاله فاحب يوماً ان لا يشاركوه بالقتل والنهب فحظر عليهم ذلك فلم يعودوا يجسروا على اقل المخالفات فلم يعد يسمع بشيء من تعدياتهم

ثم عزل وتولى مكانه الوزير محمد باشا ابن احمد باشا وابن ابنة السلطان سليم الثاني . وفي شوال من سنة ١٠٤٧ هـ وردت اليه الاوامر ان يرسل الف وخمسمائة مقاتل لمساعدة الحملة العثمانية الى بغداد فارسل تلك الفرقة تحت قيادة امير الحج قنسو بك في محرم سنة ١٠٤٨ هـ فسارت ولم ترجع الى مصر الا بعد الاستيلاء على تلك المدينة في صفر سنة ١٠٤٩ هـ

وانبع هذا الباشا خطوات سلفه بالاخلاس والنهب فجمع ثروة عظيمة من تركات الامراء والعلماء المشهورين فقام عليه الورثة وبعد الاجتهاد تمكنوا من تحصيل نصف الاموال . وازداد ظمأً وعنوا حتى منع الصدقات التي كانت تدفع الى الارامل والايتام واخذها لنفسه فكثرت التظلمات

وتعددت العائلات المعسرة . وفي يوم الخميس ١٦ شوال سنة ١٠٤٩ هـ
توفي السلطان مراد الرابع

ونرى في شكل ٧٢ صورة



النقود الذهبية للسلطان مراد الرابع
ضربت في القاهرة سنة ١٠٢٢ هـ
وهي سنة توليه

ش ٧٢ نقود السلطان مراد الرابع بن احمد

سلطنة ابراهيم بن احمد

من سنة ١٠٤٩ - ١٠٥٨ هـ او من ١٦٤٠ - ١٦٤٨ م

فظن المصريون ان في تغيير السلطان منجاة لهم ما كانوا يكابدونه .
فبيع اخوه السلطان ابراهيم بن احمد وامر حالاً باستبدال محمد باشا
واحرمه من العطية التي كانت تعطى اعبياداً لحاكم مصر عند ما يستقيل
من منصبه . لكنه امر بعد ذلك بابقائه فعاد الى اعماله وازداد ظمناً
وعتقاً ففتك بالناس فتكاً ذريعاً لم يبق ولم يذر

ثم استبدل محمد باشا بمصطفى باشا الملقب بالبستانجي^(١) وكان ابي
النس على نوع ما الا ان كاتبه احمد افندي كان عاتياً غشوماً وكانت
بيده ازمة الاحكام فاستبد بها ما كرهه المصريون بالحياة وانتق في ايامه
نقصير النيل فازدادت الاثقال بغلاء الحبوب . ولم يكن الباشا يتدخل
في الاحكام على الاطلاق فكثرت السرقات حتى لم ينجح من احياء القاهرة
من النهب واضطر معظم الاهالي الى مهاجرة بيوتهم وكان رئيس الضابطة

(١) هو لقب لفرقة عظيمة من الجنود العثمانية برأسها رئيس يعرف
بالبستانجي باشي وهو من اعظم وزراء الدولة

اذا جيئ اليه ببعض اللصوص لا تغيب عليهم الشمس في السجن ومثل ذلك كان يفعل الكشاف (حكام الاقاليم) فتواترت الشكايات الى الباشا فاضطر الى عزل رئيس الضابطنة وتولية آخر اسمه كنعان بك فاهتم هذا بالقبض على اللصوص فسجن عدداً كبيراً منهم

وفي شوال سنة ١٠٥١ هـ ثارت الجهادية وجاهر الجاويشيون على رئيسهم الامير علي بدعوى انه لا يفرق الاعطيات الا على كتيبه فاضطر الباشا الى عزله وتولية عابدين بك في مكانه . فلما رأى باقي الجيش ما كان من فوز الثثة الثائرة ثاروا جميعاً وادعوا ان مخازن الحبوب فارغة وطلبوا معاشاتهم المتأخرة منذ سنة . فعين لهم محمد افندي قاضي العسكر لغري دعواهم فتنفذ مخازن الحبوب فراها حقيقة فارغة وان ما كان فيها قد باعه الكاتب واخفى ثمنه فاضطر الباشا مراعاة لطلب الجمهور ان يتغلى عن كاتبه رغماً عن حبه له فاستجد الجاويشية فانجدوه واعادوه الى مركزه فازداد تمرداً وبالغ في الانتقام . ثم استقال مصطفى باشا وتولى الوزير مقصود باشا وكان والياً على ديار بكر قديماً فلما استلم مقاليد الاحكام بحث عن تصرفات سلنه فاطلع على اعماله فقبض على كاتبه والكثيها وجلدها واجبرها على ارجاع مائتي كيس من النقود الى الخزينة . اما مصطفى باشا فأرسل الى الاستانة وهناك أخذ منه مائتا كيس سلمت للخزينة الشاهانية واصبح في جملة الوزراء السبعة العظام في الروملي

وفي ايام مقصود باشا قاست مصرامر العذاب من وباء وفد عليها وكان اصعب مراسمن الوباء الذي وفد في ايام علي باشا وجعفر باشا لانه كان عاملاً لم ينج من اصابته الشيوخ ولا الشبان فكان يصيب من الشيوخ واحداً في الثمانية . ظهر هذا الوباء اولاً في بولاق في اوائل شعبان سنة ١٠٥٢ هـ وبعد ذلك بشهرين ظهر في الناهرة وما زال على معظمه من ابتداء ذي القعدة من تلك السنة الى غايه صفر من سنة ١٠٥٢ هـ ثم اخذ

بالتناقص شيئاً فشيئاً ولم ينقض حتى انتضى الشهر الثاني ولم يكن يُسمع
 إلا بالوفيات المتتابعة في كل ساعة وكانت تنقل الجثث بالعشرات دفعة
 واحدة فكان يشاهد في الشارع الواحد أحياناً ثلاثون أو أربعون جنازة
 وقد روى ابن أبي السرور وهو من المؤرخين المعاصرين أن جملة من
 صُلِّي عليهم من المتوفين في الجوامع الخمسة الرئيسية في القاهرة في مدة ثلاثة
 أشهر النان وتسماية وستون وقد كانوا في آخر الأمر يدفنون موتاهم بغير
 صلاة وعدد هؤلاء لا يقل عن عدد الذين صُلِّي عليهم . أما خارج القاهرة
 فلم يكن الوباء أقل فتكاً ويقال أن ٢٢٠ قرية أصبحت خراباً لاصابة كل
 أهاليها بذلك الداء

فلما رأى مقصود باشا ما ألم بمصر من الدمار جعل يسعى إلى إصلاح
 الأحوال جهده فاستعمل الرفق فالغى جميع الضرائب التي وضعها أسلافه
 بغير الحق وجعل حقوق الوراثة إلى الأقرباء الشرعيين مع دفع شيء من
 التركة إلى الحكومة وجعل يخزى التعديات تخريباً شديداً وشد في القبض
 على اللصوص فقبض على كثيرين منهم فقتل بعضاً وسجن بعضاً وقاصص
 آخرين بحسب ذنوبهم متخذاً الصرامة ديدناً فاستكثت الناس وطابت
 قلوبهم نوعاً . وبينما كان هذا الباشا ساعياً فيما تقدم ظهرت في الاسكندرية
 في ٢٠ ذي القعدة من تلك السنة ثورة كدورت أعماله وذلك أن نخواً من
 ستمائة من المسيحيين كانوا تحت طائلة القصاص مغلولين في سجون
 الاسكندرية ففي اليوم المذكور فتقوا السجون بغتة والمسلمون في الجوامع
 يصلون وطفقوا يهبون الحوائيت والمحازن والبيوت ولم يبقوا ولم يذروا
 ولما ملأوا جعبة مطامعهم نزلوا إلى مركب كان بانتظارهم في البحر وأقلعوا
 يصلبون الفرار . ولم يكن ذلك كل ما تهدد مقصود باشا وحال دون
 مشروعاته إنما هناك ما هو ادهى وأمرّ وذلك أن جماعة السناجق تأمروا
 عليه وتواطأوا على عزله في يوم الجمعة ١٢ رمضان سنة ١٠٥٤ هـ باجتماع

عقدوه في بيت الامير رضوان بك الملقب بابي الشوارب . وسبب ذلك ان مقصود باشا كان قد طلب اليهم حباً بتسديد رواتب الجيش عن شهر رمضان ان يدفعوا الثلث الاول من المال الذي يطلب منهم للخزينة عن الاقطاعات الحربية التي كانت في يدهم فرفضوا ذلك بالاجماع وطلبوا عزل بعض المأمورين الذين كانوا ينظرون اليهم كأكبر نصير للباشا في ارادته . فسلم لهم الباشا بما ارادوا اما هم فلم يفعلوا بذلك فحرروا الى الاستانة يشكون من سوء تصرفه بموافقة كثيرين من الاعيان فكتب اليه الباب العالي رأساً ما مفاده « ان المحضة الشاهانية لم تعلم اسباب الثورة الجهادية التي حصلت في مصر وتجب كيف ان الباشا لم يبلغ الباب العالي عنها » فاجاب الباشا انه لم يحصل لديه ما يدعى ثورة وإنما هناك بعض التشكيكات وبعض الاختلافات التي برجواضلاحتها بالتي هي احسن ولذلك لم يكن ثم حاجة لابلاغ الباب العالي . فطلب اليه الباب العالي ان يحرر التهريبات اللازمة ويعاقب المعتدين ويصرف الامر بما يتراءى له . الا انه رغماً عن كل ذلك اضطر الى الاذعان لكنه اراد التمسك بالامير على بك والامير مامي بك والدفتدار شعبان بك لعلهم انهم زعماء تلك الثورة فاعد لهم كميناً واقام لهم رصداء ليقنطلهم في الديوان وعين لذلك يوم الاثنين في ٢٢ ذي الحجة سنة ١٠٥٤ هـ الا ان الصدفة لم تسح له بما اراد فان الدفتدار نزل الى الديوان وحده في ذلك اليوم فشاور الباشا عقله بين ان ينسك به وحده او ان يخفي ما في ضميره ليمنه بفنك بالثلاثة معاً فافقر اخيراً على ارجاء ذلك العمل الى يوم آخر

وفي اليوم الثاني جاء الفرمان بعزله وتولية الدفتدار شعبان بك بصفة قائمقام يتعاطى الاحكام وقتياً فشنق ذلك على الباشا لكنه اذعن وسلم مقاليد الاحكام لشعبان بك فرفع السناجق الى الباب العالي يطلعونه على حقيقة ما حصل في ايام الباشا السابق ويطلبون اليه الاسراع في ارسال

من بخلته فانذ اليهم ابوب باشا . وكان قبل ذلك الحين من مأموري السراي الشاهانية . فلما عهدت اليه هذه الولاية تردد في قبولها لما رأى من الاخطار المحدقة بها الا انه اضطر اخيراً الى قبولها . وقد كان رجلاً حازماً مستقيماً استعان بمأموريه على ادارة الاعمال فلم تمض سنتان على حكمه حتى استتب النظام وسادت الراحة . ثم استقال من ذلك المنصب بعد ان صار وزيراً وعكف على العبادة معتزلاً السياسة ومتمثلاً بال دراويش فتنازل عن ممتلكاته في الاستانة للدائرة الخاصة الهابونية وانفرد في احد المعابد في الرومي . فوُلّي مكانه الوزير محمد باشا بن حيدر سنتين ونصف ولم يحسن الادارة فارتبكت الاحوال

وفي ١٠ رجب سنة ١٠٥٧ هـ ثارت فتنه من الانكشارية في مصر الفدوية فتهددوا والي الشرطة فازدادوا تمرداً فساروا الى الباشا وطلبوا قتل ذلك الوالي ولم يكن ذنبه الا انه قام بواجباته فوافقه الباشا على ما ارادوا . اما الوالي فكان من وجاق الجاويشية . فلما علم هؤلاء بعزم الباشا قاموا بصوت واحد يشكون من سوء تصرفه فخاف ان تبلغ هذه الشكايات مسامع الباب العالي فتعود العاقبة عليه وبالأ فاجتمع بقنسو بك واستشاره بماذا يفعل وكان هذا من لا يشيرون الا بما يعود عليهم بالمنفعة الشخصية فاشار على الباشا ان يرفع الى الاستانة تقريراً سرياً يشرح فيه كل ما حصل من الارتباكات وينسبها جميعها الى الامير بن رضوان بك وعلي بك وينسب اليهما ايضاً اخلاص مال الخزينة المصرية وانهما سلباه منصب امير الحج وحكومة جرجا كل ذلك لكي يرجع قنسو بك وماماي بك الى منصبيهما

فباشر الباشا بكتابة ذلك التقرير وطلب الى بعض الاعيان ان يوقعوا عليه فبلغ ذلك مسامع رضوان بك فاسرع الى كتابة تقرير مناقض لتقرير الباشا وبعث به الى الاستانة فوصل قبل تقرير الباشا وفيه ما فيه

من التشكيكات ضد قنسو بك ومامي بك فورد الجواب من الاستانة
مفوضاً الى رضوان بك وعلي بك امر النظر في تلك القضية وفي ٢١
جمادى الاولى سنة ١٠٥٧ هـ ورد الى الباشا التمران بذلك وفي ٢٧ منه
استدعاهما الباشا الى القلعة فاستدعيا قنسو بك ومامي بك وامرا بقتلها
وقتل امراء آخرين كانوا على دعوتها . ولم تكد تخلص مصر من دسائس
هؤلاء حتى ظهرت دسائس مصطفى كحيا الملقب بالشششير وسبب ذلك انه
لم يتم سجنهما عوضاً من قنسو بك . وفي ٨ رمضان من تلك السنة وردت
الوامر الى علي بك ان يترك القاهرة ويتوجه حالاً الى حكومتهم في جرجا .
وبعد ذلك بثلاثة ايام استدعي رضوان بك الى وائمة في القلعة بامر الباشا
فخاف من دسيسته فاني الحضور فغضب عليه الباشا وجرده من اماره الحج
فسار رضوان بك من القاهرة في نحو مائتين من رجاله وفيهم عدة من
الامراء والكشاف واتخدمع علي بك فبعث الباشا على اثرها الذين من جنوده
ونحو خمسمائة من الانكشارية فاجتمع الجند في الرملة واقروا على اغتيال
وامر الباشا . ثم وردت الاوامر من الاستانة بتثبيت رضوان بك وعلي بك
في منصبيهما . فاضطر الباشا الى استقدام الامير بن فقدا الى القاهرة في ١٩
رمضان بما لها من الرتب والحقوق فسعى الى مصالحتهما مع مصطفى كحيا

وفي ٦ ذي الحجة من تلك السنة شاع في القاهرة ان الوزير مصطفى
باشا قد سبي على مصر عوضاً من محمد باشا بن حيدر . وفي ٢٦ منه
وردت الاوامر قاضية باعادة محمد باشا الى منصبه . وفي ١٧ رجب سنة
١٠٥٨ هـ توفي السلطان ابراهيم وتولى مكانه السلطان محمد الرابع



وترى في شكل ٧٣ صورة النقود النضية
للسلطان ابراهيم بن احمد ضربت في القاهرة
سنة ١٠٤٩ هـ

ش ٧٣ نقود السلطان ابراهيم بن احمد

سلطنة محمد بن ابراهيم

من سنة ١٠٥٨ - ١٠٦٩ هـ او من ١٦٤٨ - ١٦٨٧ م

وبلغ ذلك التغيير مصر في اوائل رمضان مصحوباً بعزل محمد باشا وتولية الوزير احمد باشا فاستلم هذا زمام الاحكام مدة سنتين كلها اضطراب وفلاقل

واول تلك الفلاقل كانت سنة ١٠٦٠ هـ بسبب نقصير النيل فانه لم يرتفع تلك السنة اكثر من ١٦ ذراعاً فلم يرتو من ارض الصعيد الا الثلث اما الوجه البحرى فلم يرتو منه شيء تقريباً . فغلت الاسعار حتى خيف من المجاعة

اما الباشا فلم يكن يهتف الا تكثير الضرائب مع انه لم يكن يرسل منها الى الاستانة الا الثلثين وكان لسوء نيته يرسل تلك المبالغ الى الاستانة في عهد الامير رضوان بك ليحمل الباب العالي على الشك بامانيته فيتغير خاطر السلطان عليه وكان انما ملكيدته يكتب للباب العالي على التنازع يشكو من تصرف رضوان بك ويطلب تجريدته من اماره الحج ونقلها لعل بك . وكان هذا على ما علمت من الصداقة مع رضوان لكنه لم يكن يعلم دسائس الباشا . اما الباشا فكان في نيته ان يوقع الضغائن بين الاميرين فيحل عرى اتحادهما لكنه لم يتم مقصده حتى اتى الامر العالي بعزله يوم السبت ٦ صفر سنة ١٠٦١ هـ ورضوان بك لم يرجع الى القاهرة بعد . ولم تكن نتيجة مساعي احمد باشا الا زيادة تألف قلبي ذينك الاميرين وكان من كرم اخلاقهما ان كلا منهما كان يتنازل للآخر عن اماره الحج فاعجبت هذه الشهامة المصريين فقالوا بكلينهم الى محبتها وبالغوا في اعتبارها حتى انهم اقاموا لها دعاء عمومياً في الرملة . والباشا اذ ذاك

محبوس في القلعة ولم يُفرج عنه حتى دفع للخزينة مبالغ وافرة . فتولّى مكانه الوزير عبد الرحمن باشا وما زال الى اول شوال سنة ١٠٦٢ هـ وقد قاسى ما قاساه سلفه من السجن والاهانة لانه سار على خطواته . فاختر الباب العالي الوزير محمد باشا ليقوم مقامه في ٥ شوال من تلك السنة ولكنه لم يدخل القاهرة الا يوم الثلاثاء في ٨ محرم سنة ١٠٦٢ هـ

وما زالت الولاة تنوالى على مصر ولا شيء من اعمالهم واحوالهم يستحق الذكر . وفي آخر الامر تحوّل النفوذ كلّهُ من ايديهم الى أيدي البكوات المماليك . اما الباشوات فكانوا يولّون مصر فاذا اتوها لا يكون ديدنهم الا اكتساب الثروة باي طريقة كانت ليعلم كلّ منهم انه لن يعم حتى يأتيه الامر بالعزل وفلا انعزل احدهم ولم يكن السجن مأواه

السلاطين سليمان بن ابراهيم واحمد بن ابراهيم ومصطفى بن محمد

من سنة ١٠٩٩ - ١١١٤ هـ او من ١٦٨٧ - ١٧٠٢ م

فالسلطان محمد الرابع أُقيل من السلطنة في ٢ محرم سنة ١٠٩٩ هـ واودع السجن حتى مات (سنة ١١٠٥) وبويع السلطان سليمان الثالث وبعد ٢ سنوات توفي (في ٢٠ رمضان سنة ١١٠٢ هـ) فبويع السلطان احمد خان ويدعى ايضاً احمد الثاني وبعد ثلاث سنوات ونصف توفي (سنة ١١٠٦ هـ) فبويع ابن اخيه السلطان مصطفى خان وهو مصطفى الثاني ابن السلطان محمد الرابع . وبعد تسع سنوات تقريباً (في جمادى الاولى سنة ١١١٤ هـ) أُقيل وتوفي في السجن في محرم سنة ١١١٩ هـ

سلطنة احمد بن محمد

من سنة ١١١٤ - ١١٤٣ هـ او من ١٧٠٢ - ١٧٢٠ م

وبويع اخوه احمد خان وهو احمد الثالث وكانت مدة حكمه على المملكة العثمانية نحواً من عشرين سنة . وفي ايامه حصلت ثورات عديدة انتهت بتحول سلطة الباشوات وتنوذهم الى البكوات المالِك وهذه قلعة الجبل قد كانت سجناً للباشوات الذين كانوا يتولون الاحكام ولا مهمهم منها الا الكسب الشخصي

وقد توالى على مصر من سنة ١٠٦٢ هـ الى ١١١٩ هـ اثنان وعشرون والياً اغضينا عن ذكرهم لعدم اهميتهم . وفي سنة ١١١٩ هـ في ايام السلطان احمد خان تولى مصر حسن باشا وكان على القاهرة قاسم عيواظ بك بصفة شيخ بلد

وقد كانت المالِك في مصر على حزينين كبيرين يعرفان بالمالِك القاسمية والفُقارية وكان هذان الحزبان لا يتفكان يضادا احدهما الآخر ومحاول كل منهما اكتساب النفوذ واذلال الآخر . اما اصل هذين الحزين ففيه اقوال منها انها ينسبان الى اخوين هما قاسم وذو الفقار ولذي سودون احد امراء المالِك في عهد السلطان سليم الفاتح وان السلطان سليم هو الذي نشطهما ونشط احزابهما وقد ذكر الجبرتي لذلك قصة طويلة لا حاجة بنا الى ذكرها . وبعضهم يقول ان هذين الحزين ينسبان الى قاسم بك الدفتردار وذو الفقار بك الكبير سنة ١٠٥٠ هـ . وكان قاسم عيواظ بك رئيس الطائفة القاسمية وذو الفقار بك رئيس الفُقارية . وكان لكل من هاتين الطائفتين صنات مخصصة بها فالفُقارية كانت توصف بالكثرة والكرم والقاسمية بكثرة المال والجمل . وعلامة الفُقارية علم ابيض

ومزاريقه برمانه والفاسمية علم احمر ومزاريقه مجلبة

وقد كانت هاتان الفئتان قبل تولي حسن باشا في وفاق تام فلما جاء خشي من اتحادهما فعمد الى الدسائس فالتقى بينهما الشقاق فحصلت بين الطائفتين مواقع دامت ثمانين يوماً فكانوا يخرجون من القاهرة الى مكان يعرف بقبة العرب يوماً يأخذون بالكفاح من شروق الشمس الى غروبها ثم يعودون الى القاهرة فيصرفون الليل بسلام في بيوتهم بين نساءهم واولادهم ثم يعودون في الصباح التالي الى المحاربة ومن الغريب ان هذه المحاربات لم تؤثر في الراحة العمومية مطلقاً فما برحت الاشغال جارية في مجراها والحوادث والمخازن تنفخ وتقل كالعادة

وانتهت تلك المواقع بوفاة قاسم عيواظ بك فاسف عليه الناس وبكوه بكاهم على حاكم عادل او اب حنون بار ولم يبقَ صديق ولا عدو حتى بكاه لانه كان فضلاً عن حكمته وعدله ودعوه شجاعاً باسلاً ايّ الناس . فاقاموا بعده ابنه اسماعيل بك مكانه شيخ بلد وصادق الباشا على ذلك لظنه ان اسماعيل لصغر سنه يكون آلة بيده يديرها كيف شاء فزاد لذلك كدر ذي الفئار بك واشتد انتقامه لانه كان ينتظر ان يولى هو ذلك المنصب . وكان اسماعيل رجلاً عاقلاً حكيماً كوالده عارفاً وجهه الرمح والحق فسعى الى الوفاق مع طائفة الفقارية فاتحدت الطائفتان جميعاً على الباشا . وقد كان اسماعيل بك من الجهة الاخرى يظهر الطاعة والرضوخ لاحكام الباشا بصفة كونه رئيساً عليه لكنه لم ينفك ساعياً سرّاً الى خلعه فكتب عنه الى الاستانة فجاز بعزله فجاء غيره ثم ابدل باخر فاخر واسماعيل بك في منصبه مكتسباً ثقة الرعية فكانوا يحبونه الى ما يشبه العبادة وما يحكى عنه ان احد تجار القاهرة في ايامه وكان يدعى عثمان باع لاحد النجفية (لقب يعطى للحرس السلطاني) وكان قد اتى القاهرة بمأثورية مهجة ثلاثية فنة بن الى أجل مستى وكسب عليه بذلك كتاباً ففي اثناء مدة

الاستحقاق جاء من الاستانة اعلان بحبابة التبجي والحكم عليه بالاعدام حالاً فجيء به الى الباشا فقتله ووضع يده على تركته وفيها البن كما هو . فعلم عثمان التاجر بذلك فعرض لاسماعيل بك بصفة كونه شيخ البلد ما كان من امر البن فاجبر الباشا ان يرجع البن لصاحبه قبل وكل شيء ففعل فاصبح عثمان في حالٍ من المنونيه لذلك الرجل لا يعرف كيف بينها فلاح له ان يهديه علبه مرصعة وبعض الفناطير من السكر النقي فرفض اسماعيل بك تلك الهدية وخاطب عثمان التاجر قائلاً « اذا كان المال الذي حصلت عليه بواسطي مالك ولك الحق به فاكون قد فعلت واجباتي والله بكافئي فاذا قبلت هديتك اظلم نفسي . اما اذا كان هذا المال ليس لك وانما حصلت عليه بالحيله فقبولي هديتك بعد مشاركة لك بالحيانة لكني مع ذلك اقبل السكر الذي حملته اليّ على شرط ان تقبل ثمنه من وكيلي لاني سأمره ان يدفعه اليك »

ويحكى عنه ايضاً انه كان يادب في ليالي رمضان مآدبات ليلية يجتمع اليها العلماء والافهاء والمشائخ وقراء القرآن ولم يكن يسمح لغير هؤلاء الحضور فيها . فرأى ذات ليلة بين الحضور رجلاً عليه ملامح الكآبة والياس فاوصى بعض الخدم انهم متى ارفض الاجتماع بأن تون بهذا الرجل اليه ففعلوا فلما حضر بين يديه اعطاه قرآناً وامره ان يتلو عليه منه سورة فتوقف الرجل مرتجئاً ثم تراءى على قدمي البك متضرعاً وقال « بعش سيدي البك اني رجل نجار لا اعرف القراءة وانما اتيت الى هذه المأدبة متلبساً بلباس الفقهاء لاملأ جوفي من الطعام فاني في حالة من الفاقة شديده » فانصفه ولم يكتف بالاغضاء عن ذنبه هذا لكنه جعله في عداد خدمته وجعل لعائلته راتباً معيناً وصار هذا النجار بعد ذلك من اصدق الخدمه وأكثرهم غيراً وهمة

وما زال اسماعيل بك في منصبه هذا مدة ست عشرة سنة نقاب اثناءها

على مصرعدة باشوات لم يكونوا إلا أسماء بلا رسم . وكان لحسن سياسته موقفاً الفخاريين عن كل حركة لتظاهره انه على وفاق معهم فلم يجعل لهم فرصة يتحدون بها عليه إلا انه ارتكب خطأ واحداً آكل الى قتله . وذلك ان احد المالك النصارى واسمه ذو الفقار كان له عقار كافٍ للقيام بنفقات عائلته فاخذ منه احد المالك القاسمية وهم ماليك اسماعيل بك فرفع ذو الفقار دعواه الى شيخ البلد (اسماعيل بك) فلم يصع لطلبه واقر على العقار لمملوكه فشق ذلك على ذي الفقار فرفع دعواه الى زعيم النصارى ويقال له شركس بك وكان خصماً لاسماعيل بك بالنفطرة فسار الى الباشا وتخابر معه بشأن تصرف اسماعيل بك وكان في قلب الباشا حزازات من الحسد فوافقه على الايقاع به ثم قال له « ليس لك وسيلة افضل من ان تبعث احد ماليكك وتأمرة ان يقتل هذا الرجل وانا اعد ان يكون له جميع ما يتركه من المال والنساء مكافأة لانعايه »

فوافقه على رأيه وعين لتلك النعلة اول يوم يجتمع فيه الديوان وامر مملوكه ذا الفقار ان يستعد لاجرائها فقبل اعناداً على وعد الباشا ففي اليوم المعين سار ذو الفقار ودخل الديوان وفيه اسماعيل بك فتقدم اليه وقبل يده قائلاً « ارجوك ان تأمر بارجاع عقاري الي » فاجابه اسماعيل بك منتهراً « سننظر في طلبك هذا » فاتج عليه فانهره فاستل خنجرًا ماضيًا بقر يه بطنه فندفقت امعاؤه ومات لساعته في وسط الديوان فهجمت رجال الباشا وقتلوا كل من كان هناك من رجال اسماعيل ولم ينج منهم الا سريع العدو . هكذا كان انتهاء حكم اسماعيل بك سنة ١١٢٦ هـ

فنقلت جثته الى بيته ثم دفنت بجانب جثة ابيه بجوار باب اللوق

فتولى مشيخة البلد شركس بك واستولى ذو الفقار على جميع ممتلكات اسماعيل بك ونسائه كما كان موعوداً من الباشا فاصبح رجلاً عظيماً يشار اليه بالبنان وفي خدمته مئات من المالك فحافه شركس بك واخذ يسعى

الى اذاقته ما اذاقه لاسماعيل بك فعلم ذو الفئار بتلك الدسائس فجمع اليه رجاله وفيهم عدة من الرجال العثمانيين وهجم على شرکس بك فحصلت بينهم موقعة لم يستطع رجال شرکس الثبات فيها اكثر من ربع ساعة فقتل معظم وفرّ الباقيون ومعهم زعيمهم يطلبون الصعيد وهو المجدى الوحيد للبكوات المنضوب عليهم

فتولى ذو الفئار مكانه مع لقب بك بعد ان اقرّ الباشا على ذلك فاصبح ذو الفئار بعد قليل عدواً لكل اتريه البكوات وعلى الخصوص لابي دفة (سي) بذلك لانه كان يتشعج برءاء كبير يقال له دفة) ثم اني ذو الفئار بك ان ابا دفة ساع الى اهلاكه وقد حاول ذلك مراراً ولم ينجح . ثم ان شرکس بك جمع اليه دعائه في الصعيد وسار بهم نحو القاهرة فارسل ذو الفئار بك عثمان كاشف احد كبار قواده في فرقة من المالكين لمحاربتهم ففقر شرکس بك ورجاله مراراً حتى لحق ببلاد البربر . فسكر ذو الفئار من خمر النصر واخذ في الانتقام من البكوات الذين في القاهرة فكان يقتل منهم كل من يظن فيه الانتماء الى شرکس بك حتى قتل منهم خلقاً كثيراً فاتحد من بقي حياً منهم مع رئيس الشرطة والاغا رئيس الانكشارية وبعثوا الى شرکس بك بما كان من فعلة ذي الفئار وتعاهدوا جميعاً على محاربتهم وانضم اليهم مصطفى الفرد وكان من اعداء ذي الفئار ومعه جماعة من الرجال الاشداء فقدم شرکس بك الى القطر المصري فعلم ذو الفئار بذلك فجمع اليه العلماء والمشايخ وشاورهم في الامر فاجمعوا على عدم مناسبة الهجوم في تلك الحال الا اذا تاكد النور فلم يصغ لمشورتهم فارسل عثمان بك احد قواده لمحاربة شرکس بك فحصلت بينهما قتل فيها مصطفى الفرد وغرق موقعة شرکس بك في النيل وهو يحاول الفرار فبعث عثمان بك برأسيهما الى ذي الفئار . اما هذا فلم يهنأ بذلك النصر لانه قتل بعد قتل عدوه شرکس بيومين بمكة اعدت له بمساعي البكوات

في القاهرة وذلك انهم البسوا واحداً منهم دفية وجاؤا به الى بين يدي
 ذي النصار وقالوا له هذا ابو دفية قد جعله الله في ايدينا وكانوا قد جعلوا
 تحت دفتيه عيارين نارين فلما وقف بين يديه اطلتها عليه دفعة واحدة
 فسقط ذو النصار مضرجاً بدمائه في وسط ديوانه سنة ١١٤٢ هـ فعلم عثمان
 بك بما اصاب رئيسه فهرع الى الاخذ بثأره فدخل القاهرة وجعل ينتك
 بكل من يصادفه في طريقه فخافه الجميع

ثم ان محمد بك احد البكوات الذين كان يترقبهم عثمان بك رأى
 منصب مشيخة البلد خالياً فطعم فيه فتعاهد مع صالح كاشف صديقه على ان
 يقتلوا كل من بقي من زملائه البكوات بمكيدة ينصبها لهم فأدب محمد بك
 مأدبة فاخرة دعاهم اليها فلبوا دعوته ثم علموا بمكيدته فقاوموه مقاومة شديدة
 وتمكنوا من قتله فينس صالح كاشف من مرامه ففر الى القسطنطينية بعد
 ان شاهد رؤوس البكوات ملفاة على الطريق امام جامع الحسين . ثم
 عقب هذه الفلقل ضربة اشد وطأة وهي الوباء الذي اصاب مصر في
 تلك السنة ويدعى طاعون الكي فانه انتشر في البلاد انتشاراً سريعاً
 وفتك بالعباد فتكاد زرعاً . ورافق كل هذه الضربات عزل السلطان
 احمد الثالث في جمادى الاولى

سنة ١١٤٢ هـ



وترى في شكل ٧٤ صورة



النقود الذهبية للسلطان احمد بن
 محمد مضروبة في القاهرة بتاريخ

سنة ١١١٥ هـ

ش ٧٤ نقود السلطان احمد بن محمد

سلطنة محمود بن مصطفى

من سنة ١١٤٢ - ١١٦٨ هـ او من ١٧٢٠ - ١٧٥٤ م

وبعد عزل السلطان احمد بويغ ابن اخيه محمود بن مصطفى خان وهو السلطان الرابع والعشرون من بني عثمان وبدعوه بعضهم محمود الاول وبقي هذا على كرسي السلطنة خمس وعشرين سنة . اما الباشوات الذين كانوا يتولون مصر في ايامه فلم يكونوا اكثر اهلية من اسلافهم وكانت الاحكام قائمة بمشاخ البلد وفي بدم الحل والعقد لا يستطيع الباشوات معارضتهم في شيء

فبعد قتل ذي النفر بك تولى مكانه عثمان بك المتقدم ذكره فرقى كثيرين من مماليكه الى رتبة البكوية ليقوموا مقام الذين هلكوا بالحوادث الاخيرة . وكان عثمان بك عادلاً حازماً ولكنه كان صارماً لا يراعي في تنفيذ العدل جانباً فعلم مرة ان احد بكواته سعى في اقليمه ظلماً فاستدعاه اليه واذتحمق ارتكابه قطع رأسه . وبجى عن عثمان بك حوادث كثيرة تشير الى حزمه واستقامته وقسطه لا بأس من ذكر بعضها على سبيل النموذج

بجى ان حمّاراً من حمّاري القاهرة اراد ترميم مزود حماره وبينما كان يرممه عثر في احد جدران البيت على وعاء مملوء ذهباً ففرح جداً واخذ الوعاء برمته وسلمه الى امرأته واوصاها ان تكتم الامر لئلا ينكشف للحكومة فتأخذ المال منه لان لها وحدها الحق بالاستيلاء على مخزونات الارض . فلم يسع المرأة الا انها طلبت من زوجها ان يبتاع لها مصاعاً وثياباً فاخرة لتتمتع بتلك الهبة فابى زوجها اجابة طلبها خيفة ان يفقد ذلك الى كشف الحقيقة فاغناظت المرأة واسرعت لساعتها ووشت بزوجها الى عثمان بك

فاستدعى الحمار وبعد ان سمع حقيقة الحال صرفه قائلاً « احفظ ما وهبك الله وطلت امرأتك وعش بسلام »

ولما جاء الوباء الى مصر كان عثمان بك في اول حكمه فرأى الجوع الذي عذب الوباء فتح مخازنه وخزائنه وفرق الاقوات والاموال في الناس الا انه مع ذلك لم يستطع النجاة من مكابد ذوي المطامع وفي مقدمتهم ابراهيم واسماعيل رضوان الاول كحيا^(١) الانكشارية والآخر كحيا العزب وكان كلاهما من الممالك الواحد من طائفة الفردغلية والاخر من طائفة المجلنية . واصل الطائفة الاولى مملوك يقال له الفردغلي كان سروجياً واصل الطائفة الثانية احمد المجلني كان في بادئ امره شبلاً واغناه الله بطريفة في غابة الغرابه ولا بأس من ذكرها وهي

جاء احد الممالك الى بعض معاصر الزيت ليبائع منها ما يقوم بمؤونة بيتو مدة السنة وكان احمد المجلني شبلاً في تلك المعصرة فابتاع المملوك الزيت واستأجر احمد الحمله فحملة وسار معه وما زال حتى بلغا بيته فانزل الحمل وقف ينتظر اجرة فجاءه المملوك وطلب اليوان يساعده في اخفاء مبلغ من النود في احد جدران البيت والمخ عليه ان يكتم الامر سرّاً واعطاه بضعة دراهم مكافأة لذلك فساعده واخذ الدراهم وسار في سبيله حامداً شاكراً . وبعد مضي ثلاثين يوماً اتفق له المرور بالقرب من ذلك البيت فنشاهد ثم جماهير مجبوعة . ثم علم ان ذلك المملوك توفي وقد عرضت تركته للبيع . فتقدم احمد وابتاع البيت الذي فيه الخبابة وبعد ارفضاض الجميع استخرج النود وسار بها الى قريته (جلف) في مصر العليا وامتلك ممتلكات كثيرة ثم اتسعت ثروته وما زال حتى اصبح زعيماً لعصابة كبيرة نسبت اليه

(١) ويكتب ايضاً كخغا وكان لكل وجاق كخبا وفي عهديه ملاحظة

شرطة ذلك الوجاق وقضايه

وقد كان ابراهيم واسماعيل رضوان في بادئ الرأي على تباين كلي
بالادييات والمادييات فكان ابراهيم في ضيق من المعاش مع اقدم وبسالة
ومطامح كبيرة . اما اسماعيل فكان غنياً بليداً لا يهتم الا التمتع بالمذات
والشهوات . فكان ابراهيم في احتياج الى اسماعيل ولذلك كان يتقرب
منه . ثم تزوج ابراهيم ابنة محمد البارودي احد التجار الاغنياء واخذ
معها مالا كثيراً فتمكن بذلك من التداخل في بيت شيخ البلد والقاء
المفاسد فيه بواسطة عدة من المالك والأتراك وغيرهم من ذوي الرتب
الذين كان يستعلمهم آله بيده لتنفيذ ما ربه . ثم تآلى له الارتقاء الى رتبة
البكوية مع صديقه اسماعيل رضوان واتحد الاثنان معاً على السراء والضراء
ووجدوا ممتلكاتها واجتزاها بالسواء من محصولاتها

فاجس عثمان بك خيفة من سرعة نمو ثروتها وملافاة لما كان
يخشى حدوثه من طموح انظارها جمع اليه ثلاثة احزاب احدها حزب
ابراهيم بك القطامش وفيه ثلاثة بكوات . والثاني حزب علي بك الدمياطي
وفيه بكان . والثالث حزب علي كحيا الطويل وشاورهم في الامر فاقروا على
وجوب قتل ابراهيم بك وكان اذ ذاك كحيا الانكشارية ورضوان بك .
فوافقوه على ما اراد الا ان احمد السكري وكيله وكان من ماليك ابراهيم
بك فلم يمكنه كتمان ذلك عنه فجاء اليه واخبره بجميع ما كان من
التواطؤ على قتله وقتل رفيقه فسار للحال الى رضوان بك واخبره وتشاورا
بشأن ذلك ففرا اعداد مكيدة يقتلان بها عثمان بك فبعثا له جواسيس
يترصده في طريقه الى القلعة فرّ فوثبوا عليه ففربجواده حتى دخل القلعة
ولم يظفروا به فلاقاه وكيله وقد اضمر له الشر فسأله عما ألم به فاخبره
بما كان فكلله بلسان الثعلب ناصحاً له ان يبارح المدينة حالاً لان الناس
قد ثاروا جميعاً يطلبون قتله وما زال حتي اقنعه ففرّ الى سوريا وسار هو
برفتيه حتى اذا دنوا من غرة نجي احمد عن الطريق واخبا في قرية يقال

لما الاشرفية بدعوى انه يريد استطلاع الاحوال حماية لعثمان بك فترأى
 هناك مدة ثم عاد الى القاهرة بمن معه من المالك وسار الى ابراهيم بك
 واعلمه بما فعل فكافأه على تلك الخيانة برتبة البكوية . وم اهلالي الى
 بيت عثمان بك فاحرقوه واقتسموا تركته اما هو فوصل سوريا وحده
 وسار منها الى الاسنانة فولي بروضة وليت فيها حتى توفاه الله . وجميع هذه
 الحوادث توالفت في مصر اثناء سنة ١١٥٦ هـ

فبعد اخراج عثمان بك من مصر صنا الجوال ابراهيم كحيا ورضوان
 بك فعلا على اباداة الاحزاب التي كانت متآمرة عليها فاخذ رضوان بك
 على نفسه اهلاك علي كحيا الطويل فامر احد مماليكوه ان يقتله بالرصاص
 في وليمة حافلة فلبى المملوك الامر لكنه اخطأ الرمي وعوضاً من ان يصيب
 علياً اصاب مملوكه الذي كان بجانبه فقبض عليه وقتل للعال . اما ابراهيم
 كحيا فتعهد باهلاك من بقي من الاحزاب وقد كان على ولاية مصر اذ ذاك
 كيور احمد باشا فطلب اليه ابراهيم ان يوافقه على اباداة البكوات فوافقه
 وربما كان ذلك لخوفه منه اولان ذلك يعود عليه بالنفع الشخصي واستعانوا
 بالنفوذ فبذلوا فسهلت مشروعه حتى انهم قتلوا علي بك الدمياطي بيد
 وكيله سليمان في وسط الديوان وقد وعدم هذا بتسليم رؤوس البكوات
 الاخر من احزابه . فامر ابراهيم كحيا ورضوان بك ان نفعل جميع منافذ
 القلعة على من فيها من البكوات المنوي قتلهم وجعلوا على بابي الانكشارية
 والعرب جنداً . وحافظ سليمان على وعده فبوشر بالمذبحة واول من قتل
 فيها خليل بك من دعاة الدمياطي ومحمد بك من دعاة النظامش وكثيرون
 غيرهم وحاول علي بك وعمر بك البلاط الفرار فتبعهما الباشا بنفسه ثم لاقها
 ابراهيم ورضوان وقتلها عند باب القلعة ولم يدفن من القتلى الا محمد بك
 و خليل بك

ولم يبق من مناظري ابراهيم كحيا ورضوان بك الا ابراهيم النظامش

وعلي كحيا الطويل فالاول مات من الحزن بعد مدة قصيرة والثاني هاجر من تلقاء نفسه تاركاً الدار ومن بناها . فصفا الجو لابراهيم كحيا فتولى مشيخة البلد وسى رضوان بك اميراً للحج . ثم جعلاً يتبادلان هاتين الوظيفتين كل سنة وعاد كل منهما الى ميله الطبيعي ابراهيم الى مطامعه ورضوان الى ملاهيه . فاخذ ابراهيم كحيا يمتنن الاحكام ويستخدمها لاسترجاع ما بذله للحصول عليها فلم يغادر وسيلة الا استخدمها في سبيل مطامعه من قتل وقتك فابتدأ بسليمان قاتل علي بك الدمياطي فحجر عليه في الثلعة ولم يفرج عنه حتى استرجع منه كلما كان اعطاه من النفود . ثم باغت من بقي من الاغنياء في القاهرة ووضع يده على ممتلكاتهم بعد ما قتل بعضاً منهم ونفى البعض الآخر . فاستولى في يوم واحد على اموال نحو من ثمانين بيتاً من بيوت القاهرة ووضع يده على جميع محصولات البلاد والكارك والقرى والمخازن حتى الحوانيت الصغيرة ويقال بالاجمال انه لم يبق ولم يذر

وكان كيور احمد باشا قد استدعي الى الاسنانة وولي حكومة قبرص . فاقم مقامه في القاهرة باشا آخر سنة ١١٥٦هـ فعامله ابراهيم كحيا بالاحقار فحقد عليه . ثم انتق غياي ابراهيم في قافلة الحج الى مكة فاغتم الباشا فرصة غيابه وتواطع حسين بك الخشاب على مكينة بعدائها لابراهيم فاتفقا على ان يقوم الخشاب بما يلزم لقتل ابراهيم ورفيقه رضوان وان يكافئه الباشا على ذلك بمشيخة البلد . فلما رجع ابراهيم سعى الخشاب الى انعام وعده ففاز بالقبض على الاثنين فسجنهما في القلعة فولاه الباشا مشيخة البلد الا انه لم يهنأ بها لان دعاة ابراهيم كحيا اتحدوا وهجموا دفعة على حسين بك والباشا واخرجوا المسجونين ففر الخشاب الى مصر العليا واخناً في ابريم من نوبيا . اما الباشا فاستدعي الى الاسنانة فعاقبه السلطان عقاباً انتهى بالموت

وكان يملك ابراهيم كخيا على اكثر من التي مملوك وفي جملتهم علي الذي سيلقب بعلي بك الكبير ويكون له شأن عظيم بهذا التاريخ وسترى في سيرته انه من افراد الدهر حزمًا وبطشًا وحكمة. وكان علي بك بين ماليك ابراهيم كخيا بصفة سحدار آغا وكان ابراهيم كخيا يحبه كثيرًا ويعتبره حتى جعله ناقل سيفه. وما زاده اعتباراً له انه استصعبه مرة في مسيره الى الحرمين في قافلة وكان برتبة كاشف وقد سار قائداً لتلك القافلة فلاقاهم في الطريق سرب من اللصوص فدفعهم علي بقلب لا يهاب الموت فلقبوه بالجنّي . ولما رجع ابراهيم كخيا الى القاهرة نوى على مكافئة علي بقلب بك إلا ان صغر سنّه ودسيسة الخشاب حالاً دون ذلك . ثم عقب ذلك شاغل آخر أكثر اهمية زاد الامر تأخيراً وذلك انه جاء القاهرة خبر وصول باشا جديد الى الاسكندرية بدلاً من الباشا الذي أخرج منها . وكان من عادة الحكومة في مصر اذا علموا يجيئ باشا جديد بغتاً وفدّاً يلاقونه في الاسكندرية وفيهم العيون والجواسيس فيحيطون به يستطلعون مقاصده ونواياه وما في يده من الاوامر السلطانية فاذا رأوا تلك الاوامر سلمية ومقاصده حسنة تأهلوا به وفتحوا له الطريق حتى يصل بولاق فيحتفل الامراء بلفائه . اما اذا استطلعوا من احواله غير ذلك بلغوا الامراء بالقاهرة فيجتمعون ويقررون اعلانه ان يقف حيث هو ويحجرون الي ديوان الاستانة بعدم مناسبة ذلك الباشا الجديد وان بقاءه في مصر مخل بالنظام العمومي او ربما حمل الاهالي على الثورة . ثم يطلبون استبداله بآخر أكثر مناسبة للبلاد منه

فلما اتصل بهم خبر قدوم هذا الباشا واسمه راغب محمد باشا مار شيخ البلد بنفسه لاستقباله ومعه البكوات ثم اجتمعوا جميعاً بجلسة رسمية واقسموا على الطاعة والاخلاص لامير المؤمنين وكان قد خلع على كل منهم خلعة كالعتاد . واحب الامراء راغب باشا محبة عظيمة لانه عرف كيف يعامل شيخ البلد

فاحبته الرعية ومالوا بكلينهم اليه فصرف بين ظهرائهم سنتين كلها سلام
وطمانينة حتى اجمع البكوات على اسبقائه بينهم طويلاً
ويماهم في مثل ذلك ورد الى الباشا خط شريف ^(١) ان يسي
جهده الى قطع دابر البكوات وفي جملتهم شيخ البلد وكل من يلوذ به .
فاستنج الباشا من نص ذلك الخط ان ديوان الاستانة مشبّه بتصرفه في
مصر وانه قد وثي به الى جلالة السلطان ان اتفاه مع بكوات مصر ليس
الأم من قبيل عزيمه على استخدامهم في مآريه بالاستقلال بحكومة مصر
واخراجها من طاعة الدولة العلية . فوقع في حيص بيص وتردد بين ان
يتفذ الاوامر الشاهانية جهاراً معاً في ذلك من الخطر وما يحول دونه من
المضاعب او ان يعصاها او يوثقها فيعرض حياته للخطر وبؤيد
التشكيات التي تقدمت بحقه . وبعد ان نظر في المسألة من سائر وجوها
قرّر في ذهنه افضلية الفتنك باصدقائه البكوات فتراطاً مع زمرة من رجاله
انه متى اجتمع البكوات في مجلسه فليكونوا على استعداد للهجوم عليهم دفعة
عند اول اشارة فنفعلوا ما امرهم به لكنهم لم ينوزوا كل النوزلان ثلاثة من
البكوات تمكنوا من النجاة وفي مقدمتهم شيخ البلد بعد ان جاهدوا المجهاد
الحسن ووسعوا الباشا ثريباً على فعلته هذه التي لم يكونوا يتظرونها منه
بعد ان اظهروا نحوه من اللطف والصدقة والاخلاص ما قد رأيت . فبرأ
ساحته باطلاعهم على الفرمان السري الوارد له بهذا الصدد فكثبوا عن
الانتقام منه لكنهم عزلوه وحرروا الى الاستانة يطلبون من يقوم مقامه .
وفي الحال عينوا ثلاثة بكوات في مكان الثلاثة الذين قتلوا بتلك المكيبة .
واستغنم ابراهيم كحيا هذه الفرصة لترقية علي كاشف فرقاه الى رتبة بك فساء

(١) يقصدون بالخط الشريف الاوامر الصادرة من جلالة
السلطان رأساً

ذلك الترتي أحد البكوات المدعو ابراهيم بك وكان شرکسي المولد ولذلك كان يعرف باسم ابراهيم بك الشرکسي وكان من دعاة ابراهيم كحيا لكنه عند ذلك تظاهر بعدا وتوهمت بينهما الضغائن التي لم تنته الا بقتل ابراهيم كحيا بعد ذلك اربعين بخمس سنوات بيد ابراهيم بك الشرکسي المذكور سنة ١١٦٨ هـ . وفي تلك السنة توفي السلطان محمود بن مصطفى



وترى في شكل ٧٥ صور
نقود السلطان محمود بن مصطفى
مضروبة في القاهرة بتاريخ سنة
١١٤٣ هـ فالاولى منها ذهبية وهي
صورة القطعة المعروفة باسم
زر محبوب او سكون والثانية ذهبية
ايضا وهي نصف سكون او نصفية
والثالثة صورة القطعة النحاسية
المعروفة بالجديد

ش ٧٥ نقود السلطان محمود بن مصطفى

سلطنة عثمان بن مصطفى

من سنة ١١٦٨ - ١١٧١ هـ او من ١٧٥٤ - ١٧٥٧ م

فبيع اخوه السلطان عثمان بن مصطفى وبدعوه بعض مؤرخي
المغرب عثمان الثاني وهو بالحقيقة عثمان الثالث وبني على كرسي الخلافة
ثلاث سنوات فقط . فشنى ابراهيم بك الشرکسي غلبه بقتل ابراهيم كحيا
لكنه لم يرو مطامعه لان مشيخة البلد انتقلت الى رضوان بك صديق

ابراهيم كحيا . ثم ظهر له مناظر آخر من زعماء حزب ابراهيم كحيا يقال له حسين بك اصبح بعد قتل الكحيا اكبر زعماء ذلك الحزب فادعى لنفسه الاولوية بمشيخة البلد فلم تقبل دعواه فجمع اليه عدداً من دعاة المالك وصعد الى قلعة القاهرة واستولى على بطارية من المدافع نشرف على بركة النيل حيث بقيم رضوان بك فاطلق عليها قنابل خرفت جدرانها فتداعت اركانها

وكان رضوان بك اذ ذاك مشغولاً بمحاربة الحية . فلما احس بالامر امتطى جواده لكنه لم يعل ظهره حتى اصيب برصاصة كسرت فخذه الا انه تمكن من الفرار ومعه بعض المالك الى قرية الشيخ عثمان وهناك توقف عن المسير لزيادة الالم وبرفقته رئيس الضابطه وكان مجروحاً ثم توفي الاثنان ودفنا معاً . فسعى حسين بك من ذلك الحين شيخ البلد وجعل يتقرب من اترابه البكوات لكتهم كانوا لا يزيدون منه الا نفوراً ولم تنص بضعة اشهر من توليته حتى كمنوا له في مكان مصاطب الشباب في السهل الواقع بين القاهرة وراضي ابراهيم بك وقد كان هناك مشغولاً بعرض جنوده المالك فمتموا به وذبحوه ثم قطعوا ارباً ومن ذلك الحين صار يعرف بحسين بك المقتول . فتولى مكانه خليل بك واشتهر بحب القتل وكان متظاهراً بالعداوة والحسد لعلي بك على الخصوص لانه علم انه اشد اعدائه عزماً

سلطنة مصطفى بن احمد

من سنة ١١٧١ - ١١٨٢ هـ او من ١٢٥٧ - ١٢٧٤ م

وفي سنة ١١٧١ هـ تولى الخلافة العثمانية مصطفى بن احمد وهو مصطفى الثالث . وبالحقيقة ان علي بك كان لشدة اخلاصه لابراهيم كحيا

لا يترك ساعياً الى الانتقام له ولكنه كان واضعاً امام عينيه ان السبيل
 الاقرب والاسهل لبلوغ مراميه انما هو القوة . فاخفى ما في ضميره مدة ثمانى
 سنوات كان اثناءها مشغولاً بجمع القوة فابتاع عدداً وافراً من المالكين
 وتداخل مع البكوات الآخرين واكتسب ثقتهم بما كان يظهره من الغيرة
 عليهم والاخلاص لهم وما كان يكرهم به من الهدايا وما زال بخطو
 خطوة بعد اخرى حتى اقترب من النقطة المطلوبة فاجس خليل بك
 خيفة منه وجعل يتدبّع بالارصاد والعيون ويعدله المكاييد في شوارع
 القاهرة في ذات يوم هجم عليه حسين بك كشكش بامر خليل بك
 وبعد موقعة هائلة اضطر علي بك ان يفر الى الصعيد في جملة من اصدقائه
 البكوات يستعد للانتقام انتقاماً مضاعفاً

فصرح خليل بك ان علي بك ومن تابعه من البكوات مجردون من
 رتبهم وحقوقهم وولّى بمناصهم بكوات من ذويه وقتل كل من ظفر به في
 القاهرة من اصدقاء علي بك او المتيمين اليه . اما علي بك فلاقى في
 الصعيد احد ماليك مصطفى الفرد يدعى صالح بك كان منفيّاً الى هناك
 وفي قلبه من خليل بك حزازات فاتحد الاثنان ورجالهما وزحفا الى القاهرة .
 فخرج خليل بك وحسين بك كشكش لمقاتلتها فدارت رحى الحرب فكان
 الفوز لعلي بك ورفيقه فتبعهما خليل بك ورجاله حتى قطعوا بهم مدبرة
 القلوبية واولوهم الى المسجد الاخضر على ضفاف النيل واشتد الكفاح
 هناك فاضطر خليل بك ورجاله الى الالتجاء الى طنطا فبعث علي بك
 كاشفه محمد الملقب بابي الذهب ليهاجمهم فيها وهم واستلم طنطا بعد ان قتل
 حسين كشكش . اما خليل بك فاخفى بالمسجد وبقي فيه وقد داهمه الجوع
 ثم قبض عليه ونفي الى الاسكندرية ثم خفي هناك . اما رؤوس القنلى
 فنقلوها الى القاهرة وطافوا بها في اسواقها

علي بك الكبير

من سنة ١١٧٧ - ١١٨٧ هـ او من ١٧٦٣ - ١٧٧٤ م

فتمكن علي بك بهذا الانتصار من استلام مشيخة البلد في القاهرة وذلك سنة ١١٧٧ هـ واول امر باشرة قتل ابراهيم الشركسي الذي قتل سيده فنارت عليه احزابه يطلبون الانتقام وكانوا عديدين فخاف علي بك على حياته ففر من القاهرة حالاً طالباً سوريا فالتجأ الى متسلم (حاكم) بيت المقدس وكانت بينها صداقة قديمة الا ان هذا المجأ لم يحمه الا مدة شهرين لان اعداء البكوات لما علموا بمفره شكوه للسلطان مصطفى واخبروه بمفره فانفذ الى متسلم المقدس فرماناً يأمره به ان يرسل علي بك تحت الحجز الى الباب العالي . فعلم علي بك بذلك ففر الى عكا وهناك اكتسب صداقة الشيخ ظاهر بن عمر امير تلك المدينة الحصينة فاکرم وفادته وسعى الى تبرئته امام الباب العالي وبمساعدة نصرائه من اصدقاء ابراهيم كحيا تمكن من نوال العفو عنه من لدن الحضرة الشاهانية فانغيت الاوامر بالقبض عليه واعيد الى القاهرة في منصبه الاول

وفي سنة ١١٧٩ هـ اي بعد ذلك الحين بستين هُدد علي بك بالاقالة من ذلك المنصب . وكيفية ذلك ان محمد راغب باشا الذي كان على مصر وعزل منها على ما مر بك كان لا يفتقر عن تذكاركرم اخلاق علي مذ كان كاشفاً . فبعد استقالته من مصر ولي بر الاناضول وبعد تسع سنوات ارتقى الى رتبة صدر اعظم بامر السلطان مصطفى الثالث وما انتك مع ذلك متذكراً صداقة علي بك لا يفتقر عن معاضدته وتسهيل مشروعاته سرّاً وجهراً . ففي سنة ١١٧٩ هـ توفي الوزير راغب محمد باشا فاصبح علي بك في احتياج لمن يعضده . فاغتنم اعداؤه هذه الفرصة وشووا به الى

الاستانة فاضطر علي بك ان يفرّ الى اليمن لكنه لم تأت سنة ١١٨٠ هـ حتى عاد الى القاهرة واسترجع منصبه بمساعدة احزايه وموت اربعة من دعاة ابراهيم الشركسي . ثم تراءى له ان صديقه صالح بك قد حدثه نفسه بخرق حرمة الصداقة واتباع داعي المطامع الشخصية فوكل امر قتلوه الى احد اتباعه المدعو ابراهيم كاشف فقتله طعنًا وسرى ان ابراهيم هذا سيرني حتى يتولى مشيخة البلد

ثم رأى علي بك ايضًا ان قبائل العربان في مصر السفلى قد شفت عصا الطاعة فانذ اليها احد ماليكه المدعو احمد في فرقة من الرجال فحارب اولئك العربان وامعن في قتلهم حتى لقسوه بالجزار وهو الذي نولى عكا بعدئذ واشهر هذا الاسم هناك بالعسف والجور . اما من بقي من اعداء علي بك فاضطربوا خوفًا ولزموا السكوت والطاعة فارتاح وتحقق تخلصه من التلاقل والمناسد والمقاومات . الا انه رأى من باب الاحباط والمحرص ان برقي ثمانية عشر مملوكًا من اتباعه الى رتبة البكوية يكونون له نصراء وقت الحاجة وهذه اسماؤهم

- | | | |
|------|----------------|-----------|
| (١) | رضوان ابن اخيه | من جورجيا |
| (٢) | علي الطنطاوي | » » |
| (٣) | اسماعيل | » » |
| (٤) | خليل | » » |
| (٥) | عبد الرحمن | » » |
| (٦) | حسن | » » |
| (٧) | يوسف | » » |
| (٨) | ذوالفقار | » » |
| (٩) | عجيب | » » |
| (١٠) | مصطفى | » » |

صورة ختم سليمان بك
١٦
٢٠



- | | |
|-----------|------------------|
| من اماسيا | (١١) احمد الجزار |
| انكشاري | (١٢) سليم آغا |
| » | (١٣) سليمان كجا |
| شركسي | (١٤) لطيف |
| » | (١٥) عثمان |
| » | (١٦) ابراهيم |
| » | (١٧) مراد |

ولهذين الاخيرين شأن في هذا الخارج لانها سيتنازعان السلطة في مصر
(١٨) محمد

وكان يعزّه أكثر من الجميع وستره رجلاً عفوفاً ناكراً للجميل . فلما تقلد
محمد هذا البكوية ولم يكن قبل ذلك الأকাশنا لقب باي الذهب فاحب
ان يجعل هذا اللقب اسماً على مسمى فيجعل يتظاهر بالكرم المفرط فكان
بدلاً من ان يفرق العطايا بالبارات يفرقها بالارباع

اما علي بك فكان ساهراً على مصلحة البلاد سهرًا تاماً وكان مخلصاً
في كل اعماله فطهر البلاد من اللصوص وسعى كل ما في جهده لاصلاح
شؤونها فساد الأمن فيها بعد ان كانت معرضاً للفلاقل والمفاسد . ولم
يكن ذلك كل مطامع علي بك فانه رأى من نحامل الواشين بينه وبين
ديوان الاستانة وإيقاع ذوي الاغراض به وبسلطنته ما حمله على السعي
الى الاستقلال بمصر وتجريدها من حماية الدولة العثمانية كية لكنه كم
مقاصده هن وجعل يسعى الى تنفيذها تحت طي الخفاء واول خطوة
خطاها نحو هذه الغاية انه اتحل اسباباً مختلفة بنى عليها عزل اوابعاد
جميع مستخدمي الملكية والجهادية ورؤساء الوجافات واستبدالم بمن هم
على دعوتهم الأوجاق الانكشارية فانه لم يمسه وذلك بعد ان تمكن من
استبقائه تحت حمايته وسد جميع السبل التي يمكنه به التطرق الى مقاومته

واخر دفع مرتبات الوجاقات الاخرى عمداً فكان يدفع لهم اقساطاً عملة ورق بول وكانت تخسر المائة من هذا الورق تسعين فكان يرجع علي بك ارباباً ~~عظيمة~~ باسترجاع الورق بالاثمان الخمسة وصرفه ثانية بثمنه الاصلي . قلما رأت الوجاقات انهم لا يستولون من ما هبناهم الا على العشر كرهوا الاستخدام بالمسكربة وجعلوا يستقبلون منها شيئاً فشيئاً ويتعاطون اشغالاً اخرى اكثر فائدة لهم

ثم سعى علي بك الى تقليل العساكر العثمانية وتكثير الممالك من دعائه . فيقال انه جعل عددهم نحواً من ستة الاف وحظر على سائر البكوات والكشاف الذين يخشى من تغيرهم عليهم ان يقتني احدهم اكثر من مملوك او مملوكين . وكان على ولاية مصر اذ ذاك محمد باشا فازعجه اجراءات علي بك وخشي عاقبتها فصيح اليه ان يقف عند حده فلم يكثرث بقوله . فاقرب الباشا على مقاومته بدعوى ان هذه الاجراءات مضادة لمصالح الباب العالي ولكنه لم يكن يستطيع المجاهر بمفاصده هذه فجعل يدسها سراً واتخذ مع من بقي من دعاة ابراهيم الشركسي واقربوا على الانتقام من علي بك ثم جعلوا يسعون فساداً بين احزابهم حتى استقبلوا بعضاً منهم الى جانبهم بالمواعيد المبنية على الحسد والطمع . وفي جملة هؤلاء محمد بك ابو الذهب الذي طره علي بك بفضله حتى ازوجه ابنته وكان يناديه كما ينادي اولاده . ولما لم يكونوا يستطيعون تنفيذ ما ربههم جهاراً اغروا صهره محمد بك المذكور بمبالغ وافرة ووعدوه انه اذا قتل علي بك يتولى المشيخة مكانه فقبل لكنه علم بعدئذ انه يقصر باعاً عن مناواة علي بك واستعظم الجناية فعدل عنها الى جنابة اعظم منها . وذلك انه شكى الى علي بك من معاملة الباشا فاسرع علي بك الى انقاده منه وما انفك عن الباشا حتى اخرجه من مصر فعاد الى الاسطانة . ولم يزد علي بك في محمد بك ابي الذهب الا ائنة واخلاصاً رغماً عما كان يُنقل اليه عنه من السعي الى الابتاع به

وفي سنة ١١٨٢ هـ انتشرت حرب بين الروسية والدولة العلية فبعثت هذه الاخيرة الى مصر ان تبعث اليها مدداً من اثني عشر ألفاً فوصلت الاوامر لعلي بك بهذا الصدد ومشروعه لم ينفج بعد فلم يسعه الا مباشرة ما أمر به فابتدأ يجمع الجنود . اما اعداؤه فاعتنوا تلك الفرصة للوئي به فاستجلبوا اليهم بكل سهولة الباشا الجديد الذي كان قد أرسل من القسطنطينية بدلاً من الباشا الذي اخرجه علي بك وانفقوا جميعاً على كتابة تقرير مضى من الباشا وسائر البكوات اعداء علي بوشون به الى الديوان الشاهاني بدعوى انه انما اراد بما يجمعه من الجيوش معاضة روسيا لتحرير مصر فانتد الديوان الشاهاني الى الباشا امراً مشدداً ان يقتل علي بك ويرسل رأسه الى اعنابه . فاتصل ذلك بعلي سرّاً بواسطة اصدقائه بالاستانة فبعث علي بك الطنطاوي احد دعائه في عشرة من اتباعه المماليك متنكرين بلباس بدوي يكمنون في مكان على مسافة قصيرة من القاهرة حيث لا بد للناجحي باشي حامل ذلك الفرمان من المرور به فمكثوا هناك ثلاثة ايام متوالية وفي اليوم الرابع بان لهم الناجحي ومعه اربعة نفر فقط فوثبوا عليهم وقتلوه جميعاً وطمروهم في الرمل بعد ان اخذوا ملابسهم والفرمان وساروا به الى علي فقرأه ثم جمع اليه ديوان البكوات العمومي واطلعه عليهم واقنعهم ان ذلك الامر ليس فقط لقتله وحده وانما لقتله جميعاً على اثره ثم خاطبهم قائلاً « دافعوا اذا عن حياتكم وحقوقكم واعلموا ان مصر ما برحت منذ القدم محكومة بدول من المماليك وقد كانوا سلاطين اشداء تفاخر بهم الارض السماء فاعيدوها اليهم . وهذه فرصة ثمينة لا تضيعوها فانكم لن تعثروا عمركم على فرصة مثلها هلم اذا نسعى الى الاستقلال فان فيه حياتنا وحرينا »

فثار البكوات بجهلهم متأثرين من فصاحة علي وبلاغته وكانوا ثمانية عشر جميعهم على دعوته فعاقدوه ان يدافعوا عنه ما استطاعوا . اما

من بني من الامراء المالك الذين كانوا من اعدائهم فخافوا العاقبة ولزموا السكوت . فكتب ديوان علي بك امراً الى الباشا ان يباح الاراضي المصرية في مدة ثمان واربعين ساعة وانه اذا لم يفعل يقتل وان مصر قد أصبحت مستقلة . وبعث علي الى الشيخ ظاهر امير عكا بعلنه رسمياً استقلال مصر ويدعوه للمساعدة في ذلك فاجابه الشيخ ظاهر مسروراً وجمع اليه رجاله ورجال بنو السبعة وصهره وانضم الجميع الى جنود علي وكان قد اضاف الى السنة آلاف التي عنده من المالك الاثني عشر الف التي جمعت لمدد العثمانيين وازاد الى هذه ايضا رجال اصدقائه البكوات حتى رجال اعدائهم لانهم لم يعد يسعهم الا طاعته . فانصل ذلك بالاستانة فارسل الباب العالي امراً الى والي دمشق ان يسير في خمسة وعشرين الفاً لمنع جنود عكا من معاوضة علي فصار الوالي في ذلك العدد من الرجال فلاقاه الشيخ ظاهر في سنة آلاف فيما بين جبل لبنان وبحيرة طبرية وردّه على اعقابهم سنة ١١٨٢ هـ . وكانت هذه الموقعة آخر المواقع لان الباب العالي امسك بعد ذلك عن ارسال الجند وكانه نسي علاقته مع سوريا ومصر بالكلية

اما علي فاغتنم فرصة انشغال الدولة العلية بالمحاربة مع روسيا وصرف اعنيائه نحو تنظيم مملكته الجديدة واصلاح ما داخلها من الخلل فخفض الضرائب وجعل على المالية مدير الكمرك القديم المعلم ميخائيل فرحات القبطي بدلاً من يوسف بن لاوي الاسرائيلي الذي قتل جزاء خيانتهم . ونظم التجارة الخارجية والمخابرات وابعد العربان الى الصحراء فساد الامن وانتشر الاصلاح في القطر فزادوا على القاب علي لقب بلوط قبان (مبيد للصوص) . وكان في جملة القبائل الثائرة على مصر قبيلة الموارنة وكانت اشدهن بأساً واطول باعاً جاءت في الاصل من ضواحي تونس الغرب واستقرت فيما بين جرجا وفرشوط في بقعة من الارض لم تكن تصلح

للزراعة فاعتنوا فيها حتى ائبتنوا فيها عدة قرى وما زالوا ينشرون سطونهم حتى احنلوا جميع الاراضي بين هو وكفر الشيخ سليم . ثم اغنم الشيخ هاما (شيخ الهوارة) فرصة انشغال مصر بما تقدم ووضع يده على كل البلاد من اسبوط الى اصوان وجمع اليه محصولاتها . وكان قد حارب هذه القبيلة كثيرون ممن تولوا مصر قبل علي وفرضوا عليها ضريبة مقدارها ٢٥٠ الف اردب من الحنطة نوردها سنوياً الى مصر

ففي سنة ١١٨٢ هـ ارسل علي بك صديقه محمد بك ابا الذهب لمحاربة الشيخ هاما وقيلائه فحاربهم وتغلب عليهم في اواخر تلك السنة فاضطر ابناء الشيخ ان يبتاعوا حياتهم بكل ما كان لديهم من ثروة ابيهم . فرجح ابو الذهب من هذه الموقعة ثروة كبيرة ثم اسرع الى القاهرة لما علمه من الدسائس التي كان ساعياً بها رفيقه احمد بك الجزار على علي بك وكان لم يكن يريد ان يشاركه احد بالدسائس على سيده . وكان احمد الجزار ينظر الى محمد ابي الذهب نظره الى عدو يناظره في ارتكاب الدنيا فسعى الى قتله فلم ينجح . وكان لاحد الجزار سيف مشهور بطبيب فولاده واثقان صنع فانتق يوماً انه اجتمع محمد ابي الذهب فقال له محمد « ارني حسامك لاجربن فرنك » فاجابه احمد « لا يستل حسامي سواي ولا اغمد حتى يستباح قتيل » ثم نهض للحال وغادر القاهرة قاصداً القسطنطينية فوصلها ثم عهدت اليه ولاية عكا بعد ذلك وما زال فيها حتى توفاه الله اما علي بك فبعد ان تغلب على الصعيد ثار في خاطره حب الافتتاح فجرّد الى اليمن تحت قيادة محمد ابي الذهب فسار في عشرين الف مقاتل فقطع برزخ السويس ومضيق العقبة ولم يبق على احد من القبائل التي حاولت الوقوف في طريقه وما زال حتى اتى اليمن وافتتحها . وامر علي فسار اساعيل بك في ثمانية آلاف لافتتاح السواحل الشرقية للبحر الاحمر وحسن بك لافتتاح جدة ولقب بالمجدوي اشارة الى انتصاره على تلك

المدينة وما زال يعرف بهذا اللقب من ذلك الحين . ولم يَضِ سنة اشهر حتى افتتحت شبه جزيرة العرب وفي جملتها مكة المشرفة التي لحق بها نهبٌ شديد وأُتزل شريفها وأقيم مقامه ابن عمه الامير عبدالله فنبت علياً في سلطنته ببراءة رسمية ولقبه بسلطان مصر وخاقان البحرين . فلما حصل علي بك على هذا التثبيت من شريف مكة اخذ يتمتع بكل حقوق السلطنة فامر ان يُخطب باسمه في الصلوات العمومية ايام الجمعة وضرب النقود سنة ١١١٨ هـ في القاهرة باسمه كما سترى

وفي هذه السنة سعى علي بك الى امرٍ سبق به الى حنفي وذلك انه عهد الى محمود بك ابي الذهب ان يسير في ثلاثين ألفاً لاختضاع بلاد الشام لانه كان يعتبر هذه الولاية بعد ان خرج هو من طاعة الدولة العلية جأراً عدواً يخشى منه ليس فقط على نفسه ولكن على الشيخ ضاهر صديقه ومحالفه ايضاً . وكان ينظر الى سوريا كأنها معجولة من طيعتها جزءاً من مملكة مصر وقد كانت بالواقع قسماً منها في سائر الازمنة التي كانت فيها مصر مستقلة كما رأيت في ايام الدول الطولونية والابوية والماليك وغيرها . وسعى علي بك في الوقت نفسه الى التحالف مع دولٍ بينها وبين الاستانة عداوة طبيعية . فاستخدم احد التجار الايطاليين المدعو روستي فعقد له معاهدة سلمية مع الفينسيين على ان يكونوا اصدقاء معضدين له . ثم عهد الى رجل ارميني يدعى يعقوب ان يستطلع من الكونت الكسيس اورلوف قومندان القوات الروسية في البحرين (المتوسط والاسود) عن امكان عقد معاهدة دفاعية وهجومية مع قيصة روسيا كاترينا الثانية . فاجاب الكونت بالاجاب وتُتحت المخابرات بشأن ذلك وطال امرها كثيراً لبعده المسافة بين الطرفين . اما جنود علي بك في سوريا فصاحبها الظفر واتحدت بجنود الشيخ ضاهر فاستولوا على غزة والرملة ونابلس واورشليم وبافا وصيدا واخيراً حاصروا دمشق ولم تلبث يسيراً حتى سلمت

فلما رأى محمد ابو الذهب ما كان من هذه التتوحات العظيمة على يده حدثه نفسه ان يجعلها لنفسه . ثم قاده مطامعة الى محاربة علي واستخراج مصر من يده . ويظن انه لم يقدم على ذلك من تلقاء نفسه وانما كان محمولا باوامر جاءته من الاستانة لان الخبايا السرية كانت متواصلة بينه وبينها بواسطة الباشا الذي اخرجته علي من مصر . فامسك محمد عن المسير في الاراضي العثمانية وحول شكبة مناصده نحو الديار المصرية فجمع اليه كل ما كان لديه من الجيوش وضم اليها كل الحاميات التي كان قد اقامها في المدن المفتحة وسار قاصدا مصر . الا انه لم يحسر على المسير الى القاهرة رأسا خشية ان يلاقي من الانكشارية والوجاقات الاخرى اعداء اشداء لعلو بما في قلوبهم من الضغينة علوه . فعرج نحو الصحراء وسار حتى بلغ الصعيد فحط رحاله هناك واستولى على اسيوط في آخر يوم من سنة ١١٨٥ هـ . ثم استقدم اليه قبائل العربان وطلب محالنتهم ومحالنة بكوات الصعيد وجاهر بعزمه على خلع علي بك وسار قاصدا القاهرة فوصلها في اوائل سنة ١١٨٦ هـ فتزل بجيشه منابل البساتين فوق مصر القديمة . فلما علم علي بذلك ندم على ما وضع من الثقة في رجل كان له ان يعتبر من سيرته الماضية انه على غير الاخلاص والاستقامة . فنجد ثلاثة آلاف رجل تحت قيادة اسماعيل بك وامرهم ان ينعولوا محمدا من عبور النيل فسار اسماعيل لكنه خاف سطوة عدوه . ثم وردت اليه منه كتب مفعمة بالمواعيد يمازجها بعض التهديد فاخذ جانبه وضم جيشه الى جيشه فقطع محمد بك النيل فاستقبلته رجال اسماعيل بالترحاب فانصل ذلك بعلي فيئس من الفوز فانقطع الى القلعة بعائلته واصدقائه ورجال دعوته عازما على المدافعة الى آخر نسمة من حياته . وبعد ذلك بثلاثة ايام ورد اليه كتاب من الشيخ احمد حد ابنا صديقه الشيخ ضاهر ان يبارح القاهرة حالا ويأتي الى ايوه في

عكا فبارح علي* القلعة بمن معه وسار من جهة الجبل الاحمر طالبا سوريا عن طريق الصحراء . وكان خروجه قبل دخول محمد بك القاهرة يوم واحد اي مساء ٩ محرم سنة ١١٨٦ هـ وهذه هي المرة الثالثة لخروجه منها الى سوريا وفي معيته هدد يسير من الجند لا يبلغ ستة آلاف معظمهم من الخدمة الذين لا يستطيعون الدفاع . ولم يحمل معه من المال الا ثمانية الف زرمحوب يحملها ٢٥ جملا . ونقل معه من المصاغ والحلي ما يساوي اربعة اضعاف ذلك . وما زالوا في المسير ليلا ونهارا فوصلوا الى خان بونس في حدود سوريا بعد ثلاثة ايام فأرأوا ان خمسة من الجمال الحاملة للنفود قد ذهبت فريسة بيد القبائل البدوية وان عددا من جنوده قد فروا ومعهم يوسف الخزندار . وفي اليوم التالي دخل علي بك غزة ثم واصل السير حتى اتى عكا بعد ثمانية ايام فترحب به اميرها وكانت بينهما مودة شديدة فامن علي* هناك غير ان ما تكبده من المشاق في الاسفار مع ما اثر في نفسه من الغيظ الشديد قد غيرا في صحته فلم يصل عكا الا وهو في حالة الخطر من شدة المرض

وفي اثناء ذلك وصل ميناء عكا اسطول روسي* فلما علمت حاميته بما حل بعلي عقدوا معه معاهدة ثانية وقدموا له كل ما يحتاج اليه من المؤن والذخائر وكان في خدمة ذلك الاسطول فرقة من الالبانيين (الارناووط) مؤلفة من ثلاثة آلاف رجل فأمدوه بهم . فلما رأى علي بك ما كان من نجدة الروسيين مع ما يمكنه الحصول عليه من جنود الشيخ ضاهر عزم على مناواة اي الذهب لكنه لم يكن يستطيع مباشرة ذلك بنفسه لانحراف صحته . فعهد الى علي بك الطنطاوي بعد ثلاثة اشهر ان يسير اولاً لاسترجاع المدن السورية التي دخلت في حوزة محمد اي الذهب فسار واستولى على صور وصيدا وقرى اخرى من سواحل سوريا كانت قد احتلها جنود عثمانية بعد انسحاب جنود محمد اي الذهب . ثم سار علي* بنفسه فيمن بقي من

الجند إلى بافا وافتتحها بعد محاصرة خمسة أشهر استولى في اثناها على غرة عنوة وعلى الرملة والدنسليما . فاعاد بافا الى حكومة الشيخ ظاهر وجعل على اللد حسن بك الجداوي وعلى الرملة سليم بك

وفي ٩ ذي القعدة سنة ١١٨٦ هـ كان علي بك في بافا فاجاءه رسل من القاهرة بمأمرية سرية من وفاق الانكشارية والوجاقات الاخرى وسائر اعيان القاهرة يعلمونه ان محمد ابا الذهب دخل القاهرة حالما خرج منها هو وسمى نفسه شيخ البلد وجعل يعيث في البلاد ظلماً لم يسبته الى مثله احد ممن تولى مصر قبله فجعل بعض الضرائب ضعفين وبعضها ثلاثة اضعاف . ثم اخنلق قانوناً غريباً دعاه قانون رفع المظالم والمقصود منه بحسب الظاهر انقاذ ملتزمي الاموال الاميرية من الاجراءات الاستبدادية التي كان يسومهم اياها الكشف الى ذلك العهد واستبدالها بما يعود بالمنفعة والحقيقة ان الضرائب ما انفكت اشد وطأة من ذي قبل والاجراءات لم تزد الا استبداداً فضلاً عما رافق كل ذلك من الفتن بالعباد قتلاً ونهباً

ثم قالوا ان مصر يجملتها لما رأت ما وصلت اليه من الانحطاط وما لحق باهلها من المظالم والاجراءات التي ما انزل الله بها من سلطان قد نوبتهم ان يبلغوا علي بك انها بصوت واحد تلتئم رجوعه ليحكم فيها لانه هو منقذها الوحيد وان مدينة القاهرة مستعدة ان تنفع ابوابها لاستقبال اميرها القديم وان تدافع عنه الدفاع الممكن اذا حاول محمد بك ابو الذهب اجراء ما يخالف الصوت العمومي

فلما علم علي بك بكل ذلك شعر كأن آماله عادت اليه وبارح بافا للحال قاصداً القاهرة . ولم يكن لديه من الجنود الا الفان وخمسمائة فاستنجد حاميات اللد والرملة وانضم اليهم جنود الشيخ ظاهر وجنود ابنه الشيخ شلي وصهره الشيخ كريم وحسن شيخ مدينة صور . وكان قد استأجر

ثلاثة آلاف وخمسمائة من المغاربة . فكان عدد المجنود التي بمعيتهم جملة ثمانية آلاف محارب

ففي ١١ محرم سنة ١١٨٧ هـ وصل علي بك بمجنوده الى خان بونس وفي ١٦ منه اقترب من الصاحبة . وفي ١٨ منه التقى بمقدمة جيوش محمد بك ابي الذهب وعدتهم اثنا عشر الف مقاتل وبعد محاربة بضع ساعات ظهر علي بك عليهم بعد ان قتل عدداً كثيراً من رجالهم . فانفتحت له ابواب الصاحبة فدخلها بسلام وقد أصيب بجروح بليغة . ثم علم ان اعتماده على احزابه في القاهرة لا يورثه الا خيبة الامل لان ابا الذهب كان قد جمع اليه كبراء البلاد ورجال حكومتها لما علم بمظاهرةهم له علي وحاول اقناعهم ان علي بك قد غدر الأمة وخان الوطن واباح دماء المسلمين بمعاهداتهم مع الروسيين وغيرهم من الامم النصرانية . واستخدم ابي الذهب في سبيل اقناعهم الدرهم الواضح فانمازت اليه كل القوات العسكرية الا وفاق الانكشارية فانه بقي محافظاً على ولاء علي بك . فلما تحقق محمد بك ابو الذهب اجتماع الاحزاب في مصر على دعوته آمن من الاضطراب الداخلي فسار بنفسه لمحاربة علي

اما علي فانزعج لتلك الاحوال انزعاجاً كثيراً فضلاً عما كابده من مشاق الاسفار في قطع الصحراء الحارة وزد على ذلك الجروح التي اصابته في موقعة الصاحبة فأصيب بمحى شديدة منعتة من امتطاء جواده وقيادة جنوده . وفي ٢٠ محرم سنة ١١٨٧ هـ علم بمجيء ابي الذهب وهو على ما تقدم من المرض فلم يتردد في وجوب الدفاع فأمر قواده فانظمت رجاله على قائمتها وتجهيزات للدفاع . وكان على الجناح الواحد من الجيش علي بك الطنطاوي ومن معه من البكوات وعلى الجناح الآخر ابن الشيخ ظاهر وصهره فاستظهرت جنود علي بادئ الرأي حتى قاربت النوز التام ثم ارسل ابو الذهب جواسيس الى المغاربة في جيش علي يغربهم على

خيانة رئيسهم فوافقوه ووافقه غيرهم كثيرون من بكوات علي وفي جملتهم ابراهيم بك ومراد بك . وهذا الاخير اشترط ان يأخذ مقابلًا لخيانته هذه كلها يتركه علي من المناع والنساء وعلى الاخص امرأته نفيسة التي كان علي يحبها ويعتبرها كثيرًا لما كانت عليه من الفطنة والحلم

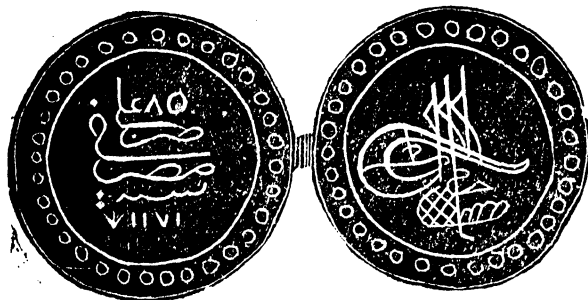
فلما انتشبت الحرب في الصباح التالي انحاز جميع المغاربة والبكوات الذين خانوا الى معسكر ابي الذهب . وكانت جنود علي بك قريبة من النوز فلما رأت تلك الخيانة حبطت قواها وفرَّ الجند يطلبون النجاة بانفسهم بعد ان قُتل علي بك الطنطاوي والشيخ شلي ونجا الشيخ كريم والشيخ حسن ورضوان بك من المعركة وساروا الى فسطاط علي واعلموه بما حصل وطلبوا اليه ان يمتطي فرسه ويسير يرفقهم الى غزة حيث يلاقهم الشيخ ضاهر بمن معه من الجند . اما علي بك فأبى نفسه الاصغاء لما ارادوا فجلس عند باب خيمته وقال لهم « ها اني ملازم هذا الموضع لا ابارحه حتى تبارحني نفسي لان الموت فيه افضل عندي من الفرار . اما انتم فاذا شئتم النجاة بانفسكم فبادروا الى الفرار قبل ان يغشاكم ما ربما لا تقوون على دفعه » . فاضمر ابن اخيه ورجاله الباقون ان يذعنوا لما امر . فودعوه وحولوا الاعنة في طريق خات بونس قاصدين غزة وهناك وجدوا الشيخ ضاهر فاعلموه بما كان وبوفاة ابنه فاسف عليه كثيرًا . اما علي بك فمكث بعد وداع اصدقائه بضع ساعات ينتظر منيته وبجانبه عشرة من مماليكه واذا بخمسين رجلًا تحت قيادة الكجا نائب محمد ابي الذهب قد وصلوا الى الخيمة ودخلوها وقتلوا من كان فيها من المماليك ثم وثبوا على علي وكان المرض مشتدًا عليه وفيه جروح لكنه نهض بسيفه فقتل اول قادم اليه وجرح اثنين آخرين فخشي الباقون الاقتراب منه فاطلقوا عليه البنادق فمجرحوه جروحًا بليغة في ذراعه وفخذ اليمنى . فجعل يدافع بيسره دفاعًا شديدًا حتى وثب عليه الكجا بنفسه فدفعه حتى اصيب

في ذراعهِ اليسرى وفي اماكن اخرى فسقط على الارض وهو لا ينفك عن الدفاع فتكاثرت عليه الرجال حتى امسكوه حباً وساروا به الى محمد ابي الذهب وطرحوه عند قدميه فامر بحمله الى القاهرة فحملوه اليها وانزلوه في داره بدرج عبد الحق في شارع البكري وراء صندوق الدين فليث فيها سبعة ايام ثم توفاه الله . وقد قال بعضهم ان ابا الذهب ادخل السم في جرحه فقتله والله اعلم . وقد دفنوه بتربة استاذه ابراهيم كحيا بجوار الامام الشافعي . وقد كان لموت هذا الرجل تأثير عظيم في قلب كل من عرفه حتى ان ابا الذهب نفسه لم يسعه الا الندم داخلياً لما فرط منه وما اناء من نكران الجميل وارتيكاب مثل هذه الحيانة

ومن صفات علي بك انه كان عظيم الهيبة حتى اتفق لanas انهم مانوا خوفاً من هيبتِهِ وكانت تاخذ الرعدة بعضهم بمجرد المثل بين يديه فباخذ هو بتلطيف رعبه فيقول له « هَوْن عليك » . وكان صحيح الفراسة شديد الحذق يفهم ملخص الدعوى الطويلة بين المتخاصمين ولا يحتاج في التنبه الى ترجمان او من يقرأ له الصكوك والوثائق بل يقرأها هو بنفسه ولا يختم ورقة حتى يقرأها ويفهم مضمونها . ومن مآثره البناية العظيمة بطنطا وهي المسجد الجامع والقبه على مقام السيد البدوي والمكانب والمبضاة الكبيرة والحنفيات والمنارتان العظيمتان والسبيل المواجه للقبه والقيسارية العظيمة . وجدد ايضاً قبة الامام الشافعي وبنيات ووكلات في بولاق مصر ولا يزال هذا الرجل مميّزاً عند المؤرخين بلقب الكبير فيدعونه « علي بك الكبير »

وترى في شكل ٧٧ و٧٨ صور النفود التي ضربت على عهد علي بك في القاهرة . الاولى فضية وعليها الطغراء الشاهانية للسلطان مصطفى بن احمد وتاريخ توليه السلطنة سنة ١١٧١ هـ ولكن يشاهد عليها ايضاً من الاعلى اسم علي وتاريخ ٨٥ هـ مختصرة من سنة ١١٨٥ هـ وتدعى هذه

القطعة من المعاملة قرشاً . والثانية فضية ايضاً ويشاهد عليها الطغراء



العثمانية اما
تاريخ تولية
السلطان
فاسنبدل
بسنة
١١٨٢ هـ

السنة التي ش ٧٧ نقود السلطان مصطفى بن احمد وعلي بك



صرح به علي بك باستقلاله
ويشاهد عليها اسمه وتدعى
هذه القطعة عشرينية اي
نصف قرش

ش ٧٨ نقود السلطان مصطفى بن احمد وعلي بك

سلطنة عبد الحميد بن احمد

من سنة ١١٨٧ - ١٢٠٢ هـ او من ١٧٧٤ - ١٧٨٩ م

وفي تلك السنة تولى الخلافة العثمانية السلطان عبد الحميد بن



احمد عوضاً من السلطان
مصطفى الثالث

وترى في شكل ٧٩ و ٨٠
صور نقود ضربت في القاهرة
في عهد السلطان مصطفى

ش ٧٩ نقود السلطان مصطفى بن احمد



بن احمد قبل استقلال علي بك
بتاريخ ١١٧١ هـ الاولى فضية والثانية
نحاسية

ش ٨٠ نفود السلطان مصطفى بن احمد
وبوفاة علي بك عاد وادي النيل الى ما كان عليه قبله تابعاً لاملاك
الدولة العلية وعادت احكامه الى مشايخ البلد والكشاف الذين جعلوا
تلك المصالح وسيلة لاختلاس اموال الناس وحقوق الدولة وكان علي
بك قد جعل لكل هذه المظالم حداً واصح الشؤون حتى علفت الآمال
باعتراز مصر ورفع شأنها اما المنية فلم تنق عليه

نعم ان مصر بعد وفاته عادت الى كنف الدولة العلية لكنها بالحقيقة
لم تفدها شيئاً لانها كانت في الحالة الاولى طعمة لرجل محب للإصلاح
مخلص بمقاصده وان كانت بمعزل عن صوالج الدولة وفي الثانية اصبحت
طعمة لثلاثين رجلاً كل منهم يسعى الى ابتلاعها لا يتفقون الا على كره
الدولة التي هم تحت حمايتها . اما السلطان عبد الحميد فلم يكن يرسل
اليها من الولاة الا من كان اسماً بلا رسم كما كان شأنهم قبل ظهور علي
فكان الباشا من هولاء آله يديرها البكوات كيف شاؤوا ولم يكن لديه
من الاعمال الا مخاينة القسطنطينية مخايرات سرية فيما كان يقع بين
هولاء البكوات من الخلاف وما كانوا يتداعون اليه من الخصام وواجبانه
المهمة ان يستلم من الحكومة المصرية الجزية ويرسلها الى الاستانة هذا اذا
تمكن من قبضها

فلم تكن ولاية مصر الا مأمورية يستعيب بها المأمور بتأديتها
فكانوا يعتبرونها بمثابة منى قد استحقه الباشا او الوزير الذي يرسل اليها
لانه كان يعلم قبل خروجه من الاستانة انه اذا لم يكن راضياً بما يرضاه
شيخ البلد لا يلبث ان يصله منه رسالة ينقلها ناقل يقال له الاوطه باشي

وفيها الامر بعزله امرأ لا مرد له ولا مجال للدفاعه بعده . وكيفية ذلك ان شيخ البلد ورجاله اذا رأوا في تصرف الباشا ما يوجب الشك يجتمعون اجتماعاً عموماً في الديوان ويقررون عزله ويكتبون بذلك امرأ عاليًا يسلمونه الى الاوطه باشي ليوصله الى الباشا فيجعله ويسير منفرداً على حمار (لان القانون لا يسمح له بركوب الخيل او البغال) بين يديه فرمان العزل فاذا مر في الاسواق على هذه الصورة علم الناس انه ساع الى امر مهم فيه عزل فيهرولون وراءه . ولا يزال سائرًا في عرض الطرق قائداً لتلك المراكب نحو القلعة . وكان من واجبات اي جندي صادفه في تلك الحال ان يرافقه انقاء ما يخشى حدوثه عند وصوله الى القلعة . فاذا وصل القلعة يدخل على الباشا ثم يجنو امامه بكل وقار لكنه عند ما ينهض يطوي السجادة التي كان جاثياً عليها وينادي باعلى صوته « انزل يا باشا » وعند طي السجادة والتلفظ بهذه العبارة تسقط كل حقوق ذلك الباشا ولا يعود له اقل سلطة على الجنود التي كانت قبل بضع دقائق تنتظر اشارته وتصير تحت اوامر الاوطه باشي . والباشا يقف ممثلًا يسمع تلاوة فرمان سواء كان منطوقه بعزله او قتله فلا يسعه الا الطاعة التامة . وعلى مثل ذلك كانت معاملة باشوات مصر فاتهم كانوا عرضة لاوامر العزل التي اذا لم تكن من الاستانة تكون من مصر

فلما مات علي بك اخلف اعداؤه في القاهرة على الاجتزاء من انتصاراتهم فكان كل منهم يظن لنفسه الحق بالتمتع باثمار الانتصار كغيره او اكثر فاختلفت الاحزاب من بينهم . اما من بقي من رجال علي فلم يجدوا مكاناً فيه راحة لم يفقد كانوا في عكا عند الشيخ ضاهر على ما تقدم فلم يكن من ابي الذهب الا انه تعينهم لانه كان رجلاً محباً للانتقام حباً يفوق التصديق وقد آلى على نفسه ألا يبقى على احد من رجال علي اما الشيخ ضاهر امير عكا فلم يعد يطيب له السكون بعد ان خسر

ابنه في سبيل نصرة على بك فنارت في خاطره دواعي الانتقام . ولكن محمد بك ابا الذهب لم يكن اقل رغبة في الانتقام منه ولما لم يعد يستطيع صبراً على ذلك استرحم من الباب العالي ان يؤذن له بالمسير الى محاربة سوريا وعلى الخصوص عكا ووقع في اميرها الشيخ ضاهر فاتهمم بالعصيان وانه ساع بدسائس ضد الدولة . فاجاب الباب العالي بفرمان يثبت في مشيخة البلد مع لقب باشا ورتبة والي القاهرة مكافأة لما اتاه من الايقاع بعلي واحزابه وصرح له ان يتبع ذلك الشيخ العاصي . فلما وصل الفرمان الى ابي الذهب كاد يطير من شدة الفرح واعد جيشاً جعله تحت قيادته الشخصية مستخلفاً في مصر اسماعيل بك بصفة قائمقام وعهد حكومة مدينة القاهرة الى ابراهيم بك . ثم سار في جيشه الى سوريا ولم تنتهِ سنة ١١٨٩ هـ حتى دخل فلسطين . وكان لشدة عجبه بما اوتيته من الالقاب والرتب وما وعد به من المساعدات من قبل الباب العالي لا يزيد الا كبراً حتى جعل خيمته التي كان يقيم فيها اوقات الراحة من اثنى ما يمكن مزينة بابدع ما يكون . فمر بجنان بونس فغزة فالرملة ولم يصادف اقل مقاومة . اما يافا فكان عليها الشيخ كرم صهر الشيخ ضاهر فدافعت قليلاً ثم فتحت عنوة فدخلنها رجال ابي الذهب بالقتل والنهب حتي قتلوا القسم الاعظم من سكانها من رجال ونساء وشيوخ واطفال

فبلغت تلك الفواحش مسامع الشيخ ضاهر وهو في عكا فخاف ان يصيبه ما اصابها ففر بعائلته ومن هم لديه من المهاجرين المصريين ولم يترك في المدينة الا ابنه الشيخ علي . وهذا لما علم باقترب جيوش ابي الذهب اخلى القلعة وانحسب منها لعله انه اذا حاول الدفاع انما يكون محاولاً عبثاً . فوصلها ابو الذهب وابوابها مفتوحة فدخلها ولم يبق عليها ومثل ذلك فعل بقري اخرى من فلسطين والى هذه المدينة وفيها انتهت ارتكابات هذا الرجل لانه بينما كان عازماً على العود الى مصر اصبح القوم

فوجدوه ميتاً في خيمته ولم يستطيعوا معرفة القاتل رغماً عما اتخذوا من
الاحيائيات وما كان لديهم من الفرائن الكثيرة . فقال بعضهم انه اصيب
بنقطة وهو داء السكنة وقال آخرون لا بل مات مفتولاً بيد عدو
فانك والله اعلم . وبعد موت ابي الذهب عادت الجيوش المصرية تحت
قيادة مراد بك الى مصر ومعهم جثة رئيسهم فدفنوها بالقرب من مدفن
علي بك . فقد مات ابو الذهب بعد موت علي بك بميتين ولقب « بالخائن »
وتولى مشيخة البلد بعده اسماعيل بك رغماً عن ادعاءات مراد بك
وابراهيم بك ولم يبق غير من طائفة ابراهيم كنيا وهو من الذين نالوا رتبة
البكوية بواسطة علي بك وكان لا يزال على دعوته ولكنه انضم الى ابي
الذهب خوفاً . اما قلبه فلم يفتّر لاهجاً بالمداغة عن رئيسه الذي لم يأت
نحوه الا كل ما يستدعي انتصاره له فضلاً عن انها من طائفة واحدة .
فلما استلم زمام الاحكام عمل على اتباع خطوات علي بك فبعث الى الذين
كانوا لا يزالون من حزبه في سوريا واستدعاهم اليه واقترحهم في اماكنهم
وطيب خاطرهم كل ذلك استعداداً لمقاومة مناظره مراد وابراهيم . وكانا
قد اتحدا معاً قلباً واحداً على خلع اسماعيل بك فباشرا اولاً بطلبان طرد
حسن بك المجداوي صديق اسماعيل بك فلم ينفوزا الا انها تمكنا من احتلال
القلعة فاتحد اسماعيل بك وحسن بك واخرجاها منها ففروا الى الصعيد .
وبعد يسير جمع المنهزمين حزباً كبيراً واستعدوا لدفاع اسماعيل فبعث
جيوشاً لتخمد انفسها فعادت الجيوش على اعقابها وفاز الاميران فاضطر
اسماعيل بك الى مبارحة القطر المصري فسار الى الاسكندرية . اما حسن بك
فقبض عليه وسبق الى جدة منفياً فتمكن اثناء الطريق من ارضاء رئيس
المركب الذي نقله فانزله في النصير على سواحل الفلزم ومن هناك قطع
الصغراء غرباً حتى اتى الصعيد فاستكن في اعلاه
فلما خلا الجو لمراد بك وابراهيم بك اتفهما الاحكام فتعين الاول

اميراً للبحر والثاني شيخاً للبلد ورقياً كثيراً من ممالكهم الى رتبة البكوية
وقلدهم مصالح البلاد وكانت الاحكام في عهدهما كما كانت في ايام اسلافهما
من المظالم والاستبداد . وبلغها بعد مدة ان اسماعيل بك عاد من الاسانة
وانه جاء الى حلوان فبعثنا اليه فرقة من المالك فتكت بكل ما كان معه
من عائلته ورجالها ما هو فتمكن من النجاة باخباته في بعض الكهوف
ثلاثة ايام . ثم سار منه طالباً الشلال وهناك اجتمع بصديقه حسن بك
الجداي وساراً معاً واولا الى شلال الجنادل في السودان . فاختلف مراد
بك و ابراهيم بك على ارسال حملة للقبض على الهاربين فارتأى احدهما
وجوب التجديد وخالفه الآخر حتى آل الامر الى الخصام وخروج ابراهيم
بك من القاهرة وانتحاه الى المنيا في الصعيد مغتاضاً . فارسل اليه مراد
بك بعض الاختيارية يسكنون من جاشه ما استطاعوا فارضوه واعادوه
الى مركزه في الناهرة . الا ان العلاقات الودية ما انفكت متكررة بين
الاثنين ولم تمض مدة حتى انسحب مراد بك الى المنيا مغتاضاً من زميله
لعلوه باتحاده مع خمسة من بيت عدوهم البكوات عثمان الشرقاوي
وايوب الصغير وسليمان و ابراهيم الصغير ومصطفى الصغير

ولبت مراد بك بعيداً من القاهرة خمسة اشهر وكان يظن ابراهيم
بك انه لا يلبث ان يسكن جاشه حتى يعود اليه فلما استبطأه ارسل اليه
الاختيارية كما فعل ذلك معه . فابي مراد بك ورد الاختيارية خائبين .
ثم جند جنداً من اتباعه الممالك وسار نازلاً على الضفة الغربية للنيل
حتى اتى الجيزة مقابل مصر القديمة وعسكر هناك . ثم هم الى قطع النيل فعلم
ابراهيم بك بذلك فحنّد في الجبهة المقاتلة على البر الشرقي ليمتعه من المرور
ولبت الجانبان على تلك الحال ثمانية عشر يوماً لا يهتآن الا الى اطلاق
مدفع او مدفعين على سبيل المناوشة ولم يقتل الا رجل و فرس . فملّ مراد
بك من تلك الحال فعاد الى المنيا بمن كان معه

اما ابراهيم بك فكان كثير الرغبة في مصاحبة زميله فانفذ اليه بعد خمسة اشهر من انسحابه وفداً ثانياً من كبار البلاد ومشائخها يطلبون اليه الرجوع الى القاهرة فوافقهم لكنه اشترط عليهم ان يسلموه الخمسة بكوات المتقدم ذكرهم حال وصوله الى القاهرة . فقبلوا بذلك الشرط فترل معهم فعلم اولئك البكوات باعلام سري من ابراهيم بك بما اشترطه مراد بك فخرجوا من القاهرة لجهة القليوبية على نية الشخصوص الى الصعيد عن طريق الاهرام فانصل ذلك بمراد بك فجعل عند الجسر الاسود بالقرب من الاهرام زمرة من العربان لترصد مرورهم لكنه لم يستطع صبراً على ذلك فقطع النيل ببعض رجاله فالتقى بالمنهزمين عند رأس الخليج فتلاحوا فخرج مراد بك ونجا اولئك فلاقام العربان عند الجسر الاسود فاسروهم وجاءوا بهم الى مراد بك فلم يسمه لشدة غيظه الا نفيهم الى المنصورة وفرسكور ودمياط تفرقاً لكل منهم لكنهم لم يلبثوا الآمنة يسيرة حتى اجتمعوا في غابة سنة ١١٩٧ هـ واتفقوا ان يفرّوا الى الصعيد ويجمعوا اليهم عصبة بقاومون بها عدوّهم لكنهم لم يباشروا ذلك حتى تداخل شيخ الجامع الازهر في امرهم واستحصل لهم على العفو من مراد بك فصنع عنهم واعادهم الى القاهرة بكل اكرام واعاد اليهم رتبهم وامتيازاتهم

ثم مضى بعد ذلك ثلاث سنوات على ابراهيم بك ومراد بك وهما على وفاق وسكينة يفتسمان ايرادات البلاد فيما بينهما بالسواء لا يقدمون عنها حساباً او اذا قدموه لا يكون الا حبراً على ورق . فوشى بهما محمد باشا وكان والياً على مصر اذ ذاك الى السلطان وبما هما فيه من الاستغلال بالية البلاد فامر السلطان عبد الحميد سنة ١١٩٩ هـ ان يرسل الى مصر جيش لا يقاها عند حدّها فصار الجيش في عمارة تحت قيادة قطان باشا حسن فوصلوا الاسكندرية في ٢٥ شعبان سنة ١٢٠٠ هـ فخاف البكوات خوفاً شديداً واجتمعوا اجتماعاً عمومياً في الدويان وباحثوا فيما يجب

اجرائه. ونظراً لكثرة اللفظ واختلاف المقاصد والآراء لم يقرأوا على شيء
واخيراً ارتأوا طلب تداخل محمد باشا ولما عرضوا عليه رأيهم رفض.
فطلبوا من الشيخ احمد العريشي شيخ الجامع الأزهر والشيخ محمد المهدي
كاتب السر وباش كاتب الديوان الخصوصي وغيرهم ان يسيروا الى رشيد
ويستعطفوا القبطان باشا



وترى في شكل ٨١ صورة ختم الشيخ
المهدي وامضائه الرسمي وفيه لقبه كما يكتبه يده
فركبوا من بولاق في زورق متفن وما
زالوا حتى بلغوا رشيد فلاقاهم القبطان باشا
بما يليق من الاحترام. اما هم فاعلمهم ان
الاميرين ابراهيم ومراد لا يثبتان على رأي
فربما طلبوا لهما العفو فحصلوا عليه ثم نكت
ذاتك فتكون الملامة عليهم. فقال الشيخ

ش ٨١ ختم محمد المهدي وامضائه

العروسي «يا مولانا ان رعية مصر قوم ضعفاء وبيوت الامراء مختلطة ببيوت
الناس» فقال الباشا «لا تخشوا بأسيافنا اول ما اوصاني به مولانا
السلطان هو قوله «ان الرعية وداعة الله عندي وانا استودعك ما اودعني
الله تعالى» فدعوا له بطول العمر. ثم قال لهم «كيف ترضون ان يملككم
مملوكان كافران يسومونكم سوء العذاب لماذا لا تخرجونهما من بلادكم»
فاجابه احدهم بقوله «يا سلطانم هؤلاء عصبة شديدو البأس لا نقوى
على دفعهم» فطيب خاطرهم ووعدهم بالحماية. وبالحقيقة ان هذا الوفد قد
نصرف بالحكمة لانهم لم يكادوا يخرجون من حضرة القبطان حتى سمعوا
بقدم مراد بك ومعه عشرة من البكوات وعدد من الكشاف والماليك.
ثم شاع انهم نزلوا في الرحمانية عند منشأ التربة المحمدية الاسكندارية.

وسبب ذلك ان مراد بك بعد ما ارسل ذلك الوفد خطرلة الدفاع بالسيف
فجمع اليه ذوي شوره وفاوضهم فاقروا على وجوب الدفاع وان يسير
مراد لذلك ويبقى ابراهيم للمحافظة على القاهرة

فسار مراد بن معه وتزلوا في الرحمانية كما قدمنا فلاقهم الجنود
العثمانية الظافرة وحصلت بينهما موقعة لم تطل الا يسيراً فانذعرت جنود
المالك من قتابل العثمانيين التي كانت تتفرقع بين ارجل خيلهم فتشتت
شملمهم وفاز العثمانيون ففر مراد بك ومن معه حتى اتوا القاهرة فاجتمعوا
بابراهيم بك وفرؤا جميعاً الى الصعيد ولبثوا هناك ينتظرون هجمات
العثمانيين . فلما رأى محمد باشا الوالى خلو القاهرة من المالك جمع اليه
الوجاقات ونزل بمعينهم من القلعة استعداداً لاستقبال الجنود العثمانية

ففي ٥ شوال سنة ١٢٠٠ هـ دخل حسن باشا القاهرة بعد ان خربت
جيوشه ونهبوا كل ما مروا به من المدن والقرى ولولاه لم يبقوا على شيء
أصلاً . لكنه كان يتهددهم وقد قتل منهم كثيرين عبرة للباقيين فكنت
الايدي فسكنت الناس . فلما وصل القاهرة نزل في بيت ابراهيم بك عند
القصر العيني على النيل ثم عرض امتعة البكوات المنهزمين للزاد العمومي
وفي جملتها حريمهم واولادهم وماليكهم فاسترحم المشايخ ان يخرج الاولاد
والنساء الحوامل من معرض البيع لان ذلك فضلاً عن انه مخالف
للحاسيات الانسانية فهو مغضب لله . فانهزم القبطان باشا قائلاً « ساحرر
الى الاستانة بانكم تعارضون في بيع امتعة اعداء جلالة السلطان » فاجابه
الشيخ السادات قائلاً « قد أرسلت الينا لمعاقة شخصين مجرمين وليس
لهنك شرائعنا والطعن في عوائدنا فاكتب الى الاستانة ما شئت » . فعند
ذلك امر الباشا باستثناء المحظيات الحوامل من البيع وبعد ان بيعت
سائر الامتعة عكف حسن باشا الى اصلاح الادارة فاصلحها على ما يوافق
الارادة الشاهانية . وكان قد استقدم اسماعيل بك وحسن بك الجنداري

من الصعيد فارسلها في جيش تحت قيادة عابدين باشا ودرويش باشا وها
قائدا الحملة العثمانية التي جاءت مصر عن طريق البر (فضلاً عن العمارة
البحرية المتقدم ذكرها) وسار في تلك الحملة أيضاً نحو من ألف مقاتل
من رجال الشام تحت قيادة امير كبير من امراء شين اغلي فاجتمعت هذه
الحملة وسارت نحو الصعيد لمحاربة مراد بك ورجاله

فحصلت هناك موقعة عظيمة شنت عن عدة قتلى من الجانبين
وانهزام مراد بك ورجاله الى الشلالات ورجوع الجنود العثمانية ظافرة
الى القاهرة. ثم جاءت الاوامر الشاهانية بعزل محمد باشا عن مصر وتولية
عابدين باشا مكانه

وهنا تنتهي ما مورية حسن قبطان باشا فاستدعي الى الاستانة بسبب
الحرب مع روسيا. ولم تخرج مصر مما كانت تشكو منه نفي بهم البكوات
لانهم كانوا لا يزالون في مصر العليا كما رأيت. والمسيحيون يشكون من
معاملة حسن باشا لم فانه اخذ كل متاعهم وباعه على مشهد من الناس
فضلاً عن الاهانة التي ساءمهم اياها وعلى الخصوص المعلم ابراهيم الجوهري
امين احسناص مصر فانهم قبضوا على امرأتها واجبروها ان تخبرهم بتفاصيل
زوجها من النفود فاخبرتهم فاستخرجوها واخذوها. وعند ما بارح حسن
باشا القاهرة اقام عليها اسماعيل بك شيخ البلد وهذا عهد الى صديقه القديم
حسن بك المجداوي اماره الحج وانفقا معاً على اقتسام الابرار
وفي سنة ١٢٠٢ هـ توفي السلطان عبد الحميد بن احمد



وترى في شكل ٨٢ و ٨٣
صور النقود الذهبية التي ضربت
على عهد السلطان عبد الحميد بن

ش ٨٣ نقود السلطان عبد الحميد بن احمد



احمد في القاهرة بتاريخ ١١٨٧ هـ
فالاولى تدعى نصف تر محبوب
والثانية فندقلي

ش ٨٢ نفود السلطان عبد الحميد بن احمد

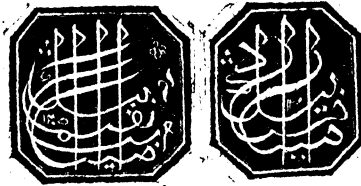
سلطنة سليم بن مصطفى

من سنة ١٢٠٢ - ١٢١٢ هـ او من ١٧٨٩ - ١٧٩٨ م

فبيع السلطان سليم الثالث بن مصطفى فافر اسماعيل بك في مركزه وما زال اسماعيل بك ممارساً للاحكام بكل دراية وحكمة الى سنة ١٢٠٥ هـ وفي هذه السنة طراً على البلاد ولا سيما القاهرة وباء شديد الوطأة لم تقاس مثله قبله فان عدد الموتى به بلغ نحو الالف في يوم واحد في القاهرة وحدها ونقلب على حكومتها في يوم واحد ثلاثة حكام وسبب ذلك ان اسماعيل بك اصيب بالوباء فاقم آخر مكانه فاخر حتى فني كل من كان من بيت اسماعيل بك الا واحد يدعى عثمان بك الطبل ولا يزال هذا الوباء مشهوراً بفتكه ويعرف بوباء اسماعيل . فتولى عثمان بك الطبل المذكور مشيخة البلد الا انه لم يكن قادراً على ادارة الاعمال التي عهدت اليه فاستدعى ابراهيم بك ومراد بك فدخلوا القاهرة في ٢١ ذي القعدة من تلك السنة ففرّ حسن بك الجداوي الى مصر العليا فانطأ . فاستلم ابراهيم ومراد ازمة الاحكام وجعل يعيها فيها وكانا يتناوبان مشيخة البلد وامارة الحج سنوياً بعد ان افنيا كل من كان على غير دعوتها فصفا الجوف لها اما قلوبهما فكانت لا تخلو من الضغائن المتبادلة لما طبع عليه كل منهما من الطمع وحب الاثرة ولما كان في صفاتها من المناقضة . فقد كان مراد بك رجلاً شديد البطش مقدماً لا يهاب الموت وكان ابراهيم بك

أكبر سناً منه وأكثر اخباراً وكان يترصد له محاذراً بطشه خيفة ان يطلبه للقتال والألما رضي معه بالاجتراء من الدخول اجتراء سوباً وكان لا يعارضه فيما يتعاطاه من الاستبداد ووضع الضرائب وسلب اموال الناس على نية ان يشاركه بالارباح الناتجة من ذلك . وكان على شيء من الرياء يظهر خلاف ما يضمّر اذا استصرخ وعدّ مع العزم على الاخلاف وكان جبّاناً فاذا اراد امراً لا يتظاهر به وإنما يسعى اليه بالدهائن والمكايد على اساليب النفاق

اما مراد بك فلم يكن يعرف المكر وإنما كان يسعى الى اغراضه بالقوة والحزم وكان طويل القامة عضلي البنية شديد البأس ينقطع عنق الثور بضربة من سيفه وعلى وجهه ملامح الاسود فاذا غضب يهابه ويخاف منه كل من يراه حتى احب اصدقائه . وكان كريم النفس لا يبيت على غيظ حرّ الضمير لا ينكر الحق ولو كان عليه مخلصاً لاصحابه مقيماً على قوله وكان طمعه بمقدار سخائه وحبّه لذاته بمقدار حرّية مباديه وكان سريع الغضب شديداً لا يراعي في حال غضبه امراً من الامور وربما فتك بصالح نفسه او اضرّ بشخصه



وترى في شكل ١٤ صورة
كل من ختم مراد بك و ابراهيم
بك محنورة على شكل جميل
والم بالبلاد بعد عود هذين

ش ١٤ ختم مراد بك ختم ابراهيم بك

الاميرين الى مصر جوع هائل ويقال انه حصل من كثرة ما ضبطاه من الحبوب في مصر العليا طمعاً بالكسب . ثم ألغيا النظامات التي وضعها حسن باشا قبطان وابدلاها بما يوافق مطامعها الشخصية . فكثرت تعديات

ماليكها وعلى الخصوص تعديت احدم محمد الالفي^(١) فذارت الاهالي ثورة عامة لم يسعها معها الا توقيف تلك الاجراآت وقتياً فمهدت الثورة فعادا الى ما كانا عليه فعاد الاهالي الى الاضطراب وكسدت سوق التجارة لقلة الامنية

وما يحكى ان مراد بك تظاهر يوماً انه عازم على تجديد الملابس والامتنع العسكرية فيحتاج لما يقوم بتنفيذها ففرض على طائفة الاسرائيليين مبلغاً كبيراً مساعدة لهذا المشروع فاجتمع رؤساء الطائفة ونخبروا فيماذا يصنعون لينجوا من هذه الضريبة فاقروا على ان ينفذوا اليوا اثنين من كبرائهم يسعيان الى ما ينجيهم من هذه الضريبة فسارا ولما مثلا بين يدي مراد بك قال له «ايها الامير اننا فقراء ولو بعنا جميع ممتلكاتنا ونسائنا واولادنا وانفسنا لانجمع عشرين ما نطلبه منا فاذا تنازلت الى اعفائنا من هذه الضريبة التي يستحيل علينا دفعها نطلبك على مخبة تكفيك مؤنة هذه المطالب . وهذه المخبة لا يعلم بها احد الا عائلتنا وقد تنوّل هذا السر فيها اباً عن جد حتى وصل اليها ونحن علينا ان نوصلة لاولادنا عندما تحضرنا الوفاة . فلما سمع كلمة «مخبة» فزع اذنيه وقاطعها قائلاً «هلم بنا لنرى تلك المخبة فاني اذا رأيتم صديقين اعنيكم وطائنتكم من كل ضريبة . هلم بنا الى المخبة ابن هي» فاجابا «ان هذه المخبة ايها الامير في جامع عمرو بن العاص في مصر القديمة قد جعلها هناك ذلك الفاتح العظيم في صندوق من حديد في دهليز لا يعرف مقره الا نحن» فتأكد مراد بك انها بكلمات الصدق فصرفها . ثم سار في اليوم التالي مظهر اللصيد في البرية فرّج بجامع عمرو فدخله كانه يريد الصلاة ثم نظر الجامع فاذا به قد تداعت اركانه فالتفت الى شيخه قائلاً «بما ان الله قد ادخلني الى هذا

(١) يقال انه دعي بهذا الاسم لانه ابتيع بالف دينار

المكان المقدس وجب عليّ ان اسعى الى اصلاحه لكي يذكر اسمي في الصلاة مع اسم مؤسسه النافع عمرو بن العاص وغدا ان شاء الله ارسل اليكم النعلة يباشرون العمل»

وفي اليوم التالي ارسل النعلة تحت منظاره احد ثقاته وبدلاً من ان يبدأوا بهدم القسم المتساقط من الجامع بدأوا بالقسم القائم وبعد بضع ساعات جاء مراد بك بنفسه فاذا بهم قد وصلوا الى دهليز فيه صندوق من الحديد فتحقق ما قاله له الاسرائيليان وكانا بين الجماهير فأمراً خرج الصندوق فامر بنعته فاذا هو ملآن رقوقاً مكتوباً عليها آيات من القرآن الشريف بالقلم الكوفي

وترى في شكل ١٥ رسم
 بضع كلمات من فاتحة ذلك
 القرآن مثلاً لنوع كتابته
 الكوفية ويظن انه كتب في
 ايام عمرو بن العاص . فلما
 رأى الاسرائيليان ذلك فرأوا
 من بين الجماهير . اما مراد
 فاستشاط غيظاً ولما عاد الى
 القاهرة ضاعف الضريبة على

ش ١٥ بعض كلمات من فاتحة القرآن الشريف
 الاسرائيليين واصراً الا ان يدفعوها حالاً واستعمل الكراباج لحثهم على ذلك .
 اما تلك الرقوق الثمينة فالتفتت في الدهليز بغير اعتناء وتركت هناك
 عرضة للشمس والماء ففسد بعضها . ثم لما كانت الحملة الفرنسية التفت
 ما بقي منها الموسيو مارسل مدير مطبوعات تلك الحملة وحفظها عنده في
 متحفه الخصوصي . وقد شاهدت في المكتبة الخديوية العامرة اليوم نسخة من

هذا النوع تماماً يقولون انها وجدت في جامع عمرو فلا يبعد ان تكون ذات النسخة التي النقطها مارسل والله اعلم

وعاد مراد بك ورفيقه الى ما كانا عليه من اخلاص اموال الاهالي واموال الاجانب بالضرائب الناحشة فانه ضرب على التجار الاجانب في الاسكندرية والقاهرة ورشيد ضرائب ما انزل الله بها من سلطان فرفعوا شكواهم الى قناصلهم فلم تكن النتيجة الا زيادة الاضطهاد. اما تداخل الباشا في مثل هذه الامور فكان عديم النائدة على الاطلاق فرفع المتظلمون شكواهم الى الاستانة فلم يكن الجواب الا الصمت ولم يزد مراد بك الا عنقاً



وعسفا ولم يكن يبالي بما يقوله القائلون او يتظلم منه المتظلمون من سائر ساكني القطر. كل ذلك كان على

ش ٨٦ نقود السلطان سليم بن مصطفى

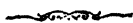


عهد السلطان سليم بن مصطفى السلطان التاسع والعشرون من سلاطين آل عثمان وترى في شكل ٨٦ و ٨٧ صورة



نقود السلطان سليم بن مصطفى مضروبة في القاهرة بتاريخ سنة ١٢٠٢ هـ وهي سنة تنصيبه على كرسي السلطنة

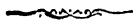
ش ٨٧ نقود السلطان سليم بن مصطفى



الحملة الفرنسية

(تمهيد)

قد رأيت ما كان من انغماس مراد بك ورفيقه في ارتكاب المظالم واختلاس اموال الاهلين بغير الحق وكيف انهما نظرفا بتصرفهما هذا الى الاجانب الفاطنين في هذا القطر تحت حماية دولهم فانهما لم يكونا براعيان حرمة ولا ذمة . وكان اولئك الاجانب يحملون تلك التعديات بالصبر الجميل لانهم رفعوا شكواهم الى دولهم فاعزت الى الظالم ان يرعوي فلم يرعوي . وما زال الحال كذلك حتى جاء النابوليون بونايرت الرجل العظيم برجاله لافتتاح هذه الديار . وقبل الخوض في تفاصيل تلك الحملة نشرح للقارئ . أولاً ما الداعي الذي حمل فرنساويين الى تجريبها . ثانياً كيف كانت مصر عند وصول تلك الحملة اليها



لماذا جرّد فرنساويون الى مصر

لما قتل فرنساويون ملكهم لويس السادس عشر وتخلصوا من الحكم المطلق اقاموا عليهم نوعاً من الحكومة دعوهُ «الادارة» وهي عبارة عن لجنة مؤلفة من خمسة اعضاء دعوا كلاً منهم «مديراً» وذلك سنة ١٧٩٥ للميلاد (١٢١٠ هـ) ثم جعلوا يحملون على ممالك الارض يفتحونها بهمة كبير قوادهم الرجل العظيم بونايرت . فحاربوا اوستريا ثم ايطاليا ثم غيرها وما زالوا حتى لم يبق في سبيلهم الا دولة انكلترا واقفة لهم بالمرصاد وهي على جانب عظيم من القوة ولا سيما في البحار . فتباحثت ادارة فرنسا بذلك مراراً لكنها لم تستطع مناهضة تلك الدولة لما كانت تعلمه من قوتها ومناعة جانبها

وكان بونابرت قد مرَّ في البحر المتوسط وضمَّ قسماً عظيماً من سواحله الى فرنسا فطعم بمصر وقد اعجبه شأنها وما فيها من الخبرات وما بها من التعزيز لدولته والارهاب لانكلترا . الا ان الادارة لم تكن على بينة من الامر فعرض بونابرت رأيه هذا عليها بعد ان شرح لها شرحاً مستوفياً كيف ان هذا الوادي ما برح منذ القدم منشأ لخيرات العالم المتمدن ثم امسى موضوعاً لمطامع الدول العظيمة وشاغلاً لرجال التنويع كالاسكندر وغيره حتى الايام الاخيرة الى ان قال مخاطباً الادارة

« ان مصر ايها السادة اكثر الارض خصباً وقد كانت اهراء لرومية قديماً وللقسطنطينية الآن . وفيها الحنطة والارز وسائر انواع البنول والسكر والنيلة والنطن والسنا والخيار شنبر والنطرون والكتان والقنب وفيها انواع الماشية الجوية والبرية والطيور الداجنة وقد اشتهرت على الخصوص بحسن حميرها وقوة جمالها . نعم ان مواد الاشتعال والزيت والبن والتبغ نادر فيها لكن ذلك مستدرك لان الشرق يجلبه لا غنى له عن هذا الوادي لانه مركز متوسط بين افريقيا واسيا . فان القوافل تنزل في القاهرة كما ترسي المراكب عند الشواطئ بعد سفر طويل وهذه القوافل مؤلفة من مئآت واحياناً الوف من الجمال قادمة من بلاد العرب اوسوريا اوسواحل المغرب او الحبشة او افريقيا المركزية او من راس الرجا الصالح او السنجال حاملة انواع التجارة من الخشب والقم والزيت والتبغ والبن والاثمار ومن الرقيق والتبر والعاج والريش والصمغ والاطياب والعطريات والشالات وكل محصولات الهند فتبيعها في مصر وتأخذ بدلاً منها احمالاً من مصنوعات اوروبا

« فما برحت مصر ايها السادة منذ القدم موصلاً تجارياً بين اوربا والهند وهذه تجارتنا مع الهند قد كانت قبل اكتشاف راس الرجا الصالح نأتينا عن طريق مصر وذلك ان نخط في برنيس على سواحل البحر الاحمر

ومنها تنقل على الجبال في الصحراء مسافة ٢٤ مرحلة حتى طيبة (الاقصر)
ومنها في النيل الى بلاد مصر وتوزع فيها ومنها تنقل الى اوروبا .
وكانت التجارة احياناً تنقل الى القصير في البحر الاحمر ومنها الى السويس
ثم على الجبال الى منف ومنها الينا . على اننا لو اغضينا عن اهمية
مصر بالنسبة لتجارة الهند لرأينا فيها اهمية عظيماً بالنسبة لتجارها الخصوصية
فاننا اذا فتحنا هذه البلاد واعدينا بادارتها مدة خمسين سنة فقط لاصبح عدد
سكانها اضعاف اضعاف ما هو الآن لان سكان هذا الوادي قد كانوا في
الازمنة الخالية بين ١٢ و ١٥ مليوناً (كذا) وهم الآن لا يبلغون ثلث هذا
القدر وذلك لسوء الادارة . هذا فضلاً عما تقدمه لمعاملتنا من محصولاتها
وما ننقذ فيها وفي جوارها من مصنوعات بلادنا . فما هي مستعمراتنا
بالنسبة الى هذه البلاد الخصبة الشاسعة الاطراف هلم اليها فستغل من
ارزها وسكرها وقطنها كما فعل غيرنا وهي تغنينا عن محصولات اميركا
وتكفيها مؤنة الارتباط معها

« ولا يخفكم ايضاً اننا اذا ثبتنا قدمنا في مصر لا تلبث انكثرا طويلاً
في الهند فاننا نجعل على سواحل البحر الاحمر حاميات نقيها في معاقل
منبعة نذخر فيها من نتاج ذلك القطر ونحول التجارة الهندية اليه . على اننا
لو فرضنا بقاءها عن طريق راس الرجا الصالح كما هي الآن لاقمنا بيننا
وبينها باباً للباراة وفتحنا ترعة بين السويس والنيل . ولا شك اننا اذا
فعلنا ذلك نحبط مساعي انكثرا جملة لان التجارة لنحول يحملها الينا . اما
هذه التركة فقد كانت محنورة منذ القدم ولا يصعب علينا اعادتها حفرها .
فاذا فتحنا مصر لا تقتصر منفعتها لنا كمنفعة سائر المستعمرات العظيمة وكذا
بها نعرفل مساعي انكثرا فنكفي مؤنة مقاومتها هذا اذا لم نذهب بها
الى الحضيض »

فترددت الادارة بقبول مشروعه لكنه ما زال في مثل ما تقدم حتى

اشتدَّ الجدل بينه وبينهم فرأى فيهم اصراراً على مقاومته فعرض بذكر استعفائه فنهضوا اليه واوقفوه ثم راجعوا النظر فيما عرضه واخيراً وافقوه على رأيه بشرط ان يكون ذلك سرّاً لئلا تتصل مقاصدهم هذه بمسامع انكلترا فتسعى ضدهم . فانحصر هذا المشروع بين بونايرت والخمسة مدراء فقط حتى ان الكاتب الذي كتب الأمر باعداد الحملة لم يكن يفهم حقيقة لانه أمر ان يكتب بصورة جهمة في ٥ مارس سنة ١٧٩٨

ومن مقتضى هذه الاوامر السرية ان تكون هذه الحملة مؤلفة من اربعين الف مقاتل عليهم اربعون قائداً بخنارهم بونايرت وفتة من رجال العلم لا يقل عددهم عن المائة بين مهندسين وجغرافيين ونحو ذلك العدد من سائر الصناعات . وعامة بحرية تحت قيادة الاميرال برويس يضاف اليها المراكب الراسية عند طولون . وان يقبض في مدة عشرة ايام من الخزينة مليوناً وخمسمائة الف فرنك فضلاً عن ثلاثة ملايين من خزينة بارن وان يتصرف بهذه المبالغ حسب حكمته والاوامر السرية المعطاة له . فصرفت بونايرت جهده لتعزير هذه الحملة والاسراع في اعدادها . فشاعت الاقاويل عن هذه الاعدادات وكثرت الظنون فقال بعضهم انها حملة تعدها فرنسا لمحاربة انكلترا وقال آخرون لا بل لافتتاح مدن جديدة في اسيا وافريقيا وقال آخرون غير ذلك . وبونايرت لم يألُ جهداً في اعداد المهمات وترتيب مخارج الحملة فجعل المراكب المعدة لنقل الحملة البرية اربعمائة مركباً تسير فرقاً اربع من اماكن مختلفة فتسير الفرقة الاولى من طولون والثانية من جينوا والثالثة من شيفيتا فوكيا والرابعة من جاكسبو ثم تجتمع وتشد وتسير الى مصر . وتنقل على هذه المراكب ايضاً مطبعة عربية كانت في البروباغندا برومية مع ما يلزمها من العملة . وعلى انقاض هذه المطبعة اُقيمت مطبعة بوق الاميرية ونقلوا ايضاً كل ما يلزم من الادوات الكيماية والطبيعية والرياضية وانضم الى فئة العلماء كثير

من مشاهير علماء وصناع فرنسا في ذلك العهد ومثل ذلك القواد . وكان فرنسا بجملتها ناقت الى استصحاب هذا القائد العظيم فانضم الى حملته كثير من ابطالها وعلمائها وصناعها بقلب واحد . وهم لا يعلمون الى ابن نذهب بهم الاقدار . اما الجيوش فجعل فيهم الذين وخمسية من الفرسان والفر من الطبيعة والمهندسين ومن بقي (من الاربعين ألفاً) جعله من المشاة وكان من جملة القواد الذين رافقوا تلك الحملة كلاير ودبزه البطلان الشهيران ورينير وبون ومينو وهؤلاء هم قواد الخمس فرق من المشاة ومورات قائداً للفرسان وكافراي قائداً لفرقة المهندسين ودومارتين على الطبيعة . هذا من قبيل الحملة البرية اما الحملة البحرية فكانت مؤلفة (اولاً) من ١٥ مركباً حربيّاً من جملتها « الشرق » محمولةا مائة وعشرون مدفعاً ومركبان محمول الواحد منها ثمانون . وعشرة محمول الواحد منها ٧٤ مدفعاً واثنتان محمول الواحد منها ٦٤ . (٢) من اربع عشرة مدرعة بعضها تحمل اربعين مدفعاً وبعضها ٢٦ وفيها ابريقان (٢) من ٧٢ مركباً حربيّاً صغيراً على اشكال مختلفة . هذه هي الحملة البحرية وهي مؤلفة من اكثر من مائة قطعة وبرفقتها سبعة مائة مركباً لنقل العساكر البرية ومهماتهم وخبولهم واسلحتهم وجميعها تحت قيادة بريس وبلغ عدد الملاحين في تلك الحملة نحواً من عشة آلاف . اما الفئة العلمية المرافقة لتلك الحملة فكانت مؤلفة من فرق لكل من العلوم والصنائع وجملة اعضائها مائة فيهم فرقة للهندسة واخرى للفلك واخرى للميكانيكيات واخرى للكيميا واخرى للمعادن واخرى للحيوان واخرى للنبات . ومثل ذلك للجراحة والطب والاقتصاد السياسي والانشاء والجغرافيا وعلم الآثار والبناء والتصوير والرسم والنقش والحفر والموسيقى الخ . وقد اخبر لهذه الفنون اشهر من اشتغل بها ومعهم المطبعة المتقدم ذكرها وعدة مترجمين . وجميع هذه المعدات توفرت وكانت

على اهبة السفر في ٢٠ افريل من تلك السنة اي بعد صدور الامر ببيعة
اسابيع . ومن الغريب انه رغماً عن تعداد الرجال الذين ساعدوا في تنفيذ
امر الادارة وفيهم القواد العظام ورجال العلم والمصانع لم يتكشف لاحد
منهم حقيقة المقصود من تلك الحملة الا لتاليران وهو الرجل السياسي الذي
ارسلته الادارة الى الاسنانة لمخابرة الباب العالي بشأن تلك الحملة وطلب
مصادفته عليها . وفي ٩ مايو سنة ١٧٩٨ م وصل بونايرت الى طولون
وكان الجند في انتظاره كانهم على جبر الغضى فخطب فيهم فزادهم توقفاً
ورغبة في الحرب . وفي ١٩ منه ودّع بونايرت امرأته وركب على الدارعة
« الشرق » وهي اكبر دوارع الاسطول ومعه اركان حربه ينهلون جميعاً
كانهم ذاهبون الى نزهة او الى غنيمه باردة وسارت سائر المراكب من
النقط الاخرى ثم اتحدت جميعها وعددها جميعاً يزيد عن الخمسمائة
فسارت تحترق البحر معاً وعليها نحو من خمسين الف نسمة . وفي ٩ يونيو
سنة ١٧٩٨ وصلوا الى مالطا ومنها ساروا قاصدين الاسكندرية
فاوجست انكليترا خيفة من هذه الحملة فانذرت نلسون احد كبار
اميراليتها في اسطول وعهدت اليه ان يمنع خطوات الاسطول
الفرنساوي في البحر المتوسط وان يكون ساهراً على اجرائه وان يقاومه
اذا رأى منه مساً لحقوق انكليترا فسار نلسون فطاف البحر المتوسط ثم
تنبأ ان الاسطول الفرنسي لا يقصد الا مصر او سوريا فسار نحوها .
فبلغ ذلك بونايرت فامر الاسطول ان يتيم غربي الاسكندرية ببضعة
مراحل وان يكون دائماً في استعداد للدفاع

حالة مصر عند قدوم الحملة الفرنسية

لم يكن في وادي النيل اذ ذاك اكثر من ثلاثة ملايين من السكان

مؤلفين من ثلاث طوائف كبرى وهم (١) الاقباط وهم سكان مصر الاصليون لا يزيدون عن مائتي الف نفس (٢) العرب الذين افتتحوها (٣) الاتراك وفيهم المماليك . وهناك شذمات من طوائف اخرى والباشا وهو الحاكم المرسل من الاستانة لتأييد سلطة امير المؤمنين كان يقيم في قلعة الجبل في القاهرة لا فائدة من وجوده هناك الا اثبات سلطة جلالة السلطان وخلافته على مصر وذلك يقوم بالخطبة لجلالته في الصلاة وضرب النقود باسمه . اما المماليك وكانوا اخلاطاً من الاتراك والشراكسة والعكرج وكانت جميع ثروة البلاد وادارتها في ايديهم على انهم مع ذلك لم يكن لهم في البلاد عصبة عائلية لانهم لم يكونوا يتوارثون الحكم الا نادراً وانما كان يتولى منهم من يمتاز بشيء من القوة الخصوصية او الاحتيال او المحسوبية وما شاكل . وقملا ارتقوا الى المحكم بالحكمة والدراية وحسن السياسة ولذلك كانت احكامهم عرضة للنساذ وداعة الخلل . اما مقرهم ففي قاعة كبيرة مخصصة بهم في قلعة الجبل وفيها اصطبلات كبيرة لخيولهم ومخازن لاسلحتهم ومعداتهم . اما مساكنهم الخصوصية فكانت غالباً في حي قيسون وحي بركة النيل ودرب الحباينة في اجمل ما يكون من البناء مرصعة بالرخام والنسيفساء وفيها الفرش من الخمل مزركشة بالحبر وفي بعضها حدائق تزينها السراي الجميلات من نساء الكرج وغيرها . اما الجنود فكانت تزيد عن الثمانية او الاف من المماليك الاشداء وقملا يكونون على شيء من النون الحرية واكثرهم من الفرسان اما المشاة فقليلون بينهم . فاذا امتلأ المملوك صهونه يتقلد القرينة بمنكبه والطبجات في منطقته والسيوف على بساره وهراوة في قربوزه وقضيباً من النولاذ امام انه ممتد من جبهته الى ذقنه . وربما يتفنن تمرن احدهم على الحركات الحرية اما الجماعات فلا يعرفون شيئاً عن المربعات او الخطوط الحرية وانما كانوا يتفننون فن الفروسية جيداً

ففي يوم قدوم الفرنسيين الى مصر كان على الاحكام ابراهيم بك ومراد بك كما مربك الاول شيخ البلد والثاني امير المحج ويدها الحل والعقد . وكان ابراهيم بك ربعا ضخ الفامة حسن الطلعة حاد العينين مشهورا بالغنى والطبع والاحتيال . اما مراد فكان ينوقه اقداما وحزما وفيه كرم وشجاعة . وكلاهما لم يؤيدا سلطتهما الا بالقتل والنهب والاحتيال وقد اتفقا على اقتسام ابراد البلاد . اما العرب فمنهم فئة العلماء والفقهاء وفي ايديهم ادارة المعابد والتكيات وهم في الغالب من عائلات قديمة متصلة بالصحابة وغيرهم من اصحاب البيت وكانت معيشتهم غالبا في مجبوحة الرفاهية وترف العيش لكنهم قلما وصلوا الى ما وصل اليه البكوات المماليك وكانوا محترمين من الاهالي احتراماً دينيا وادبيا . اما نفوذهم السياسي فكان ضائعا في جانب استبداد المماليك . اما التجارة فكانت معتبرة في مصر واصحابها من ثقات العرب واصحاب الامانة ولذلك قلت بينهم التفاليس . وكانت مينا القاهرة بولاق وهناك كانت تستقبل المراكب حاملة البضائع من سائر الانواع قادمة من افطارشتي من العالم . ومن بولاق تحمل الى الخانات او الوكالات كخان السبع قاعات وخان التركماني وتباع فيها بالاجمال . اما البيع بالمفردات فكان في الاسواق الى شمال المدينة من باب زويلة الى الباب الذي يشرف على الصحراء

اما جمع الخراج فكان موكولا بفئتين من المصريين وهم المسلمون والاقباط . فمن المسلمين كان الروزنامجية وعندهم تفاويم الاراضي وسجلات الاملاك وكانوا ممتازين عن سائر الاهالي ومحافظين على انسابهم العائلية لا يتزوجون الا من بنات عائلتهم وكانوا على جانب من الثروة ولهم ممتلكات واسعة وكان يضرب بهم المثل في ذلك . اما الاقباط فكانوا ينتصرون على ضبط الحسابات في القبض والصرف كسائر الحساب الآفيا ندر . اما مساكن الاقباط في القاهرة فكانت الى شمالي المدينة وغربها فيما كان

يعرف بباب المنس (حيث ثمن الازبكية الآن ولذلك دعي بعضها بحارة
النصارى) وفي باب البحر وأكثرهم من متوسطي الثروة . اما اصحاب
البنوكة والمدابنون والصيارف فكانوا من اليهود وكانوا يسكنون عائلات
كثيرة في بيت واحد في حارة اليهود ويضطهدهم المالك اضطهاداً شديداً .
اما الاجانب في القاهرة فكانوا غالباً من الفرنسيين وكانوا يلبسون
اللباس العربي ويتكلمون اللغة العربية جيداً ويفهمون في جهة الموسيقى
وكانوا يتزاجون مع المسيحيين من السوريين الذين كانوا يقيمون غالباً في
درب الجنيينة . وكان في وادي النيل جمع من السوريين لكنهم كانوا
يقيمون غالباً في السواحل وفي المدن الكبيرة مثل دمياط ورشيد واسيوط
ومعاطاتهم التجارة غالباً إما ببضائع اوروبا او بمحصولات السودان من
العاج والريش والصبغ او ببضائع بلاد اخرى . اما علاقة مصر مع
الدول الاجنبية في ذلك العهد فكانت مقصورة على التجارة وكانت البندقية
«فنبس» اشد علاقة معها من الجميع ولها فصل مقيم في الاسكندرية وكانت
لها ايضاً علاقات اخرى مع تجار فرنسا وانكلترا

هذا ملخص حالة مصر عند قدوم الفرنسيين اليها

الحملة الفرنسية

من سنة ١٢١٢ - ١٢١٦ هـ او من ١٧٩٨ - ١٨٠١ م

مر بك في الفصل السابق ان الاسطولين الفرنسيين والانكليزيين سارا
في البحر المتوسط قاصدين سواحل الدلتا

ففي يوم الاحد الواقع في ١١ محرم سنة ١٢١٢ هـ ظهر امام الاسكندرية
اسطول مؤلف من خمسة وعشرين مركباً انكليزياً وكان يتولى الاسكندرية
السيد محمد كرم احد الاشراف الوطنيين . فلما علم بقدوم الاسطول

جعل براقب حركاته وسكناته واهل المدينة يتساءلون فيما بينهم عن امره . وبعد قليل اقترب من الثغر قارب فيه عشرة نفر افرنج طلبوا مقابلة الحاكم فجيئ بهم الى السيد محمد كرم وهو في مجلسه وحوله رجال حكومته فسألهم عما جاءوا من اجله فقالوا « ان ما ترونه في هذا البحر انما هو اسطول انكليزي قد جاء للتفتيش على عمارة فرنساوية عظيمة خرجت مؤخراً تريد جهة من الجهات فربما داهمتكم فلا نقوون على دفعها فنكون لكم نصراء عليها » فظن السيد محمد كرم ذلك مكيدة فاغلظ لهم بالقول فقالوا « اننا نقف في هذا البحر محافظين لكم لا نطلب منكم الا المدد بالماء والازاد بشئ » فاجابوهم ان هذه البلاد بلاد السلطان ولا يد للفرنساويين فيها فاذا جاؤنا لا نبالي بهم فاذهبوا انتم عنا . فعادوا ثم اقلعت المراكب تخرق عباب البحر . اما السيد محمد كرم فانتد الى مراد بك في القاهرة حال وصول الاسطول بخبره بما كان وارسل الى كاشف البعينة بامر ان يجمع اليه العربان ويأتي بهم للمحافظة على الثغر فلما اتصل ذلك بمسامع الامراء والبكوات لم يكثرثوا بها وقالوا « اننا لا نبالي بمن تحدثه نفسه بدهمتنا بل ندوسه تحت حوافر خيولنا » . اما الشعب فاضطرب وخاف . ثم جاء خبر آخر باقلاع الانكليز فسكن الجاش

وفي يوم الاثنين في ١٨ منه وصلت ثغر الاسكندرية العمارة الفرنسية فانفذت احد قواربها تطلب القنصل فانع السيد محمد كرم اول الامر في تسليمه . ثم اذن له فتزل حتى اتي الدارعة التي عليها بونابرت فسالة عن حالة المدينة فاخبره بما كان من امر الاسطول الانكليزي وان الاهالي في بقضة واستعداد للدفاع جهاداً في سبيل الدين وقد كانت حامية الاسكندرية لا تزيد عن خمسمية من الانكشارية معظمهم يتعاطون التجارة والصناعة الا انهم كانوا في استعداد للدفاع . وكتب السيد محمد الى مراد بك وابراهيم بك في القاهرة بما جرى الى ان

قال « ان العارة التي ظهرت امامنا في هذا اليوم لا يعرف اولها من آخرها » . فلما تلا مراد بك الرسالة استشاط غيظاً ورمى بالكتاب الى الارض ثم ركب جواده قاصداً ابراهيم بك وكان قاطناً في سراي القصر العيني على ضفة النيل المطلّة على جزيرة الروضة . فلما وصل اليه انفذ الى سائر كبار البلاد ورجال الدولة وفيهم بكير باشا الوالي فاجتمعوا اجتماعاً حافلاً تباحثوا فيه في امر ما جاءهم من الانباء الاخيرة . فقال مراد بك ناظراً الى بكير باشا شزراً « لا ريب ان الفرنسيين لا يجسرون على القدوم الى مصر من تلقاء انفسهم فلعلمهم جاءوا بامر من الباب العالي ولكن الله قادر ان ينصرنا على الاثنين » فاجابه بكير باشا قائلاً « ان هذا الكلام لا يليق صدوره منك وكيف يخال لك ان الباب العالي يسلم بدخول امة غريبة الى بلاده . دع عنك مثل هذا وهلم الى سيفك ورجلك لدفع العدو الذي داهمك » . وبعد المفاوضة بالامراقروا على المواد الآتية (١) ان يسير مراد بك في فرقة من الفرسان على الضفة الغربية

لفرع رشيد من النيل نحو الاسكندرية لايقاف الفرنسيين عن التقدم (٢) ان يعسكر ابراهيم بك بمن يبقى من الجند على الضفة الشرقية عند بولاق لحماية القاهرة

(٣) ان يرسل بكير باشا رسالة الى الاستانة يستمد الباب العالي (بالترقيق من العراق) ثم شاع في اسواق القاهرة خبر قدوم الفرنسيين فكثر المرح وازداد الاضطهاد على المسيحيين رغماً عن محاولة ابراهيم بك وبكير باشا اقناع المسلمين ان هؤلاء المسيحيين هم من جملة رعايا الدولة العلية

اما بونايرت فبعد ان استوعب كلام الفنصل اقرّ على النزول الى البر حالاً فاعترضه الاميرال برويس نظراً لما يحول دون ذلك من بعد المسافة وصعوبة المسالك فاصرّ بونايرت على النزول وكانت قيادة القوتين البحرية

والبرية بيده فوافقه برويس مكرها فصار بالمراكب الى جهة العجمي وبرج
مرابوت على مسافة قصيرة جداً من الاسكندرية غرباً وصرفوا النهار
بطوله يستعدون للتزول وفي الساعة العاشرة مساءً شرعوا بالنزل بالسرعة
الممكنة وما زالوا في ذلك حتى الساعة الاولى بعد نصف الليل وقد نزل
منهم اربعة آلاف وثلاثماية نفر فنزل بونايرت وكانت ليلة مقمرة ففرق
نحو ساعين على الرمال ثم ارسل طلائع وسار بمن بقي مشاةً مستترين
بمخ الليل ومستترين بالقمر . في الصباح التقي بونايرت بقبايل من عرب
البحيرة (ولد علي) تحت قيادة اميرها فتبادلوا طلفات قليلة . ثم فرّ العربان
وما زال بونايرت سائراً في رجاله حتى اشرفوا على الاسكندرية متخذين
طريق السورى مطعماً لانظارهم . ثم وقف بونايرت على مرتفع ونظر الى
الاسكندرية قرأها وفيها المآذن والمنارات تناطح السحاب فجعل رجاله
فرقاً لتسير الواحدة بعدة من الاخرى مرمى رصاص بعد ان خطب فيهم
وحرضهم ان يتجنبوا اوراق الدماء ما استطاعوا فهاجم الفرنسيون المدينة
ودخلوها وقد اديب الجنرال كلار برصاصة في رأسه لم تمته . فاستلمت
الجند الفرنسية الاسوار وفرت الحامية المصرية تطلب ملجأ الى الابراج
القديمة وسقط الجنرال مينوعن احد الاسوار التي استلمها هو فخرج فخذ .
اما الجنرال مرمون فدخل المدينة ما بابها بعد ان حطمت بالنوس .
وخرق باقي الجيش الاسوار ودخلوا منها لانها لم تكن متينة البناء . ثم
ارسل بونايرت احد ضباط جيشه الى اهالي المدينة يخبرهم انهم في مأمن
على ارواحهم واموالهم وان الفرنسيين لم يأتوا لهما ربهم وانما جاءوا للحاربة
الماليك . اما السيد محمد كريم والعساكر الاترك ففروا الى حصن فرعون
فاضطر الاهالي الى التسليم قهراً فدخل بونايرت ورجالها الاسواق . فلما بلغ
ذلك السيد محمد كريم جاء بمن معه وسلم سلاحه ومثل ذلك فعل المهاج
والعلماء فاكرمهم بونايرت اكراماً خصوصياً . ثم التفت الى السيد كريم قائلاً

« قد اخذت سلاحك بالسيف وقد كان لي ان اعاملك معاملة الاسير لاني اخذتك بعد ان دافعت عن نفسك ما استطعت ولكن بما ان الشجاعة حليفة الشرف ها اني اعيد اليك سيفك على امل ان تكون مساعداً اميناً للجمهورية الفرنسية كما كنت للحكومة السابقة على عنوها وظلمها » ثم سأله اذا كان يرغب في معاضدة مشروعهم الذي هو تأييد سلطة الباب العالي وقمع سلطة المماليك . فاجاب بالاجاب فافرة على الاسكندرية تحت منظار الجنرال كلايرو كان قد اضطر الى البقاء في الاسكندرية بسبب الجرح الذي اصابه . ثم صرح بونايرت للمسلمين بالمحافظة على معتقداتهم وصلواتهم كما كانوا يفعلون قبلاً وجرّد الاهالي من السلاح قاطبة وامرهم ان يجعلوا في صدورهم الجوكار وهو عبارة عن علامة مصنوعة من ثلاث قطع من الجوخ او الحرير مستديرة بقدر الريال كحلية وبيضاء وحمراء توضع بعضها فوق بعض بحيث تظهر الالوان الثلاثة اشارة الى العلم الفرنسي ذي الثلاثة الوان . ولما رست قدم الفرنسيين في الاسكندرية نزل للبر بعض رجال الفئدة العلمية ومعهم المطبعة العربية وجعلوا يبحثون في آثار الاسكندرية البنائية والجيولوجية . ثم امر بونايرت ان تنزل الى البر جميع المهمات العسكرية من خيول والتمحة ومدافع وغيرها وان يكون ذلك باوفر سرعة . وان يطبع منشور بالعربية يفرق في البلاد فكُتب وطبع ونصّب بالحرف الواحد « بسم الله الرحمن الرحيم . لا اله الا الله لا ولد له ولا شريك في ملكه . من طرف الجمهور الفرنسي المبني على اساس الحرية والمساواة السر عسكر الكبير بونايرت امير الجيوش يعرف اهل مصر جميعهم ان السناجق الذين يتولون مصر منذ زمن مديد يعاملون الملة الفرنسية بالاحقار والاعضاء وقد حضرت الآن ساعة عقوبتهم واحسرتاه انه منذ ايام وعصور هؤلاء المماليك المجلوبون من بلاد الاباطة والكرج يفسدون في احسن اقاليم الكنة الارضية ولقد حتم رب العالمين القادر على كل شيء

بانقضاء دولتهم . فيا ايها المصريون وقد يقال لكم انني ما نزلت هذه
 الجهة الا بقصد ازالة دينكم فذلك كذب صريح لا تصدقوه وقولوا
 لاخوانكم انني ما قدمت اليكم الا للاخذ بحقوقكم من الظالمين وانني اكثر من
 الممالك عبادة الله سبحانه وتعالى واحتراما لنبيه محمد (صلم) وللقرآن
 العظيم وقولوا لم ايضا ان جميع الناس شرع عند الله وان الذي يميز بعضهم
 عن بعض هو العقل والنضال والعلوم واي شيء في الممالك يميزهم عن
 غيرهم ويستوجب ان يكون لهم وحدهم كلما تجلب به الحياة الدنيا فحيثما تكون
 ارض مخصصة فهي للمالك ومثل ذلك احسن الجواني واكرم الخيل واجمل
 المساكن . فان كانوا قد اخذوا الارض المصرية التزاما فليظهروا لنا الحجة
 التي كتبها لهم الله ولكن رب العالمين رؤوف على الناس ويعونه تعالى من
 اليوم فصاعدا لا يستثنى احد من اهالي مصر عن الدخول في المناصب
 السامية وعن اكتساب المراتب العالية فالعقلاء والفضلاء والعلماء بينهم
 ينفوس اليهم تدير الامور والمهام وبذلك تصلح حال الامة كلها في الاراضي
 المصرية كالمدن العظيمة والمحججان الواسعة والتجر الواسع الذي اضاعه
 طبع الممالك وظلمهم . فيا ايها القضاة والمشايخ والائمة ويا ايها الشريفة
 واعيان البلاد قولوا لامتكم ان الفرنسيين هم ايضا مسلمون مخلصون
 واثباتا لذلك قد نزلوا رومية الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا الذي
 كان دائما يحث النصارى على محاربة المسلمين ثم قصدوا جزيرة مالطا
 وطردوا منها الكفاليبرية الذين كانوا يزعمون ان الله تعالى يطلب منهم
 محاربة المسلمين ومع ذلك فان الفرنسيين في كل وقت احباء حضرة
 سلطان العثمانيين واعداً أعدائهم ابد الله ملكه وبمعهم الممالك فانهم
 خرجوا عن طاعة السلطان غير ممثلين لاوامره ولم يطيعوه الا عن طمع
 في قلوبهم كمين فطوبى ثم طوبى لاهالي مصر الذين يتفنون معنا بلا تأخير
 فنصلح حالهم وترفع مراتبهم وطوبى للذين يفتقدون في مساكنهم غير ماثلين

لاحد الفريقين المتحاربين لكن الويل ثم الويل للذين يتحدون مع الممالك ويساعدونهم في الحرب علينا فلا يجدون طريق الخلاص ولا يبقى لهم اثر .
« المادة الاولى . جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة على مسافة ثلاث ساعات عن المواضع التي يربطها العسكر الفرنسي يجب ان ترسل للمصري عسكر بعض وكلاء من عندها لكي يعرفوا المشار اليه انهم اطاعوا وانهم نصبوا العلم الفرنسي الذي هو ابيض وكحلي واحمر

« المادة الثانية . كل قرية تقوم على العساكر الفرنسية تحرق بالنار
« المادة الثالثة . كل قرية تطيع العساكر الفرنسية يجب عليها ان تنصب العلم الفرنسي كذلك علم سلطان العثمانيين محبباً دام بقاءه
« المادة الرابعة . على المشايخ في كل بلد ان يخضعوا حالاً لجميع الارزاق والبيوت والاملاك خاصة الممالك وعليهم الاجتهاد الزائد لكي لا يضيع ادنى شيء منها

« المادة الخامسة . يجب على المشايخ والقضاة والائمة ان يلازموا وظائفهم وعلى كل واحد من اهل البلد ان يبقى في مسكنه مطمئناً كذلك تقدم الصلوة في الجوامع على العادة وعلى المصريين جميعاً ان يشكروا فضل الله سبحانه وتعالى على انقراض دولة الممالك قائلين بصوت عال ادام الله اجلال سلطان العثمانيين . ادام الله اجلال العسكر الفرنسي . لعن الممالك واصلح حال الامة المصرية

« تحريراً في معسكر الاسكندرية في ١٢ شهر مسدور من السنة السابعة من اقامة الجمهور الفرنسي يعني او اخر شهر محرم سنة ١٢١٢ هـ »
وامر بتوزيع هذا المنشور في البلاد المصرية . ثم فكر في امر التوجه الى القاهرة واخضع سائر القطر . وكان الى القاهرة من الاسكندرية طريقان الواحد عن طريق دمنهور او الصحراء على البر الغربي والثاني عن طريق رشيد في النيل فرأى ان الطريق الثاني اصعب مسلماً عليه بالنسبة لبقاء

رشيد في حوزة الممالك اذ ذاك فاقراً ان يسير في حملة عن طريق دمنهور في الصحراء وكان قد انذ الجنرال دبزه عند استلام الاسكندرية ليسير في ذلك الطريق وارسل عمارة بحرية لتحمل رشيد ثم تسير في النيل للملاقاة في الرحمانية

وفي ٢٤ محرم سنة ١٢١٢ هـ (٧ يوليو (تموز) سنة ١٧٩٨ م) بارح بونابرت الاسكندرية في الساعة الخامسة مساءً وقاية من الحر تاركاً كلاير فيها وما زال سائراً بجملته حتى منتصف الليل فتزلوا للراحة فرقدوا ساعين ثم نهضوا وما زالوا يواصلون السير ليلاً ونهاراً وقد قاسوا عذاباً شديداً من قلة الماء حتى وصلوا دمنهور فصادفوا خيرات كثيرة وماء غزيراً فمكثوا هناك يومين وليلتين ثم ساروا قاصدين الرحمانية في صباح ٢٨ محرم سنة ١٢١٢ هـ (١١ يوليو (تموز) سنة ١٧٩٨ م)

وفي اليوم الثاني من مسيرهم لا قنهم شردمة من الخيالة الممالك فحصلت بين الفريقين مناوشة شنت عن انهمزام الممالك بعد ان قتل منهم نحو من خمسين فارساً . فواصل بونابرت سيره حتى وصل الرحمانية وقابل النيل فوثبت العساكر على الماء كانهم ذئاب خاطنة فشرّبوا وتركوا خيولهم للمرعى وعسكر بونابرت ومن معه طلباً للاستراحة على اثر ما قاسوه من مشاق السفر والعطش ربثا تصلهم العمارة البحرية التي انفذوها الى رشيد . وبعد ليلتين من مكوثهم هناك انت العمارة بعد ان استولت على رشيد وجعلت فيها حامية تحفظها . وكانت الجيوش قد استراحت فتأهبت للرحيل الى القاهرة فسارت المشاة والفرسان على الضفة الغربية حذاء النيل والى يسارها العمارة سائرة في النيل وما زالوا يجدون السير حتى اتوا بحلة سلامة عند المساء فلم يمكنهم استطلاع حالة العدو تلك الليلة

اما ما كان من قبيل مراد بك فانه عند ما عهد اليه المسير الى الاسكندرية كما تقدم جمع اليه خيالته وقبل مبارحتهم القاهرة صاروا

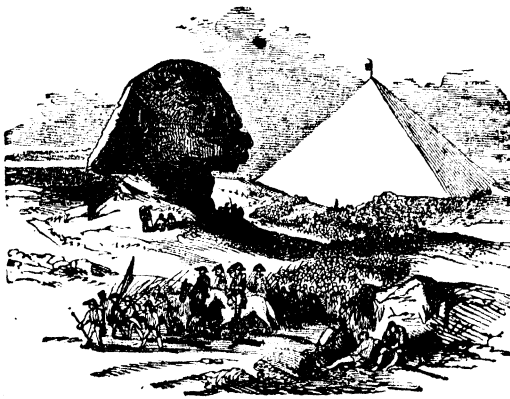
يصادرون الناس ويأخذون ما يحتاجون اليه بدون ثمن . ثم سار بهم الى
الجسر الاسود في البر الغربي فمكث به يومين حتى تكامل العسكر وساجفته
وفهم علي باشا الطرابلسي وناصيف باشا وكانا من اخصائيه المقيمين معه
في الجينة . واخذ معه عدة كثيرة من المدافع والبارود . وجعل الرحالة
وهم اسراب من الالاشات والغليونجية والاروام والمغاربة حملة بحرية
تسير في النيل على الغلابين الصغار التي انشأها هو . ولما بارح الجسر
الاسود ارسل الى مصر بمشورة علي باشا الطرابلسي يأمر باصطناع سلسلة
من الحديد في غاية الثخن والمتانة طولها مائة وثلاثون ذراعاً تنصب بعرض
البوغاز عند برج مغيزل من البر الى البر لتمنع مراكب الفرنسيين من
المرور . وان يجعل عندها جسر من المراكب عليها المتاريس والمدافع
ظناً منه ان الفرنسيين لا ينهاضون المصريين في البر ولا بد من قدومهم
بحراً وانهم يطاولونهم ويصارونهم في القتال حتى تأتهم البعثات . وما زال
مراد بك سائراً فيمن معه ملازماً ضفة النيل الغربية والى يمينه الغلابين
وفيهما من ذكرنا من الرحالة قاصداً الجيوش الفرنسية فوصل الى قرية
شبرايس وعسكر هناك بفرسانه وارسل عمارته لملاقاة عمارة الفرنسيين
فالتقت بها على مسافة قصيرة من مئة سلامة وقد تجاوزت جنود البر
مسافة بسبب الريح الشديد الذي طلع عليها ذلك اليوم . فانهر
الفرنساويون لذلك الاتفاق فاطلقوا نارهم فاجابهم المماليك وكان على
قيادة العمارة المصرية علي باشا الطرابلسي المتقدم ذكره فاحتمت الحرب
بين الفريقين حتى كادت تدور الدائرة على الفرنسيين وقد يسوا
لدخول عدة من مراكبهم في حوزة المماليك فارسل بيده قائد العمارة
الفرنساوية من يوصل الخبر الى بونايرت ليسرع الى امدادهم . ثم اتفق ان
احدى قنابل الفرنسيين اصابت المركب الذي فيه زخائر المماليك
فاحرقتها وتطايبت اجزاؤها في الفضاء فانذر المماليك وخابت آمالهم

ثم وصل بونايرت بن معه فمحمد الاتفاق الذي نجى عمارتهم وامران تنتظم
عساكره مربعات منتظمة للملاقاة المماليك في البر ايضا فالتقى الفريقان
وبعد الاخذ والردمة عاد المماليك على اعقابهم طالبين النجاة وفر كل
من كان في القرى المجاورة فدخلها الفرنسيون فلم يجدوا فيها احدا
فواصلوا السير حتى اتوا وردان فعسكروا للاستراحة ثم بلغهم ان مراد
بك ورجاله قد تحصنوا في امبابه مقابل القاهرة

وفي ٧ صفر سنة ١٢١٢ هـ بارح بونايرت وردان بجيشه قاصدا
القاهرة وما مشى يسيرا حتى ظهرت له من وراء الافق الاهرام العظيمة .
وما زال اهل القاهرة منذ سفر مراد بك للملاقاة الفرنسيين في اضطراب
يجمع علماءهم وفقهائهم في الجامع الازهر يقدمون الصلوات والتضرعات
الى الله ان ينصر على الاعداء ومثل ذلك كان يفعل الفراء وتلامذة
المدارس . اما باقي الاهالي فكانوا في اضطراب عظيم ولا سيما عندما كانوا
يسمعون بتفهم المماليك

اما ابراهيم بك فكان معسكرا في بولاق كما تقدم . فلما بلغه تفهم
مراد بك من شبرايس بمدفعيه تخابر مع رجال حكومته فاقروا على مد
الطوباني واقامة المدافع من بولاق الى شبرا نعزيزا للقاهرة . اما اهالي
المدينة فمن يسكن جاشهم وقد وقع في قلوبهم الرعب . اما مراد بك فكان
قد تحصن في امبابه على نية ان يقابل الفرنسيين هذه المرة بالمدافع وليس
بالفرسان كما فعل في شبرايس . وفي صباح يوم السبت في ٨ صفر بلغ
الفرنساويون الجسر الاسود ثم ام دبنار . وفي صباح ٨ منه (٢١ يوليو)
بارح الفرنسيون ام دبنار ونزلوا على مسافة ميلين من امبابه في حفل
من البطيخ فكان النيل عن يسارهم والاهرام وسلسلة جبال ليبيا عن
يمينهم وامبابه امامهم وفيها مراد بك وجنوده وعليهم الالبسة والدروع من
الحديد المصقول تتلأأ في اشعة الشمس واللوان ملابسهم تزيدها رونقا

واصوات خيولهم قد ملأت الفضاء . فالتفت بنوابرت الى معسكر العدو فاذا به حصين وفي مقدمته اربعون مدفعاً مستعدة لاطلاق القنابل على الفرنسيين عند ابداء اول حركة نحوهم فالتفت الى رجاله و اشار الى الاهرام قائلاً « اعلموا ان خمسين جيلاً من الناس تنظر اليكم من قمة هذه الاهرام وتراقب حركاتكم ناظرة الى ما يا أول اليه امركم مع هؤلاء الممالك » وترى في شكل ٨٨ الجيوش الفرنسية بجوار اهرام الجيزة



ثم أمر فرقة الجنرال ديزه ان تسير نحو اليمن والفرقة الاخرى نحو اليسار تجنباً لتيار تلك المدافع فادرك مراد بك مرادهم من هذه

ش ٨٨ الجيوش الفرنسية بجوار الاهرام

الحركات فامر ايوب بك الدفتردار ان يطلق القنابل على فرقة الجنرال ديزه وبوقفها عن المسير فوقفت على شكل مربع تنتظر هجوم الممالك فهجم ايوب بك هجمة الاسود الضارية وتبعته السناجق بالسيوف فلاقاهم مربع ديزه بنار كالصواعق المتساقطة فلم ينفك ايوب بك هاجماً وهو ينادي باعلى صوته « ويل لكم ايها الكفار الملاعين قد سافقتم كبرياؤكم الى ارضنا مهلاً اننا سنملأ القبور باجسادكم ونجعل هذا اليوم يوماً تذكروه اعقابكم من بعدكم . اما نحن فاذا مات احدنا فانه يذهب شهيداً الى النعيم والذي يبني حياً فله السعادة الى آخر ايامه » . ثم هجمت الفرقة الفرنسية من على اليسار واشتد القتال وما زالت الحرب سجالاتاً حتى تنهزت الممالك وقُتل

ايوب بك وفرّ مراد بك بمن بقي من رجاله قاصداً الصعيد واستولى
الفرنساويون على امبابه

فلما اتصلت تلك الاخبار بالقاهرة ضجّت العامة وكثرت الغوغاء من
الرعية واخلاط الناس بالصياح منادين «يارب بالطيف يا رجال الله»
وكانوا كأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم وكان العقلاء منهم
ينادونهم ان يتركوا ذلك الصياح قائلين ان الصحابة والمجاهدين انما كانوا
يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب لا برفع الاصوات والصراخ
والنباح . اما هم فكانوا لا يسمعون ولا يرجعون ومن يقرأ ومن يسمع . ثم
ركبت طائفة كيرة من الامراء والاجناد من المعسكر الشرقي في بولاق
وفهم ابراهيم بك وشرعوا في التعدية امداداً لمراد فتزاحموا على المعادي
لكون التعدية من محل واحد والمراكب قليلة فلم يصلوا الى البر الثاني حتى
وقعت الهزيمة على المحاربين كل ذلك ورجح النكباء يشتد هبوبها وامواج
البحر في قوة اضطرابها والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح في وجوه
المصريين فلم يستطع احدهم ان يفتح عينيه من شدة الغبار وكان ذلك من
اعظم اسباب الهزيمة حتى خيل للناس ان الارض تزلزلت والسماء ساقطة
عليها . كل ذلك والهزيمة متواصلة حتى انهزم ابراهيم بك وبكبير باشا .
وجعل اهالي المدينة يحملون ما خفّ حملة وغلا ثمنه ويفرون من وجه
الموت جنوباً وشرقاً الى الصعيد او الى السويس وبليس اما ابراهيم بك
فسار الى جهة الشرق . كل ذلك ظناً منهم ان الفرنسيين قد عدوا الى
البر الشرقي ولا سيما عندما رأوا دخاناً متصاعداً من جهة بولاق وقيل لهم
ان الفرنسيين قد حرقوها وجاءوا قاصدين المدينة بحرقون وبنهبون
ويفتكون

ولما اصبح القوم تبين لهم ان الفرنسيين لا يزالون في البر الغربي
فاجتمع بعض العلماء والمشايخ في الجامع الازهر واقرؤوا على ان يرسلوا الى

الفرنساويين كتاباً ويتظروا ماذا يكون من امرهم فإرسلوه صحة رجل مغربي يعرف الفرنساوية ويرفقه رجل آخر فعادا وإخبرا انها قابلا كبير فرنساويين واعطياه الكتاب فقرأه عليه ترجمانه ومضمونه الاستنهام عن قصدهم فقال لهما ابن عضاؤكم ومشائخكم لماذا لا يأتون الينا لنعري ما يكون فيه راحتهم فقالا اننا جئنا نطلب ذلك بالنيابة عنهم فقال قد سبق منا منشور ارسلناه اليكم من الاسكندرية فقالا قد وصلنا وانما نريد تضمينا آخر فكتب لهما ما مضمونه « اننا قد ارسلنا لكم سابقا كتابا فيه الكفاءة وقد ذكرنا لكم اننا ما حضرنا الا بقصد ازالة المالك الذين يعاملون فرنساويين بالذل والاحقار واخذ مال التجار ومال السلطان ولما حضرنا الى البر الغربي خرجوا الينا فقابلناهم بما يستحقون وقتلنا بعضهم واسرنا بعضهم عندنا ونحن في طلبهم حتي لا يبقى منهم احد في القطر المصري .

واما المشايخ والعلماء واصحاب المرتبات والرعية فليكونوا مطمئنين وفي مسأكتهم مستقرين الخ » ثم قال لهما يلزم ان ياتي الينا المشايخ والشوربجة لترتب لهم ديوانا نتخبه من سبعة اشخاص عفلاء يدبرون الامور . فلما رأى العلماء تلك الملاينة سكن جاشهم وكاتبوا من كان فارا منهم فحضر الشيخ الشرقاوي والشيخ السادات . وفي ذلك اليوم حضر بعض الاوباش ونهبوا بيتي مراد بك وابراهيم بك بخطة قيسون واحرقوها

وفي يوم الثلاثاء ١١ اصفر عدت الجيوش الفرنسية الى القاهرة ونزل بونابرت في بيت محمد بك الالفي في الازبكية بخط الساكت وكان قد بناء وزخرفة في السنة الماضية كانه كان يعد له الغاية وهي البناية التي فيها مخزن فرانسيز الآن بجانب اللوكنة الخديوية . واخذت العساكر الذين دخلوا القاهرة من فرنساويين يعاملون الباعة باللين ويتناعون ما يحتاجون اليه ويدفعون فيه ثمنا غالبا فاجتهد الناس وارتاحوا اليهم وفي الخميس ١٢ اصفر بعث بونابرت يطلب المشايخ واعيان البلاد

والوجاقية ^{مختصرون} ولما استقر بهم المجلس خاطبهم وتفاوض معهم بامر
 انشاء ديوان مؤلف من عشرة اشخاص من المشايخ لنصل الدعاوي فوق
 الانتاق على عشرة وفيهم الشيخ عبدالله الشرفي والشيخ خليل البكري
 والشيخ مصطفى الصاوي والشيخ محمد المهدي . كل هذا الانتخاب حصل
 بشورة قنصل فرنسا في مصر والاسكندرية وجعلوا علي آغا الشعراوي
 والياعلى الشرطة وعلي آغا محرم واليا على الاحساب باشارة ارباب
 الديوان بعد ان افهموا بونايرت ان سوقه مصر لا يهابون الا الاتراك
 وهؤلاء المذكورون من بقايا البيوت القديمة الذين لا يتجاسرون على
 الظلم كغيرهم . وجعلوا ذا الفقار كتحدا محمد بك الالفي كحيا لبونايرت .
 وجعلوا من ارباب الشورى الخواجه موسى كافوا وكلوي الفرنساويين
 ووكيل الديوان جان بنوا . ثم امروا الوالي والآغا ان يتادوا بالامان وفتح
 الحوانيت وان يظمن الناس . وكان الفرنساويون يدخلون بيوت الامراء
 المهجورين يأخذون منها شيئا ويتركونها منقوعة فيدخلها الرعاع وينهبونها ثم
 تكررت هذه التعديات على البيوت التي اصحابها فيها فجعلوا للبيوت يبارق
 بثلاثة ألوان تعلق على بيوت الكبراء الذين يخافون على بيوتهم من النهب
 او يلصقون على ابوابهم ورقة يأخذونها من السر عسكر (بونايرت) .
 وفي ذلك اليوم قلدوا برطلمين الرومي كحيا مستحفظان وجعلوا شخصاً آخر
 افرنجياً امين البحرين وآخر جعلوه آغا الرسالة وجعلوا الديوان في بيت
 قائد آغا بالانوبيكية قرب الروبيعي وسكن به رئيس الديوان وسكن دوي
 قائمقام المدينة بيت ابراهيم بك الوالي المطل على بركة النيل وسكن شيخ
 البلد في بيت ابراهيم بك الكبير وسكن مجلون في بيت مراد بك . واقام
 بونايرت بوسايك مديراً للمالية سكن في بيت الشيخ البكري القديم وكان
 يجمع عنده القبط لاجل الحسابات
 ثم اخذت العساكر الفرنسية تعدي للبر الشرقي شيئاً فشيئاً حتى

كثير عددهم في القاهرة فامتلات منهم الاسواق وسكنوا في البيوت ولكنهم لم يشوشوا على احد وكانوا يأخذون ما يحتاجون اليه بزيادة في الثمن ففجر السوق وصغروا اقراص الخبز وطحنوا الحنطة بترابها وكثرت باعة المأكولات وفتح الاروام عدة حوانيت لبيع انواع الاشربة وحانات وقهاوي وفتح بعض الافرنج المتوطنين بيوتاً لصنع الاطعمة والاشربة على النمط الافرنجي (اي لوكاندات افرنجية) ولم يكن ذلك معروفاً في مصر الى ذلك العهد ولذلك وصفها المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي كانها شي جديد دخل عليهم فقال «فتحوا بيوتاً لصنع الاطعمة والاشربة على طرايقهم في بلادهم وجعلوا على ابوابها علامات يعرفونها بينهم فاذا مرّت طائفة تريد الاكل بذلك المكان دخلوه وهو يشتمل على عدة مجالس بين دون وعال ووسط وعلى كل مجلس علامة ومقدار الدراهم التي يدفعها الداخل وفي تلك المجالس موائد من الخشب عليها الطعام وحولها الكراسي فيجلسون عليها وبأيتهم الفراشون بالطعام على قوانينهم فيأكلون ويشربون على نسق لا يتعدونه ثم يدفعون ما وجب عليهم من غير نقص ولا زيادة ويذهبون لحالهم»

وفي يوم السبت ١٥ صفر سنة ١٢١٢ اجتمع الديوان المتقدم ذكره وتباحث في احتياجه الى النفود فقرّر استلاف خمسمائة الف ريال من التجار المسلمين والنصارى والقبط والسوريين والافرنج واخذوا في تحصيلها وقرروا ان ينادى في الاسواق ان من أخذ شيئاً من نهب البيوت عليه ان يحضر به الى بيت القانمقام وان لم يفعل وظهر بعد ذلك يشتد عقابه . وان ينادى على نساء الامراء والبكوات بالامان وان يسكنن بيوتهن وان كان عندهن شي من امتعة ازواجهن يصالحن على انفسهن فجاء كثيرات منهن وصالحن ودفعن مبالغ عظيمة

وفي يوم الاحد في ١٦ منه طلب بونايرت الخيول والجمال والاسلحة

فجمعوا شيئاً كثيراً منها وكذلك الابقار والثيران واشاعوا التفتيش وكسروا
عدة دكاكين بسوق السلاح وغيره واخرجوا ما وجدوه فيها من الاسلحة
واخرجوا فيما خلا ذلك كثيراً من الخبايا والودائع بواسطة البنائين
والمهندسين والخدم الذين يعرفون بيوت اسياهم فكانوا يطلعونهم على
اماكن الخبايا ومواقع المدافن تقريباً من الفرنسيين . وفي ذلك اليوم
قبضوا على شيخ الجعيدية (الرعاع) ورموه بالرصاص ببركة الازبكية مع
رفيق له . ثم قبضوا على آخرين في الرميلة فخاف الناس وصار ياتي الذين
عندهم منهوبات ويقدمونها للديوان

وفي يوم الثلاثاء ١٨ منه طلبوا اهل الحرف والتجار وضربوا عليهم
مبلغاً على سبيل القرض لا يستطيعون دفعه واجلوا لهم اجل ستين يوماً
لدفعه فاستغاثوا وذهبوا الى الجامع الازهر والمشهد الحسيني واستشفعوا
المشايع فتكلموا بامرهم امام الديوان فلطف المطلوب الى نصفه ووسعوا لهم
في الاجل . وقد كان بكل عطنة او حارة من عطف وحارات القاهرة
باب كبير مصنح بالحديد يقفل ليلاً . فامر بونايرت بقلع ابواب الدروب
والعطف والحارات واستمروا في ذلك عدة ايام فخاف الاهالي وكثرت
ظنونهم في المقصود من تلك الاعمال فظن بعضهم ان الفرنسيين عازمون
على قتل المسلمين وهم في صلاة الجمعة وقال آخرون غير ذلك . وكان في
القاهرة دار لضرب النقود تضر بها باسم السلطان فامر بونايرت ان يستمر
الضرب كما كان وعهد ذلك الى احد رجاله . وكان في نيته انشاء بريد
(بوسطة) بين مصر والاسكندرية لكنه لم يستطع ذلك لكثرة الاخطار
التي تحيط ببرسل البريد اثناء الطريق

وفي ٢٠ منه وردت الى الديوان تحارير من قافلة الحج من العتبة
فذهب ارباب الديوان الى السر عسكر بونايرت واعلموه بذلك وطلبوا
منه اماناً لاميير الحاج فامتنع خيفة ان يكون في كثرة من الحجاج فيحدث

ما يكدر الراحة . وقال لا اعطيه ذلك الا اذا جاء في قلة ولا يدخل معه
الماليك فقالوا ومن يغفر الحجاج قال انا ارسل لهم من عساكري اربعة
آلاف بوصولهم الى مصر فكتبوا الى امير الحج كتابا لطيفا واعزوا اليه
ان يحضر بمن معه الى الدار الحمراء وانه متى وصل الى هناك يدبرون ما
فيه الخير فلم يصله ذلك الكتاب حتى خاره ابراهيم بك وكان في بليس
يطلب اليه ان يوافيه الى هناك حالا فسار الى بليس فعلم بونابرت باقامة
ابراهيم بك في بليس فارسل اليه فرقة من جيوشه تحت قيادة الجنرال
لاكلاك فسار وعسكر في الخانكة وراء المطرية ومكث هناك يومين ولم
يصادف اقل مقاومة . وفي اليوم الثالث هجم عليه وعلى رجاله قبائل من
العرب وبينهم عدد كبير من المالك وبعد محاربة شديدة انهقرت الجيوش
الفرنساوية نحو القاهرة لعجز خيولهم فعلم الجنرال مورات بذلك فاستمد
بونابرت فامدة فاجتمعت الجيوش الفرنسية ثانية الى الخانكة وتبعهم
بونابرت بنفسه خيفة ان يكونوا في ارتباك فينكسرون وتعود العائدة عليهم
فاتحدت جميع الجيوش الفرنسية في الخانكة وساروا جميعا في أثر العربان
والماليك حتى الصاحبة وهناك كان ابراهيم بك بمن معه ثم علموا انه بارح
الصاحبة فارتاحوا سوريا ملتجئا الى الجزار في عكا وانضم كثيرون من
رجالهم الى عسكر الفرنسيين وسلمت الصاحبة بمن فيها

فلما رأى بونابرت ذلك اسرع بالعود الى القاهرة . وبينما كان في
الطريق قابله رسول بكتاب منضوض فتلاه فاذا به خبر قدوم عمارة نلسون
الانكليزية الى الاسكندرية وحصول موقعة كبيرة في ابي قير شنت عن
تحطم العمارة الفرنسية برمتها . فاندعر لذلك الخبر ولكنه تجدد وقال
لاركان حربه الذي كان قد فض الكتاب وتلاه قبله دع هذا الخبر في
سرك الان لنرى ماذا يأتي به الغد

«موقعة ابي قير»

وتفصيل تلك الموقعة ان نلسون بعد ان بارح الاسكندرية علم
 بقدم الفرنسيين اليها ودخولهم في القطر المصري فعاد بعمارته حتى جاء
 الاسكندرية في ١٩ صفر سنة ١٢١٢ هـ (اول اوعسطس (آب)
 سنة ١٧٩٨ م) وكانت العارة الفرنسية راسية في جون ابي قير على خط
 واحد ممتدة من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي تحت قيادة الاميرال
 برويس وكانت قد ارسلت في ذلك الصباح خمسة وعشرين نفراً من كل
 دارة من دوارعها الى البر لغفر النقلة المرسلين لاحتفار الآبار فلما
 استكشفوا العارة الانكليزية نادوا بالرجال ان يعودوا الى المراكب . ثم
 تداول الاميرال برويس مع ضباطه في كيفية مقابلة العارة الانكليزية
 فاشاروا عليه ان يخرج من الجون ويستقبلها في ظهر البحر فاصراً على
 بقائه في مكانه بدعوى ان عدد رجاله لا يسمح له بقبول مشورتهم فبقيت
 العارة في الجون بانتظار الانكليز . اما نلسون فكان مذموم باحتلال
 الفرنسيين مصر عاملاً فكرته في كيفية ملاقاتهم لا يأكل ولا ينام .
 فلما صار على مشهد من عمارتهم فكر في احسن اسلوب يأخذهم به فافكر على
 ان يرسل قسماً من مراكبه يدخل بين الفرنسيين والبر والقسم الآخر
 يأتيهم من الامام فيجعلهم هدفاً للنارين حاميتين غير متغافل عما يحيط بهذا
 العمل من الخطر ولكن يظهر انه كان ممن يستسهلون الصعب . فسارت
 بعض مراكبه من وراء الفرنسيين وورست بينهم وبين البر وتقدمت بقية
 المراكب من الامام وكانت الشمس قد مالت الى الغروب وابتدأ نلسون
 باطلاق المدافع فاجابه الفرنسيون بنار مثل ناره . وبعد ١٢ دقيقة
 انكسرت دارة فرنساوية وبعد عشر دقائق انكسرت دارعتان اخريان
 ولم يأت العشاء حتى استولى الانكليز على عدة دوارع فرنساوية عدا
 عن التي كسرت

وكان الاميرال برويس على الدارعة « الشرق » ذات المائة وعشرين مدفعاً وعليها نحو من الف رجل وكان نلسون من الجهة الاخرى على احدى دوارعه يراقب حركات الفرنسيين ويعطي الاوامر فاصابته رصاصة في جبهته فوق احدى عينيه فتدلى الجلد حتى غشي بصره فرفعه بيده غير مبالي وجعل ينظر الى ما يكون من حركات الدوارع وكان بجانبه احد ضباطه فامسكه بيده فاتبه كأنه كان في غفلة وناداه قائلاً « قد قتلت فارجوك ان تذكرني امام امرأتي » فحملوه الى غرفته واحاط به اطباء وبعد ان كشفوا عن جرحه طيّبوا خاطره وطمّنوه ان الجرح لا يؤذي بالخطر السريع اما هو فلم يكن يتنظر الشفاء ولكنه مع ذلك لم يشغل عن الاوامر الى ضباط الدوارع وكان يتنقح حركاتها وهو على فراشه . ثم ضمدوا جرحه وهو يخاطب كاتب سرّه ان يحرر حالاً لنظارة البحرية في لندن عن هذه المحاربة فلم يستطع احد من الحضور ان يمسك القلم من شدة التأثر فاخذ نلسون قلماً وجعل يكتب مسروراً بما اوتي به من النور اما الاميرال برويس فاصيب اولاً ببعض الجروح ثم اصابته قنبلة قطعته قسمين فسقط على الارض فارادوا حمله الى اسفل الدارعة فاشار لهم ان يتركوه بفارق الحياة على ظهرها فتركوه . وبعد العشاء يسير اصاب « الشرق » الدارعة الفرنسية العظيمة احتراق تطرق الى جارتها فبلغ ذلك الاميرال نلسون فطلب ان يحملوه الى ظهر دارعته ليشاهد ذلك فحملوه فلما رأى تلك المشاهد تأثر منها كثيراً فامر ان يسير احد الضباط في سرب من العساكر لمساعدة الفرنسيين في انقاذ دارعة « الشرق » من الحريق ولم ينج من رجالها الا بعضهم واشتد الحريق حتى رآه اهالي الاسكندرية ورشيد . وما زال الاطلاق متواصلاً والاضطراب متسلطاً حتى ظهر يوم اليوم التالي وقد فاز الانكليز فوزاً ميبئاً وكان كلا برورجاله في الاسكندرية اثناء المعركة في خوف واضطراب

وكانوا جميعاً تحت السلاح . وفي الصباح وردت لهم الاخبار بانكسار العمارة الفرنسية ثم وردت مكاتبة اخرى تنفيد ان اسرى ومجارج الفرنسيين محفوظين بكل اكرام عند الانكليز وان في نية نلسون ان يبعث بهم الى البر بقيمون في مستشفيات تحت معانية بعض اطبائه . فلما وصل خبر انكسار الفرنسيين الى رشيد والاسكندرية خافت جيوش الاحتلال وصغرت قيمتهم في اعين الوطنيين . واضطر الرشيدون الى التواصل المخافة مع الاسكندرانيين فاقاموا قافلة تنقل البؤد وفيها التخابير والرسائل والاخبار لاجل المناوضة في امر الدفاع اذا اراد الانكليز محاربتهم . فكتب كلار الى بونايرت بواقعة الحال وما انتهت اليه العمارة الفرنسية فوصله الكتاب اثناء عوده من الصالحية كما مر بك اما العمارة الانكليزية فاقلمت عن الاسكندرية « عود »

فسار بونايرت حتى اتى بليس فرأى ضباطه واركان حربه على المائدة صباحاً وهم فرحون بانتصارهم على المالك في الصالحية غير عالمين بشيء من محاربة ابي قير فقال لهم ضاحكاً « افرحوا ولتنشرح صدوركم واجتهدوا ان تعادوا على هواء هذا الاقليم فانتا اصبحنا ولا مراكب لدينا تنقلنا الى اوربا » فاضطربت قلوبهم عند ذلك فطلب اليهم ان لا يذيعوا الخبر ثم ساروا حتى وصلوا القاهرة مساء الخميس ٤ ربيع اول واليوم التالي كان يوم وفاء النيل (١٢ مسري) فامر بونايرت ان يجنفل بفتح الخليج كالعادة فزينوا عدة غلايين ونادوا في الناس الخروج للتهزه في النيل والمقياس والروضة على عادتهم . وارسل بونايرت اوراقاً رسمية الى كحيا الباشا والى القاضي وارباب الديوان واصحاب المشورة وارباب المناصب وغيرهم للحضور في صبحها وركب هو معهم في موكبه وزينته وعساكره وطبوله وزموره الى قنطرة السد وكسروا الجسر بحضورهم واطلقوا المدافع اطلاقاً متوالياً واحرقوا النوط حتى جرى الماء في

المخلج ثم ركب وهم يرفقونه حتى اتى الى داره . اما اهل المدينة فلم يخرج احد منهم تلك الليلة للترفة في المراكب كالعادة الا الافرنج والسوريون والقط وقليلون غيرهم

ثم جاء المولد النبوي ولم يكن في نية العلماء الاحتفال به فاستنهم بونايرت عن سبب ذلك فاعنذر الشيخ البكري بتوقف الاحوال وتعطل الامور وعدم امكانهم القيام بما يقتضيه ذلك الاحتفال من النفقات . فقال بونايرت لا بد من الاحتفال كالعادة وصرف له في الحال ثلثماية ريال فرساوي وامر بتعليق فناديل واحمال وتعليق واجتمع الفرنسيون يوم المولد واعبوا ميادينهم وضربوا طبولهم وارسل بونايرت طبختاته الكبرى (الموسيقى) الى بيت الشيخ البكري واستروا بضربونها طول الليل والنهار بالبركة تحت داره واحرقوا اثناء الليل نوطاً وشوارنج كثيرة وفي ذلك اليوم اُلبس الشيخ خليل البكري فروة ونقل نقابة الاشراف ونودي في المدينة بان كل من كان له دعوى على شريف فيرفعها الى النقيب

ثم جاء يوم احتفال الفرنسيين بجمهوريةهم للسنة السابعة فاحتفلوا به غاية الاحتفال وشخصوا فيه حرب امبابه وانكسار المالك ونصبوا شجرة الحرية فانبهج لها الوطنيون ولم يكونوا يفهمون المقصود منها . ثم ارسل بونايرت مندوباً ينصب العلم الفرنسي ذي الثلاثة الوان على قمة احد الاهرام العظي وحفروا هناك اسماء الضباط الذي قتلوا في واقعة امبابه وقد تقدم ان السيد محمد كريم بقي في الاسكندرية كما كان فيها قبل مجيئ الفرنسيين . وقبل واقعة ابي قير يسير عثر الفرنسيون على كتاب مرسل من محمد كريم المذكور الى مراد بك يتواطأ معه على تسليم الاسكندرية فاستحضر الى القاهرة فحكم عليه ان يدفع ثلاثمائة الف فرنك غرامة على خيانتو وانه اذا لم يدفع المبلغ اثناء خمسة ايام يقطع رأسه فقال

له التراجمة انت رجل غني فافد نفسك بهذا المبلغ فتبسم وقال « لا لا ادفع شيئاً لاني اذا قدر لي الموت لا يدفع الدفع مقدوراً واذا قدرت لي الحياة فانا حيّ بغير دفع » . ثم استخضر وسئل عن تلك الحيانة فانكر فابرزوا له الخبر فأفهم فارسله بونابرت الى شيخ البلد فطلب العلماء من بونابرت ان يعنو عنه فاطلعم على تحريره واصرّ على قتلوه وما انتك حتى اذافه الموت وطوّف رأسه بالمدينة مكتوباً فيه « هذا جزاء الخائن »

وفي ٢٠ منه استدعى بونابرت مشايخ القاهرة وعلماءها الى بيته فلما استقروا جلوساً خرج ثم عاد ويده طيالة ملونة بثلاثة ألوان كل طيلسان ثلاثة عروض ابيض واحمر وكحلي فوضع واحداً منها على كتف الشيخ الشرفاوي رئيس الديوان فرمى به الى الارض واستغنى وتغير مزاجه واخذ منه الغيظ مأخذاً عظيماً . فقال الترجمان الذي كان مرافقاً لبونابرت « يا مشايخ ما بالسكم لا تزالون في نفرة من حضرة الصاري عسكر فقد صرتم من احبائه وهو يقصد بالباسكم هذه الطيالة تعظيمكم وتشریفكم بزيه وعلامته فانكم اذا تميزتم بها عظمتمكم العساكر واكثر من احترامكم » فقالوا « لكن قدرنا ينخط عند الله وعند اخواننا المسلمين » فاغناظ بونابرت وانهر الشرفاوي قائلاً ان مثلك لا يصلح للرئاسة فنهض بقية الجماعة وجعلوا يلبنون من غضب بونابرت ويطلبون اليه ان يعينهم ما اراد . فقال ان لم يكن هذا فلا بد من وضع الجوكار في صدوركم وهي العلامة التي يقال لها الوردة وقد تقدم ذكرها فقالوا نرجوك الامهال ريثما نتروى في الامر وانصرفوا

ثم استدعى بونابرت الشيخ السادات اليه فحضر فلاطفه في القول واعرب له عن محبته له (كل ذلك بواسطة الترجمان) ثم ناوله خاتماً من الالماس هدية وطلب اليه ان يحضر في اليوم التالي فحضر فاتى له بجوكار وعلقه بهزجته فسكت ولما انصرف نزعته . وفي ذلك اليوم نودي بالمدينة

بوجوب نقل هذه العلامة وانها هي علامة الطاعة والمحبة فانف الناس على ان بعضهم علم انها لا تخل بالدين وخشي العقاب فوضعها . ثم في العصر نادوا بعدم اعطائها الا لبعض الاعيان اما الباقون فيضعونها اذا جاءوا لمقابلة رسمية

ومن الغريب ان النابوليون بونابرت مع شدة رغبته في الاستيلاء على مصر وكثرة سهره على ذلك لم يحسن التصرف به كما كان يجب فقد رأيناه يصرح باحترامه الديانة الاسلامية وتأمين الاهالي على عوائدهم وادبائهم وارزاقهم واعراضهم الامر الذي استوجب عليه ثناء طيباً الا اننا لا نرى وجهاً يصوب ادعاء الاسلام ادعاء لم يصدق احد من المصريين ولم يزد الناس بسببه احذراً من الفرنسيين بناء على انهم لم يدعوا غير دينهم الا تقرباً منهم لغرض في نفوسهم يحاولون الحصول عليه

على انه لو ادعى تلك الدعوى ثم تظاهر بما يتبناها لكان خيراً وانما رأيناه من الجهة الأخرى يأمر بالمساواة في الارث بين الانثى والذكر امراً يخالف نص القرآن الشريف مخالفة صريحة كما لا يخفى . وليس ذلك فقط فانه تجاهل عن العوائد الشرقية واراد ان يجعل الشعب المصري بعد ما قاساه في ايام المائيك ان يسير على خطوات الشعب الفرنسي بعوائده وشرائعه وازيائه . فكانت العساكر الفرنسية تدخل احياناً بيوت الهوانم اللواتي لم يكن يحس الباشا بنفسه ان يدخلها . وسبب ذلك ان بونابرت اجاز لرجالو الدخول الى بيوت النساء للتفتيش على اسلحة او مخبآت او امور اخرى ولا يخفى ما في ذلك من تنفير القلوب وكل منا يعلم ان الشرقي اشد حرصاً على عرضه منه على حياته . ناهيك عما كان ياتيه الجند الفرنسي من النواحي التي تأبها النفوس الشرقية على اننا لا ننكر على هذا الرجل العظيم ما ادخله بواسطة هذه الحملة من اصلاح في احوال الامة المصرية صحيحاً وادبياً وشرعياً ولكننا لا نعجب بعد ان علمنا من تصرفه مثل ما قد

علمنا اذا رأينا الاهالي بعيدين من الاخلاص له رغماً عن قرب الشعب المصري من الطاعة والانقياد . ولا غرو بعد هذا اذا رأيناهم يشتنون بمصائبه ويتربصون فرصة لشق عصا الطاعة وتنزيل سلطة المالك على تمكثها من العسف والظلم لانهم شركاؤهم بالدين وهو اكبر رابط بين المشاركة . وقد اتخذ بونا برت بقبول العلماء الاجتماع في ديوان تحت حمايته وما علم ان قبولهم ذلك وغيره من مثله انما هو رغماً عن ارادتهم وامثالاً لقول القائل اذا لم يكن ما تريد فارد ما يكون

ومن الامور المغايب التي اتى بها الفرنسيون واستوجبوا من اجلها تنور الاهالي زيادة الضرائب والاستبداد في تخصيصها واستحداث القوانين على الموتى والضرائب على الميراث وعلى المسافرين من بلد الى اخرى فنقطى لهم تذكرة مرور بثمنها واباحة بيع المسكر في الشوارع وهدم بعض الجوامع والمنارات وتخريب بعض التراب تحت اسم الاصلاحات الصحية وتكثير القلع والاستحكامات على التلال خارج القاهرة وقطع ارزاق الاوقاف عن اهلها وتسليمها لغير المسلمين

وفي خاتمة الجمع وردت للعلماء والمشائخ تحارير سرية من ابراهيم بك واحمد باشا حاكم عكا في ٢ ربيع آخر ما لها ان جلالة السلطان قد ارسل قوة عسكرية ستصلهم قريباً لانقاذهم من نير الفرنسيين . وعلم بونا برت بذلك فجعل يجمع العلماء والفقهاء واعيان البلاد ويخاطبهم محاولاً اقناعهم ان خطابات المالك لهم كلها كذب ونفاق

وفي ١٨ ربيع آخر استكتب بونا برت المشائخ كتاباً ارسل منه نسخة لجلالة السلطان ونسخة لشريف مكة وطبعوا منها عدة نسخ لصقوها بالشوارع جعله عن لسان المشائخ يتكلمون عن اعمال الفرنسيين بمصر ومناذرة

« ان الفرنسيين قد قاتلوا المالك وهزموه وانهم انما اتوا مصر

وتكبدوا ما تكبدوه في سبيل جبههم للباب العالي لانهم من اخصاء جلالة مولانا السلطان واعداً اعدائهم وان السكة والخطة لا تزالان باسمه وشعائر الاسلام قائمة على ما كانت عليه وانهم هم انفسهم مسلمون يحترمون النبي والقرآن الشريف وانهم اوصلوا المحجاج المشتتين واكرموا واركبوا الماشي منهم واضعموا الجائع وسقوا الظمآن واعنوا يوم الزينة يوم جبر البحر استجلاً لسرور المؤمنين وانفقوا اموالاً برسم الصدقة على الفقراء واعنوا كذلك بالمولد النبوي وانفقوا المال في شأن انتظامه وعلو شأنه وانهم قد انفقوا رأياً على لبس الجناح الاكرم مصطفى اغا كنيا بكير باشا والي مصر حالاً وانهم (المشائخ) استحسنوا ذلك لبقاء علاقة الدولة العلية وانهم مجتهدون في انعام مهمات الحرمين وقد امرونا ان نعلمكم بذلك والسلام» . وارسلوا من هذا الترخيز نسخة الى احمد باشا والي عكا واخرى الى والي سوريا

وفي اول جمادى الاولى سنة ١٢١٢ هـ (٢١ أكتوبر) (١) سنة (١٧٩٨) حضر الى الشيخ البكري جم غفير من اولاد المكاتب والفقهاء والعيان والمؤذنين وارباب الوظائف والمستحقين من خدمة الاوقاف وشكوا من قطع مرتباتهم وخبزهم لان الاوقاف تعطل ايرادها واستولى على نظارتها من هم غير مسلمين فوعدهم انهم اذا قدموا شكواهم هذه الى الديوان يساعدهم في تحصيل حقوقهم . وفي اليوم التالي اجتمع المشائخ في الجامع الازهر وارسلوا القراء يطوفون الاسواق ينادون المسلمين قائلين « فليذهب كل من بوحد الله الى الجامع الازهر هذا هو يوم الجهاد في محاربة الكفار واخذ النار » فجع الناس وقفلوا حوانيتهم ونقلوا اسلحتهم التي كانوا قد خبأوها في اماكن معلومة وساروا نحو الجامع افواجاً يزاحم بعضهم بعضاً وفي مقدمتهم السيد بدر وبعض رعاا الحسينية ينادون باعلى اصواتهم « نصر الله دين الاسلام » وساروا توا الى بيت قاضي العسكر فوجدوا هناك كثيرين آخرين ممن سبقوهم على شاكتهم فخاف القاضي واغلق باباً واقف حجابة

فضر بهم وحاول هو الهرب فامسكوه . وكان قد توجه القسم الاعظم من الجماهير الى الجامع الازهر . ثم سارت فرقة منهم الى بيت الجنرال كافارلي وفيه بعض الادوات فنهبوه واخربوه ولم يكن الجنرال فيه

وكان الجنرال ديوي قائمقام القاهرة مقيماً عند بركة النيل وشاهد في الصباح بعض الجماهير مارّين في الاسواق فلم يعبأ بحركاتهم وعند الظهيرة رأى الجماهير قد تعاضمت والاسواق قد ازدحمت فركب في جماعة وسار مسرعاً الى بيت الشيخ الشرفاوي رئيس الديوان بقرب الغورية فلم يجد فصار شاملاً نحو بيت القاضي وكان يرى الجماهير تزداد والاصوات تتعاضم فرمى بين النصرين فرأى هناك جمهوراً كبيراً اوقفه عن المسير فبين معه فكلهم بواسطة الترجمان فلم يسمعوا فامر بالهجوم عليهم بالجنود التي برفقته فرماه احد الناس من احد الشبابك على عنقه بحجرة مشدودة براس عمود فقطعت له وعاء دموياً كبيراً وكانت القاضية عليه

وتعاضمت الجماهير على الخصوص في مركز القاهرة بجوار الجامع الازهر اما اهالي مصر القديمة وخط بركة النيل فلم يتجرأوا على ذلك وكانت الجيوش الفرنسية على غير استعداد لمثل هذه الثورة وحصونهم على سفح المقطم والرابي خارج القاهرة خالية من الجنود فلم يكونوا يستطيعون تهديد المدينة . وجعل الثائرون يطوفون الاسواق يقتلون المسيحيين على اختلاف نزعاتهم بين افرنج واقباط وسوريين ويونانيين وبنهبون مساكنهم

فلما اتصل ذلك ببونابرت ركب في ٢٠ من دواليله وسار الى اكثر الاماكن تعرضاً للنهب والسلب فانتعشت جنوده فعهد قيادة المدينة الى الجنرال بون وفرق الطوبجية حيث اجتمعت جماهير الثائرين . وفي اليوم التالي اصبح النوم واذا بسفح المقطم والرابي خارج القاهرة مرصعة بالمدافع وقد ارسل بونابرت وفداً الى المشايخ يطلب اليهم ان يوقفوا الرعاع عن التجهز فلم يفعلوا . وفي الساعة التاسعة (افرنجية) من الصباح بلغ

بونابرت ان بعض العربان قادمون الى القاهرة يريدون الدخول اليها من باب النصر فبعث اركان حريه سالكوسكي لينظر في امر ذلك فبينما كان ماراً عند باب العدوي هجم عليه بعض الثائرين وقتلوه وكان بحجة بونابرت فاسف عليه كثيراً

وبينما هم في ذلك وصل الجنرال كلابر بيجشييه من الاسكندرية بعد ما شني من جراحه فاشتد ازر الجنود الفرنساوية وتألفوا على المحاربة بقلب واحد فقبضوا على جمهور عظيم من الثائرين بمجهه الازبكية . وفي الساعة الثالثة بعد الظهر اطلقت المدافع من الحصون خارج القاهرة على خط الجامع الازهر حيث كان مركز الثورة وفيه زعمائها وما زال الضرب الى المساء فاضطربت الاهالي ووقع في قلوبهم الرعب فأجمع المشايخ على التسليم فركبوا خيولهم وساروا الى بونابرت يطلبون الامان فانتهرهم على ما أتوه من سفك الدماء ثم أمنهم واقف الضرب اما سكان خط حسين ومعظمهم من الجزارين فلم يبتكروا عن الضرب حتى فرغت جمعهم من البارود فهداوا

فدخلت الجنود الفرنساوية المدينة واخذوا في تسكين الناس وتفريق الجموع وفرقوا الخيالة في الاسواق للغنر فادخلوا خيولهم الى الجامع الازهر وكسروا قناديله ومحوا ما كان مكتوباً عليه من الآيات القرآنية . وفي يوم الثلاثاء ٤ جمادى الاولى خرج المسلمون للصلاة في الجامع الازهر فاذا بالخيول نزع فيه عجيماً . وفي صباح الاربعاء ٥ منه بعث المشايخ الى بونابرت يلتمسون اخراج الخيول من الجامع فسألم عن زعماء الثورة ونشطها فلم يجيبوه فرفض طلبهم . ثم تدخل محمد الجوهري من اعيان القاهرة وفضلائها في الامر وكان ممن لازموا الحيادة فوافقه بونابرت على اخراج الخيالة من الجامع على ان يجعل في ذلك الخط غنماً من سبعين رجلاً . ثم سار الى بونابرت جميع السوريين واليونانيين الذين نهبت بيوتهم بسبب

الثورة وشكوا اليه خسائهم . فعكف على الاقتصاص من زعماء الثورة .
فجعل يقبض على الذين تقع عليهم الشبهة رجالاً ونساء حتى قتل منهم ١٢
شيخاً دفعةً وجعل جثثهم في أكياس والفاها في الليل واخذ من ذلك
الحين يستخدم الصرامة في معاملته المصريين فمنع المشايخ من المباحثة في
الديوان وحصر شغلهم في نشر المنشورات في الشعب لاجل تسكين
الهيجان فسكن روع الشعب حسب الظاهر

وفي ليلة السبت ٢٤ جمادى الاولى جاء الى القاهرة هيجان بكتابات
من احمد باشا الجزار وفيها فرمان عليه الطغراء العثمانية وكتابات اخرى
من بكير باشا و ابراهيم بك وجميعها معنونة باسم مصطفى بك فلما تناووها
وقرأها لم يسعه من خوفه الا ان يسلمها الى بونا برت فترجمت له وهما ك ترجمتها
بعد الاستهلال « ان الفرنساويين ابادهم الله وغشى اعلامهم غشاء العار
لانهم كفار معاندون قوم لا يؤمنون برسالة النبي (صلعم) ويسخرون
بجميع الاديان ويحذون البعث وما قدره الله فيه من الثواب والعقاب
وهم يعتقدون ان الصدفة العياء هي المتسلطة على الحياة والموت وان
النفس مادة وان الاجسام بعد انحلالها في الارض لا تعود الى الحياة ثانية
ولا يلحقها حساب ولا دينونة وبناء على هذا الاعتقاد قد وضعوا ايديهم على
هياكلهم وطردوا منها قسمهم و رهبانهم . وعندهم ان الكتب المنزلة ليست
سوى خزعبلات واكاذيب ملفقة وان القرآن والتوراة والانجيل خرافات
وان موسى وعيسى ومحمد رجال اغنيادبون وان الناس جميعاً قد خلقوا
سواء لا شيء يميز بعضهم من بعض وان كلاً منهم له ان يعتقد بما يحظر له
وعلى هذه المعتقدات قد بنوا جميع اعمالهم ووضعوا شرائع جهنمية وقد
اهتزت اوربا لاجراهم هذه وسفكت في سبيل ذلك دماء غزيرة . وانتم
تعلمون ماذا تأمركم به الديانة الاسلامية الشريفة فعليكم الاتباه للملافة ما
يشئون بينكم لان من غرضهم هدم مكة والمدينة واورشليم وذبح كل من فيها

من الناس الا الاطفال واقتسام تركاتهم واراضهم اما من يبنى منهم حياً
فيجبرونهم على اتباع مبادئهم وتعلم لغتهم فتخفي الاسلامة من الارض . فافهموا
اذاماذا تكون النتيجة اذا كان كل مسلم لا يحمل الاسلام ويجاهد ضد دوله
المعطلين فاتتهم اذا الى الشراك التي نصبت لكم . والاسد لا يكثر
بالثعالب كثر عددها او قل الخ »

فلما فهم بونابرت فحوى هذا الفرمان اجتهد ان يغرس في اذهان المشائخ
انها فتنة قد سعى بها اعداء الدولة والدين وما زال حتى استكنهم منشوراً
مضياً منهم بفرقونه في البلاد ونصه بالحرف الواحد

« نعوذ بالله من النتن ما ظهر منها وما بطن ونبرأ الى الله من الساعين
في الارض بالنساذ . نعرف اهل مصر قاطبة انه حصل بعض الخلل في
مدينة الحروسة من طرف الجعيدية واثرار الناس فحركوا الشرور بين
الرعية وعسكر فرنسا وبين بعد ان كانوا اصحاباً واحباباً وترتب على
ذلك قتل جملة من المسلمين ونهب بعض البيوت ولكن بلطف الله سكنت
النتنة بسبب شفاعتنا عند امير الجيوش بونابرت . وارتفعت هذه البلية لانه
رجل كامل العقل ذو رحمة وشفقة على المسلمين ومحبة الى الفقراء والمساكين
ولولاه لكانت العساكر احرقت جميع المدينة ونهبت جميع الاموال وقتلت
كامل اهل مصر فعليكم ان لا تثيروا النتن ولا تطيعوا المنسدين ولا تسمعوا
كلام المنافقين ولا تتبعوا الاشرار ولا تكونوا مع الخاسرين سفهاء العقول
الذين لا يفكرون بالعواقب لكي تحفظوا اوطانكم وتطمئنوا على عيالكم
واديانكم فان الله سبحانه وتعالى يوتي ملكه من يشاء ويحكم من يريد ونخبركم
ان كل من تسبوا في اثارة هذه النتنة قُتلوا عن آخرهم وارج الله منهم
البلاد والعباد ونصيحتنا لكم ان لا تلقوا بايديكم الى التهلكة واشتغلوا
باسباب معاشكم وامور دينكم وادفعوا الخراج الذي عليكم والدين النصيحة
والسلام » وهذا المنشور مضى من علماء مصر كافة طبعوه بالمطبعة التي

انت بها الحملة معها كما تقدم . ثم شاع بين الاهالي امر الفرمان الذي ورد من جلالة السلطان فاضطربوا فاصدر المشايخ والعلماء منشوراً يبرئون به الفرنسيين مما جاء بجهنم في ذلك الفرمان ونصه حرفياً

« نصيحة من علماء الاسلام بمصر . نخبركم يا اهل المدائن والامصار من المؤمنين ويا سكان الارياف من العربان والفلاحين ان ابراهيم بك ومراد بك وبقية دولة المماليك ارسلوا عدة من المكاتبات والمخاطبات الى سائر الاقاليم المصرية لاجل تحريك الفتن بين المخلوقات وادعوا انها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان . وسبب ذلك انه حصل لهم الغم الشديد والكرب الزائد واغناظوا غيظاً شديداً من علماء مصر ورعاياها حيث لم يوافقهم على الخروج معهم وان يتركوا عيالهم واطنائهم فارادوا ان يوقعوا الفتن والشر بين الرعية والعسكر الفرنسيين لاجل خراب البلاد وملاك كامل الرعية وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بنهب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية . ولو كانوا في هذه الاوراق صادقين بانها من حضرة سلطان السلاطين لارسلها جهاراً مع اغوات معينة . ونخبركم ان الطائفة الفرنسية بالخصوص عن بقية الطوائف الاخرى دائماً يحبون المسلمين ومائتهم ويبغضون المشركين وطبيعتهم وهم اصحاب لمولانا السلطان قائمون بنصرته واصدقاء ملازمون له لمودته وعشترته ومعوته يحبون من والاه ويبغضون من عاداه . ولذلك بين الفرنسيين والموسكو غاية العداوة الشديدة ومن اجل هذا يعاونون حضرة السلطان على اخذ بلاد الموسكو ان شاء الله ولا يكون منهم بقية . فننصحكم يا اهل الاقاليم المصرية ان لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ولا تعارضوا العساكر الفرنسية بشيء من انواع الاذية فيحصل لكم الضرر والهلاك والبلية . ولا تسمعوا كلام المنسدين ولا تطيعوا امر المسرفين الذين ينسدون في الارض ولا يصلحون ولا يفتصحوا على ما فعلتم

نادمين وانما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين لتكونوا في
اوطانكم سالمين وعلى عيالكم واموالكم آمنين مطمئنين لان حضرة صاري
عسكر الكبير امير الجيوش بونايرته اتفق معنا على انه لا ينازع احداً في
دين الاسلام ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الاحكام ويرفع عن الرعية
سائر المظالم ويقتصر على اخذ الخراج وبزيل ما احدثته الظلمة من
المغارم فلا تعلقوا آمالكم بابراهيم ومراد وارجعوا الى مولاكم مالك الممالك
وخالق العباد . فقد قال نبيُّه ورسوله الاكرم الفتنة نائمة لعن الله من
يقظها بين الامم عليه افضل الصلاة والسلام ختام»

ولصقوا نسخاً من هذين المنشورين في اسواق القاهرة وفرقوا منها في
سائر بلاد القطر . واقام بونايرت على القاهرة الجنرال استنك عوضاً من
ديبوي الذي تقدم انه قُتل . ثم سعى الى تحصين مداخل النظر المصري
الاسكندرية ورشيد ودمياط فحصنها تحصيناً منيعاً . وجعل في القاهرة
وضواحيها استحكامات تمنع ثورة الاهالي من اخرى . وانشأ في القاهرة
مطاحن هواء ومطاحن ماء لاجل طحن المنخطة . وجعل في الروضة
مستشفى (اسبتيالية) يسع خمسمائة مريضاً

ثم جعل مطاحن ومستشفيات ايضاً في الاسكندرية ورشيد ودمياط
وانشأ في القاهرة اذ ذاك مدرسة لتعليم الاولاد الفرنساويين المولودين في
مصر وجريدتان فرنساويتان الواحدة تدعى « دكا داجيسيان » والاخرى
« كوربه ديجيبيت » ومرج للتشخيص ومعامل للاقتال والاسلحة والنجارة
ومعامل اخرى للمدافع وتوابعها وآلات الهندسة والورق والاقمشة وسائر
احتياجات البلاد . واستحدث فيها ايضاً اماكن للهو وحدائق للترفيه
وبالنسبة ان الجيش الفرنساوي لم يكن ينقصه من داعيات الراحة الا
البريد وانشأوا مجتمعاً علمياً مصرياً (انستيتي ديجيبيت)

وكان بونايرت لا يتقاعد مطلقاً عن اجراء كل ما فيه راحة جيشه

ورفاهية البلاد . فسكنت الاحوال مدة شهرين تمكن الفرنساويون اثناءها من اجراء بعض الاصلاحات في المدينة فردموا ما جاور بركة الازبكية والاماكن المجاورة لمسكن بونايرت فجعلوها رحبة واسعة . وجددوا قنطرة المغربي وبنوا جسراً مهنداً امتدّاً من الازبكية الى بولاق حيث ينقسم الى فرعين يسير احدهما الى طريق ابي العلا والآخر الى جهة التبانة وضفة النيل . وجعلوا الى جانبي ذلك الجسر خندقين وغرسوا على جانبيه اشجاراً وسيسباناً . وحدثوا طريقاً آخر فيما بين باب الحديد وباب العدوي عند المكان المعروف بالشخ شعيب ومهدوا جسراً آخر امتدّاً من هناك الى خارج الحسينية وازالوا ما يتخلل ذلك من الابنية وهدموا الابنية التي بين باب الحديد والرحبة التي بظاهر جامع البقس ومهدوا الارض بينهما . وفعلوا كل ذلك دون ان يسخروا احداً بل كانوا يدفعون الاجور زيادة عن الاستحقاق . وجعلوا جامع الظاهر خارج الحسينية على طريق العباسية قلعةً ومنارته برجاً فصار يعرف بقلعة الظاهر . وبنوا اماكن للارصاد الفلكية والرياضيات والنفس والرسم والتصوير في حارة الناصرية حيث الدرب الجديد فانهم رسموا ما فيه من بيوت الامراء واستخدموها لتلك الغاية وجعلوا بيت حسن كاشف جركس في تلك المخططة مكتبة المطالعة يحضرها من يريد المطالعة منهم في اوقات معينة من النهار واذا دخلها احد الوطنيين كانوا يتأهلون به واذا اراد التفرّج اطلعوه على ما اراد او المطالعة سلموه ما اراد من الكتب ولا سيما التي تنهج البسطاء بما فيها من الرسوم البديعة وفي جملتها رسم للنبي (صلم) ورسوم اخرى للخلفاء الراشدين وغيرهم من الائمة والاماكن المهمة . وكان في مكتبتهم هذه كتب كثيرة عربية . وافردوا لكل علم من العلوم داراً مخصوصة ولا سيما علم الكيمياء فانهم جعلوا له معبلاً كبيراً للتقطير والتصفيد واستحضار الخلاصات وسائر الاعمال العقارية وكانوا يجرون امام الاهالي بعض

التجارب الكيماوية التي كانوا ينهرون لها وقد ذكر المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي بعض تلك التجارب واطهر اندھالة منها . وافردوا ايضاً اماكن للتجارة والصناعة وطواحين هوائية واستخدموا العربات . وقرروا اطلاق مدفع كل يوم عند الزوال

وفي ١٦ رجب سنة ١٢١٢ هـ (٢٥ ديسمبر (ك ١) سنة ١٧٩٨ م) امر بونايرت بترتيب الديوان على نظام جديد فانتخب ستين رجلاً يتألف منهم الديوان العمومي وانتقى منهم اربعة عشر يتألف منهم الديوان الخصوصي او الديوان الدائم لانه كان يجتمع كل يوم اما الديوان العمومي فيجتمع عند اللزوم . وهذه اسماء اعضاء الديوان الخصوصي . من المشايخ . الشرفاوي والبهدي والصاوي والبكري والنيومي . ومن التجار المحروفي واحمد بن محرم . ومن القبط لطف الله المصري . ومن السوريين يوسف فرحات ومخايل كحيل وواحد انكليزي وآخر يدعى ابا ديف وواحد فرنساوي يدعى موسى كافور وجعل معهم وكلاء ومباشرين فرنساويين وترجمة . اما الديوان العمومي فجعل فيه من مشايخ الحرف وغيرهم وكتب بذلك منشوراً ارسله الى الاعيان ولصق منه نسخاً في الاسواق ونصه

« من بونايرته امير الجيوش الفرساوية خطاباً الى جميع اهل مصر الخاص والعام . نعلمكم ان بعض الناس الضالين العقول الخالين من المعرفة وادراك العواقب او قعوا الفتنة سابقاً بين اهل مصر فاهلكهم الله بسبب فعلهم ونيتهم الفبيحة والباري سبحانه وتعالى امرني بالشفقة والرحمة للعباد فامتثلت امره وصرت رحيماً بكم شفوفاً عليكم . ولكن كان حصل عندي غيظ وغم شديد بسبب تحريك هذه الفتنة بينكم ولاجل ذلك ابطلت الديوان الذي كنت رتبته لنظام البلد واصلاح احوالكم من منذ شهرين والآن توجه خاطرنا الى ترتيب الديوان كما كان لان حسن احوالكم ومعاملتكم في المدة المذكورة انسانا ذنوب الاشرار واهل الفتنة التي وقعت سابقاً

«فيا ايها العلماء والاشراف اعلموا امتكم ومعاشر رعيتم بان الذي يعاديني وبخاصة في انما خصامته من ضلال عقله وفساد فكره فلا يجد مخلصاً ولا ملجأً ينجيه مني في هذا العالم ولا ينجو من يد الله لمعارضته مقاديره سبحانه وتعالى . والعاقل يعرف ان ما فعلناه بتقدير الله تعالى وارادته وقضائه ومن يشك في ذلك فهو احمق واعى البصيرة . واعلموا ايضاً امتكم ان الله قدر في الازل هلاك اعداء الاسلام وتكسير الصليبان على يدي . وقدر في الازل ان اُجبي من ارض المغرب الى ارض مصر لاهلاك الذين ظلموا فيها واجراء الامر الذي اُمرت به . ولا يشك العاقل ان هذا كله بتقدير الله وارادته وقضائه . واعلموا ايضاً امتكم ان القرآن العظيم صرح في آيات كثيرة بوقوع الذي حصل وأشار في آيات اخرى الى امور اخرى تقع في المستقبل وكلام الله في كتابه صدق وحق لا يخلف . واذا تقرر هذا وثبتت هذه المقالات في آذانكم فلترجع امتكم جميعاً الى صفاء النية واخلاص الطوية فان منهم من يمتنع من اعني واظهار عداوتي خوفاً من ساحي وشدة سطوتي . ولم يعلم ان الله مطلع على السرائر يعلم خاينة الاعين وما تخفي الصدور والذي يفعل ذلك يكون معارضاً لاحكام الله ومنافقاً وعليه اللعنة والنقمة من الله علام الغيوب . واعلموا ايضاً اني قادر على اظهار ما في نفس كل منكم لانني اعرف احوال الشخص وما انطوى عليه بمجرد نظري اليه وان كنت لا اتكلم ولا انطق بالذي عنده ولكن يأتي وقت ويوم يظهر لكم عياناً ويتضح ان ما فعلته وحكمت به هو حكم الهي لا يرد . وان اجتهاد الانسان بغاية جهده لا يمنع عن قضاء الله الذي قدره واجراه على يدي فطوبي للذين يسارعون في اتحاديهم ومنهم مع صفاء النية واخلاص السيرة والسلام . » ورتب لارباب الديوان الدائم راتباً يدفع لهم نظير تقييدهم بمصالح العامة والدعاوي

وفي ذلك اليوم (١٦ رجب) بارح بونا برت القاهرة في سرب من

رجال معيته وبعض المهندسين قاصداً برزخ السويس لاستطلاع آثار
الترعة التي كانت قد حفرت قديماً بين البحر المتوسط والنيل فوصل
السويس في ١٨ منه وفي ٢١ منه قطع البحر الاحمر حتى اتى آبار موسى
فجعل يتأمل ويتذكر ما قيل عنها من المعجزات وفي اليوم عينه عاد بن معه
قاصداً السويس خوضاً في البحر على مثل ما فعل موسى فاخطأوا الطريق
حتى كادت المياه تغمر خيولهم وبعد المشقة وصلوا السويس في اوائل الليل
وفي الصباح التالي اتم بونايرت استطلاعاته ثم بارح السويس قاصداً
القاهرة فر ببلبيس فاستولى عليها وسار منها حتى اتى القاهرة في ٢٥ منه
(في ٣ يناير سنة ١٧٩٩)

وفي يوم وصوله لاقاه الجنرال كلاير قادماً من الاسكندرية ومعه
تخارير وجرائد واردة من فرنسا وغيرها تنبئ بتغيير خاطر الباب العالي
على الجمهورية الفرنسية لافتتاحها مصر واستقلالها باحكامها . فلندع
بونايرت يطالع تخاريره وجرائده ولتلفت الى الجنرال دبزه وحملته الى
الصعيد بعد واقعة امبابه

لما عدى الجيش الفرنسي الى البر الشرقي ودخل القاهرة بعد واقعة
امبابه عهد بونايرت الى الجنرال دبزه ان يسير في حملة لتعقب المماليك
واخضاع الصعيد . فسار في ١٦ محرم سنة ١٢١٢ هـ حتى اتى بني سويف
فلاقاه مراد بك برجاله وطال الحرب بينهما وكثر الاخذ والرد وانتهت
المواقع بتفقر المماليك وامعائهم في داخلية الصعيد

وفي ١٢ جمادى الآخرة بارح الجنرال دبزه بني سويف فاتى المنيا في
١٨ منه وترىص هناك ينتظر الدوارع القادمة على النيل لمعاوضته فتأخر
وصولها بسبب الريح المعاكسة لسيورها . ثم سار من المنيا وما زال يتعقب
مراد بك واتباعه حتى اتى اصوان في البر الغربي فعسكر هناك . وكان كلما
مر باثر من الآثار المصرية القديمة بحفر عليه اسمه واسماء المدن التي

افتتحها . وقد شاهدتُ مثل هذه الكتابة على جانبي باب من ابواب هيكل الكرنك بجوار الاقصر . واستطلع دبزه اخبار العدو في اصوان فعلم انه معسكر فوق الشلال الاول بمسافة قصيرة فاحتل جزيرة فيلوي وحصن اصوان لدفاع الممالك اذا قدموا اليها لانه لم يرَ فائدة من تدعيم الى وراء ذلك وقد حفر على صخر فوق الشلال جميع فتوحاته على مثل ما تقدم . وهناك آخر ما وصله الفرنسيون في حملة بونايرت . ولم يكذبتم دبزه تحصيل اصوان حتى سمع باحتلال إلني بك جهات طيبة فسار اليه وما زال حتى هزمه . فاذعن بلاد الصعيد وهدأت احوالها

اما بونايرت فانه علم من مطالعة تلك الجرائد ومن قرائن اخرى ان الدولة العلية سعت الى استرجاع مصر من الفرنسيين فبعثت بمشورات رسمية الى سائر بلادها طعناً بالجمهورية الفرنسية وبعثت الى احمد باشا الجزائر والى عكا ان يبعث جيشاً لاحتلال العريش ففعل فبعث اليه بونايرت ان يخلي تلك المدينة لانها من حدود مصر فلم يطيعه فامر باعداد حملة يسير بها ليس للمدافعة عن مصر فقط وانما لافتتاح سوريا ايضاً . فاعد حملة من اثني عشر ألفاً بينها الف ومائتان من الطبيعة وسار قاصداً سوريا بعد ان عهد قيادة القاهرة الى الجنرال دوغا وقيادة الصعيد الى الجنرال دبزه وقيادة الاسكندرية الى الجنرال مرمون وامر بتحصين دمياط . وجعل في تلك الحملة بعضاً من مشايخ القاهرة وفي ٢١ شعبان اصدر منشوراً مطبوعاً فرقه في الاهالي وهاك نصه بالحرف الواحد

« الحمد لله وحده . هذا خطاب الى جميع اهل مصر من خاص وعام من محفل الديوان الخصوصي من عفلاء الانام وعلماء الاسلام والوجاقات والتجار النخام

« نعلمكم معاشر اهل مصر ان حضرة صاري عسكر الكبير بونايرت امير الجيوش الفرنسية صفع الصفع الكامل عن كل الناس والرعية بسبب

ما حصل من اراذل الناس مع اهل البلد والجعبدية من الفتنة والشر مع
العساكر الفرنسية وعفا عنهم شاملاً واعاد الديوان الخصوصي في بيت
قائد آغا بالازبكية ورتبه من الاربعة عشر شخصاً اصحاب معرفة واثقان
انتخبوا بالفرقة من ٦٠ رجلاً حصل انتخابهم بموجب فرمان وذلك لاجل
قضاء مصالح الرعايا وحصول الراحة لاهل مصر من خاص وعام وتنظيمها
على اكمل نظام واحكام . كل ذلك من كمال عقله وحسن تدبيره ومزبد
حيه لمصر وشفقته على سكانها من صغير النوم حتى كبيرهم ورتبهم بالمنزل
المذكور كل يوم لاجل خلاص المظلوم من الظالم وقد اقتص من عسكره
الذين اساءوا بمنزل الشيخ محمد الجوهري وقتل منهم اثنين في قره ميدان
وانزل طائفة منهم عن مقامهم العالي الى ادنى مقام لان الخيانة ليست من
عادة الفرنسيين خصوصاً مع النساء الارامل فان ذلك قبيح عندهم لا
ينعله الا كل خسيس . وقض بالقلعة على رجل نصراني مكاس لانه باغى
انه زاد المظالم في الجمر بك مصر القديمة على الناس ففعل ذلك بحسن
تدبيره ليمتنع غيره من المظالم ومراده رفع الظلم عن كامل الخلق ودائماً
يفكر في فتح الخليج الموصل من بحر النيل الى بحر السويس لتخف اجرة
الحمل من مصر الى قطر الحجاز وتحفظ البضائع من اللصوص وقطاع
الطرق وتكثر عليهم اسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق . فاشتغلوا
في امر دينكم واسباب دنياكم واتركوا الفتنة والشرور ولا تطيعوا شيطانكم
وهوامكم وعليكم بالرضى بقضاء الله وحسن الاستقامة لاجل خلاصكم من
اسباب العطب والوقوع في الندامة رزقنا الله وياكم التوفيق والتسليم . ومن
كان له حاجة فليات الديوان بقلب سليم الا من كان له دعوى شرعية
فيتوجه الى قاضي العسكر المتولي بمصر المحمية بخط السكرية والسلام على
افضل الرسل الى الدوام

وفي ٢٥ شعبان (اول فبراير) شباط) سنة ١٢٩٩ م) سار الجنرال

كلابر والجنرال رينر في مقدمة الحملة نحو العريش وفي ٥ رمضان او
 ١ فبراير (شباط) سافر بونابرت بمن بقي منها . وكان على العريش قاسم بك
 من قبل الجزائر وقد عسكر خارج المدينة . وفي صباح ٨ منه كانت مقدمة
 الفرنسيين على مقربة من معسكر قاسم وفي المساء هاجموا بغتة فقتلوه
 وشتتوا جيشه واستولوا على جميع الزخائر والمهمات وساروا نحو المدينة . اما
 بونابرت فوصل الصالحية في ٧ منه وفي ١١ منه وصل المسعودية فطلعت
 ريح شديدة كانت تنسف عليه وعلى رجاله الرمال احمالاً وكانت المياه
 قليلة فعطشت العساكر عطشاً عظيماً فعسكر هناك وبعث الخبراء
 يستطلعون خطوات كلابر وجهة مسير فعداوا واخبروه فنهض وما
 زال حتى اتى العريش في ١٢ رمضان فاذا بكلابر قد حاصرها وامتنع
 عليه فتحها لفلة الطيحية ونفاد المؤن . فلما وصل بونابرت ارسل الى حامية
 العريش كتاباً يطلب اليهم التسليم وينهدهم فسلموا بعد بضعة ايام
 فدخل الفرنسيون العريش وأمنوا اهلها على حياتهم وقبضوا على خمسة
 كشاف كانوا هناك من قبل المالك وارسلهم الى القاهرة تحت الحجز ثم
 جعلوا في العريش حامية وساروا الى غزة فاستولوا عليها بغير قتال وجعلوا
 فيها حامية ودبوا ناطياً لتنظيم الاحوال

وفي ٢٤ رمضان سنة ١٢١٢ هـ (٢٨ فبراير (شباط) سنة ١٧٩٩ م)
 ساروا الى يافا فلما وصلوها امر بونابرت الجنرال كلابر ان يتقدم في
 فرقته الى عكا ففعل . وكانت حامية يافا اخلاطاً من الاتراك والمغاربة
 والارناوط والاكرد فلم ير بونابرت محاصرتها فامر بالهجوم عليها في ٢٧ منه
 ٤ مارس (اذار) فهجم الفرنسيون عليها وما زالوا حتى خرقوا الاسوار
 ودخلوها ففجرت الحامية فتنبعوها وقد تحصنت في بعض الخانات الكيرة
 فالتحوا عليها فقال الارناوط ومنهم تنألف معظم الحامية «نحن نسلم لكم
 انفسنا اذا امنتمونا على حياتنا» وكان على قيادة المهاجمين من الفرنسيين

احد اركان حرب بونايرت فوعدهم بالآمان فسلموا فقادهم موثقين وعددهم نحو اربعة آلاف حتى اتى بهم المسكر الفرنساوي فلما رآهم بونايرت قال للقادهم اليوم ما هذه الجماهير . قال في حامية هذه المدينة قد سلمت وجئنا بها اليك . قال « وماذا تريدون ان افعل بهذا العدد أعندكم زاد يكتفيهم او مراكب تنقلهم الى مصر او فرنسا واذا ارسلناهم في البر فمن يتولى غنائهم » فاجابه قائلاً « اننا قد قبلنا استنساخهم حجباً للدماء » فقال بونايرت « نعم يجب ان تغفلوا ذلك ولكن مع الاطفال والنساء والشيوخ وليس مع مثل هذا القدر من الرجال الاشداء المجددين » ثم امرهم بالجلوس مكتوفي الايدي امام المعسكر . وفي اليوم التالي فرقوا فيهم شيئاً من البقسماط الجاف والماء

ثم عقد بونايرت مجلساً في خيمته للمفاوضة فيماذا يجب ان يفعل بهؤلاء الاسرى وبعد الاجتماع عدة جلسات لم يقرروا على شيء فانزعج بونايرت لكثرة التردد في الامر وبعد الافتكار والتأمل رأى انه لا يستطيع استبقاءهم معه لعدم وجود ما يكتفيهم من الزاد ولا ارسالهم الى مصر لعدم استغنائه عن رجال يسرون لغنائهم ولا اطلاق سبيلهم لئلا يرتدون عليه فافقر على اعدامهم . وفي ٤ شوال (١٠ مارس) اذار سنة ٩٩) بعد الظهيرة قادهم مكتوفين الى صحراء رملية خارج يافا ثم جعلوهم فرقا قادوا . كلاً منها الى ناحية وقتلوا الجميع بالرصاص قتلاً ما انزل الله به من سلطان فلما بلغت هذه النعلة مسامع الجزار ورجالو في عكا اصروا على الدفاع الى آخر نسمة من حياتهم لئلا يصيبهم اذا سلموا ما اصاب اولئك

ولما استلم بونايرت يافا امر بتزيم حصونها وبعث الى الاسكندرية يأمر العمارة الباقية هناك ان توافيه الى يافا . ثم فشا الطاعون في يافا وضواحيها لنفاسد الهواء من الجثث التي ملأت تلك الجهات . ثم كتب بونايرت الى جند بيت المقدس يطلب اليهم التسليم فاجابوا انهم تابعون

لولاية عكا وحالما نسلم عكا يسلمون . ثم كتب الى القاهرة منشوراً باستيلائه على يافا وكان قد ارسل مثل هذا المنشور عند ما استولى على العريش وغزة . ولندكر هنا منشوره من يافا فقط على سبيل النموذج وفيه تنصيل ما تقدم عن فتح يافا وهاك نصه بالحرف الواحد

« بسم الله الرحمن الرحيم سبحان مالك الملك يفعل في ملكه ما يريد . هذه صورة تمليك الله سبحانه وتعالى جمهور فرنسا وبين لبندر يافا من الاقطار الشامية . نعرف اهل مصر واقاليهما ان العساكر الفرنسية انتقلوا من غزة ثالث وعشرين شهر رمضان ووصلوا الرملة في ٢٥ منه في امن واخطان وشاهدوا عسكر احمد باشا الجزار هارين بسرعة قائلين الفرار الفرار ووجدوا في الرملة ومدينة اللد مقداراً كبيراً من مخازن البقساط والشعير ووجدوا ايضاً ١٥٠٠ قرية مجهزة جهزها الجزار ليسيير بها الى اقليم مصر مسكن الفقراء والمساكين ومراده التوجه اليها مع العربان الاشرار من سفح الجبل ولكن نقادبر الله نفسد المكر والحيل وما كان قصده سوى سفك الدماء مثل عادته في اهل الشام وناهيك ما هو مشهور عنه من التجبر والظلم والجور فانه تربية الممالك الظلمة المصريين وفائه ان الامر لله وكل شيء بقضائه وتدييره

« وفي السادس والعشرين حلت طلائع فرنسا وبين لبندر يافا من الاراضي الشامية واحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية وارسلوا الى حاكمها وكيل الجزار ان يسلم القلعة قبل ان يحل بهم وبمعسكرهم الدمار ولكنه لخشونة عقله وفساد رأيه وسوء تدييره لم يرد وفي ذلك اليوم اي ٢٦ من شهر رمضان تكامل العسكر الفرنسي على محاصرة يافا وانقسم ثلاث فرق توجهت فرقة منهم على طريق عكا على مسافة اربع ساعات من يافا وفي ٢٧ امر حضرة صاري عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور لعمل متاريس متينة واستحكامات حصينة اذ عرف

ان سور يافا ملآن بالمدافع الكثيرة مشحون بعساكر الجزار الوفيرة
 « وفي ٢٩ ناهز حنرا الحنادق النهاية وصار على مسافة ١٥٠ خطوة
 في السور فامر صاري عسكر ان تنصب المدافع على المناريس وان توضع
 اهلوان القناير باحكام وتأسس وامر بنصب مدافع اخرى بجانب البحر
 لمنع الصلة بين عسكر البر والمراكب التي اعدّها عسكر الجزار في المينا
 للهرب والفرار. ولما رأى عسكر الجزار المحاصرون في القلعة ان عديد
 الفرنسيين قليل غرّم الطمع فخرجوا اليهم من القلعة مسرعين ظناً منهم
 انهم يغلبون على الفرنسيين فهجم عليهم الفرنسيين وقتلوا منهم كثيرين
 واجبروهم على الدخول الى القلعة ثانية

« وفي يوم الخميس غاية شهر رمضان اشفق حضرة صاري عسكر
 وخاف على اهل يافا اذا دخلت عساكره بالنهر والقوة فارسل اليهم مع
 رسول خطاباً وهذا مضمونه « لا اله الا الله وحده ولا شريك له . باسم
 الله الرحمن الرحيم . من حضرة صاري عسكر برتبة كخدا العسكر الفرنسي
 الى حضرة حاكم يافا . نخبركم ان حضرة صاري عسكر الكبير بونايرت امرنا
 ان نعرفكم في هذا الكتاب ان سبب مجيئنا الى هذا الطرف هو اخراج
 عسكر الجزار فقط من هذا البلد لانه تعدى بارسال عسكره الى العريش
 ومرابطته فيها والحال انها من اقليم مصر التي انعم الله بها علينا فلا يجوز
 له الاقامة بالعريش لانها ليست من ارضه فقد تعدى على ملك غيره
 ونعرفكم يا اهل يافا اننا حصرننا بندركم من جميع اطرافه وجهاته وضيقتنا
 عليه بالآلات الحرب والحصار والمدافع الكثيرة والكلل والقناير وفي برهة
 ساعيتين يخرب سوركم وتبطل آلات حربكم ونخبركم ان حضرة صاري عسكر
 لمزيد رحمته وحنوه خاف عليكم من سطوة عساكره المحاربين فانهم اذا
 دخلوا عليكم بالقوة والنهر اهلكوكم جميعاً ولذلك امرنا ان نرسل اليكم هذا
 الخطاب تأمينا لاهل البلد ولا سيما الضعفاء والفقراء والغرباء وان نؤخر

ضرب المدافع وإطلاق القنابر ساعة واحدة وإني لكم لمن الناصحين وهذا آخر خطاب بيننا » . فجعلوا جوابنا حبس الرسول مخالفين بذلك الشريعة المطهرة المحمدية والقوانين الحربية . فتميز صاري عسكر من الغيظ وهاج واشتد غضبه وأمر بإطلاق المدافع والقنابر . ولم يمضِ إلا اليسير حتى خرس مدافع يافا وانقلب عسكر الجزائر في وبال وخسران وعند الظهر انغرق سور يافا وأرتج له النوم وتنب من الجهة التي ضربت منها المدافع ولا مرد لقضاء الله ولا مدافع . وفي الحال أمر حضرة صاري عسكر بالهجوم وفي أقل من ساعة ملكت العساكر الفرنسية جميع البندر والأبراج ودار السيف في المخارين وحي الوطيس وكثر القتل

» وفي يوم الجمعة غرة شوال وقع الصنع الجميل من حضرة صاري عسكر الكبير ورق قلبه لا سيما على من كان في يافا من اهل مصر فاعطاهم الأمان وأمرهم بالعود الى الأوطان وكذلك أمر اهل دمشق وحلب بالرجوع الى بلادهم ليعرفوا مقدار رحمتهم ومزيد رأفتهم . وقتل في هذه الواقعة أكثر من ٤٠٠٠ من عسكر الجزائر بالسيف . أما الفرنسيون فلم يقتل منهم إلا القليل وسبب ذلك ان سالوهم الى القلعة كان في طريقة امينة خافية عن العيون واخذوا ذخائر كثيرة وأموالاً غريبة واستولوا على المراكب التي في الميناء ووجدوا في القلعة نيفاً وثمانين مدفعاً وقد فاتت الجزائر وعساكره ان آلات الحرب لا تدفع مفادير الله . فاستقيموا عبادة وأرضوا بقضاء الله ولا تعترضوا على احكام الله وعليكم يتقوى الله واعلموا ان الملك لله يؤتيه من يشاء والسلام عليكم ورحمة الله » .

ثم سار بونا بربت برجاله قاصداً عكا تاركاً في يافا حامية كافية فقابلته في الطريق بعض العصاة من المماليك فحصلت بينهما مناوشة شنت عن فرار المماليك فواصل السير حتى اتى سفح الكرمل وإذا بعكا قد تحصنت تحصناً منيعاً بهممة وإليها احمد باشا الجزائر وهو الرجل الوحيد الذي كان

يعتمد عليه الباب العالي في حماية سوريا . فعبروا النهر وعسكروا في البر الآخر . وفي ٢ شوال صعد بونايرت الى رابية وجعل يتأمل حصون عكا مستعيناً بالنظارة المكعبة ثم امر ان يسير بعض العساكر الى المدينة وكانت فيها عمارة انكليزية تحت قيادة السير سدني سميث قد زادت الجزار تمسكاً بالدفاع . ففي اليوم التالي استطلعوا الحصون واستكشفوا قوات العدو . وفي ٤ شوال او ٢ مارس (اذار) بدأوا بالحاربة وكانت الدوارع الانكليزية تساعد الجزار في البحر وقد اظهر هذا الرجل بسالة عظيمة لكنه اضطر اخيراً الى استنجاد قوات صيدا ودمشق وحلب

اما بونايرت فابق الحصار على عكا وحول شعبة فتوحاته نحو اماكن اخرى من سوريا فاربسل فرقاً استولت على صند وصور وطبريا واماكن اخرى واتوا منها بمؤن كثيرة . وبعد يسير وصلت الدوارع الفرنسية من الاسكندرية ومعها المدافع والمؤن . وفي ٤ ذي القعدة سنة ١٢١٢ هـ (٩ افريل (نيسان) سنة ١٧٩٨ م) قتل الجنرال كافارتي

وفي ٥ ذي الحجة (٩ مايو (ايار)) وهو اليوم الخمسون لحصار عكا اقر بونايرت على الهجوم النهائي فجهلوا عليها هجمة اليأس بقلوب لا تنهاب الموت ولم تكن عكا لتنفذ في طريقهم لولا العمارة الانكليزية فانها هي التي أخرت الفتح بدفاعها عنها بالبر والبحر . ثم جاءتهم نجدة من الاسكندرية تحت قيادة حسن بك فازداد المدافعون قوة ومضى ذلك اليوم ولم ينل الفرنسيون شيئاً . وفي اليوم التالي هجموا هجمة اخرى لم ينهب منها الا القهقر لانهم صادفوا مقاومة قوية قتل فيها الجنرال بون . فيئس بونايرت من حبوط مساعيه وفشل حملته السورية على انه كان يتعزى بما سبق استيلاؤه عليه من المدن والقرى السورية الا ان تلك الاماكن حالما سمعت بما لم يجيشه من النشل انحازت الى الباب العالي هرباً من العقاب . وزد على ذلك ان السير سدني سميث كتب منشورات وزعها على المشايخ

والامراء في لبنان بدعوم الى الاتحاد مع الباب العالي وارسل الى سراة
المسيحيين ايضاً صورة منشور بونابرت الذي يقول (فيه انه هذ اركان
الديانة المسيحية فامتنع اللبنانيون عن توريد الخبز والبارود للفرنساويين
فاصبح بونابرت في حالة اليأس الشديد لا يدري ماذا يصنع وقد خابت
آماله . فكتب الى ديوان مصر انه قد هدم اسوار عكا واخرب بيوتها
بالقنابل وجرح واليهما الجزار وانه سيبارحها بعد ثلاثة ايام عائداً الى مصر
ومتى جاءها يقتص من الباغيين . ثم استقدم حاميات صفد وطبرية وغيرها
وفي ٢١ اذي الحجة (٢٣ مايو (ايار)) امر بالمسير الى مصر بكل رجاله
وفيهما الجرحى ففاسوا عذاباً مرّاً من العطش وفشا فيهم الوباء فزادهم عناء
فامر بونابرت ان يسير الرجال الاصحاء على اقدامهم وان تعطى الخيول
والجمال الى المرضى والجرحى وما زادهم شفاء ان العمارة الانكليزية كانت
تتعقبهم في البحر والعربان يتعرضون لهم في البر والمجنود العثمانية تسوقهم من
ورائهم اما هم فكانوا ينجون كل ما مروا به من المدن والقرى . وفي ٢ ذي
الحجة (٢ يونيو (حزيران)) وصلوا العريش فامر بونابرت بتخصيصها تحصيئاً
منيعاً واشتد عليهم القبط وكان الماء الذي يشربونه ملأناً علقاً يمتص الدم
فكان يلتصق بمجلفهم عند الشرب فيعذبهم عذاباً اليماً

ثم واصلوا المسير الى القاهرة رغماً عن الحر والوباء حتى وصلوها
فخرج المشايخ والاعيان الى خارج المدينة لاستقبالهم فدخلوها وهم لم يصدقوا
انهم تخلصوا من حملة سوريا وما مروا به من الصحاري الحارة . فاخذ
بونابرت في تنظيم العساكر وتطبيب الجرحى واعادة النظام واكتساب ثقة
الاهالي الا انه لم يكده يفعل حتى بلغه تقدم المماليك من جهة الصعيد وسبب
ذلك ان مراد بك كان في أعلى الصعيد فبلغه قدوم حملة عثمانية لاجراج
الفرنساويين من مصر فجمع اليه رجاله وسار ببعضهم على الضفة الغربية
للنيل وارسل البعض الآخر على الضفة الشرقية للاتحاد مع ابراهيم بك

القادم من جهة سوريا فعلم بونايرت بذلك فانفذ جنداً على كل من
الضفتين لمحاربة الفرقتين فالتقى جند الضفة الشرقية بفرقة ابراهيم بك
وراء المقطم فشنتها واخذت امتعتها . والتقى جند الضفة الغربية وفيه
بونايرت بمراد بك في الجيزة فانتشبت الحرب فانكسر المماليك ونشنت
شملهم فعدت المجنود الفرنسية ظافرة

وفي ١٦ محرم سنة ١٢١٤هـ (١٥ يوليو (تموز) سنة ١٧٩٩ م)
وردت لبونايرت رسالة من الجنرال مرمون في الاسكندرية تنبئه بجي
الحملة العثمانية ونزولها في ابي قير في ١١ الجاري فانزعج بونايرت من
هذا الخبر فامر باعداد حملة تسير الى الاسكندرية وبعث الى الحصون في
رشيد ودمياط ان تكون في يقظة واستعداد

وسبب قدوم الحملة العثمانية ان الباب العالي بعث الى فرنسا وبين
مراراً يقيم الحجة على استقلالهم باحكام مصر ويطلب اليهم الانسحاب منها
ولم يكن الجواب الا المحاولة وكانت انكلترا في الوقت عينه تنشط الباب
العالي في هذه المطالب حتى انها اخيراً انتفت معه ان يرسل كل منها عمارة
الى ابي قير وهناك نعد العمارتان وتخرجان فرنسا وبين من مصر بالقوة .
فسارت العمارة العثمانية تحت اميرالية باترونا بك وعليها ثمانية آلاف من
المجنود البرية تحت قيادة مصطفى باشا سرعسكر ومعهم حسن بك ورجالة
وسارت العمارة الانكليزية تحت اميرالية السير سدي سميت المتقدم ذكره
والتفت العمارتان في ابي قير واتحدتا فاسرع الجنرال مرمون الى اعلام
بونايرت كما رأيت

فبارح بونايرت القاهرة براً ثاني يوم وصول الرسالة صباحاً فصار
من الجيزة الى الرحمانية ومن هناك كتب الى القاهرة « ان بين الذين قدموا
للمحاربة رجالاً روسيين لا يؤمنون بالله واحد وانما يعبدون آلهة ثلاثة »
ثم بارح الرحمانية فوصل الاسكندرية في ٢٤ محرم (٢٣ يوليو (تموز))

فلاقاه مرمون فعنفه لغفلته عن حصن ابي قير حتى احتلّه العثمانيون وفي اليوم التالي استكشف استحكامات العدو ثم سار برجاله نحو ابي قير فاذا بالجنود العثمانية تحت قيادة مصطفى باشا على مسافة ميل ونصف وراء ابي قير ومنهم نحو الف رجل في حصن على رابية من الرمال الى اليمين بجوار الشاطئ وجماعة آخرون الى اليسار في حصن على رابية اخرى وهاتان الرايتان بمثابة جناحي الجيش . فهاجم بونابرت اولاً الرابية اليمنى ففر من كان فيها الى قرية وراء قلب الجيش فارسل سرية من الفرسان للملاقاة الفارين ومثل ذلك فعل بالرابية اليسرى ثم هجم على قلب الجيش فتقهقرت الجنود العثمانية الى طابية كانت قد جعلوها وراءهم فتشجع الفرنسيون وتقبول الهاربين لكنهم لم يسيروا يسيراً حتى سمعوا دوي المدافع الانكليزية ووزيز قنابلها فارتدوا الى الوراء . فارتد العثمانيون وتبعوهم حتى كادوا يظفرون بهم لكنهم انشغلوا بتقطيع رؤوس التتلي فاغنم احد قواد الفرنسيين فرصة تغافلهم وسار في فرقته من على اليسار قاصداً الطابية الخلفية وسار قائد آخر من اليمين فدخلوا الطابية وقطعوا على العثمانيين خط الرجوع واسرع احدهما (الجنرال مورات) بنفسه للقبض على مصطفى باشا في خيمته فاطلق عليه المباشا عياراً نارياً فلم يعبأ مورات بذلك لكنه هجم عليه بسيفه فقطع اصبعيه وامر اثنين من رجاله فاوثقاه وارسلاه الى معسكر الفرنسيين . واخذت العساكر الفرنسية بالنهب فلم يغادروا في معسكر العثمانيين شيئاً من المؤن والزخائر وفر من بقي من العثمانيين الى البحر في قوارب ارسلها لم السير سدي الا بعض الحامية في حصن اقاموه هناك فهجم عليه الفرنسيون وبعد دفاع سبعة ايام هدموه واسروا من كان فيه فشاع خبر انتصار الفرنسيين في القطر المصري فعضموا في عيون الاهالي

ثم ورد لبونابرت من فرنسا رسائل منبهة باضطرابهم هناك وبثقل

اليد عليهم وفيه الحاح كلي عليه ان يسير حالاً الى فرنسا بعد ان يجعل في مصر حامية منتظمة فكنتم الامر ولم يكاشف به احداً الا الاميرال غانتوم لانه لم يردّ من مكاشفته لكي يعدّ له دارعين تنقلانه ومعينه الى فرنسا . ولكي لا يجعل للمصريين شبهة بمقاصده عاد الى القاهرة بما يلزم من احتفال النصر فوصلها في ١٢ صفر فخرج الاعيان لملاقاته بالموسيقى

وبعد قليل نزل الى الاسكندرية مظهرًا التجول في الوجه البحري فلما وصل الاسكندرية كتب الى الجنرال كلابر وكان على مديرية الغربية بولاية القيادة العامة على مصر وبين له وجوب المحافظة على الاحتلال لئلا تأتي دولة اخرى تحتل هذا القطر بعد ان بذلوا فيه ما بذلوه من المال والرجال ووعده بسخرة يبعث بها له حال وصوله الى فرنسا واخبره اخيراً عن الداعي الذي حملته على هذه السرعة . وكتب كتاباً آخر الى عساكره يشجعهم على الثبات والصبر وكتاباً آخر الى علماء مصر ومشائخها يطلب اليهم ان يعتبروا الجنرال كلابر في مكانه جاعلاً السبب في سفره انه ذاهب لقهر من بقي من اعدائه في اوروبالانه ان لم يفعل ذلك لا يطمئن باله على مصر ويعدم انه لا يغيب عنهم اكثر من ثلاثة اشهر وارسل كل هذه التقارير معاً الى كلابر واوصاه ان يطلع اصحابها عليها في الوقت المناسب

ثم بعث يستقدم الجنرال مينو اليه فجاءه حالاً وهو على اهبة السفر في ٢٥ صفر (٢٢ اغسطس) فعهد اليه قيادة الاسكندرية ورشيد والبحيرة وسلمه تقارير كلابر واوصاه ان يوصلها له حالاً . ثم ركب جواده وسار مساءً بمن معه الى جهة مرايوت او العجمي وكان الاميرال غانتوم ودارعناه بانتظاره هناك وفي الساعة العاشرة من تلك الليلة نزل بمن معه الى البحر وفي صباح اليوم التالي ودعوا سواحل الدلتا واقلعوا قاصدين فرنسا اما اهالي الاسكندرية ولا سوا الغنم خارج المدينة فانهم شاهدوا في

ذلك الصباح غباراً عجائباً بجهة حصن العجمي فحافوا ان تكون كتيبة من العربان قادمة على المدينة ثم تبين لهم انها خيول مسروجة ولا راكب عليها فسألوا لمن هن الخيول فقبل لهم انها الخيول التي نقلت بونابرت ومعيتها الى البحر وقد سافر الى فرنسا فاندعر القوم لتلك الاخبار البغيتية وكادوا لا يصدقونها حتى بلغهم مينو رسمياً ما عهد اليه بونابرت قبل ذهابه ثم ارسل مينو الاوامر والتخارير التي بيده الى كلاير فوصلته وهو في رشيد قادماً لمقابلة بونابرت . فذهب الى القاهرة وبلغ المشايخ والعلماء بما امره به بونابرت وتلا عليهم كتاب بونابرت اليهم وهولاء بلغوا الاهالي وهكذا ذاع خبر بونابرت في سائر القطر . وكان كلاير بالحقيقة اولى من جميع قواد تلك الحملة بذلك المنصب لانه كان افضلهم حزمًا وعقلًا وهيبَةً وانفة وبسالة فقد ظهر لك ما تقدم ان الحملة الفرنسية لم يكن القصد منها الا الاحتلال الدائم . ذلك كان قصد بونابرت اما كلاير فلم يكن ذلك رأيه وإنما كان ينظر الى مصر نظره الى بلاد لا تصلح لسكنى الفرنسيين لما بينها وبين بلادهم من اختلاف المناخ والعوائد والاخلاق فضلاً عن انه لم يكن يرى امكان استمرار الحال على ما تركها بونابرت ولذلك بادر عند استلامه ازمة القيادة الى اطلاع فرنسا على حالة مصر عند مبارحة بونابرت فقال

« قد سافر بونابرت الى فرنسا في الفروكتيدور السادس بدون ان يعلن احداً لكنه ارسل لي تحريراً وآخر للصدر الاعظم الى الاستانة وقد كان في علمه انه وصل الى دمشق . اما اعداؤنا الآن فليسوا المالك فقط وإنما هم ثلاث دول عظمى الباب العالي وانكلترا والروسية . اما جنودنا فقد اصبحوا نصف ما كانوا يوم قدومهم الى مصر مفرقين في انحاء النظر من العريش والاسكندرية الى اصوان . اما معداتهم فغير كافية لهم لان معامل الاسلحة والبارود معطلة ومثل ذلك الالبسة فقد اصبحت

رجالنا لاحتياجهن الى الالبسة معرضين لاثرة البلاد وزد على ذلك اتنا
 خسرتنا ١٢ مليوناً من الفرنكات بسبب تضمين الضرائب غير الاعتيادية
 بامر بونايرت . قد نشنت المالك لكنهم لم يبيدوا هذا مراد بك ما انفك
 في مصر العليا في كثرة من الرجال يمكثهم بهم اشغال قسم من جنودنا لمدة
 طويلة . وهذا الصدر الاعظم قد جاء بمحملة عثمانية لمناهضتنا وقد سار
 من دمشق الى عكا . اما حصوننا واستحكاماتنا فلا تزيدنا قوة فهذا حصن
 العريش لا يدفع مهاجماً وهذه الاسكندرية اشبه بمعسكر محاط بزريرة .
 فافضل ما يمكنني اجراؤه والحالة هذه المخافة مع الباب العالي اعلننا نصل
 الى وفاق فيه خير لنا . وقد علمت الآن ان عمارة عثمانية رست امام دمياط
 الا ان كلابر مع ذلك لم يتقاعد عن تنظيم الاحوال واكتساب
 ثقة الاهلين وجمع العوائد والمكوس لدفع مرتباب المجد على حين انه لم
 يكن ممن يريدون احتلال مصر او استعمارها ولكنه كان بفضل الانسحاب
 منها على اسلوب لا يكون فيه عار على دولته غير ان الاحوال لم تعطوه ما
 نواه لان الدولة العلية عادت الى استخراج هذا القطر السعيد من ايدي
 فرنساويين بالقوة فارسلت الصدر الاعظم يوسف باشا بنفسه الى دمشق
 بمجند جنداً عظيماً يسير به عن طريق البر الى القاهرة وجندا آخر
 يسير بحراً في عمارة السيرسدي سميت بوقاق مع انكثرتا لمطاوله فرنساويين
 من جهة البحر ليسهل على حملة البر المسير في داخلية القطر . فسار
 جند البحر الى دمياط ونزل في قلعة قديمة شرقي البوغاز . فاخرجتهم
 منها الجنود فرنساوية . اما الصدر الاعظم يوسف باشا فقدم يافا بمحمتو
 ثم جعل يتخاير مع كلابر في امر وفاق ينتهون اليه فانتهت المخافة بمؤتمر
 عند في العريش مؤلف من الصدر الاعظم من العثمانيين والجنرال ديزه
 والموسيو بوسيلك من فرنساويين اقر على معاهدة صلح مضيت في ١٢
 جمادى الآخرة سنة ١٢١٤ هـ (٢ دسمبر (ك) ١) سنة ١٧٩٩ م)

غير ان هذه المعاهدة لم يطل بقاؤها لان العثمانيين خرقوها بمهاجمتهم العريش في ٢ رجب (٢٢ دسمبر (ك ١)) وكانت تحت قيادة الكولونل كازال وكان من البسالة على جانب عظيم فاحب الاهالي التسليم فابي واصر على الدفاع الى آخر نسمة من حياته ولم يكن العريش من المناعة على شيء فدخلها العثمانيون واستولوا عليها فانصل ذلك بالجندل كلار فاغناظ جدا وكتب الى السير سدي يعنفه مع علمه ببراءته فعاتت المخبرات وعقد مؤتمر ثان في ٤ شعبان سنة ١٢١٤ (٢٤ يناير (ك ٢)) سنة ١٨٠٠ م في العريش مؤلف من دبره ووسيلك من الفرنسيين واثنين من العثمانيين وافروا على معاهدة عرفت بمعاهدة العريش من مقتضاها انسحاب الفرنسيين بمؤثمهم وزخائرهم عن طريق رشيد والاسكندرية واي قبر الى فرنسا انسحابا قانونيا بكل ما لديهم

فسر كلابر تلك المعاهدة لاعتقاده ان انسحابه على هذه الصورة لا يمس شرف دولته . ولما شاع خبر تلك المعاهدة بمصر فرح الاهالي عموما وكذلك الجنود الفرنسيين لانهم لم يكونوا راضين بالمقام في بلاد تخالف بلادهم هواءا واخلاقا ومعيشة فضلا عما كانوا يقاسونه من عصيان الاهالي وسفك الدماء . فضرب كلابر على الاهالي ضريبة غير اعتيادية مقدارها ثلاثة آلاف كيس لتنفقات الجيش في نقل المهمات وصدرت الاوامر بالتأهب للرحيل فباع الفرنسيون كل ما يصعب حمله من متاعهم . وبعث كلابر الى الجنود المتفرقة في جهات الصعيد بالتقدم الى مصر . واطمان المالك الذين كانوا قد فروا من وجه الفرنسيين فعادوا الى القاهرة بنسائهم واولادهم . ثم ان الصدر الاعظم نهض بجيشه نحو القاهرة حتى اذا اتى بلبيس سار علماء مصر ومشائخها باذن من كلابر للملاقاة وتقدم واجب العبودية لجلالة السلطان فسر الصدر بهم وخلع عليهم

وبينا الحال كذلك ورد للجندل كلابر كتاب من السير سدي مآله

نفذ معاهدة العريش وتعريية تلخصاً

« سيدى . اعلم حضرتكم اني قد تشرفت باوامر شاهانية تمنع عقد اي معاهدة مع الجيوش الفرنسية التي هي تحت قيادتكم في مصر وسوريا الا اذا سلموا انفسهم وسلاحهم كما يفعل اسراء الحرب مع التخلي عن كل المراكب والمؤن التي لهم في الاسكندرية »

على ان السير سدي نفسه لم يكن يرى الا البقاء على المعاهدة اما دولته فما انفكت حتى حملت الباب العالي على اصدار هذه الاوامر وقد كتب السير سدي الى دولته يظهر رأيه ويبين اوجه الخطأ التي انتما بذلك النقص ولم تحصل نتيجة . اما كلاير فاستشاط غضباً لذلك ولم يكن جوابه الا الحرب فاسرع الى احتلال الطواحي على الروابي خارج القاهرة وتعزيزها بما يلزم من العدة والرجال . وكان يوسف باشا قد اصبح على مقربة من القاهرة ومعه الجيوش العثمانية فكتب الى المشايخ والعلماء يستعجئهم على اخراج الفرنسيين من بلادهم

فعقد الجنرال كلاير مؤتمراً حربيّاً قال فيه « ان الدولة العثمانية قد سهلت امر انحنائنا فوق الانكليز في طريقنا فعلينا محاربتهم » ثم بعث الى الصدر الاعظم بعزمه على الحرب وحشد جيشه خارج القاهرة وكانت مقدمة الجنود العثمانية تحت قيادة ناصيف باشا احد قواد الحملة معسكرة في المطرية النيل الى يمينها والصحراء الى يسارها والى ورائها الخانكاه وفيها باقى الجيش تحت قيادة يوسف باشا وعددهم جميعاً نحو من اربعين الفا وازيد وانضم اليها الانكشارية والمماليك تحت قيادة ابراهيم بك . فالتقى كلاير بمقدمة العثمانيين فتفجرت بعد الدفاع الحسن وفر ناصيف باشا وبعض المماليك لجهة القاهرة فتقدم كلاير برجالو فظهر له عن بعد غبارٌ عجاج في سهل بين قريتين وهما سراقوس الى اليسار والمرج الى اليمين ثم انتشع الغبار عن الجنود العثمانية قادمة من الخانكاه لملاقاة الفرنسيين

فالتقى الفريقان واتشبثت الحرب فدافعت الجنود العثمانية دفاعاً شديداً معهوداً بالرجال العثمانيين إلا أنهم اضطروا أخيراً الى التفرغ نحو الخانكاه فنبعهم الفرنسيون فخرجوا منها وما زالوا حتى تجاوزوا الصالحية فوصلها كلاير فاذا بها خالية فاستولى على ما كان فيها

اما اهالي القاهرة فلما علموا بمسير كلاير الى المطرية ثاروا على من بقي في مصر من الفرنسيين وبعد الظهيرة اتاهم ناصيف باشا ومعه جماعة من المماليك المتقدم ذكرهم وقالوا انهم غلبوا الفرنسيين وجاؤا لاستلام المدينة باسم جلالة السلطان . فامر ناصيف باشا ان يقتلوا من بقي في مصر من المسيحيين رغماً عن كونهم من رعايا الدولة العلية . اما العساكر الفرنسيون الباقون في القاهرة فكانوا يدافعون بالامر الممكن . وطالت المذبحة في احياء المسيحيين من الاقباط والسوريين والافرنج الى ان جاء عثمان بك احد ضباط العثمانيين الى ناصيف الباشا قائلاً « ليس من العدالة ان تهرقوا دماء رعايا الدولة العلية فان ذلك مخالف للارادة السنية » ثم بث رجاله في المدينة لايقاف القتل

ثم تمكن الفرنسيون من احتلال القلعة وباقي الطواحي ولشوا ينتظرون ما يكون من ناصيف باشا . فهجم عليهم فاطلقوا عليه وعلى رجاله ناراً ارجعهم الى اماكنهم حتى لم يبق منهم في الازبكية نفر واحد واستمر اطلاق النار على المدينة من القلعة وباقي الطواحي حتى منتصف الليل فوقع الرعب في قلوب الاهلين وهم المشايخ بالفرار فامسكتهم الرعية رغماً عنهم . وكان في بعض بيوت المدينة مدافع فاخرجها الاهالي ورتبوها على هيئة بطارية احاطوها بطاينة وحظر على الناس الخروج من تلك الطاينة ولم يكن عندهم قتال فاستخدموا عيار الموازين عوضاً عنها . وبعد مضي يومين على تلك الحال أنبى ناصيف باشا بقدوم جند فرنساوي من جهة المطرية لنجدة حامية القاهرة فبعث اليهم سرّياً من الفرسان فلم ينالوا منهم ظفراً

فوصل الفرنسيون منادين بانتصارهم في مواقعهم مع العثمانيين . وكانت المدينة برمتها في يد الوطنيين فبعجز الفرنسيون عن الدخول اليها ثم جاءت نجدة أخرى ولم يستطيعوا اتحاد الثورة . ثم جاء الجنرال كلابر وقد كادت مؤن جيوشه في القاهرة تنفذ وخرج جميع المسيحيين من الاقباط والسوريين فارتين من على السور طالين الالتجاء الى معسكر الفرنسيين ثم تضايق الاهالي لقله الماء لان الفرنسيين قطعوه عنهم

وفي ٢٧ شوال (١٤ ابريل (نيسان)) طلب كلابر الى اهالي بولاق ان يسلموا فاجابوا انهم تابعون للمدينة بما يلحق بها فاطلق عليهم قنابل لاتزال بعض آثارها باقية الى هذه الغاية فسقطت البيوت ودخل الفرنسيون بولاق ولم يقولوا عليها نهبا وقتلا . فلما تأتى ذلك لكلابر عرج نحو المدينة بالمدافع والحراريق وكانت ليلة ليلاء ممطرة اخلطت فيها اصوات المدافع بقصف الرعد وشرارها بلع البرق وهجمت العساكر على المدينة خائضين في الاحوال يشون من حائط آخرين البيوت التي هدمتها مدافعهم وفي ايديهم خرق مبتلة بالزيت مشتعلة برمونتها ذات اليمين وذات اليسار لاحراق المدينة فعلا الصباح من النساء والاطفال خوفاً من النيران حتى كانوا يلقون بانفسهم من على المجدران والسطوح تخلصاً من اللهب

فهم ناصيف باشا الى الفرار فتبعوه فدخل في حي من ذويه واخفى فيه فأمر كلابر ان ينادى في الناس « وما النصر الا من عند الله وهو سبحانه ونعالى يامر الغالين بالرفق وعليه فان الصاري عسكر يعنو عن اهالي القاهرة وسائر البلاد المصرية عموماً ولو اتحدوا مع الاتراك فليرجع كل الى شأنه » فكف الناس عن القتال وهدأت الاحوال فبعث كلابر ان تنظف الاسواق وترفع الحثث وامر ان تنور المدينة ثلاثة ايام احتفالاً بالنصر ودعا اليه العلماء والمشايخ واعد لهم وليمة حافلة وبعد يومين جمعهم في مجلسه واخذ يعنهم على ما انوه من الخيانة فاجابه شيخ

المهدي « اننا لم نأت خيانة اما اتحادنا مع العثمانيين فكان بناء على امر منك » وحجر كلابر على خمسة عشر شيخاً لم يتركهم حتى اخذ منهم غرامة مقدارها ١٢ مليوناً من الفرنكات . وسكنت بعد ذلك الاحوال واطمأنت القلوب . ثم علم مراد بك بما حل بالمدينة وما كان من نصرة الفرنسيين فاحب الانحياز الى الجانب الاقوى فجاء الى ضواحي القاهرة وكتب الى كلابر ثم اجتمع معه وتفاوضا فتعاهدا على الاتحاد وتهاديا هدايا فاخرة فولاه مصر العليا مكافأة لصداقته

فاطمان كلابر من قبيل مصر بعد اتحاده مع الماليك وعظم في عين الاهالي وسكن في بيت مراد بك في الجيزة وامر بترميم الاماكن التي هدمت بسبب تلك الثورة وفي جملتها ديوان الجيش غربي الازبكية في اول شارع بولاق الى اليمين . ففي ١٤ يونيو (حزيران) سنة ١٨٠٠ م دعي كلابر الى غداء عند اركان حريه الجنرال داماس في منزله قرب ديوان الجيش . فبعد تناول الطعام خرج كلابر والموسيو بروتين مهندس الحملة بنميشيان في رواق (مشى) موصل بين بيت الجنرال داماس والديوان نحو الساعة الثانية بعد الظهر فيمينا كانا يتحادثان وثب رجل من منتهى الرواق عليه ثوب خلق وفي يده خنجر طعن به صدر الجنرال كلابر فنادى المحرس وهجم بروتين على الرجل فنال منه مثملاً نال كلابر فسقط بروتين على الارض فتركه ذلك الشقي وعاد الى كلابر وطعنه ثانياً وثالثاً حتى اتم قتله ثم سمع ضجيجاً ففر الى حديقة بالقرب من ذلك المكان واخبط وراء الحائط فلما اتى الحفر لم يرو الا ذنبك الرجلين يخبطان بدمهما فحملهما الى البيت واتوا لهما بالطبيب فمات كلابر حالاً اما بروتين فبقي تحت المعالجة . ونودي في المدينة بالقبض على ذلك الفاعل حيثما وجد وكان بروتين قد افهمهم شيئاً عن ملاسهم وشكلهم وبعد يسير جيء برجل عليه لباس رث ووقفوه امام بروتين فعرفوه وقال هذا هو الجاني . ثم قرر

اخرى منهم رأوه منذ بضعة ايام يتردد بين البيوت ويختلط بخدمة الديوان
وبعد تقريره بسبل مختلفة وجد ان اسمه سليمان الحلبي النقي به احد
اغوات الانكشارية في بيت المقدس وكان قد ذهب اليها هذا الانكشاري
للتفتيش على رجل يُقدم على قتل كلاير فحاطب سليمان الحلبي بذلك
فاجاب على شرط ان ينجي اباه في حلب من ضرائب غير اعنيادية يطلبها
منه والى تلك الولاية فجاء به الى غزّة وهناك اتى له بتعابر توصية من آغا
غزة لعملاء الازهر فبارح سليمان غزّة في ١ مايو فوصل القاهرة في ١٤
فنزّل في بيت مصطفى افندي ليلة ثم سار الى العلماء فابوا مشاركته بالجناية
اما هو فلم ينفك حتى اغتتم تلك الفرصة وفعل ما فعل . فاستدعي المشايخ
المتهمين وهم ثلاثة وبلاستهم منهم اجابوا انهم لم يروا الرجل ولم يعرفوه
قبل تلك الساعة . ثم عين الجنرال مينو لجنة لتعري القضية فحكمت باعدام
المشايخ الثلاثة لانهم عرفوا عزم القاتل على القتل ولم يخبروا عنه اما القاتل
فحكّم عليه بالاعدام على الخازوق لكنهم اوقفوا تنفيذ الحكم لبعد دفن
النفيذ . فشيعوا جنازته بكل احترام واحترام ولما واروا التراب جاءوا
بالجناين واعدموهم بموجب ذلك الحكم

واقاموا على القيادة العامة بدلاً من كلاير الجنرال مينو وكان ممن
يرغبون البقاء في مصر فاعتنق الاسلامية ودعى نفسه عبدالله وولده
غلام دعاه سليمان . ثم ظهر من تصرفه بالاحكام انه ليس على شيء من الهمة
والدرابة فسخر به الفرنسيون وكرهوه . وكان ديوان القاهرة مؤلفاً من
طائفتي المسلمين والمسيحيين فجعلته من المسلمين فقط واخذ جانب المسلمين
فعهد اليهم جباية الخراج وقد كانت بيد الاقباط . على ان ذلك كنه لم يغير
شيئاً من كره الوطنيين لتلك الامة الاعجمية التي جاءت لامتلاك بلادهم .
ومن جملة ما قادم الى ذلك انه اعلن بجماية فرنسا على مصر وان مصر قد
اصبحت مستعمرة من مستعمرات فرنسا . وشق ذلك على قواد الحملة فجاءوا

اليه بصفة رسمية وبلغوه ان الجيش الفرنسي غير راضٍ عن هذه البدع
وان الجمهورية الفرنسية لا تقصد بحملتها على مصر ما قد صرح به هو
فلم يجهم بشيء وانما وعدهم انه سينظر بما قالوا

وكانت انكلترا لا تنفك عن السعي الى اخراج الفرنسيين من
مصر صيانة لصالحاتها في الهند على الخصوص . فاعدت عمارة بحرية مؤلفة
من ١٧٥ مركباً وخمسة عشر الفا من الرجال وارسلتها الى مصر تحت
قيادة السير رالف ابركرومي فصار اليها ودخل جون ابي قير في ٢
مارس (اذار) سنة ١٨٠١ م فشاهد آثار العمارة الفرنسية التي حطمتها
عمارة نلسون وفي ٧ منه نزل السير رالف المذكور في قارب لاستكشاف
الشاطئ ليختار محلاً ينزل اليه الجيش . وفي ٩ منه شرعت الجنود الانكليزية
بالنزول الى البر فاطلق عليهم من الرمل عدة قنابل من طاية قد تحصن
فيها حاكم الاسكندرية بالف وخمسة رجل . اما الانكليز فلم يكثرثوا بذلك
بل استمروا على النزول بسرعة والقنابل تنفرق حول قواربهم حتى
تملكوا البر ولم يلحقهم الا ضرر يسير . ثم ساروا نحو الاسكندرية فلاقاهم
الفرنساويون باربعة آلاف وخمسة مقاتل وفيهم حامية الرحمانية .
وانشبت الحرب بين الطرفين طول ذلك النهار ولم يظهر احد منهما
وكانت خسائر الفرنسيين خمسة رجل والانكليز الف وماية . وما اعاق
الانكليز قلة خيالتهم فمسكروا بحوار الاسكندرية وبنوا الطوايى والخنادق
وحفروا اباراً لاستخراج الماء . اما القاهرة فكانت على عهدك بها لفساد
سياسة مينو . وفي ٤ مارس وصلته الاخبار بوصول العمارة الانكليزية الى
ابي قير فبدلاً من الاسراع الى النجدة جعل يتوهم اوهاماً لا طائل تحبها
وبعد اللتيا والتي بعث فرقة الى بليس واخرى الى دمياط واخرى الى ابي
قير برّاً واخرى في النيل

وفي ١١ منه جاءت الاخبار باحتلال الانكليز ابا قير وهجومهم على

الاسكندرية فارتبك بامرهم فجمع اليه مشايخ الديوان واعلمهم انه ذاهب الى السواحل تاركاً الجنرال بيلارد لينوم مقامه مدعيًا ان سبب ذهابه قدوم بعض المالطية والايطاليين الى ابي قير . ثم استقدم الفرقة التي ارسلها الى بلبس وامر من بقي من الجيش في مصر ان يسير الى الرحمانية . فبارح مينو الفاهة في ١٢ منه لكنه لم يصل الاسكندرية الا في ١٩ منه وقد تحصن الانكليز شخصًا لا يقوى على مقاومته فاستشار قيادته فاشاروا عليه بالهجوم على حصنهم الامين لانه اقوى حصونهم لكنه لم يجسر على ذلك نهاراً فجمع ليلاً فلم ينجح وفي اليوم التالي في ٢١ مارس (اذار) امر ان تهجم الجيوش كلها دفعة واحدة باكراً بغير ضرب التنير اما الانكليز فكانوا في بقطة تامة ففي الساعة الثالثة بعد نصف الليل سمعوا صوت المدافع من على يسارهم فوجهوا نيرانهم نحوها ثم سمعوا مثلها عن يمينهم فاجابوا بمثلها وبعد معركة كبيرة تفقر الفرنسيون مجانية فذهب ابركرومي غرضهم من ذلك فعزز مبنية معسكره واتخذ قيادتها بنفسه فاصيب بجرح قتال الفاهة على الصعيد فقدم السير سدني سميث وانفض وما زالت الحرب قائمة حتى الساعة الحادية عشرة قبل الظهر وقد قتل كثير من الضباط الفرنسيين فامر الجنرال مينو بالراحة فعادت رجاله وعدد قتلاهم وجرحاهم نحو الفين اما خسائر الانكليز فكانت ٢٤٠ قتيلًا و ١٢٥٠ جريحًا من جملة السير رلف ابركرومي فقتلوه الى احدى الدوارع فعاش بضعة ايام ونوفي فتحولت قيادة العمارة الى الجنرال هتشنسون

وفي ٢٥ مارس (اذار) جاءت الانكليز نجدة عثمانية تحت قيادة حسين قبطان باشا

فرأى الجنرال هتشنسون ان يبعث اربعة آلاف من الجنود العثمانية وفرقتين من الانكليز وثمانية مدافع تحت قيادة الكولونل سبنسر لاحتلال رشيد . فانصل ذلك بالجنرال مينو فارسل اركان حربه لاستطلاع قوة

تلك التجربة ففدورها اقل مما هي كثيرًا فاستخف مينوبها فلم يجد رشيد . اما الكولونل سينسر فما زال سائرًا حتى اتى رشيد فدخلها بسلام ولما استفر بها بعث الطيحية بدافعهم لضرب حصن جوليان وفيه حامية من الفرنسيين فضايقوا عليهم حتى سلموا فأنهزم ثم اخرجوهم من الحصن . فانصل ذلك بحامية الرحمانية فاستمدت الجنرال بيلارد في القاهرة فاجاب معتذرًا بعدم امكانه الاستغناء عن لديه من الجنود فبعثت الى مينو في الاسكندرية فامدها بما استطاع

فاصبحت الجيوش الفرنسية بذلك اقسامًا متفرقة لا تقوى على دفاع فكان الجنرال بيلارد بالقاهرة في خمسة آلاف رجل يتأهب لدفاع الجيوش العثمانية القادمة عن طريق الصحراء تحت قيادة الصدر الاعظم يوسف باشا وحامية الرحمانية لما بلغها سقوط رشيد خارت قواها . والجنرال مينو كان محاصرًا في الاسكندرية لا يبدي حراكًا وقد ضايق عليه الانكليز بقطع الجسر الفاصل بين الملاحة وبحيرة مربوط وزد على ذلك انهم قطعوا المياه عن الاسكندرية فلم يبق عنده الا مياه الصهاريج . اما الجنود العثمانية والانكليزية فبعد ما احتلوا رشيد صعودوا في النيل في ٨ مايو (ايار) حتى اتوا العطف فاستلموها ثم ساروا الى الرحمانية واستلموها ايضا ففرت الجنود الفرنسية الى القاهرة واعلموا بيلارد بما كان فامر بالتسام مجلس حربي للمفاوضة بالدفاع دفاعًا نهائيًا لان العدو قد تكاثر عليهم . هتشنسون من الجهة الواحدة والصدر الاعظم يوسف باشا من الجهة الأخرى وكان قد استولى على دمياط وسار قاصدًا القاهرة في ثلاثين ألف مقاتل حتى عسكر في بلبليس في ١١ مايو (ايار) . اما مراد بك فبعد محالفتهم مع الفرنسيين على ما تقدم بمدة توفي وتولى مكانه على الصعيد عثمان بك البرديسي فلما علم هذا بقدم العثمانيين والانكليز نقض الحالفه

فلما اجتمع المجلس الحربي تفاوضوا في جميع ذلك فقرأوا ان جميع

الجيش الفرنسي الموجودة في القاهرة وفي جعلتها حامية الرحمانية لا تزيد عن اثني عشر ألفاً نصفهم جرحى ومرضى وليس لديهم من المال الا شي يسير . فلم يرَ بيلارد لحل هذا المشكل الا وجهين اما ان يسير بما لديه من الجند في النيل للملاقاة مينو فيتكاتف معه على الدفاع او ان يسير الى دمياط . فلم يكن يرى بداً على الحاليين من اخلاء القاهرة ولكنه كان يفضل المسير الى دمياط لانها تصلح للحصار اذا طال . وفيها من المحصولات ما يقوم باحتياجات جيشه وهو في الحاليين عالم بعجزه عن مناهضة عدوه . ثم حدثته نفسه ان يلاقي الجنود العثمانية والانكليزية جميعاً عند اقترابهم من القاهرة . فخرج في خمسة آلاف في ١٦ مايو (ايار) متتبلاً بكلابر وعسكر في الخانكاه فوصلت اليه مقدمة جيش يوسف باشا فلم يستطع الوقوف امامها فعاد الى القاهرة

وفي ٢٢ منه وصل هتشنسون الى طرامة فقطع في ترعة منوف وسار بنفسه الى معسكر يوسف باشا وتفاوض معه في الطريقة التي يجب اتخاذها لانتماء مشروعهم فافروا على طريقة . ثم عاد هتشنسون الى طريقه وسار في رجاله على فرع النيل الغربي حتى اتى الجيزة في ٢٠ منه وواصل يوسف باشا سيره من الجهة الاخرى فانحصر بيلارد في القاهرة لا يستطيع حراكاً فعقد مجلساً حريباً اقر فيه على تسليم المدينة والانحساب نحو الاسكندرية او دمياط فبعث الى معسكر الانكليز مندوباً بشأن ذلك وبعد المخاطبة نقرر من الطرفين ان تنسحب الجيوش الفرنسية الموجودة في القاهرة انسحاباً قانونياً بما لديهم من المهمات والاسلحة الى فرنسا وان يكون ذلك على نفقة الانكليز وكتب بذلك معاهدة امضيت في ٢٥ يونيو (حزيران) سنة ١٨٠١ وثبتت في ٢٦ منه على ان تنفذ بعد ١٥ يوماً

ففي ١٠ يوليو (تموز) (٤ ربيع اول سنة ١٢١٦ هـ) بارح بيلارد القاهرة ومعه ١٢٧٣٤ من العساكر والضباط قاصدين رشيد على ان يسافروا

منها الى فرنسا فاندهل هتشنسون لما اوتيه من الفوز العظيم وكاد لا يصدق به حتى ٧ اوغسطس (آب) عند ما علم بركوب الجيوش الفرنسية قاصدين بلادهم

اما مينو فكان باقياً في الاسكندرية ومعه عشرة آلاف مقاتل فتفاوض مع من كان باقياً لديه من القواد فاصروا على المخابرة وفي ٢ نوفمبر من تلك السنة عقدوا معاهدة الانسحاب وانسحبوا اثناء ذلك الشهر على مثل انسحاب بيلارد واذا تأملت ترى انها ومعاهدة العريش التي عقدت في ٢٤ يناير (ك) سنة ١٨٠٠م شيء واحد ولم تكن نتيجة ذلك التأخير الأسفك الدماء

وكانت الحكومة الانكليزية قد امرت الجنرال بردان يسير من الهند في ستة آلاف من الجنود الهندية المنظمة الى مصر امداداً لبركر ومبي في البر فجاء الى القصير على سواحل البحر الاحمر ومنها سار في الصحراء حتى اتى قنا ثم نزل الى القاهرة فوصلها بعد التوقيع على الانسحاب فتزل الى الاسكندرية وحضر انسحاب مينو وجماعته

هذه هي الحملة الفرنسية فتأمل كيف كانت نهايتها وكيف انها بعد صرف ثلاث سنوات ونيف كلها حروب ومقاومات عادت بخي حنين

من انسحاب الفرنسيين الى تولية محمد علي باشا

من سنة ١٢١٦ - ١٢٢٠ هـ او من ١٨٠١ - ١٨٠٥ م

فبعد انسحاب الفرنسيين استلم يوسف باشا الصدر الاعظم زمام الاحكام في القاهرة باسم جلاله السلطان بمساعدة الجنرال هتشنسون وكان حسين قبطان باشا اميرال البعارة العثمانية لا يزال في ابي قير والاسكندرية بعد سفر مينو . اما الانكليز فلم يكن غرضهم الا تثبيت

سلطة الباب العالي والانسحاب فجعلوا معسكرهم في مصر القديمة . اما الممالك فكانوا لا يزالون يحاولون التسلط ولم تنزل بقية منهم تحت قيادة اثنين من كبارهم وهما عثمان بك البرديسي ومحمد بك الالبي اما معسكرهم فكان في الجيزة فاخذ الفائدان العثمانيان يوسف باشا وحسين قبطان باشا بدبران مكيدة تذهب من بقي من الممالك فانفقا على ان يدعوا قبطان باشا بعض امرائهم الى مكينة بعدما لم في ابي قير وان يهجم يوسف باشا على من بقي منهم في الجيزة فيأتيان على اهلكهم . فبعث قبطان باشا الى بعض امراء الممالك يدعوم الى وليمه قال انه اعدها لهم في معسكره باي قير وان غرضه من ذلك الاجتماع المفاوضة معهم فيما يجب اتخاذه من الوسائل لاصلاح حالة البلاد فاجابوا دعوته وهم في رغبة من مقاصده على انهم لم يكونوا يستطيعون رفض الدعوة خيفة ان يجعلوا للقوتين العثمانية والانكليزية باباً للارتياح بمقاصدهم . فلما وصلوا ابا قير ترحب بهم حسين باشا ودعاهم الى النزول معه في قاريه الخصوصي ليسيروا معاً الى النومندان الانكليزي على احدى الدوارع للمناوضة معه ببعض الشؤون . فركبوا حتى صاروا على مسافة من البر فالتفوا بقارب آت من جهة الدوارع قال من فيه ان لديهم تحارير باسم قبطان باشا ومخابرات اخرى مهمة فوثب القبطان عند ذلك الى القارب الآخر وامره ان يسير فसार وبقي الممالك وحدهم فاجسوا خيفة ثم سمعوا اطلاق المدافع عليهم من قارب العثمانيين فتأكدوا انها مكينة فحاولوا الرجوع الى البر ولم يصلوه حتى قتل عثمان بك الطيورجي وثلاثة آخرون وجرح عثمان بك البرديسي واثنان آخرون . وفي نحو ذلك الوقت ارسل يوسف باشا في القاهرة فرقة من رجاله يهاجمون الممالك في الجيزة فوثبوا عليهم واحرقوا بيوتهم فالتجأ كبارهم الى الانكليز فحومهم رغماً عن اصرار يوسف باشا على طلبهم ثم انسحبت الجيوش الانكليزية من مصر بامر الاميرال كيت وبقيت

مصر بتنازعها الجنود العثمانية والمماليك . وكان يوسف باشا في القاهرة بمثابة نائب عن الباب العالي . ولما كان لا بد من تولية والٍ عثماني يقوم باعباء الولاية سعى يوسف باشا بمساعدة حسين قبطان باشا الى تولية خسرو باشا كخيا حسين قبطان باشا فكتبنا بذلك الى الاستانة فاجاب الباب العالي طلبها وبعث لها الفرمان المؤذن بذلك

فتولى خسرو باشا على مصر في ١٢ جمادى الاولى سنة ١٢١٦ هـ ولم يكن ينقصه لاستنباب الراحة الا اباداة من بقي من المماليك وكانوا مع ما ألم بهم منذ قدوم الفرنسيين لا يزالون قادرين على المقاومة نظراً لمعرفتهم باحوال البلاد واحزابها وبعد وفاة مراد بك واعتزال ابراهيم بك عن الاعمال اصبحوا تحت قيادة عثمان بك البرديسي ومحمد بك الا اني كما تقدم وقد دانت لهم مصر العليا . فتهاضم خسرو باشا فلم يجمع ولم يكن اذ ذاك في سلطة الباب العالي الا القاهرة والاسكندرية وما بينهما . فلم يستطع خسرو باشا تحصيل ما يقوم بدفع مرتبات العساكر فناروا في ٢ مايو سنة ١٨٠٢ م واحاطوا بالخزندار وحبسوه في بيته . فامر خسرو باشا ان تطلق عليهم المدافع حتى علت الضوضاء واشتد الخصام فتدخل طاهر باشا اركان حرب خسرو باشا يريد صرف ذلك المشكل فلم يوافق خسرو على قصده وانتهى باتحاده مع العصاة . فاغماظ طاهر باشا واخذ جانب العصاة وامرهم ان يهدموا الاسوار فخاف الباشا ولم يتر الآ الفرار مجريه وحاشيته على ضفة النيل الشرقية نحو المنصورة . ثم سار منها الى دمياط وحاصرها هناك . فاغنم طاهر باشا تلك الفرصة وجمع اليه الفضاة وارباب الديوان فاقروه على مصر بصفة قائم مقام مؤقتاً لئلا ترد الارادة السنية بتولية من يتولى عوضاً من خسرو باشا

ففي ٢٥ مايو (ايار) سنة ١٨٠٢ م لاقى طاهر باشا من القوة العسكرية ما لاقاه خسرو باشا وذلك ان اثنين من الاغوات وهما موسى واسماعيل

تشكيا اليه من تأخر الرواتب فاتهمهم فاغلظوا له فاشتد الخصام فجردا
سيفيهما وقطعا رأسه ورمياه من الشباك وانتهى الخصام باحتراق السراية
فاصبحت مصر بغير وال يدبر اعمالها . وفي هذه الفرصة تأتى لذلك
الرجل العظيم المغفور له محمد علي باشا ارومة العائلة الخديوية اظهار ما
اخص به من البسالة والاقدام وما جعله الله فيه من الفضائل التي قدر
له ان يبنيها في هذا القطر السعيد

الدولة المحمدية العلوية

ولاية محمد علي باشا

من سنة ١٢٢٠ - ١٢٦٢ هـ او من ١٨٠٥ - ١٨٤٨ م

ولد هذا الرجل العظيم في مدينة قواله ^(١) من اعمال الرومي سنة
١١٨٢ هـ (١٧٦٨ او ١٧٦٩ م) من اب يدعى ابراهيم اغا وكان من
ضباط تلك المدينة وفي عهده رئاسة غفر الشوارع . ويقال ان والدة
الصبي رأت رؤية وهي حامل به فاستفسرت المنسرون فبشروها بعظم
الذي هي حامل . ثم توفي ابراهيم آغا ومحمد علي لم يتجاوز الرابعة من عمره
ولم يبق له الا عم كان يدعى طوسون اغا متسلم قواله قتل بامر الباب
العالي بعد ذلك ييسر فاصبح يتيمًا قاصراً فرباه جرنجي براوسطا احد

(١) مدينة صغيرة واقعة في مكدونية غربي الرومي بقرب خليج قواله
تجاورها مدينة فيليبي وهي على مسافة ١٢٨ كيلومتر للجهة الشمالية الشرقية
من نسالونيكيا و ٢٢٠ من الاسنانة . حسنة التجارة وفيها نحو من ٨٠٠٠
من السكان معظمهم من المسلمين

اصدقاء والده وجعله بمنزلة اولاده . ولكن محمد علي كان يشعر بحاله من اليم الذي يقود الى الذل وضعة النفس . وما يروى عنه بعد ان ارثى ذروة المجد انه كان يحدث اخصاءه عما فاسده في صباه من الذل الى ان يقول « ولد لاي سبعة عشر ولدا لم يعش منهم سواي فكان يجيني كثيراً ولا تغفل عينه عن حراستي كيفما توجهت ثم توفاه الله فاصبحت يتيماً قاصراً وابدل عزّي بذل وكثيراً ما كنت اسمع عشراي يكررون هذه العبارة التي لا انسها عمري وهي « ماذا عسى ان يكون مصير هذا الولد التعيس بعد ان فقد والده » فكنت اذا سمعتهم يقولون ذلك اجعل نفسي غافلاً عنه ولكني كنت اشعر باحساس غريب يحركني الى النهوض من تحت هذا الذل فاجهد نفسي بكل عمل يمكيني معاطاة همة غريبة حتى كان يرّ عليّ احباً يومان ساعياً لا آكل ولا انام الا شيئاً يسيراً . ومن جملة ما قاسيت اني كنت مسافراً على مركب فطلع النوء فكسره وكنت صغيراً فتركتي ارفاعي وطلعوا الى جزيرة هناك على قارب كان معنا اما انا فجلعت اجاهد بالماء وسعي تقذفني الامواج وتستقبلني الصخور حتى تجرحت يداي وكانت لا تزالان يانعتين وقد قدرني الله ووصلت الجزيرة سالماً وقد اصبحت هذه الجزيرة الآن قسماً من مملكتي »

وكان في قواله عائلة فرنساوية من مرسيليا كبيرها يدعى الموسوليون وكان من الوجهاء واصحاب الثروة والهيمن للنضبة وانفق له انه عرف هذا الغلام فكان يظهر له المحبة والحنولما رأى فيه من الذكاء والنباهة الطبيعيتين وهذا اصل وثوق محمد علي بعد ذلك بالشعب الفرنسي واستخدموا اياه في مصالح البلاد . ويقال ان محمد علي بعد ان استوى على ولاية مصر بعث الى الموسوليون سنة ١٢٢٥ هـ او ١٨٢٠ م بدعوه الى مصر لبصرف زمناً في ضيافته فاجاب دعوه لكنه توفي في اليوم المعين لندومه . فلما علم محمد علي بذلك اسف اسفاً شديداً وبعث الى اخت النفيد هدية

نساوي عشرة آلاف فرنك

فلما ترعرع محمد علي انتظم في سلك الجهادية وظهر على صغر سنه نباهة وبسالة عجبتين وكان برسلة مربيوه في مأموريات مهمة لجمع الضرائب ويعتمد عليه بأمور كثيرة حتى اذا بلغ الثامنة عشرة من العمر رفاة الى رتبة بلوك باشي وازوجه إحدى قريباته فولدت له خمسة اولاد منهم ثلاثة ذكور وهم ابراهيم وطوسون واسماعيل . وكانت امرأة محمد علي على جانب من انثرو فتعاطى التجارة وعلى الخصوص في صنف الدخان لانه اكثر اصناف التجارة في بلاده وبرع فيها كثيراً حتى انه مع قلة معارفه العلمية اكتسب شهرة عظيمة بين التجار

فلما كانت الحملة الفرنسية ارسل الباب العالي يطلب من مكدونية نجدة عسكرية فوردت الاوامر الى جريجي براوسطان بجمع ثلاث مئة مقاتل ففعل وجعل عليهم ابنه علي اغا قائداً ومحمد علي مساعداً . فسارت تلك الكتيبة المكدونية برفقة العماة العثمانية تحت قيادة حسين قبطان باشا الى ابي قير وكان النور بتلك المحاربة للفرنساويين على ما مرّ بك . فترك علي اغا كتيبته بعد ان عهد قيادتها لمحمد علي وعاد الى بلاده فارنقى محمد علي الى رتبة بيكباشي . ثم كانت محاربة العماة الانكليزية وتقدمها الى القاهرة في النيل والساكر العثمانية تحت قيادة الصدر الاعظم في البر من جهة الشرق كما تقدم

فلما انسحبت الجيوش الفرنسية ثم تبعها الجيوش الانكليزية احتلت مصر الجيوش العثمانية وكانت مؤلفة من اربعة آلاف من الالبانيين (الارناوط) الاشداء وكان المالك لا يزالون يحاولون الاستقلال في الملك ولم يتقرر لديهم اذا كانوا يتلون هذه البغية او ان مصر ستعود بعد الحملة الفرنسية لتحت سلطة الباب العالي كما كانت قبلها . اما الباب العالي فكان يرغب ان تكون حكومة مصر بيد من برسلة اليها من

وزراء الدولة فنهى عن اعطاء المماليك القوة العسكرية
وكان المماليك من الجهة الثانية منقسمين فيما بينهم تحت رئاسة
اثنين من امراءهم كل منهما يحاول الاستقلال بنفسه كما قد علمت . فلما تولى
محمد خسرو باشا على مصر كان مرفوقاً بالامر سرية ما لها اباداة كل من
بقي في مصر من المماليك باي وسيلة كانت وكان مخلصاً للدولة وفيه عزيمة
ونشاط الا انه لم يحسن التصرف بما خول له بما يتعلق بالامر السرية
فضلاً عما كان بينه وبين محمد علي من المناظرة منذ بضع سنين . الا ان هذا
لم ينفك عن العمل حتى ارتقى في الجيش الى رتبة قبي بلوك باشي اي رئيس
حرس السراي واخيراً نال من محمد خسرو باشا رتبة سرشمه فاصبح
قائداً لثلاثة او اربعة آلاف من الالبانيين . فجعل من ذلك الحين يظهر ما
كان كامناً فيه من المواهب العظيمة فامتلك قلوب رجاله امتلاكاً غريباً
واكتسب ثقة كل من عرفه

فاتفق اثناء ذلك ان المماليك ثاروا على الدولة فانغذ اليهم خسرو
باشا حملة من الجنود العثمانية لفهرهم وفي جملتها فرقة محمد علي .
فقد رآه الله انقلاب جنود خسرو باشا قبل وصول رجال محمد علي الى
الموقعة فرأى قائد تلك الحملة ان ينسب انكسار رجاله لثأر محمد علي
ورجاله في الطريق فقدم تقريراً بهذا المعنى الى خسرو باشا فسر بهن
الشكاية واقر عليها لاول وهلة وحكم على محمد علي بالاعدام سرّاً تخلصاً
منه فكتب اليه ان يقابلة في منتصف الليل للخارج معه بشؤون مهمة .
فاوجس محمد علي خينة من تلك الدعوة فاخذ يفكر فيماذا يفعل لينجوس
هذه المكيدة مع علمه انه اذا امتنع عن الحضور بعد عاصياً فتكون البلية
الثانية اشر من الاولى

واتفق اذ ذاك بمرور القوة العسكرية لثأر مرتبائهم . ثم كان انهزام
محمد خسرو باشا الى ديباط وتولية طاهر باشا . ثم قتل طاهر باشا كما

مرَّ بكَ فنهض احمد باشا والي الشرطة يطلب ان يولوه على مصر بدلاً من محمد خسرو باشا وساعده الانكشارية . وكان محمد علي قد ملك القلعة ومعه رجاله الارناوط وكاسوا لا يريدون ولاية احمد باشا وانما خافوا ان لا يستطيعوا مناهضته . فلاح لمحمد علي ان يستجلب حرب المماليك اليه فكانتهم الى الصعيد وجهات اخرى فانوا المدينة وفيهم الاميران عثمان البرديسي وابراهيم بك وغيرها فتعاهد معهم على اخراج احمد باشا من المدينة فكتب اليه ابراهيم بك ان يخرج من القاهرة حالاً واذا بقي فيها لبعد الساعة الحادية عشرة من ذلك النهار لا يلومنَّ الا نفسه فخرج احمد باشا من المدينة رغماً عنه . ثم طهروا القاهرة من الانكشارية والبشناق والسجبان ولم يبق فيها الا المماليك ومحمد علي ومعه الارناوط . ثم انتق محمد علي مع عثمان البرديسي على استئثار محمد خسرو باشا فصار عثمان الى دمياط وحاربه هناك حتى اسره في ١٤ ربيع اول سنة ١٢١٨ هـ واتى به الى القاهرة وسلمه لابراهيم بك في غاية ربيع اول منها . ثم نقل بعد ذلك الى القلعة

فلما وصلت هذه الحوادث الى الاسنانة ارسل الباب العالي علي باشا الجزائري (الطرابلسي) ليقوم مقام خسرو باشا ويقتص من الجانين فلم يصل القاهرة الا بعد شق الانفس ولما جاءها علم بعدم استطاعته القيام بهذه المهمة بالقوة فعمد الى المكيدة فعادت العائدة عليه فوقع في ايدي اعدائه فقتلوه فانعش المماليك لهذا الانتصار

وفي خلال ذلك عاد رئيسهم الثاني محمد الالفي من انكلترا وكان قد ذهب اليها يطلب مساعدة دولتها فتنزل في ابي قير فلما علم البرديسي بعودته اوجس شراً خيفة ان يطلب مقاسمته فيما ناله بسعيه . فاصبح كل منهما يترصد الآخر فكانت هذه الفرصة ثمينة لمحمد علي ونظراً لما كان له من التسلط على افكار البرديسي جعل يثير فيه عوامل الحسد لزميله الالفي

وما زال حتى حمله على الكيد به . فاعد البرديسي مكيدة لزميله الالفي الآانه لم يتمكن من نوال مرغويه لان الالفي فرّ طالباً الصعيد فخلا الجول للبرديسي فظن نفسه قد تخلص من مناظره ولكنه لم يعلم ان هنالك مناظراً اصعب مراساً من ذاك . وذلك ان الالبانيين لما رأوا انقسام رؤسائهم بعضهم على بعض خافوا على حقوقهم من الضياع فقاموا بصوت واحد يطلبون مرتباتهم لمدة ثمانية اشهر واصروا انهم اذا لم ينالوا مطلوباتهم يفلتوا البلاد رأساً على عقب فخاف البرديسي من ذلك واجابة لطلبهم ضرب على اهل القاهرة ضرائب فوق العادة ليدفع المبلغ المطلوب غير ان ذلك لم يكن الا لزيادة الطين بلة لان اهالي القاهرة انفسهم انتموا من تلك المعاملة فثاروا على الحكومة واتحدوا مع القوة العسكرية واضطهدوا البرديسي في سرايته يريدون قتله لكنه لحسن حفظه تمكن من الفرار فترك القاهرة ولم يعد يدخلها فيها بعد وكان ذلك سنة ١٢١٩ هـ (سنة ١٨٠٤ م)

وكان الباب العالي عند ما بلغه استبداد البرديسي وارفاقوه في الاهالي وضرب الضرائب الفاحشة معاً سبق من قتلهم لعلي باشا الجزائري قد امر باعداد اسطول يأتي مصر في البحر . وبعث الى احمد باشا الجزائر ان يسير بمحملة في البر وان تحدد الثوتان على اولئك المستبدين ويقتضوا منهم فلما بلغه خبر الثورة العسكرية وما آل اليه امر المماليك عدل عن عزمه اكتناء بما حصل

وكان لمحمد علي باع طوي في كل هذه الحوادث . فلما فرّ الاميران لم يعد في القاهرة سواء وكانت جميع القوة العسكرية والملكية بدأ واحدة معه فاستدعى اليه العلماء والمشايخ وتفاوض معهم بشأن اخلاء سبيل خسرو باشا وتوليته على مصر وبعد المفاوضة اقرروا على ذلك وبعد تنصيبه بيوم ونصف اقرروا على ارساله الى رشيد تحت الحفظ ومنها يرسل الى الاستانة وهكذا فعلوا . فقد رأيت كيف تمكن محمد علي بحسن سياسته

وبعيد نظره في الامور من اضعاف سلطة الامراء المماليك ولولا ذلك لم يبلغ ما بلغه بما بلغه . فلما كانت هذه الاحوال في مصر وقد اصبحت بغير نائب عثمانى يؤيد سلطة جلالة السلطان عليها صرح ان مصر لا تمثل الا لحاكم عثماني يأتيها من لدن الباب العالي وإشار بنولية خورشيد باشا حاكم الاسكندرية لهذا المنصب . فوافقه العلماء والفقهاء واعيان البلاد والاجناد وطلبوا اليه ان يكون هو عليهم بصفة قائمقام وارسلوا الى الباب العالي يخبرونه بهذا التعيين فاقر عليه . فاستدعوا خورشيد باشا من الاسكندرية واقاموه على القاهرة وجعلوا محمد علي قائمقاماً له وذلك في ذي القعدة سنة ١٢١٨ هـ (مارس (اذار) سنة ١٨٠٤ م) فورد الفرمان بتثبيت خورشيد باشا في ٢٢ محرم ونصه

« اننا كنا صفحنا ورضينا عن الامراء المصرية (المماليك) على موجب الشروط التي شرطناها عليهم بشفاعة علي باشا والصدر الاعظم فخانو العهود ونقضوا الشروط وطغوا وبغوا وظلموا وقتلوا الحجاج وغدروا علي باشا المولى عليهم (يريد علي باشا الجزائري) وقتلوه ونهبوا امواله ومناعه فوجهنا عليهم العساكر في ثمانين مركباً حربية وكذلك احمد باشا الجزائر بعساكر برية للانتقام منهم ومن العسكر الموالين لهم فورد الخبر بقيام العساكر عليهم ومحاربتهم لهم وقتلهم واخراجهم فعند ذلك رضينا عن العسكر لجبرهم ما وقع منهم من الخلل الاول وصفحنا عنهم صفحاً كثيراً واطلقنا لهم السفر والاقامة متى شاؤوا وايضا ارادوا من غير حرج عليهم وولينا حضرة احمد باشا خورشيد كامل الديار المصرية لما علمنا فيه من حسن التدبير والسياسة ووفور العقل الخ »

ثم حصلت بعد ذلك مواقع كثيرة بين محمد علي والمماليك في اماكن مختلفة من القطر فاصبحوا بعد ما قاسوه من الحروب المتواترة مدة سنين لم يعودوا فيما كانوا عليه من النفوذ عن ذي قبل واصبحت قوتهم لا تزيد عن

خمسة أو ستة آلاف من الفرسان اما ماليهم فكانت آخذة في الانحطاط .
 وكانت العساكر مؤلفة من الالبانيين (الارناوط) وهؤلاء قضا
 تحت قيادة محمد علي مدة طويلة وكانوا بحبونه ويعتبرونه فشق ذلك على
 خورشيد باشا وصار يخاف هؤلاء الالبانيين فاستقدم اليه جنداً من
 الدلاة (المغاربة) فوصلوا مصر في اول سنة ١٢٢٠ هـ وكان محمد علي
 يوم وصولهم في جهات الصعيد يحارب المماليك فبلغه ان احمد باشا خورشيد
 استقدم هؤلاء الدلاة يسعين بهم على الارناوط فعاد الى القاهرة برجاله
 مظهرآ طلب العلوقة ولولا ذلك لمعته الدلاة من الدخول اليها اما خورشيد
 فاجس خيفة من قدومه فجعل يراقب حركاته . اما الدلاة فانتشروا في
 البلاد ينهبون ويقتلون ويصادرون الناس ويأخذون اموالهم فاشتكوا
 الى خورشيد باشا اولآ وثانيآ وثالثآ وهو بعدم بكف هؤلاء ثم يخلف ولا
 تريد الاحمال الا اضطراباً فشق ذلك خصوصآ على علماء البلاد ومشائخها
 وكرهوا خورشيد باشا كرهاً شديداً وصاروا يتوقعون تخلصهم منه وعلم هو
 بذلك فلم يزد الا فجوراً

وفي ٢ صفر سنة ١٢٢٠ هـ ورد الخط الشريف بتولية محمد علي ولاية
 جدة فبعث اليه خورشيد باشا وقلده الولاية والبسة الفروة والقاووق
 المخصين بهذه الرتبة فخرج يريد الركوب فنارت العساكر وطالبوه بالعلوفة
 فقال لهم هذا هو الباشا عندكم فطالبوه وسار قاصداً بيته بالازبكية وصار
 ينثر الذهب على الناس طول الطريق فازدادوا له حباً واعتباراً ولخورشيد
 باشا كرهاً واحتقاراً

وفي ٦ منه ملأ اهالي البلاد من معاملة خورشيد باشا فسار علماءهم
 ومشائخهم وائمتهم ورؤساء الجند الى محمد علي وقالوا له نحن لا نريد هذا
 الباشا حاكماً علينا قال ومن تريدون اذا قالوا لا نرضى الا بك تكون والياً
 علينا لما تتوسم فيك من العدالة والخير فامتنع اولآ ثم رضي واحضروا له

كركا وعليه ففطان وقام اليه السيد عمرو الشيخ الشرفاوي فالبسائه ثم بعنوا الى خورشيد باشا بذلك فقال « اني موالي من طرف السلطان فلا اعزل بامر النلاحين ولا انزل من القلعة الا بامر من السلطنة » فحاصروه فيها وقد انحازت جميع القوات العسكرية من الارناوط والدلاة لمحمد علي الا قليل . وكتبوا بالاشتراك مع العلماء والمشائخ الى الباب العالي بطلبون تنصيب محمد علي عليهم واصروا وما زالوا حتى صدرت الارادة السنية بفرمان بنقله الفاتحي باشي فوصل القاهرة في ١١ ربيع آخر سنة ١٢٢٠ هـ (١ يوليو / تموز) سنة ١٨٠٥ م) فقرأوا الفرمان في بيت محمد علي بحضور كل الاعيان والمشائخ ومضمونه الخطاب لمحمد علي باشا والي جدة سابقا والي مصر حالا من ابتداء ٢٠ ربيع اول حيث رضي بذلك العلماء والرعية وان احمد خورشيد باشا معزول عن مصر وان يتوجه الى الاسكندرية بالاغزاز والاكرام حتى يأتيه الامر بالتوجه الى بعض الولايات الا انه لم يخرج من القلعة الا في ١٥ جمادى الاولى من تلك السنة بعد ان جاءه مندوب مخصوص من الاستانة بشأن ذلك

وكان المالك لا يزالون منتشرين في جهات القنطر بكمون ويستبدون . وكان الالبي منبأ في الصعيد وقد انتف حوله جمهور من المالك وعندما علم بتوايعة محمد علي باشا نزل بفرسانه طالبا خلعة وتخار مع خورشيد باشا ليساعده في غرضه وتعهده انه اذا فعل ذلك يعيد الاحكام ليده ويكون بعد ذلك خاضعا لاوامر الدولة العثمانية ضاربا بسيفها هذا اذا كانت تخلع محمد علي باشا وخابر من الجهة الثانية دولة انكلترا ووعدوا انها اذا عضدت مشروعه هذا يكون مستعدا ان يسلمها ابواب القنطر المصري حالا . فعلم بذلك قنصل فرنسا ففرقل مسعاه فحكف الى مصالحة محمد علي باشا على شيء يرضى به الاثنان فحصلت المخابرات فلم يتفنا فعاد الالبي الى مسعاه ثانية بواسطة سفير انكلترا في مصر

فطلب هذا الى الباب العالي بالنيابة عن دولته ارجاع سلطة الممالك الى البلاد وتعهدها بامانة الالفي وخضوعه لاوامر الدولة . فقبل الباب العالي بذلك فاصدر عنواً عاماً عن الممالك باسم اميرهم الكبير الالفي فوصله في غرة ربيع آخر سنة ١٢٢١ هـ . وفي ١٤ الشهر المذكور وصل القاهرة خبر قدوم عمارة عثمانية نقل موسى باشا مرسلان قبل الباب العالي والياً على مصر ومعه عدة من العساكر المنظمة على النظام الجديد وخطاً شريفاً الى محمد علي باشا ان ينتقل الى ولاية سلانيك وان يرجع الممالك المصرية الى مراكزهم في الامارات والاحكام فخاف محمد علي من حبوط المسعى فاخذ الامر بالحزم والحكمة فرأى ان احزاب المشايخ والعلماء جميعها معه وانضم اليهم بعض الممالك الذين كانوا في الاصل من الجيش الفرنسي وبقوا في مصر بعد سفر الحملة لعدم امكانهم مرافقتها واعتنقوا الديانة الاسلامية وانضموا الى الممالك فاستكتبهم كتاباً الى الباب العالي يطلبون فيه استبقاء محمد علي باشا وارجاع موسى باشا ويبينون الاسباب الموجبة لذلك فكتبوه وامضوه وارسلوا منه نسخة الى الاستانة واخرى الى قبطان باشا قبطان العمارة التي انت بموسى باشا فاجابهم القبطان ان ما قدموه من الاعذار غير مقبول ولا بد من خروج محمد علي باشا من مصر حالاً وكان لسفير فرنسا في الاستانة رغبة شديدة في بقاء محمد علي باشا على مصر لما علم من عزم الالفي على تسليم البلاد للدولة الانكليزية فسعى جهده مع قبطان باشا الى بقاء محمد علي باشا . ثم علم قبطان باشا بعد ذلك ان الممالك لم ينفكوا منذ وجودهم في مصر عثرة في سبيل حقوق الدولة وانهم منقسمون فيما بينهم لا يتفقون على امر فرأى اصبوية طلب البلاد فكتب اليهم ان يعيدوا طلبهم وان يبعثوا الطلب مع ابن محمد علي باشا فكتبوه وارسلوه مع ابنه ابراهيم بك على يد قبطان باشا . وفي ٥ شعبان سنة ١٢٢١ بارحت العمارة العثمانية الاسكندرية وعابها قبطان باشا وموسى باشا

وابراهيم بك

وفي اواخر شعبان (نوفمبر) (٢) سنة ١٨٠٦ م) وردت الاوامر
الشاهانية بتثبيت محمد علي باشا على ولاية مصر مع الابعاز اليه ان
لا يتعرض للمالك بعد ذلك لصدور العفو عنهم قبلاً. وفي الشهر التالي
مات عثمان البرديسي. وفي ١٩ ذي القعدة سنة ١٢٢١ هـ (يناير) (ك) (٢)
سنة ١٨٠٧ م) توفي محمد الالفي وهما زعيما احزاب الممالك فولوا عليهم
شاهين بك رئيساً الا انهم مع ذلك لم تعد تقوم لهم قائمة وقد خلا الجو لمحمد
علي باشا

ثم ان الحكومة الانكليزية اعيرت تثبيت محمد علي مغللاً بنفوذها
ومضراً بصالحها فجردت حملة من ثمانية آلاف مقاتل تحت قيادة الجنرال
فرازر لارجاع سلطة المالك وكانوا قد تبعثروا في البلاد فوصل الانكليز
الاسكندرية في ٩ محرم سنة ١٢٢٢ هـ (١٧ مارس) (اذار) سنة ١٨٠٧ م)
مظهرين حماية الفطر من الفرنساوية فاستولوا على المدينة في ٢١ محرم وبقوا
فيها ستة اشهر لا يستطيعون انتقالاً الى ما وراءها وكانوا قد ارسلوا فرقة
منهم الى رشيد فزقنها سيوف الارناوط كل ممزق. وفي يوم الخميس ٥
جمادى الآخرة سنة ١٢٢٢ هـ استقال السلطان مصطفى وسنة ٢٢ سنة
قبويع السلطان محمود بن عبد الحميد (محمود الثاني)

وفي ١٢ رجب سنة ١٢٢٢ هـ (١٤ سبتمبر) (ابول) سنة ١٨٠٧ م)
انسحبت الجيوش الانكليزية من الاسكندرية باتفاق صلح مع الفطر فاستنبت
القوة لمحمد علي باشا وقد رضي جلالة السلطان عنه ودخلت الاسكندرية
في ولايته ثم سعى بعضهم الى المصالحة بينه وبين المالك فتمت بقدم شاهين
بك الى مصر بالهدايا الثمينة فاكرمه محمد علي وبني له قصراً نفيساً اسكنه في
البحينة ثم تبادلوا الزيارات وكل علائق المودة وهكذا فعل كل المالك
فلما رست قدم محمد علي باشا في مصر اخذت في تسليم مصالح

حكومتهم لمن يثق بهم من ذوي قرباه لانه كان من شديدي المحبة لعائلته ولا شك ان ازرة اشد بهم . ثم نظر الى امر الاراضي ومكوسها فابطل مسموح المشايخ والفقهاء ومعافى البلاد التي التزموها لانه لما ابتدع المغارم والشهريات والفرص التي فرضها على العري ومظالم الكشوفية جعل ذلك عامًا على جميع الالتزامات والحصص التي بايدي جميع الناس حتى اكابر العسكر واصاغرهم ما عدا البلاد والحصص التي للمشايخ فانه اخرجها من ذلك فلا يوخذ منها نصف النائض ولا ثلثه ولا ربعه وكذلك من ينسب لهم او يحمي فيهم وكانوا يأخذون الجمالات والهدايا من اصحابها ومن فلاحهم نظير صيانة حقوقهم . قال ذلك الامتياز الى تطرف اولئك بانواع المعيشة وزيادة الترف فرأى محمد علي باشا ابطال ذلك الامتياز فابطله رحمة بالرعية

ثم استفحال امر الوهابيين في شبه جزيرة العرب فارسل السلطان محمود خان بعهد الى محمد علي باشا امر اخضاعهم وتخليص البلاد من ايديهم والوهابيون فئة من المسلمين ذهبوا الى اغتيال كل الكتب الدينية الاسلامية الا القرآن الشريف فهم بمنزلة الطائفة الانجيلية عند المسيحيين . زعيمها الاول يدعى محمد عبد الوهاب ولد سنة ١١١٠ هـ (سنة ١٦٩٦ م) ولما شب نفقه وحج ثم اظهر دعونه فالتفت عليه احزاب كثيرة فافتتح نجد فالحجاز فالحرمين وما زال يفتح في بلاد العرب حتى توفي سنة ١٢٠٥ هـ (سنة ١٧٨٩ م) وسنة ٩٥ سنة فاستمر احزابه في اعمالهم حتى سنة ١٢٢٤ هـ (سنة ١٨٠٩ م) تحت قيادة الامير سعود وقد اصحبت حدود مملكتهم من الشمال صحراء سوريا ومن الجنوب بحر العرب ومن الشرق خليج العجم ومن الغرب البحر الاحمر فنهى الكعبة وقد استفحال امرهم ولم ير الباب العالي بدا من تكليف بطل مصر على ما تقدم فاجاب محمد علي باشا طائعا وجعل يجمع القوات اللازمة لذلك

الحملة لكنه فكر في امر المماليك فخشي اذا سارت الحملة ان لا تكون البلاد في مأمن منهم فيجمعون كلهم ويعودون الى ما كانوا عليه من الفلافل فعد الى اهلاكم قبل مسير الحملة لكنه في الوقت نفسه عمل على اعداد مواد الحملة فامر بتجنيد اربعة آلاف مقاتل تحت قيادة ابنه طوسون باشا ثم طلب الى الباب العالي ان يبعث الى السويس بالاخشاب لبناء المراكب اللازمة لنقل الجند ومعدات الحرب فارسل له ما طلب فابنتي ثمانية عشر مركباً واعدها عند السويس في انتظار الحملة . اما المماليك فكانوا قد يؤسوا من الاستقلال بالاحكام لما راوا ما حلّ بسلطانهم وما عليه محمد علي باشا من العزيمة فكفوا عن مطامعهم واكتفوا بالتمتع بارزاقهم وممتلكاتهم في حالة سلمية فقطن بعضهم الصعيد وبعضهم القاهرة وتشتتوا في انحاء القطر . وكان شاهين بك وهو الذي تولى رئاستهم بعد وفاة الالفي قد اذعن لمحمد علي باشا كما تقدم فاقطعه ارضاً بين الجيزة وبني سويف والنيوم فأوى اليها . وفي محرم سنة ١٢٢٦ هـ (فبراير) شباط سنة ١٨١١ م) سار قواد الحملة من القاهرة وعسكروا في قبة العزب في الصحراء ينتظرون باقي الحملة ومعها طوسون باشا . وتعيّن يوم الجمعة لوداع طوسون والاحتفال بخروجه ورجاله الى قبة العزب فأعلن ذلك في المدينة ودعي كل الاعيان لحضور ذلك الاحتفال في الوقت المعين وفي جللتهم المماليك وطلب اليهم ان يكونوا بالملابس الرسمية

ففي يوم الجمعة في ٥ صفر سنة ١٢٢٦ هـ (اول مارس) اذار سنة ١٨١١ م) احشد الناس الى القلعة وجاء شاهين بك في رجاله فاستقبلهم الباشا في سرايته بكل ترحاب ثم قدمت لهم القهوة وغيرها ولما تكامل الجمع وجاءت الساعة امر محمد علي بالمسير فصار الموكب وكل في مكانه منه جاعلين المماليك الى الورا يكتنفهم الفرسان والمشاة حتى اذا اقتربوا من باب العزب من ابواب القلعة في مضيق بين هذا الباب والحوش العالي

امر محمد علي فانغلفت الابواب و اشار الى الالبانيين (الارناوط) فجمعوا على المالك بغتة فاندعر اولئك وحاولوا الفرار تسلفاً على الصخور ولكنهم لم يفوزوا لان الالبانيين كانوا اكثر تعوداً على تسلفها . واقفم المشاة المالك من ورائهم بالرصاص فطلب المالك الفرار بخيولهم من طرق اخرى فلم يستطيعوا لصعوبة المسلك على الخيول ولما ضيق عليهم ترجل بعضهم وفرّوا ساعين على اقدامهم والسيوف في ايديهم فتداركهم الجنود بالبنادق من الشبايك فقتل شاهين بك امام ديوان صلاح الدين وحاول بعضهم الالتجاء الى المحرم او الى طوسون باشا بدون فائدة . ثم نودي في المدينة ان كل من يظفر باحد المالك في اي محل كان ياتي به الى كحيا بك فكانوا يقبضون عليهم ويأتون بهم اليه افواجاً وهو يقتلهم

وكان عدد المالك المدعويين الى الوليمة اربعماية فلم ينج منهم الا اثنان احدهم احمد بك زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بك الكبير كان غائباً بناحية بوش والثاني امين بك كان قد اتي الى القلعة متأخراً فرأى الموكب سائراً نحو باب العزب فوقف خارج الباب ينتظر خروج الموكب . ثم لما قفلت الابواب بغتة وسمع طلق النار علم المكيدة فهمز جواده وطلب الصعراء قاصداً سورياً . والمتبادر على الالسنه ان امين بك هذا كان داخل القلعة فعند ما حصلت المعركة همز جواده فوثب به من فوق السور لجهة الميدان فقتل جواده وسلم هو والاقرب للحقيقة ان هذه الاشاعة مختلفة او مبالغ فيها . ثم نودي في الاسواق ان شاهين بك زعيم المالك قد قتل فخافت الناس ثم طافت العساكر في المدينة يهتفون ببيوت المالك وياخذون حريمهم وجوارهم وعلا الصباح

وفي اليوم التالي نزل الباشا وابنة من القلعة وطافا المدينة فامر الباشا بايقاف النهب وقتل كل من حاول ذلك ولكنه حرص على قبض من يظفرون به من المالك في سائر انحاء القطر فكانوا يأتون بهم افواجاً

يسوقونهم كالغنم الى الذبح فبلغ عدد من قتل من البكوات ٢٢ بيكا . وفي اليوم التالي نزل طوسون باشا الى الاسواق في فرقة من الجند لتسكين القلوب وايفاف النهب . اما الجثث التي كانت في القلعة فاحفروا لها حفراً جعلوا فوقها التراب وصرح محمد علي باشا بحماية جميع نساء الممالك ولم يسمح بتزويجهنّ الا لرجالو

ولما استنبت الراحة وخلت البلاد من الممالك انعكف محمد علي الى المهام الاخرى واخصها الوهايون فكتب الى غالب شريف مكة بحبره باستعداده الى حملة تنقذه من فئة الوهايين فتفتح طريق الحرمين للجمع المسلمين وطلب اليه ان يمد له السبيل فاجابة شاكرآ ووعد بالمساعدة . اما سعود امير الوهايين فانباؤه الجواسيس بما نواه محمد علي فامر فاجتمع حوله خمسة عشر الفا ليدفع بهم جنود مصر . اما محمد علي فسير حملة من ثمانية آلاف مقاتل تحت قيادة طوسون باشا فركبت البحر من السويس حتى انت جنبو على الساحل الشرقي للبحر الاحمر ومنها بتصل الى المدينة . فتملكوا جنبو وساروا منها الى صفر وفيها معسكر الوهايين وقد تأهبوا للدفاع فهم طوسون باشا فتفقر سعود ورجاله اولآ ثم ارتدوا على الجيوش المصرية فانهمزمو تاركين كل مؤنهم وزخائرهم وجمالهم وعادوا الى جنبو . فأنبي محمد علي باشا بذلك فجدد جندآ كبيرآ وبعث يمددا لابنه فاشتد ازر طوسون وجمع اليه الثوتين وسار حتى اتى المدينة فاطلق عليها النار فهدم بعض السور ثم دخلها وانخن في حامينها حتى سلت فكف السيف عنها . فانتشر خبر افتتاح المدينة في سائر المحجاز فخاف الوهايون وفرح اعدائهم ولا سيما الشريف غالب . وقد كان في جدة لا يدري ماذا يكون من امر تلك الحملة فلما علم بانتصارها كاد يطير من الفرح . واخلى الوهايون مكة خوفاً من اهلها فجاءها طوسون واحتلها وكتب الى ابيه ففرح فرحآ لا مزيد عليه لما اناه الله من النصر على يد ابنه نصرآ لم يتأت

لغيره من القواد العثمانيين وحيّ اليه بقائد حامية المدينة من الوهايين
 فارسلة في غفر الى الاستانة فقتلوه حال وصوله اليها . اما من بقي من دعاة
 الوهايين فكانوا لا يزالون في مأمن خارج مكة تحت قيادة كبيرهم سعود
 فلما جاء صيف سنة ١٨١٢ (سنة ١٢٢٨ هـ) علموا ان جنود طوسون
 لا يجهلون حر تلك البلاد وانهم اذا ناهضوه اذ ذاك يتغلبون عليهم
 فجنّدوا وساروا الى طراباي شرقي مكة فحاربوها واستولوا عليها ثم ساروا
 الى المدينة وتهددوها بعد ان استولوا على كل ما بين هاتين المدينتين من
 القرى والمدن فانصل الخبر بمحمد علي فلم يردّ من ذهابه بنفسه لنصرة
 الجنود المصرية وقد اصبحت مصر في مأمن من المماليك وغيرهم فسار في
 جند عظيم حتى اتى جدة فترها في ٢٠ شعبان سنة ١٢٢٨ هـ (٢٨
 اغسطس (آب) سنة ١٨١٢ م) فلاقاه الشيخ غالب شريف مكة وترحب
 به وبعد ان ادى فروض الحج رأى ان الشريف غالب ليس ممن يعتمد عليهم
 في الدفاع فعمد الى خلعه بطريقة تضمن حقن الدماء فاناز ثم وضع يده
 على ممتلكاته وبعث به وبعائلته الى القاهرة ومنها الى سالونيك فعاش
 فيها اربع سنوات ومات . اما الوهايون فمات قائدهم سعود في دراية في
 ٢٦ ربيع آخر سنة ١٢٢٩ هـ (١٧ افريل (نيسان) سنة ١٨١٢ م) فانحطت
 سطوتهم فاقاموا عليهم ابنه عبدالله ولم يكن كفوا لرعاية الجند . وحصلت
 بينه وبين الجنود المصرية مناوشات كثيرة لم تأت بنتيجة . وفي ٢٨ محرم
 سنة ١٢٣٠ هـ (١٠ يناير (ك) سنة ١٨١٥ م) حصلت موقعة كبرى
 بين جنود محمد علي والوهايين تحت قيادة فيصل اخي عبدالله شنّت عن
 انتصار المصريين فتقدم طوسون الى نجد . الا انه اضطر اخيراً الى التوقف
 لقلة المؤن وهو لم يبلغ دراية

ثم اقتضت الاحوال عود محمد علي الى مصر فعاد وقد فغ طريق
 الحرمين ولكنه لم يبد جميع الوهايين فوصل القاهرة في ٤ رجب

سنة ١٢٢٠هـ (يوليو (حزيران) سنة ١٨١٥م) فاهتم بتدريب الجند على نظام جند اوربا وكان أوّل من فعل ذلك في مصر فاصدر امراً عاليّاً في شعبان سنة ١٢٢٠هـ (يوليو (تموز) سنة ١٨١٥م) مؤداهُ ان الجنود المصرية ستدرّب على النظام الحديث وهو النظام الفرنسي الذي كان متبعاً اذ ذاك في سائر اوربا فعظم على المجاهدة ولا سيما الارناوط الامثال الى هذه الاوامر لانهم اعتبروها بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار . ولما اصرّ عليهم الا ان يتبعوها ثاروا وتجهّروا الى القلعة يطلبون الرقي بهم وانقاذهم من الجور فرأى من الدراية والحزم ان يعاملهم بالحسنى فاجابهم الى ما ارادوا على نية ان يدخل هذا النظام اولاً بين الجنود الوطنية لانهم اقرب الى الطاعة من هؤلاء الالبانيين ومن كان على شاكلتهم

وفي اثناء ذلك عاد طوسون باشا من الحجاز الى القاهرة فخرج الناس لملاقاته بالاحتفال والاكرام ثم نزل الى الاسكندرية حيث كان ابوه مقبلاً فوجد امرأته قد وضعت اثناء غيابه غلاماً زكياً دعه عباساً . وبعد يسير اصيب طوسون بالآلم شديد في رأسه لم يعش بعده الا بضع ساعات . وكان محمد علي باشا قد توجه الى القاهرة . ولما اتصل به اخبره كان على ضفة النيل الغربية بجوار اهرام الجيزة . فقالوا له ان طوسون مريض فاسرع الى الاسكندرية لمشاهدته فلما دنا من المكان علم بوفاته فوقف مبغوتاً لا يبدي حراكاً وبقي على مثل تلك الحال ثلاثة ايام متوالية ونقلت جثة طوسون باشا الى القاهرة ودُفنت قرب مسجد الامام الشافعي وراء جبل المقطم حيث مدفن العائلة الخديوية اليوم

وبعد قليل عاد محمد علي الى روعه فاخذ يهتم بامر الوهايين خشية ان يعودوا الى ما كانوا عليه فكتب الى عبدالله بن سعود ان يأتي اليه بالاموال التي استخرجها الوهايون من الكعبة وان يتأهب متى قدم ليسير الى الاستانة . فاجابه يعتذر عن عدم امكانه الشخص وقال ان تلك

الاموال قد تفرقت على عهد ابيه وارسل له هدايا فاخرة فارجع اليه محمد علي تلك الهدايا ووسعته تهديداً . ثم جرّد اليه حملة عهد قيادتها الى ابنه ابراهيم باشا (جد سمو الخديوي الحالي) وكان باسلاً شجاعاً مقداماً لا يهاب الموت شديد الغضب سريعة ولكنه كان سليم القلب حرّ الضمير ولذلك كانت احكامه عادلة صارمة . وفي ١٠ شوال سنة ١٢٢١ هـ (٢٠ يونيو ١٨١٦ م) سار ابراهيم باشا بجملته من القاهرة في النبل الى فنا ومنها في الصحراء الى النصير على شواطئ البحر الاحمر ومنها بجرّاً الى جنو ثم الى المدينة وتربّص هناك بجميع قوائه يستعد الى هجوم شديد امتثالاً لمشورة ابيه . فالتفت حوله عصبة جديدة من القبائل المتحابة ولما تكاملت قوائه اقام الحرب سجّالاً وما زال بين هجوم ودفاع حتى فاز وقبض على زعيم الوهايين عبدالله فارسله الى ابيه فوصل القاهرة في ١٨ محرم سنة ١٢٢٤ هـ (١٧ نوفمبر ١٨١٨ م) فاذن له بالمثل بين يدي الباشا ونقبيل يده فترحب به كثيراً لانه كان يعجب من جسارة الوهايين ثم سأله ما ظنّه بابراهيم فاجابه قائلاً « انه قد قام بواجباته ونحن قمنا بواجباتنا وهكذا اراد الله » . وفي ٢ محرم أرسل الى الاستانة فطافوا به في اسواقها ثلاثة ايام ثم قتلوه . وخلع جلالة السلطان على ابراهيم باشا خلعة شرف مكافاة له وسماه والياً على مكة . فانصلت هذه الاخبار بدراية فخاف اهلها فهدموا المدينة وفرّوا من وجه الموت فاحتلها الجنود الظافرة . اما محمد علي باشا فانه نال من انعام امير المؤمنين لقب خان مكافاة لاخلاصه وبسلطته وهو لقب لم يمنح لاحد من وزراء الدولة الا حاكم الترم ولما انتهى هذا الرجل الخطير محارباته في بلاد العرب فكر في افتتاح السودان على امل ان يصادف فيها الكنوز الثمينة من معادن الذهب بجوار البحر الازرق ناهيك عما هنالك من المحصولات والواردات العجيبة من الصمغ والريش والعاج والرقيق وغير ذلك . فجنّد خمسة آلاف من

الجند النظامي وبعض العربان وثمانية مدافع وجعل الجميع تحت قيادة اسماعيل باشا احد اولاده فسارت الحملة من القاهرة في شعبان سنة ١٢٢٥ (يونيو) (حزيران) سنة ١٨٢٠م) في النيل فقطعت الشلال الاول فالثاني فالثالث حتى السادس فانت شندي والمتمة وقد اخضعت كل ما مرّت به من القرى والبلدان بدون مقاومة . ومن شندي سارت الى سنار على البحر الازرق وراء الخرطوم . ولم يكن من القبائل التي يعتد بها هناك الا الشائقية فقاوموا قليلاً ثم سلموا ودخلت سنار عاصمة كردوفان في املاك مصر فسار اسماعيل باشا في جنوده الى فزقل وهناك ظن انه اكتشف معادن الذهب . ثم فشا في رجاله الوباء فمات منهم كثيرون ثم اتته نجدة من ثلاثة آلاف رجل تحت قيادة صهره احمد بك الدفتردار فاشتد ازره فاقام صهره هذا على كردوفان وسار في جيش الى المتمة على البر الغربي من النيل ثم عبر الى شندي في البر الشرقي لجباية المال وجمع الرجال فاستدعى اليه ملكها واسمه نمر وقال له « اريد منك ان تأتي الي قبل خمسة ايام بل » قاري هذا من الذهب والذين من العساكر » فجعل ذلك الملك يستعطف اسماعيل باشا لينازل عن ذلك القدر فقبل منه اخيراً عوضاً عن الذهب مبلغ عشرين الف ريال من النضة فاجابه الى ما اراد ولكنه لم يكن يستطيع جمعها في تلك المدة فطلب اليه تطويل الاجل فضربه اسماعيل بالشبق (الغليون) على وجهه قائلاً « لا ان كنت لا تدفع المبلغ فوراً ليس لك غير الخاروق جزاء » فسكت نمر وقد اضمر له الشرّ وصمم على الانتقام فطّيب خاطره ووعدّه بانعام ما يريد وفي تلك الليلة جعل يرسل من التبن الجاف احمالاً الى معسكر اسماعيل باشا علناً للجمال وانما جعله حول المعسكر كانه يريد اشعاله . وفي المساء اتى الى اسماعيل في سرب من الاهالي ينفخون بالزمار وبرقصون رقصة خاصة بهم فطرب اسماعيل وضباطه لذلك ثم اخذ عدد المتفرجين من الوطنيين يتزايد شيئاً فشيئاً حتى اصبح

كل اهل المدينة هناك . فلما تكامل العدد امرهم ملكهم نمر بالهجوم فجهلوا
بغثة على اسماعيل ورجالهم ثم داروا بالنيران على الثوب فاشتعلوا فأت
اسماعيل باشا وكثيراً من كان معه بين قتل وحرق . وفي اليوم التالي
انموا على الباقين وساقوا سلبهم الى المدينة

فانصل الخبر باحمد بك الدفتردار فاشتعل غيظاً واقسم انه لا يقبل
اقل من عشرين الف رأس انتقاماً لاسماعيل فنزل بجيشه القليل وحارب
الملك نمر وتغلب عليه ولم ينفك حتى انفذ قسمه فقتل ذلك العدد من الرجال
متفنتاً في طرق قتلهم على اساليب مختلفة فهدأت الاحوال بعد ذلك وهكذا
تم افتتاح السودان . وما زال احمد بك على حكومة سنار وكردوفان الى
سنة ١٢٤٠ هـ (سنة ١٨٢٤ م) ثم ابدل برسم بك

اما محمد علي باشا فعاد الى ما كان فيه من تدريب الجند على النظام
الحديث وكانت قد تمهدت له السبل فأسس مدرسة عسكرية في الخانكاه
كانت نعام فيها اللغات والحركات العسكرية وجعل سراية مراد بك في
المجينة مدرسة للفرسان واقام فيها اسانذة من الافرنج . وانشأ مدرسة للطبعية
وجعل في القاهرة معامل لسكب المدافع ولاصطناع جميع حاجيات الجند
تحت مناظرة عملة من الافرنج . والنضل في ادخال النظام الجديد في
الجيش المصري لاحد رجال الفرنسيين اسمه الحقيقي «ساف» لكنه لم
يذعن له الجند حتى اسلم ودعى نفسه سليمان باشا . ثم عكف محمد علي الى
تنشيط الخارجية مجراً فوجه انتباهه الى ثغر الاسكندرية . وجعل فيه
ترسخانة اتى اليها بالسفن والدوارع من مرسيليا وفينيسيا ثم اقام فيها مدرسة
اتى اليها بالاسانذة الماهرين من فرنسا وانكلترا وبنى حول الاسكندرية
حصناً منيعاً قد هدم الآن القسم الاعظم منه توسيعاً لمساحة المدينة

ثم حوّل انتباهه الى محصولات البلاد فرأى ارضها خصبة وقد علم
من عاجلها في الأزمنة الخالية انها كثيرة التناج فجاء اليها بالنطن من

البذار (التقاوي) الاميركاني وجاء بنبات النيلة من جهات الهند وجاء
من يحسن زرعهم منهم ومثل ذلك فعل بالافيون فانه اتى به ومن يزرعه
من اسيا الصغرى . ثم اكثر من غرس الاشجار الكبيرة الى ما يشبه
الاحراش لطيفاً لحرارة الهواء واستزادة للغيث . وغرس في جزيرة الروضة
بين القاهرة والاهرام حديقة فيها انواع الاشجار والرياحين اتي بها من
اقصاء العالم وغرس مغارس اللبون في شورا

ومن اعماله من هذا القبيل غرس حديقة الازبكية وقد كانت اثناء
الحملة الفرنسية بركة من الماء كبيرة تنصل اليها مياه النيل ايام الفيضان
وكان الناس يأتون اليها في المواسم والاعباد في قوارب عليها الانوار
المتعددة الالوان ومعهم آلات الطرب . فاحضر محمد علي حولها ترعة
تنصرف اليها المياه فظهرت ارض البركة فجعل حول هذه التربة صفوفاً
من الاشجار تحيط ببقعة كلها غرس طيب . فلما كانت ولاية محمد
سعيد باشا اصبحت هذه الحديقة مجموع قهاوي ومحلات لهو على النسي
الاوربي حتى اذا كانت ولاية اسماعيل باشا الخديوي السابق احيطت
يسور عليه شبك حديد بعد ان ردمت التربة وجعل في وسط الحديقة
بركة ياتيها الماء بقناة متصلة بتربة الاسماعيلية ولا يزال هذا شأنها الى اليوم
وبعد ان اكثر محصولات البلاد اخذ في تهيد سبل التجارة فنظر في
امر انشاء مينا امينة تأوى اليها السفن التجارية فلم تعجبه رشيد ولا
دمياط فالحشونة مرساها فاخار الاسكندرية فاحضر التربة الموصلة بينها
وبين النيل ودعاها المهدوية نسبة الى السلطان محمود الثاني . وكان
افتتاح تلك التربة في ٤ ربيع ثاني سنة ١٢٢٥ هـ (٢٠ يناير ١٨٤٠)
سنة ١٨٢٠ م) وكانت كثيرة الاستعمال لقل البضائع الواردة بحراً الى
الذلتا فاكسبت الاسكندرية بذلك اهمية كبرى فتناظر اليها التجار من
اماكن مختلفة من اوربا وغيرها واقمت فيها البنابات الكبيرة على النمط

الافرنجي ووجدت فيها الفنادق والتزل للغرباء والمسافرين . واصبح مرفا بولاق . ثم عاد الى الصناعة فرأى ان ينشئ معامل لمعالجة القطن والنيلة وغيرها من محصولات البلاد فانشأ معامل كثيرة في اماكن مختلفة لم يجمع منها الا معامل الطرايش الحمراء التونسية لكثرة طلاب هذه البضاعة في الشرق عموماً اما حبوط باقي المعامل فلعدم وجود معادن النعم والحديد في القطر ثم جاء الى الاصلاحات الصحية وقد كانت البلاد في غاية الاحتياج اليها لانتشار التدجيل والتطبيب بالكتابة والمجاجة وما شاكل . والنفل في ايجاد المدارس الطبية والمستشفيات في القطر المصري للدكتور كلوت (ثم صار بعد ذلك كلوت بك واليه ينسب شارع كلوت بك في القاهرة) فانه ادى من الخدمات ما استوجب عليه ثناء محمد علي ووجه فقد تأسست بمساعي هذا الدكتور مستشفيات عديدة في سائر القطر المصري وانشئت مدرسة طبية وصيدلية مع مستشفى في ابي زعبل وراء الخانكاه ومدرسة اخرى في فن التوابل في القاهرة . واجاز محمد علي باشا لسوريا ان ترسل من ابنائها عدداً معلوماً يتعلمون الطب مجاناً . ثم اهتم بالحالة العلمية فشكل مجلساً للمعارف العمومية وقصد به تعليم خدمة الحكومة المكيين والجهاديين ما يؤهلهم للقيام بمهام اعمالهم . وفتح مدارس كثيرة لتعليم شبان القطر وكان يرسل بعضاً منهم الى اوربا لتنظيم دروسهم على مثال الارشاليات العلمية في هذه الايام

وقسم القطر المصري الى اقاليم او مديريات جعل على كل منها مديراً وقسم المديرية الى اقسام على الواحد منها مأمور مع بعض القوة العسكرية او الشرطة لمساعدته في جمع الضرائب (الفردة) وكانوا يستخدمون الكرباج في تحصيلها . وما اتاه من الاصلاح الداخلي تنظيم الضابطة فأمن الناس من غائلات السبل ولا سيما الاوربيون فانهم كانوا يفاسون اثناء تجولهم في القطر اهانات ومشاقاً شديدة اما بعد تنظيم الضابطة فاصبحت

السبل في مأمن وتسهلت الصلات التجارية وعلى الخصوص بين أنكلترا
والهند عن طريق البحر الأحمر فاستعاضوا بها عن طريق رأس الرجاء
الصالح في أمور كثيرة

ومن مشروعاته الخطيرة القناطر الخيرية على رأس الذلنا وتنصيل
ذلك أن محمد علي باشا رأى أن النيل إذا وصل إلى رأس الذلنا ينصل
إلى فرعين هما فرع رشيد ودمياط أو الفرع الغربي والفرع الشرقي فالغربي
يصب عند رشيد وهو أكبرها ويمر في أراضٍ معظمها لا يصلح للزراعة
فيذهب معظم مياهه هدراً والشرقي بالعكس فإنه يخترق أراضٍ واسعة
الأرجاء حسنة التربة . فإذا كانت أيام الخاريق لا يعود هناك مياه
كافية للرعي فارتأى أن يتخذ وسيلة يتيسر له بها الانتفاع بما يزيد من مياه
الفرع الغربي بإضافته إلى الشرقي ورأى أيضاً أن النيل إذا كانت أيام
فيضانه يذهب جانب عظيم من مائه هدراً فإذا كانت أيام الخاريق
تحتاج الأرض إلى الري ولا سيما في الصعيد على أن أرض الصعيد لا تروى
كلها إلا إذا كان الفيضان وافياً . فافكر على ابتناء قناطر على عرض
الفرعين عند أول تكونهما في رأس الذلنا وإن يجعل لهذه القناطر أبواباً
من الحديد تغلق وتفتح عند الاقتضاء بحيث يمكن سد القناطر وفتحها متى
اراد فإذا سدد قناطر الفرع الواحد وفتح قناطر الآخر انصرفت المياه إلى
الفرع المنفوح . وبهذه الوسيلة يمكن صرف المياه إلى حيث شاء وإذا
كان الفيضان غير واف تسد القناطر كلها فترتفع المياه في الصعيد وتسقي
أراضيها ثم لا يصرف منها إلا ما يلزم للرعي الوجه البحري . فإذا كانت أيام
الخاريق تفتح القناطر فتفيض الماء والأرض في احتياج إليها . فافكر رؤية
على مباشرة العمل فوضع الحجر الأول لتلك القناطر سنة ١٢٥١ هـ
(سنة ١٨٣٥ م) ودعيت القناطر الخيرية أو البراج وهي الآن تامة
البناء . غير أن ذلك المشروع لم يأت بالفائدة المطلوبة تماماً لأن الماء

في الصعيد لم يرتفع الى القدر المطلوب فضلاً عن ان البناء لم يكن متيناً كاللازم فاهتمت نظارة الاشغال مؤخراً في سدّ هذا الخلل . ومن آثاره ايضاً مطبعة بولاق الاميرية وقد زاد فيها من جاء بعده من الولاة وهي لا تزال الى الآن عامرة عاملة تزيد تحسناً كل يوم وتنفق عليها الحكومة المصرية الآن ٢٢٤٠٠ جنيهاً وهي تابعة لنظارة المالية

ولما اتم محمد علي تلك الاصلاحات العمومية فكر في امر راحته الخصوصية فابتنى القصور والسرايات لاقامته في القاهرة والاسكندرية وشاد له بيتاً في القلعة لسكنائه في فصل الشتاء . واشأ جنائن في شورا بجوار القاهرة للترهة وابتنى في الاسكندرية ابنة للمصيف

وقد باشر محمد علي باشا هذه الاصلاحات وانها والمشاكل السياسية تتابعه من كل ناحية وتغلغل مشروعاته فكان لا يلبث ان يباشر عملاً حتى يحدث من القلاقل او المشاغل ما يستدعي اهتمامه فيهمهم به حتى يصرفه فيعود الى مشروعاته كل ذلك مما يدلنا دلالة صريحة على عزيمة ونشاط هذا الرجل العظيم

وفي سنة ١٢٢٩ هـ او سنة ١٨٢٥ م ارسل محمد علي باشا بامر الباب العالي حملة مصرية تحت قيادة ابنه ابراهيم باشا لمحاربة المورافسار وحارب وعاد ظافراً بعد ان بذل في سبيل ذلك عشرين مليون فرنك وثلاثين الف مقاتل . ثم ثارت حكاهم سوريا على الباب العالي وفي جملتهم عبدالله باشا حاكم عكا فجرد محمد علي باشا سنة ١٢٤٧ هـ (سنة ١٨٢١ م) حملة في البر والبحر فارسل البيادة والطبعية عن طريق العريش برّاً وسار ابراهيم باشا في بطائنه بجزراً . اما حملة البر فاستولت على غزة ويافا بغير شديد مقاومة ثم وصل ابراهيم باشا الى يافا وسار في جيشه الى عكا فوصلها في ٢١ جمادى الاولى سنة ١٢٤٧ هـ (٢٦ نوفمبر (ت ٢) سنة ١٨٢١ م) فحاصرها برّاً وبحراً الى ٢٦ ذي القعدة منها (٢٧ مايو (ايار) سنة ١٨٢٢ م)

فهم عليها هجمة نهائية شنت عن تسليها . ثم سارقاصداً دمشق فاخضعها ولم تدافع الا يسيراً وبارحها الى حمص حيث كانت تنتظره الجنود العثمانية تحت قيادة محمد باشا والي طرابلس فوصلها في ٩ ربيع اول سنة ١٢٤٨ هـ (٨ يوليو (تموز) سنة ١٨٢٢ م) فعسكر فهم عليه محمد باشا وبعد الاخذ والرد استولى ابراهيم باشا على حمص فخافت سوريا سطوة هذا القائد العظيم فسلمت له حلب وغيرها من مدن سوريا . فتغير وجه المسألة باعتبار الباب العالي فبعث حسين باشا السرعسكر بجيش عثماني لايقاف ابراهيم باشا عند حدة فجاء وعسكر في اسكندرونة فلاقاه ابراهيم باشا وحاربه واتصر عليه ولم يعد يلاقي بعد ذلك مقاومات تستحق الذكر . ثم تقدم في اسيا الصغرى تاركاً طورس وراءه . وكان الباب العالي قد ارسل رشيد باشا في جيش للملاقاة فجنده ابراهيم باشا جنداً كبيراً من البلاد التي افتتحها وسار نحو الاستانة للملاقاة رشيد باشا فالتقى الجيشان في ديسمبر (ك ١) سنة ١٨٢٢ م في كونه جنوبي اسيا الصغرى فتقهقر رشيد باشا برجاله واخترق ابراهيم باشا اسيا الصغرى حتى تهدد الاستانة

فدخلت الدول وفي مقدمتهن الدولة الروسية فانذرت الى مصر البرنس موارافيف لمخاطبة محمد علي باشا بذلك وتهديده فبعث الى ابراهيم باشا ان يتوقف عن المسير . ثم عقدت بمساعي الدول معاهدة من مقتضاها ان تكون سوريا قسماً من مملكة مصر و ابراهيم باشا حاكماً عليها وجائياً لحراج اده وقد تم ذلك الوفاق في ٢٤ ذي القعدة سنة ١٢٤٨ هـ (١٤ مايو (ايار) سنة ١٨٢٢ م) وهو المدعو وفاق كوتاهيا . فعاد ابراهيم باشا الى سوريا واهتم بتدبير احكامها وجعل مقامه في انطاكية وابتنى فيها سراية وقشلاقات وولى اسمعيل بك على حلب واحمد منكلي باشا على اده وطرسوس اما الاجراءات العسكرية فلم يكن يسوغ لاحد

ان يتداخل فيها الأمر

وكان ابراهيم باشا سائراً بالاحكام بكل دراية وحكمة خشية سوء العنبي الا انه مع ذلك لم ينج من ثورة ظهرت في نواحي السلط والكرك في اواخر سنة ١٢٤٩هـ (منتصف سنة ١٨٣٤م) وامتدت الى اورشليم وبعد الاخذ والرد اضطر ابراهيم الى المحاصرة في اورشليم لانها ذات اسوار منيعة ثم امتدت الثورة الى السامرة وجبال نابلس

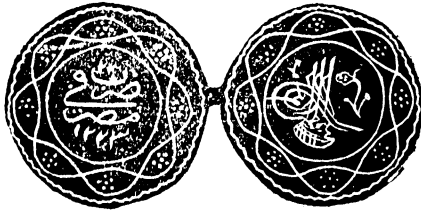
وفي ١٦ يونيو «حزيران» منها هجم المسلمون على صفد وفيها جماهير من اليهود فهدموا منازلهم وقتلوا رجالهم وفتكوا بنسائهم واصبحت تلك المدينة في حوزتهم ثم اجروا مثل هذه التعديات على المسيحيين في الناصرة وبيت لحم واورشليم ولكنهم لم يتمكنوا مما تمكنوه بصدد ويقال بالجملة ان سوريا صبحت بسبب ذلك شعلة ثورية فانصل الخبر بمحمد علي باشا فبارح الاسكندرية الى يافا فتقربت منه وجهاء البلاد وسرائها ثم عمدت الجيوش المصرية الى قمع الثائرين فنشنت العصاة الا النابلسيون فانهم قاوموا طويلاً لكنهم اذعنوا اخيراً ثم هاجم المصريون السلط والكرك وهدموها وبعد قليل عادت الثورة الى جبال النصيرية فاعترض اهلها فرقة من الجند كانت سائرة من اللاذقية الى حلب واعادوها الى حيث انت . فارسل المصريون سبعة آلاف مقاتل اتحدوا بثمانية آلاف من الدروز والمارونيين تحت قيادة الامير خليل بن الامير بشير امير لبنان وسار الجميع الى النصيرية واخضعوهم ثم سعى ابراهيم باشا الى تجريد السوريين من السلاح خوفاً من عودهم الى الثورة ففعل لكنه لم يستطع تجريد اللبنانيين . وكان الامير بشير وابراهيم باشا على وفاق تام وكانهما خلفا ليتخذا ولا يخفى ان ابراهيم باشا قد استفاد من ذلك الاتحاد وكذلك الامير بشير لانه كان آخذاً جانب المسيحيين لاعتناقه الديانة المسيحية حديثاً . وكان يؤد اتحادهم مع يؤمن يد سلطته ويساعده على اعدائه الدروز

وبعد ان اتم ابراهيم باشا جمع سلاح السوريين بمساعدة الامير بشير
 جاء الى بعلبك فوصلها في ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٢٥٢ هـ (٢ أكتوبر
 (ت ١) سنة ١٨٤٦ م) وفي تلك الليلة اعد رجاله لمهاجمة الشوف في
 لبنان (مركز قوات الدروز) في ثلاث فرق وجاءت فرقة رابعة من
 بيروت تحت قيادة سليمان باشا لمحاصر بيت الدين فوصل الجميع في
 وقت واحد . فاندهل الدروز لهذه المباغثة واضطروا الى التسليم . وثار
 اهالي البنت ثم سلموا . وفي ٢٤ جمادى الآخرة او ٩ أكتوبر (ت ١) اتم
 ابراهيم تجريد الدروز من سلاحهم وارسل الامير بشير بعض الضابطة
 الى بيوت المسيحيين وهم في الكنيسة فدخاوها واخذوا ما وجدوا فيها من
 الاسلحة وحملوا كل ما جمعو منها الى عكا وكانوا يصطنعون منها نعالاً
 لخيولهم . فاستنبت الراحة في سوريا واذعت البلاد حتى اصبحت اطوع من
 الظل الا ان محمد علي باشا لم يقف عند هذا الحد فاحب استخدامها لتوسيع
 دائرته فاجعل يجمع منها الرجال والخيول بطرق زجرية فشق ذلك
 على الباب العالي فعقد مجلساً في ١٥ ذي القعدة سنة ١٢٥٢ هـ (٢٢ يناير
 (ك ٢) سنة ١٨٣٩ م) للنظر في مقاصد المصريين فاقر المجلس على
 تجريد حملة من ثمانين الف مقاتل منهم ٢٥ الفاً من الباشوزق طبقاً
 لارادة جلالة السلطان محمود خان وان تكون تحت قيادة حافظ باشا
 وان تسير لمحاربة المصريين

وكان محمد علي باشا قد سار الى السودان تاركاً القاهرة تحت عناية
 حنيد عباس باشا فما عاد اليها اول سنة ١٢٥٤ هـ علم باعدادات الباب
 العالي فاندعر لها فكتب الى ابنه يستحثه فاخذ ابراهيم في الاستعداد للدفاع
 فحشد جيوشه في حلب لدفع الجنود العثمانية القادمة براً . ثم علم ان معظم
 الاهالي راغبون في دولتهم الاصلية ومستعدون للتسليم وعلى الخصوص
 الدروز تحت قيادة شبلي العربيان احد ابطالهم المعدودين . فحصلت

مواقع شديدة بين الجيوش العثمانية والجيوش المصرية في تزيب انتهت
بانهزام الاولى الى مرعش . واتفق في اثناء ذلك وفاة ساكن الجبلان
السلطان محمود خان في ٢٦ ربيع آخر سنة ١٢٥٤ هـ او ٢٠ يونيو
(حزيران) سنة ١٨٢٩ م قبل بلوغه خبر المواقع فتولى الخلافة السلطان

عبد المجيد



وترى في شكل ٨٩
صورة نقود السلطان
محمود الثاني مضروبة

في مصر وعليها من ش ٨٩ نقود السلطان محمود الثاني
الاسفل تاريخ سنة ١٢٢٢ هـ وهي سنة توليته ومن الاعلى تاريخ ٢٢ اي
السنة الثالثة والعشرين من حكمه فتكون هذه القطعة من المعاملة مضروبة
سنة ١٢٤٦ هـ . وعليها من الوجه الآخر الطغراء باسم السلطان المشار اليه
وكان السلطان محمود قد ارسل عمارة بحرية لمحاربة المصريين فجاءت
الاسكندرية فاصابها ما اصاب الحملة البرية

ثم نالت الحوادث الى ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٢٥٥ هـ او ١٥ يوليو
(تموز) سنة ١٨٤٠ م فانعقدت معاهدة لندن فاضية باعنيار محمد علي باشا
من تابعي الدولة العثمانية . الا ان ذلك لم يكن ليوقفه عن مقاصده
ولديه اذ ذاك نحو ١٤٦ الفاً من الجنود النظامية و ٢٢ الفاً من الباشوزق
منها ١٢٠ تحت قيادة ابنه ابراهيم في سوريا والباقيون متفرقون في الحجاز
وسنار وجزيرة كندي ومصر لكنه علم بعد ذلك ان هذه القوات قليلة في
جانب ما يازمه لانعام مشروعاته فجعل يضم اليها كل تلامذة المدارس حتى
استخدم المرضى والجرحى . ثم عمد الى انشاء غفر وطني احتياطاً ولكنه
لم يجمع به كل النجاح على انه مع ذلك لما عرضت عليه معاهدة لندن لم

بصادق عليها فعرض عليه ان يأخذ ولاية عكا بترضية له ويضعها الى مصر
ويتسحب من سوريا فرفض ايضاً

وبعد ذلك بيسير جاءت الجيوش الانكليزية الى صيدا وفرّ ابراهيم
الى الجبل . وكان الكومودور ناير قد سار في عمارة بحرية انكليزية لمحااصرة
بيروت وكانت تحت قيادة سليمان باشا وقد حصنها تحصيناً منيعاً ومعه فرقان
من الجند وانما لسوء الحظ جاءه الانباء ان ابراهيم قتل وتشتتت رجاله
فخاف سليمان ورأى ان لا بد له من تأكيد حقيقة ذلك الخبر حتى اذا
تحقق موت ابراهيم يضم اليه ما بقي من الجيوش للمدافعة فبارح بيروت
بعد ان جعل عليها صادق بك احداً من الالابات الفرقتين اما هذا فلما
رأى نفسه منفرداً في بيروت خاف فترك المدينة وفرّ فاستولى عليها الانكليز
ثم اتصل به من سليمان ان ابراهيم باشا لا يزال حياً ويأمره بالثبات
امام العدو لئلا يحضر فخاف صادق بك الوقوع في شر اعماله فانضم الى
الانكليز هو ورجاله . ثم سار ناير من بيروت الى عكا وحاصرها ففر
اسماعيل بك ومن فيها من الرجال وسلمت المدينة

ثم سار الى الاسكندرية بست سفن وعرض على محمد علي باشا الصلح
فقبل وعقدوا معاهدة وقّع عليها الطرفان وعند ما ارادوا تثبيتها مانعت
الدول في ذلك وبقيت الاشياء على حالها حتى دارت المخابرات بين
الباب العالي ومحمد علي باشا فاراد جلاله السلطان مكافأة محمد علي
فاعطاه ان تكون ولاية مصر وراثية لسله بشرط ان يكون لجلالة
السلطان الحق المطلق ان يختار من عائلة محمد علي من يريد لتوليها
فتردد محمد علي في بادئ الرأي . ثم امر جيوشه ان تتسحب من سوريا
وكان عددها عند ذهابها اليها مائة وثلاثين ألفاً فلم يرجع منها الا خمسون
الفاً وقد اخذ التعب منهم مأخذاً عظيماً فلم يردّ من قبول انعام
جلالة السلطان . فبعث الى الباب العالي بذلك فارسل اليه خطاً شريفاً

بتاريخ ٢١ ذي الحجة سنة ١٢٥٦ هـ أو ١٢ فبراير «شباط» سنة ١٨٤١ م
بتثبيته على مصر مع حقوق الوراثة لاعتقابه وان يكون لجلالة السلطان
ان يختار منهم من يريد لهذا المنصب وغير ذلك . ثم صدر فرمان آخر
يثبت ولايته على نوبيا ودارفور وكردوفان وسنار فاصبحت حكومته بعد
ذلك الفرمانين محصورة في مصر والسودان . وبمقتضى الخط الشريف
تنازل محمد علي باشا عن عشرة آلاف من جنود سوريا فلم يبق عنده
الا ثمانية عشر الفا بين مشاة وفرسان وغيرهم فاضطر اذ ذاك الى
الاقتصاد لاصلاح مالية البلاد فاوقف كثيرا من المدارس العمومية التي
كان قد خصص مبالغ معلومة للتفقه عليها ومن ضمنها مدرسة شورا
الزراعية وابدل الاساتذة الاورباويين لما بقي من المدارس باساتذة
اتراك او وطنيين وسار من ذلك الحين في خطة الاصلاح قانعا بما قسم
له من البلدان فعمل على ارضاء جلالته السلطان فانفذ الى جلالته ابنه
سعيد باشا لتقديم واجب العودية

فعادت العلاقات الودية واستنبت الراحة وقد انف محمد علي من
الحروب وانعكف الى استرجاع ثروة البلاد ورغدها فاهتم بالزراعة على
نوع خاص ولما رأى ان الفلاح لا يستطيع من نفسه امرا كافلا اخراجه
ما هو فيه من الضيق ورأى انه لم يعد من حاجة لبقاء ضباط الجهادية
منقطعين الى وظائفهم العسكرية مع بقاء رواتبهم جارية عليهم في حالة
السلم وان ليس من التدبير والحكمة ان يتناولوا معيشتهم وهم عطل من
الاعمال ورأى من الجهة الثانية ان الفلاح يحتاج الى مرشد يهديه الى
الطرق اللازمة لاستقامة امره ووازع دفعه الى النهوض بواجباته وعلم
ايضا ان المرء مهما كان صادقا في خدمة الحكومة يشتغل لنفسه اكثر مما
يشتغل لغيره ارتأى ان يعهد بامر البلاد الى اولئك الامراء مفوضا لهم
تعبيرها واصلاحها بانفسهم ففعل ولم يحرم الفلاح مع ذلك من ثمن انعايه

بل جعل لهذه الطريقة التي اعتمدها اصولاً وقوانين تقضي بان لا تعطى الاطيان للمتعهد ما دامت رائجة ومقدرة على اداء ما عليها من الاموال في اوقاتها . اما الاطيان غير الرائجة فخال الى عهدته باختيار اربابها وهو يتعهد بأداء المال المطلوب للحكومة وبهذه الوساطة نشطت الزراعة وتحسنت نخسناً عظيماً وما زالت الاراضي المصرية في يد المتعهدين الى ايام المغنور له عباس باشا وهو الذي استردها من المتعهدين واعادها الى اربابها . وفي جمادى الآخرة سنة ١٢٥٧ هـ او سبتمبر « ايلول » سنة ١٨٤٢ م انعم جلالة السلطان على محمد علي باشا برتبة صدر اعظم مكافأة لمثل هذه الاجراءات النافعة

واصبحت مصر هذه السنة بضربات وبائية في مواشها وفي السنة التالية سطا عليها الجراد فاهلك مزروعاتها فتضايقت البلاد حتى كثرت مهاجرة الناس سنة ١٢٥٩ هـ او ١٨٤٤ م لتعذر دفع الرسوم المطلوبة منهم والحاج الحكومة في طلبها بكل واسطة وكانوا اذا خلت قرية من اهائها اضافوا رسومها على القرية التي بجانبها فكثرت اللغظ في البلاد . كل ذلك من سوء تصرف العمال ومحمد علي باشا غير عالم بشيء لانهم لم يكونوا يطلعونه على حقيقته الامر خوفاً من تاثير الغضب عليه لانه كان قد طعن في السن وملّ معاطاة الاحكام . فرأى ابنه ابراهيم باشا ان اخلاء تلك الاحوال عن ابيه ربما يؤول الى خراب البلاد فاخذ على نفسه القيام بتسليغ ذلك اليه فكف شقيقته في ٢٥ يونيو ان تبلغ اباهما بطريقة غير رسمية ما وصلت اليه البلاد من العسروما نتج عن ذلك من التشكيات والتظلمات المتواترة . فاشتغل محمد علي غيظاً وحمل هذا البلاغ على مكينة اعدوها له فبارح سرايته في الاسكندرية وسارنوا الى قرية صهره محرم بك بجانب الترعة المحمودية وجعل يغلظ في القول على مسمع من كان حاضراً هناك مصرحاً انه محاط بقوم خائنين ولذلك فهو مستعد للتخلي عن الحكومة

والذهاب الى مكة . فحاول ابنه ابراهيم باشا وسعيد باشا مخاطبته واستعطافه فلم يصغ فنجاء سامي باشا وكان من اعز اصدقائه وخاطبه فلم يقتنع الا بما سبق اليه فهمته وان ذلك لم يحصل الا عن يد خائنة تدس السم في الدسم فاستنقح الحضور من تلك الاعمال انه اُصيب بتغير في عقله . ثم ترك محمد علي القرية وسار في بعض حاشيته وطيبه قاصداً الناهرة فمحدث الناس في الاسكندرية وعرضوا على ابنه ابراهيم باشا ان يتولى مكانه فاجاب انه لا يقبل ذلك طالما كان ابوه حياً

ولما جاء محمد علي الناهرة كان قد عاد الى روعه ووطن لنفسه فجمع اليه رجال ماليته ووجههم لاختنائهم تظلمات الاهالي عنه ثم تدخل ابراهيم باشا في الامر وصرف المشكل . وكان على ديوان المالية شريف باشا حاكم سوريا سابقاً وعلى ديوان المدارس ادم بك

وفي صيف سنة ١٨٤٥ م (١٢٦٠ هـ) اصيب ابراهيم باشا بانحراف في صحته فسار الى اوربا وترويحاً للنفس فاصاب ترجاباً عظيماً في سائر الممالك الاوربية ولا سيما فرنسا وانكلترا وعاد الى مصر في اواخر صيف سنة ١٨٤٦ م (١٢٦١ هـ) وكان والده قد توجه قبل وصوله بيسير الى الاستانة بدعوة رسمية ليقيم لجلالة السلطان فوصلها في ١٩ يوليو (تموز) سنة ١٨٤٦ م (١٢٦٢ هـ) ونزل في سراي رضا باشا ثم تشرف بالمشول بين يدي امير المؤمنين فترحب به ولما اراد ثقيل الاعتاب الشاهانية امسكه واجلسه بجانبه ومكث معه ساعة يتحادثان ثم انصرف شاكرًا وزار عدوة القديم خسرو باشا وتصافيا . وفي ١٧ اغسطس من تلك السنة بارح الاستانة قاصداً قواله مسقط رأسه فاقام فيها عدة امنية لتعليم النقرأ واعانة الضعفاء والمساكين ثم بارحها الى الاسكندرية فتوبل بالانوار وسار منها الى القاهرة فتقاطر اليه المهنون من الاصدقاء افواجا فكان يستقبلهم وعلى صدره الطغراء الشاهانية نبالاً كالشمس

ولاية ابراهيم باشا بن محمد علي

وفي منتصف سنة ١٢٦٤ هـ (سنة ١٨٤٨ م) تولى محمد علي باشا وزادات فيه ظواهر الخرف فلم يعد ثم بد من تولية ابراهيم باشا فتوجه هذا الى الاسكندرية في اغسطس من تلك السنة لاجل تثبيت علي ولاية مصر خلفاً لابييه فثبته السلطان بنفسه فعاد لمعاونة الاحكام وكان مهيئاً اكثر مما كان محبوباً بخلاف والده الذي كان مهيئاً ومحبوباً معاً . ثم راجعه العباء واشتد عليه بغتة ففارق هذا العالم في ١٠ نوفمبر «ت ٢» سنة ١٨٤٨ م وبعد وفاته باحدى عشر ساعة دفن في مدفن العائلة الخديوية بجوار الامام الشافعي جنوبي القاهرة

وكان عباس باشا غائماً في مكة فاستقدم حالاً لاستلام زمام الاحكام فوصل القاهرة في ٢٤ ديسمبر بعد ان قضى فروض الحج وبما انه اكبر ابناء العائلة لم يكن ثم اعتراض على توليته فحجاء الفرمان الشاهاني من الاسكندرية مؤذناً بذلك فتولّى الامور

كل ذلك ومحمد علي باشا في الاسكندرية وقد اخذ منه العياض مأخذاً عظيماً وما زال يهزل جسداً وعقلاً حتى ٢ اغسطس «آب» سنة ١٨٤٩ م فتوفي ولم يستغرب الناس ذلك لانه مكث في حالة النزاع مدة طويلة . وفي ٢ منه نقطر الناس من الاعيان والفتاوى الى سراي راس التين في الاسكندرية لحضور مشهد ذلك الرجل العظيم فاذا به في قاعة الاستقبال موضوعاً في محمل نعليه شيلان الكشمير وعلى صدره سيفه والقرآن الكريم وعلى رأسه طربوشه الجهادي احمر تونس وحوله ٢٢ من العلماء في الملابس الرسمية يتلون القرآن بانغام محزنة . وكان سعيد باشا اكبر من وجد في الاسكندرية من عائلة النفيد فكانت توجه نحوه خطابات التعزية .

ثم نقله سعيد باشا الى القاهرة ودفنه في جامعوه في القلعة ولم يكن الجامع تام البناء بعد ولا يزال هناك الى هذه الغاية

« صفات محمد علي باشا الشخصية في آخر أيامه »

كان محمد علي متوسط القامة عالي الجبهة اصلعها بارز القوس الحاجبي اسود العينين غابرها صغير النم باسمه كبير الانف متناسب الملامح مع هيئة ووداعة . ايض اللحية كثيها مع استدارة وسعة جميل اليدن منتصب القامة جميل الهيئة ثابت الخطوات منتظها سريع الحركة . اذا مشى يجعل يديه متصالبين وراء ظهره غالباً وعلى الخصوص اذا مشى في داره متفكراً في امر « وكذلك كان يفعل بونايرت » . وقلاً كان يتفاخر باللباس فكان لباسه غالباً على زي الممالك وعلى رأسه الطربوش الجهادي ثم ابدله بالعمامة فزادته هيئة وقاراً وابدل اللباس العسكري بلباس واسع بسيط لا يمتاز به عن بعض اتباعه

وكان يكره التفاخر بالحاشية فلم يكن على بابيه الا رجل واحد يخبره . واذا استوى في مجلسه لا يتقلد السلاح انما يجلس وفي يده حفة العاطوس والمسجة يتلافي بها وكان يحب العاب الليارد والداما ولا يأنف من مجالسة صغار الضباط واما جلساؤه العاديون فالقناصل وكبار السواح وكانوا يحبونهم ويعتبرونه جداً ويلقبونه احياناً بمبيد الممالك او مصلح الديار المصرية . وكان سليم القلب سريع التأثر لا يعرف الكظم فكثيراً ما كان يتقاد بدسائس المفسدين وكان كريم النفس سخي العطاء . وفي بعض الاحوال مسرفاً . وكان يتفاخر بعصاميته وبرتاح لتكلم عن سابق حياته . وكان محباً للاطلاع ولا سيما على الاخبار السياسية وكان يعتبر الجرائد وتاثيرها في الهيئة الاجتماعية فكانوا يترجمونها له فيطالعها بنم عن اما هو اجسه السياسية فكانت تلتق راحته فلا ينام الا بغيراً وقلاً يرتاح في نومه ولا ينفك متقلباً من جانب الى آخر فكان يجعل عند فراشه

اثنين من خدمته يتناولان البقطة لتغطيته اذا انكشف عنه الغطاء من القلب . ويقال ان من جملة دواعي ارقه الشهنة المرتجفة التي كانت تتردد اليه كثيراً وكان قد اصيب بها في حملته على الوهابيين على اثر رعب شديد . على ان ذلك الأرق لم يكن ليضعف شيئاً من سرعة حركته فكان يستيقظ نحو الساعة الرابعة من الصباح ويقضي نهاره في المشاغل المختلفة بين مفاوضة مع ذوي شوره او مراقبة استعراضات العساكر واستطلاع امور اخرى تتعلق بصالح الامة . وكان بارعاً في الحساب بغير تعلم لانه شرع بتعلم القراءة والكتابة وهو في الخامسة والاربعين من عمره ويقال انه ابتداء بتعلم احرف الهجاء على احد خدمة حريمه والكتابة على احد المشايخ وهذا ما يزيد شرفاً وفخراً ويبرهن على ما فطر عليه من قوة الادراك والحداقة والمقدرة على المهام السياسية . وكان صارم المعاملة مع لين ورقة وحسن الاسلوب . وكان متمسكاً بالاسلام مع احترام التعاليم الاخرى ولا سيما التعاليم المسيحية فكان يقرب اصحابها منه ويعهد اليهم اهم اعماله ويقال بالاجمال انه كان لرعيته ابا حنوناً وصديقاً مخلصاً ولذوي قرياته نصيراً مسعناً ولاولاده ابا حقيقياً ولذلك تراه بعد ان اصيب بفقد اكثرهم غلب عليه الحزن حتى اثر في صحته تأثيراً رافقه الى اللحد . اما حبه للرعية فلا يحتاج الى دليل فهذه الديار المصرية عموماً اذا قصرت السنة اهلها عن تعداد فضائله بنطق جمادها يزيد فضله هذه الترع والجسور والبنيات والشوارع والجنان هذه المطابع والمدارس هذه النظمات الجهادية والملكية والقضائية هذه الزراعة والفلاحة هذه شبه جزيرة العرب تردد ما لا فته من نجاته . وقد كان معتبراً ليس فقط من رعيته او ذويه بل من الاجانب البعيدين منه وطناً وديناً ومشرقاً وكثيراً ما تقربوا اليه بالنياشين والهدايا اقراراً بفضلهم على العالم عموماً بتهديد سبل التجارة بين اوريا والهند على الخصوص

ولاية عباس باشا

من سنة ١٢٦٥ - ١٢٧٠ هـ أو من ١٨٤٨ - ١٨٥٤ م

هو عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا ولد سنة ١٢٢٨ هـ أو ١٨١٢ م وربي احسن تربية وكان محباً لركوب الخيل فرافق عمه ابراهيم باشا في حملته الى الديار الشاميه وشهد أكثر المواقع . وفي ربيع آخر سنة ١٢٦٥ او ديسمبر « ك ١ » سنة ١٨٤٨ م تولى زمام الاحكام على الديار المصرية وانبع خطوات سابقة وكان على جانب من العلم والمعرفة لان المرحوم جده كان يحبه كثيراً فاعنى بتعليمه في مدرسة الخانكاه ومن مشروعاته المهمة الشروع في انشاء الخط الحديدي بين مصر والاسكندرية وتأسيس المدارس الحربية في العباسية ومد الخطوط التلغرافية لنسبيل سبل التجارة وغير ذلك

وكان له غلام يدعى البرنس ابراهيم الهامي وكان على جانب عظيم من الجمال والذكاء واللطف والمعرفة والعلم زار الاستانة سنة ١٢٧٠ هـ وتشرف بمقابلة جلالة السلطان عبد المجيد فاحبه وزوجه بابنته وغمره بنعمه فرجع الى مصر شاكراً حامداً والمرحوم الهامي باشا هو والد ذات العفاف والعصمة حرم سمو الحديوي الحالي توفيق الاول

وعباس باشا هو الذي وضع الحجر الاول لمسجد السيدة زينب بيده وقد كان لذلك احفال عظيم حضره كثير من الاعيان ورجال الدولة وذبحت فيه الذبايح وقرئت الصدقات على الفقراء كميات كبيرة

وفي ايامه كانت بين الدولة العلية والروسين حروب فبعث لنجدة الدولة حملة كبيرة سارت عن طريق بولاق في البحر وسار هو بنفسه لوداعها هناك وقبل ركوبها النيل نهض لوداعها فالتقى في الجمهور خطاباً

بليغاً منشطاً

وتوفي عباس باشا في شوال سنة ١٢٧٠ أو يوليو «تموز» سنة ١٨٥٤م في سرايته في مدينة بنها العسل ثم نقل ودفن في مدفن العائلة الخديوية في القاهرة

ولاية سعيد باشا

من سنة ١٢٧٠ - ١٢٧٩ هـ أو من ١٨٥٤ - ١٨٦٢ م

هو ابن ساكن الجنان محمد علي باشا ولد في اسكندرية سنة ١٢٢٧ هـ «١٨٢٢ م» وكان محباً للعلم بارعاً فيه وعلى الخصوص في اللغات الشرقية والعلوم الرياضية وسلك الايجر والرسم وكان يتكلم الفرنسية جيداً .
تولى زمام الاحكام سنة ١٢٧٠ هـ أو ١٨٥٤ م بعد وفاة عباس باشا ابن اخيه وكان محباً للعدل والنضيلة مهتماً بالاصلاح الاداري . ومن اعماله المبرورة اتمام الخطوط الحديدية والتلغرافية بين اسكندرية ومصر والشروع في مد غيرها وتنظيم لوائح الاطيان واسترجاعها من المتعبدن الى اربابها . وقد عدل الضرائب فجعلها عادلة ورفع كثيراً من الضرائب التي كان يتظلم منها الرعايا ونزع ترعة المحمودية وفي ايامه تمت معاهدة ترعة السويس وقد نشطها تنشطاً كبيراً واقام على طرفها الشمالي مدينة حديثة دُعيت باسمه وهي بورت سعيد وغرس الاشجار في طريق المنشية وفي السنة الثانية من توليه على مصر وضع الحجر الاول لاساس القلعة السعيدية عند راس الدلتا فيما بين القناطر الخيرية تداعت اركانها الآن وقد عثرت على قطعة فضية مستديرة قطرها قيراطان ونصف على احد وجهيها رسم النيل عند تفرعه والقناطر الخيرية يليها على الجانبين برج القناطر وبينهما عند راس الدلتا القلعة السعيدية وكل ذلك في اجل ما

يكون من الرسم وعلى الوجه الآخر كتابة تركية تنيد ان المغنور له محمد سعيد باشا بن محمد علي باشا المشهور قد وضع اساس القاعة السعيدية وما يليها من الاستحكامات بين في يوم الاحد ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٧١ هـ لاجل حماية الديار المصرية . وهاك نص ما هو مكتوب هناك بالحرف الواحد بلغته الاصلية

«قوله لى مشهور محمد علي صلبندن بيك ابيكيوز اوتوز يدي سنه هجرية سنه اسكندريه ده دنياه كلوب يتمش سنه سي شوال المكرمده خطه جسيمه مصره حكيمى جاري اولان محمد سعيد محافظه ام دنيا ايجون اشوا استحكامات قويه به بيك ابيكيوز يتمش بر سنه سي جمادى الثانى بيك يكرمى اوجنجي دوشنبه كوني ومولودينك اوتوز دردنجي سنه سي كندى يديله وضع اساس ايتمشدر»

وفي ايامه ثارت مديرية الفيوم على الحكومة فبعث اليها واخذ الثورة فبدأت الاحوال . ولما اخنت نجله طوسون بك اطلق كل من كان في السجون من المجرمين حتى الفانلين . وقد زار محمد سعيد باشا الحرمين وادى فروض الحج ولذلك يلقبونه بالحاج محمد سعيد باشا . وفي ايامه اعطيت بلاد السودان بعض الامتيازات ونوى عليها البرنس حلیم باشا حكاماً . وفي سنة ١٢٧٦ هـ او ١٨٥٩ م توجه لزيارة سوريا فمكث في بيروت مدة ثلاثة ايام ونزل ضيفاً كريماً على وجهاء المدينة وكان اثناء مروره في الطرقات ينثر الذهب على الناس

وفي سنة ١٢٧٨ هـ او ١٨٦١ م توفي المغنور له السلطان عبد المجيد وتولى الخلافة بعده السلطان عبد العزيز . وفي يوم السبت ٢٦ رجب سنة ١٢٧٩ هـ او ١٧ يناير (٢٠) ١٨٦٢ م توفي سعيد باشا في الاسكندرية ثم نقل الى مدفن العائلة في مصر

ولاية اسماعيل باشا خديوي مصر الاول

من سنة ١٢٧٩ - ١٢٩٦ هـ او من ١٨٦٢ - ١٨٧٩ م

هو ثاني ابناء المرحوم ابراهيم باشا بن محمد علي باشا ولد سنة ١٢٤٦ هـ او ١٨٢٠ م وتربى احسن تربية وثقفت قواه العاقلة بالعلم والمعرفة فانقن فن الهندسة وبرع على الخصوص في التخطيط والرسم ثم جال في اوربا واخبر احوالها وعوائدها . وفي ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩ هـ او ١٨ يناير (ك ٢) ١٨٦٢ م تولى زمام الاحكام في الديار المصرية بعد وفاة عمه سعيد وفي سنة توليته شرف هذه الديار بجلول اعنائه الشريفة جلالة المغفور له السلطان عبد العزيز خان فلاح في ترحاباً لم يسبق له مثيل . وكان اسماعيل باشا كثير الميل الى تحسين المدن الى ما يقربها من ربي مدن اوربا فشرع في ذلك وكان شديد الرغبة فيه الى ما يفوق التصديق فتسهلت سبل التجارة في ايامه ونقاطر الى الديار المصرية الاجانب افواجاً افواجاً . وفي سنة ١٢٨٢ هـ او ١٨٦٦ م نال من الباب العالي خطأ شريفاً مؤذناً بالارث الصريح في عائلته وسيأتي شرح ذلك وفي السنة التالية نال من انعام جلالة السلطان لقب خديوي وهو اول من نال هذا اللقب الذي هو ارفع رتب وزراء الدولة

وفي ١٢ شعبان سنة ١٢٨٦ هـ او ١٩ نوفمبر (ت ٢) ١٨٦٩ م كان الاحتفال بافتتاح ترعة السويس وبالنظر لعظم اهمية هذا العمل وفائدته لعالم التجارة في سائر العالم رأيت ان افرد فصلاً مخصوصاً اشرح فيه تاريخ الوسائل التي اتخذت منذ القديم لايصال البحر المتوسط بالبحر الاحمر فاقول





ش ٩٠ اسماعيل باشا الخديوي السابق

فصل

في ملخص تاريخ الوسائل التي اتخذت لايصال
البحر المتوسط بالبحر الاحمر

ما برح ملوك مصر من عهد الفراعنة يسعون الى ايجاد مثل هذا
الاتصال وقد اتخذوا لذلك سبلاً عديدة تعود الى ثلاثة

(١) بواسطة النيل وفروعه

(٢) » النيل والصحراء

(٣) » ترعة مالهة

وقبل شرح كل من هذه الوسائل نأتي على شيء من جغرافية مصر
القديمة نعني بها الخارطة التي رسمت في عهد اليونان وهي تمتاز عن الخارطات
الحديثة على الخصوص بتعداد فروع النيل ومواقعها وامتداد البحر الاحمر
ومجمرات اخرى (انظر خارطة مصر في ايام الفراعنة)

فالنيل الآن بعد ان ينقسم بالقرب من القاهرة الى فرعيه الكبيرين
يسيران شمالاً فيمر الشرقي منهما بينها فيمت غمر فسمنود فالمصورة وينتهي
الى البحر المتوسط بالقرب من دمياط . والغربي يمر بمنوف فكفر الزيات
فدسوق الى ان يصب في ذلك البحر بالقرب من رشيد . وهذان الفرعان
هما الفرعان الوحيدان للنيل الآن وقلا يتفرع منهما غير الترعة الاصطناعية .
اما في الازمنة الخالية فكانت لهما فروع اخرى كبيرة اكبرها متفرع من
الفرع الشرقي . وكيفية ذلك ان هذا الفرع بعد ان يصل الى قرب بنها
يسير منه فرع غربي ينقسم الى عدة فروع تنتهي الى البحر المتوسط بثلاثة

نصب عند مجريّ المنزلة والبرلس . وكيفية ذلك انه اذا تجاوز اتريب (اتريس) قليلاً تنزع منه فرع كبير شرقيّ يقال له فرع بلوسيوم يسير الى الشمال الشرقي فيمرّ ببوباسنس (تل بسطة) فالصاحبة دفنة الى ان يصب في البحر المتوسط بالقرب من بلوسيوم (طينة) شمالي الفرما ويتفرع ما بقي الى فرعين او اكثر قد اغفلنا ذكرها لاستغنائنا عنها فيما نحن في صدده . اما بحر الفلزم او البحر الاحمر فكان متصلاً بالبحيرة المرة الكبرى بمضيق صالح لسير السفن وكانت هذه البحيرة خليجاً يدعى خليج هيروبوليس نسبة الى مدينة كانت قائمة على مسافة قصيرة من رأسه بالقرب من فيثوم (تل المستوطنة) . واذا قد تمهد ذلك نقول

(١) « الاتصال بواسطة النيل وفروعه »

قد مرّ بك في الكلام عن العائلة التاسعة عشرة الملكية في فذلركة تاريخ مصر القديم من هذا الكتاب ان الملك سبتي الاول هو اول من سعى الى ايصال النيل بالبحيرة المرة الكبرى ويظن ارستوتل وسترابو وبلينيوس ان سيزوستريس (رعسيس الثاني او الاكبر) هو اول من فعل ذلك في الجيل الرابع عشر قبل الميلاد وربما كان ظنهم هذا مبنيّاً على ان هذا الملك هو الذي اسس مدينة فيثوم المنقذ ذكرها فرحمول انه احفر اليها ترعة من النيل لربّها وهذه التربة توصل بين النيل وخليج هيروبوليس فبنم الاتصال المطلوب . اما المعول عليه بالاسناد الى المصادر التاريخية الوثيقة ان اول من اخرج ذلك الى عالم الفعل انما هو الملك نحاو الثاني من العائلة السادسة والعشرين (سنة ٦١٠ ق م) فاحفر ترعة تنشأ من فرع بلوسيوم عند بوباسنس بالقرب من الزقازيق وتسير فيما يدعى الآن وادي القنال حتى هيروبوليس ويقال ان امتداد هذه التربة كان ٦٢ ميلاً من الاميال الرومانية (نحو ٥٧ ميلاً انكليزياً)

فلما استولى النرس على مصر اتهمها الملك داربوس (دارا) ن هستاسبس

سنة ٥٢٠ ق م وكان المضيق بين هير وبوليس والبحر الاحمر قد كاد
يُنْثَلِي من الرواسب فامر بحرقه وتوسيعه وكان طوله نحو عشرة اميال ولا
تزال آثاره باقية الى هذا العهد بالقرب من شالوف عند الطرف الجنوبي
للبحيرة الكبرى وترعة الاسماعيليه ويشاهد هناك بعض الآثار الفارسية
الدالة على صحة ذلك . وكان المعروف اذ ذاك ان البحر الاحمر اعلى من
النيل فلم يجسر نجا ولا داربوس على ابصال ترعتهما ههنا الى الخليج تماماً
خشية ان يختلط المائان او يطوف المالح على العذب . فتمت المواصلة اذ
ذاك على هذه الصورة . تسير السفن من البحر المتوسط في فرع بلوسيوم
الى بوباستس ومنها في تلك التربة الى هير وبوليس ومن ههنا كانوا ينقلون
المحمولات الى مراكب البحر الاحمر على الدواب او غيرها فكانوا يقاسون
في ذلك بغض المشقة . فلما تَوَّأ بطليموس فيلادلتوس وجه اهتمامه الى
اصلاح ذلك الحلل سنة ٢٨٥ ق م فاحفر ترعة موصلة بين هير وبوليس
وراس البحر الاحمر وترعة اخرى من هير وبوليس الى خليج هير وبوليس
ووسع المضيق فاصبح هناك ترعتان وكلاهما متصلتان بالبحر الاحمر واتخذ
حواجز واحنياطات اخرى لمنع طفو المياه المالحة على العذبة بحيث يمكن
للسفن ان تمر الى الخليج والى البحر الاحمر مع تَوَقُّي الطغيان . وابنتى عند
مصب الخليج في البحر الاحمر مدينة دعاها ارسينوا جعلها محطة بحرية تنتهي
اليها المراكب القادمة عن طريق النيل وتقلع منها السائرة في البحر
الاحمر وبالعكس

ثم اخذ ماء النيل يتحول عن فرع بلوسيوم شيئاً فشيئاً حتى نفض مائهُ
فبطلت تلك التربة . حتى اذا كان الاسلام وفتحت مصر على يد عمرو
بن العاص كما مرَّ بك امره الخليفة بانشاء ترعة يسهل نقل المؤن عليها
الى المنجاز فاحفر ترعة دعاها خليج امير المؤمنين فابتدأ بها عند مصر
القديمة حيث يبتدىء خليج مصر اليوم فسار بها في ظاهر النسطاط حتى

القاهرة اليوم ومنها الى المطرية ومنها الى بوباسنس حيث تبتدئ التربة القديمة ومن بوباسنس الى البحر الاحمر . وما زالت تسير السفن في خليج امير المؤمنين من الفسطاط واليهامنة ١٢٤ سنة حتى ايام الخليفة المنصور ابي جعفر ثاني الخلفاء العباسيين ومؤسس مدينة بغداد فامر بردمه منعاً لامداد العلويين الذين ثاروا في المدينة وما زال مردوماً الى الآن ويقال ان الملك الحاكم بامر الله الفاطمي امر بحفر سنة ١٠٠٠ للميلاد لتسير فيه السفن الصغيرة ثم اهل فطرته الرمال . ولم يبق من اثاره الا الخليج الذي يقطع القاهرة من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي وهو المعروف بخليج مصر . ينشأ من فم الخليج عند مصر القديمة ويسير نحو الشمال الشرقي وقبل ان يبلغ نظارة المالية ينعطف نحو الشرق الجنوبي حتى جامع السيدة زينب فيعود الى سيره نحو الشمال الشرقي فيمر بجانب بركة الفيل ثم سراي درب الحماميز فتكة الحبانية ثم يقطع شارع محمد علي فيمر بجانب سراي منصور باشا الى ان يقطع السكة الجديدة قرب انصاها بشارع الموسكي فيمر تاركاً كنيسة اللاتينيين وكنيسة السريان الى يساره وكنيسة الارمن وكنيسة القبط الى يمينه الى ان يصل الى بداية سكة مرجوش فيتركها الى يمينه ثم يقطع سور القاهرة عند باب الشعربة ويسير خارج القاهرة الى شارع الظاهر فيمر تاركاً جامع الظاهر الى يمينه حتى يلتقي بترعة الاسماعيليه وهناك ينتهي . اما فائدة هذا الخليج الآن فمقصورة على ري المدينة وبعض ضواحيها وهو الخليج للمذي يخفون بفتح سنوياً عند وفاء النيل بين الخامس والسادس عشر من اغسطس (آب)

(٢) « الاتصال بواسطة النيل والصحراء »

اوجد هذا الاتصال مربع احد ملوك العائلة السادسة ثم اتمه حنو في ايام العائلة الحادية عشرة كما مر بك غير ان بعض المتأخرين بزعم ان بطليموس فيلادلفوس المتقدم ذكره هو الذي اوجد هذا الاتصال ولعل

الصواب انه اعاده بعد اهماله

والانصال المذكور يتم بطريق في الصحراء بين برنيس على البحر الاحمر وقفط على النيل بقرب قوص بمصر العليا فكانت المنقولات تحمل على الجبال او ما شاكل من برنيس الى قفط ومن هناك تنقل على مراكب نبيلة الى البحر المتوسط عن طريق دمياط اورشيد وما زالت هذه الطريق عظيمة الاهمية حتى اكتشف راس الرجاء الصالح جنوبي افريقيا سنة ١٩٧٢م فانحطت اهميتها . ولما فتح خليج السويس كادت تهمل كلية لكننا نرى انها لا تزال تستعمل في بعض الاحوال وقد اصبح الانصال الآن بين القصير على البحر الاحمر وقنا على النيل عوضاً من برنيس وقفط وقد يكون الى قفط ولا تستعمل الا اذا كان المقصود المواصلة بين البحر الاحمر ومصر العليا رأساً

(٢) « الانصال بواسطة ترعة مالحه (ترعة السويس)

كانت التجارة بين اوربا والمشرق في الاجيال الاخيرة محصورة على نوع ما في فينيسيا (البندقية) وكان الفينيسيون ابرع الناس فيها واكثرهم اشتغالا بالاسفار بين البحرين عن طريق مصر فلما اكتشف رأس الرجاء الصالح تحولت تلك التجارة الى يد البرتغاليين فشقى ذلك على الفينيسيين فاهتموا في امر انشاء ترعة توصل بين البحرين فخابروا سلطان مصر اذ ذاك (قسو الغوري) وما زالت المخابرات بهذا الشأن دائمة حتى النتوح العثماني سنة ١٥١٧م فبطلت واهل المشروع . فلما كانت الحملة الفرنسية اهتم نابوليون بوناپرت بذلك الاتصال بواسطة برزخ السويس فاستكشف البرزخ ومعه المهندس الشهير موسيو لاير سنة ١٢١٢هـ و١٧٩٨م وتخصاه تخصصاً مدققاً فاكشف لاير ان البحر الاحمر يعلو المتوسط ٢٠ قدماً ولذلك رأى عدم مناسبة فتح ترعة موصلة بين البحرين رأساً فقدم التقرير الآتي وهو يتضمن افضل ما راه من الطرق

(١) المواصلة بواسطة النيل وفروعه وذلك بترعة من الاسكندرية الى الرحمانية على فرع رشيد . وفي النيل من هناك الى القاهرة ومخليج امير المؤمنين من القاهرة الى البحيرة المرة حيث يقام حواجز ومن هناك الى السويس بترعة مالحه

(٢) المواصلة بين البحرين رأساً وكيفية ذلك ان نحفر ترعة بين السويس والبحيرة المرة وترعة اخرى بين البحيرة المرة وبلوسيوم الآن هذا التقرير لم يباشر تنفيذه قبل ان قضي على تلك الحملة بالانسحاب من مصر

وفي سنة ١٢٥٥ هـ او ١٨٢٧ م اقامت شركة البواخر الشرقية خطأ المواصلة بين الهند واكثر عن طريق برزخ السويس بكيفية ان تأتي المنقولات في البحر المتوسط الى اول البرزخ فتنتقل في البر الى السويس ومنها في البحر الاحمر الى الهند وغيرها

وفي سنة ١٢٦٤ هـ او ١٨٤٦ م تعينت لجنة مختلطة للنظر في تقرير لاير فقررت ان الفرق بالارتفاع بين البحرين لا يعابى به الا انها اخلت ولم تصل الى نتيجة تاركة ذلك الى احد اعضائها الموسيو تالابوت فكان من رأيه تتبع التربة القديمة من السويس الى تل بسطة (قرب الزقازيق) رأساً واحنار ترعة من هناك الى رأس الدلتا حيث القناطر الخيرية الآن فتقام لها قناطر تسير عليها مياه تلك التربة الى البر الغربي ومن هناك نتم التربة الى الاسكندرية فكانه يريد إيصال البحرين بترعة تمر بين السويس والاسكندرية ونقطع الدلتا عند رأسه فلم يصادف مشروعه استحساناً لها كان يحول دون ذلك من المشاق . ثم تقدم تقرير آخر من الحاجات بارولت من مقتضاه ان يوصل البحر الاحمر ببعية المنزل الى ديباط ثم يقطع النيل هناك ونتم التربة الى رشيد فيقطع فرع رشيد ايضاً وتوصل التربة الى الاسكندرية فلم يصادف هذا نجاحاً ايضاً لمشاهير

بمشروع تالابوت

وفي سنة ١٢٧١ هـ أو ١٨٥٥ م اهتم لبنان بك وموجل بك تحت إدارة الموسيو دلسيس في امر هذه المواصلة بعد ان حصل هذا الاخير على البراءة في ذلك من سعيد باشا والي مصر اذ ذاك فاقروا على وجوب فتح ترعة في خط مستقيم بين السويس وبلوسيوم مارة في البحيرات المرة فبحينة التماسح فالمنزلة وان تنصل هذه الترعة من طرفها بمحواجز عند النقاها بالبحرين واقروا ايضاً على احداث ترعة عذبة من بولاق مصر الى منتصف البرزخ ومن هناك الى السويس لاجل حمل المياه اللازمة للشرب والري وترعة توصل المياه الى بلوسيوم . فعمل الموسيو دلسيس تقريراً في ذلك وعرضه سنة ١٢٧٢ هـ أو ١٨٥٦ م على لجنة دولية مؤلفة من نواب دول اوستريا وانكلترا وفرنسا وايطاليا وهولندا وبروسيا واسبانيا فادخلت فيه تحويرات من مقتضاها ان تنتهي تلك الترعة من طرفها الشمالي في نقطة على مسافة ١٧ ميلاً الى الغرب من بلوسيوم حيث بورت سعيد الآن وسبب ذلك ان مياه البحر المتوسط هناك عمقها بين ٢٥ و ٣٠ قدماً على مسافة ميلين من الشاطئ اما عند بلوسيوم فلا تبلغ هذا العمق الا على مسافة خمسة اميال . وان تغفل المحواجز عند طرفي الترعة وتحويرات اخرى .

ثم تمّ القرار على ذلك وياشر الموسيو دلسيس حفر الترعة الذي كان انتهائه في ١٤ شعبان سنة ١٢٨٦ هـ (١٧ نوفمبر (ت ٢) ١٨٦٩ م) في ايام اسماعيل باشا الخديوي السابق واحفل الخديوي المشار اليه في ذلك اليوم احتفالاً عظيماً بافتتاحها حضره سائر ملوك اوربا اومندوبهم وكانت رسوم المرور في تلك الترعة بموجب نص البراءة عشرة فرنكات على التونولانو ونحو ذلك على الراكب فضلاً عن نفقات اخرى

عود

وفي سنة ١٢٨٩هـ أو ١٨٧٢م تعدى اهل الحبشة على الحدود المصرية مما يلي بلادهم واسروا عدداً وافراً من الاهالي فبعثت الحكومة الخديوية تطلب استرجاعهم وتستفهم عما اقتضى تلك المعاملة . ثم اقتضت الاحوال فجردت الحكومة المصرية على الحبشة لكنهم لم تنجح بتلك التجربة

ثم باشر اسماعيل باشا بناء مرفأ الاسكندرية وارصفته . وفي سنة ١٢٩٠هـ أو ١٨٧٣م زار اسماعيل باشا الاستانة فقبل بالترحاب ونال التفاتاً عظيماً من لدن الخصة الشاهانية . وفي هذه السنة ايضاً احتفل بزواج انجاله الكرام وهم سمو الخديوي الحالي محمد توفيق باشا والبرنس حسين باشا والمرحوم البرنس حسن باشا وكان اقترانهم جميعاً في شهر واحد ومُتَحَو ايضاً في الوقت نفسو رتبة الوزارة معاً

وفي ١٢ جمادى الاولى سنة ١٢٩٠هـ (٨ يوليو) (نموز) ١٨٧٣م) جاءه الفرمان الشاهاني بخولة كل الحقوق المعطاة لرتبة الخديوية وهي حقوق الوراثة لاول ابنائه والاستقلال بالاحكام الادارية واقامة المعاهدات مع الدول الاجنبية واستفراض القروض والجزية التي تدفع للدولة العلية (١٥٠٠٠٠ كيس) . وهاك تعريب الفرمان السلطاني الذي ورد بهذا الشأن بعد الديباجة

« قد نظرنا بعين الاهتمام الى طلبك باصدار خط سلطاني يجمع بالتنفصيل والتغيير اللازم جميع المخطوط الصادرة بعد الفرمان الممنح للمرحوم الوالي محمد علي باشا الحكومة الارثية سواء كانت تلك الفرامين متعلقة بكيفية الخلافة او بالحقوق والامتيازات الجديدة الممنوحة مراعاة لحال الخديوية وسكانها . فهذا الفرمان من شأنه ان ينسخ في المستقبل حكم تلك الفرامين جميعها بما يتضمنه مما سيأتي بعد ويكون دائماً نافذاً مرعي الاجراء

« ان كيفية ورائة الحكومة المصرية المقررة في فرماننا الصادر ثاني ربيع الآخر سنة ١٢٧٥ هـ قد غيّرت على وجه ان تتقل الخديوية من متبوعي كرسيمها الى كبير ابنائه ومن هذا الى بكر ابنائه ايضاً وهلمّ جرّاً علماً بان ذلك ادنى الى المصلحة واشد ملاءمة لاحوال البلاد المصرية . واخصاصاً لك بانعطافي الذي صرت له اهلاً بحسن سعيك واستقامتك واجتهادك وامانتك واثباتاً لذلك اجعل قانون الوراثة لخديوية مصر ومتعلقاتها وما يتبعها من البلاد وقائماتية سواكن ومصوّع وتوابعهما كما نقدم بيانه بحيث تكون الولاية لبكر ابنائك ثم لبكر ابنائه من بعده . فاذا لم يرزق من ولي الخديوية ولداً ذكرّاً كانت الولاية من بعده لاكبر اخوته او لاكبر بني اخيه الاكبر كما نقرر ولا تكون هذه الوراثة لابناء البنات . ولاجل تايد هذه الاحكام ينبغي ان تكون الوصاية في حال كون الوارث قاصراً على الصورة الاتية وهي

« اذا توفي الخديوي وكان كبير ولد قاصراً اي غير بالغ من العمر ثماني عشرة سنة يكون هذا القاصر بالحقيقة خديوياً بحق الوراثة فيصدر اليه فرماننا بوجه السرعة واذا كان الخديوي المتوفي قد نظم قبل وفاته اسلوباً للوصاية وعين كيفيتها وذوي ادارتها بصك مثبت بشهادة اثنين من رؤساء حكومته فاولئك الاوصياء يقبضون اذ ذاك على ازمة الاعمال عقب وفاة الخديوي . ثم ينهون بذلك الى الباب يشتم في مناصبهم ولكن اذا توفي الخديوي بغير وصية وكان ابنه قاصراً فمجلس الوصاية عند ذلك يؤول من تولي ادارة الداخلية والحربية والمالية والخارجية والحفانية وقائد العسكر ومفتش المدبريات فيجتمع هؤلاء الذوات وتختبون للخديوي وصياً باجماع الرأي او باغليته فاذا تساوت الآراء لاثنيين من المنتخبين كانت الوصاية لارفعها رتبة باعتبار الترتيب السابق من الداخلية فما بعدها ويشكل مجلس الوصاية من الباقيين فيباشرون جميعاً امور الخديوية

ويعرضون ذلك لسلطنتنا السنبة ليرصد على بالفرمان الشريف . وكما انه لا يجوز تبديل الوصي وتغيير هيأة الوصاية قبل انتهاء مدتها في الصورة الاولى اي فيما اذا كان تنظيمها بحكم وصية الخديوي المتوفي فكذلك لا تغير في الصورة الثانية واما اذا توفي الوصي او احد اعضاء مجلس الوصاية في خلال تلك المدة فينتخب بدل الاول احد اعضاء المجلس وبديل الثاني احد ذوات المملكة ويجرد بلوغ الخديوي الفاصر ثماني عشرة سنة يكون راشداً فيباشر ادارة امور الخديوية وذلك ما نقرر لدينا واقتضته ارادتنا السلطانية

«ولما كان تزايد عمارة الخديوية المصرية وسعادة حالها ورفاهة سكانها من اهم الامور لدينا وكانت ادارة المملكة المالية ومنافعها المادية المتوقف عليها تكامل وسائل الراحة وتوفر اسباب السعادة عائدة على الحكومة المصرية رأينا ان نذكر كيفية تعديل الامتيازات وتوضيحها على شرط بقاء جميع الامتيازات الممنوحة سابقاً للحكومة المصرية . وذلك انه لما كانت ادارة المملكة الملكية والمالية بجميع فروعها واحوالها ومنافعها عائدة بالمحصر على الحكومة ومتعلقة بها وكان من المعلوم ان ادارة اي مملكة وحسن انتظامها وتزايد عمرانها وسعادة سكانها مما لا يتم الا بالتوفيق والتطبيق بين الادارة العمومية والاحوال والموقع وامزجة السكان وطبائعهم فقد منحنكم الرخصة المطلقة في وضع القوانين والنظامات الداخلية حسب الحاجة والازوم . ولاجل تسهيل تسوية المعاملات سواء كانت من قبل الرعية او من قبل الحكومة مع الاجانب ولتوسيع نطاق الصنائع والحرف وتوفير اسباب التجارة منحنكم ايضاً الرخصة التامة في عقد المشاركات وتجديد المقاولات مع مأموري الدول الاجنبية في امور الجمارك والتجارة وسائر المعاملات التجارية مع الاجانب في امور المملكة الداخلية وغيرها على شرط ان لا يكون ذلك موجباً للاخلال بمعاهدات الدولة السياسية

« ولكون خديوي مصر حائزاً لحق التصرف المطلق في الامور المالية قد اعطيت له الرخصة في عقد الفروض من الخارج بغير استئذان عند ما يجد لذلك لزوماً على شرط ان يكون القرض باسم الحكومة المصرية . وبما ان امر المحافظة على المملكة وصيانتها من الطوارق (وهو اهم الامور واحوجها الى العناية) من اقدم الوظائف المخصصة بخديوي مصر قد منحناه الاذن المطلق بتدارك اسباب المحافظة وتنسيبها على مقتضى ضرورات الزمان والحال وتكثير او تقليل عدد العساكر المصرية الشاهانية على حسب اللزوم بغير تقييد ولا تحديد . وابقينا كذلك لخديوي مصر امتيازاً القديم بمنح الرتب العسكرية الى رتبة ميرالاي والملكية الى الرتبة الثانية على شرط ان تكون المسكوكات المضروبة في مصر باسمنا الشاهاني وتكون اعلام العساكر البرية والبحرية في الفطر المصري كاعلام عساكرنا السلطانية بلا فرق او تميز ولا يجوز لخديوي مصر ان ينشي البوارج المدرعة بغير استئذان اما سائر السفن والبوارج ففي استطاعته ان ينشئها متى شاء . »

« ولاجل اعلان الاحكام السابق بيانها وتأييدها اصدرنا اليكم هذا الفرمان الجليل القدر من ديواننا الهادي واعطي لكم مئة مائة ومعدلاً وشارحاً للخطوط الشريفة والاوامر المنيفة الصادرة الى هذا التاريخ سواء كانت في وراثتة الحكومة المصرية وفي كيفية الوصاية او في ادارة الامور الملكية والعسكرية والمالية والمنافع العمومية وسائر المهمات على شرط ان تكون احكام هذا الفرمان الجديدة نافذة مرعية الاجراء على ممر الزمان قائمة مقام احكام الفرمانات السالفة على ما اقتضته ارادتنا السلطانية . فينبغي ان تعلموا قدر لطف عنايتنا وتودوا الشكر لها ونصرفوا المهمة الى تنظيم الادارة على محور الاستقامة والى الاخذ باسباب وقاية الرعية واصلاح شؤونها وتأييد راحتها على حسب ما فطرتم عليه من الغيرة والاستقامة وحسن الاخلاق وما وقفتم عليه من احوال تلك الجهات وان تراعوا احكام

الشروط الواردة في هذا فرمان الجديد مع تأدية المائة وخمسين ألف كيس المضروبة على الديار المصرية خراجاً سنوياً في اوقاتها الملعينة الى خزينتنا العامرة السلطانية على القوانين والفوائد المرعية» انتهى فكان ذلك فرمان منشطاً لهمة اسماعيل باشا فاخذ في اتمام مشروعاته في الاصلاح وعلى الخصوص فيما يتعلق بتنظيم البلاد وانشاء البنايات والشوارع والحدائق فتمهدت سبل التجارة فازداد في ايامه تقاطر الاوربيين الى القطر المصري وكان يكرم وفادتهم ويحبب اليهم الاقامة في القطر لما كانوا يتمتعون به من الارباح والرخاء . وفي سنة ١٢٩٢ هـ (سنة ١٨٧٥ م) ابتاعت الحكومة الانكليزية من اسهم ترعة السويس ما يساوي اربعة ملايين من الجنيهات الانكليزية فكان ذلك حاملاً على تدخالها في المالية المصرية بعد ذلك

وفي سنة ١٢٩٢ هـ او ١٨٧٦ م توفي المغفور له السلطان عبد العزيز وتولى بعده السلطان مراد الخامس مدة قصيرة ثم اعلى اريكته السلطنة جلالة السلطان عبد الحميد خان ولا يزال على اريكته الى الان ابد الله سلطانه وعزز انتصاره واعوانه



وترى
في شكل
٩١ صورة
النقود
المضروبة

على عهد ش ٩١ نقود السلطان عبد العزيز

السلطان عبد العزيز بتاريخ ١٢٧٧ هـ وهي سنة توليته السلطنة وهذه القطعة من النقود يقال لها (عشرين خرذا) وقد كانت تساوي في اول امرها

نصف غرش اي عشرين بارة ثم انحطت منذ بضع سنوات الى بارين ثم بعد اى ضربت النفود الحديثة الآتي ذكرها لم تعد لها قيمة معلومة ومن المشروعات المهمة التي آمنت او بوشرت في ايام اسماعيل باشا انه انشأ المتحف المصري في بولاق والكتبة الخديوية المشهورة في درب الجماميز بمصر واصلح الطرق وشيد الابنية العمومية منها الاورا الخديوية بقرب الازبكية في القاهرة . والذي يشاهد هذا المرحع الجميل يندهش لما فيه من الانتان وحسن الذوق ولا سيما في النفوش على الستائر مع اتقان الملابس اللازمة للتشخيص ويزيد اندهاشه عند ما يعلم انها بنيت وتمت معادتها في مدة خمسة أشهر فقط وسبب ذلك ان الخديوي كان قد اعد سنة ١٢٨٦ هـ او ١٨٦٩ م احتفالاً عظيماً دعا اليه اكثر ملوك الارض لحضور افتتاح ترعة السويس كما مرّ بك فامر ببناء هذا المرحع في القاهرة لاجلاء اوقات اللعب فيه ولم يكن لديه الا مدة خمسة اشهر الصيف فاكثر من العملة البارعين ولا نسل عما اتفق في سبيل ذلك من النفود . ومن اعماله انه ابني ايضاً مرحع زيربينا في الاسكندرية وسرايات اخرى عجيبة وجرّ الماء الى العاصمة ووزعه في البيوت وعم زرع الاشجار على الطرق ونور القاهرة بالغاز وتدارك ما ينجم عن الحريق باستجلاب الآلات لاطناء النيران وفتح المدارس وعم المعارف وحسن مطبعة بولاق الاميرية وامر بترجمة الكتب المفيدة الى العربية وطبعها واسس معمل الورق وغيره من المعامل ونظم المجالس واصلح ترع النيل ومجاريها واصل الخطوط النافراية والسكك الحديدية الى نوبيا ونظم البوسطة وبنى مدينة الاسماعيليه وزينها بالحدائق والقصور وانشأ المنارات في البحر وابطل تجارة الرقيق وسعى لاكتشاف ما غمض من قارة افريقيا بمدد اصحاب الخبرة وزين حديقة الازبكية بغرس اشجارها ونسورها وترتيب الموسيقى فيها على ما هي عليه الان . وغير ذلك من الاعمال الكثيرة التي تفوق الحصر .

وابتني عدة بنايات بالقرب من طره على طريق حلوان لاجل معامل البارود والاسلحة الصغية واتفق على بنائها مبالغ فاحشة ولكنه لم يستعملها وكان اسماعيل باشا لشدة رغبته في التنظيم والتزيين لا ينظر الى نسبة النفقات التي تقتضيها تلك المشروعات الى دخل البلاد فتراكمت الديون على القطار الى حدٍّ اوجب قلق الدول التي لها يد في تلك الديون فأل الامر الى تعيين لجنة مالية مختلطة لمراقبة دخل ونفقة الحكومة المصرية وذلك في ٢٦ ربيع اول سنة ١٢٩٥ هـ (٢٠ مارس (اذار) ١٨٧٨ م) فرأت عجزاً مقداره مليون ومائتا الف جنيه فتنازل اسماعيل باشا عن املاكه الخاصة واملاك عائلته ملافاة لما تدارك البلاد من الديون الكثيرة وهي التي تعرف الآن باملاك الدومين . ثم صادق على تعيين ناظر انكليزي للمالية يقال له المستر ريفرس ويلسون وآخر فرنساوي لنظارة الاشغال العمومية يقال له الموسيو بلينيير . وكانت اجراءات الحكومة المصرية راجعة الى الخديوي رأساً فاجراها اسماعيل باشا بواسطة مجلس النظار كما هي الحال الان

وفي تلك السنة تقرر استقراض مبلغ ثمانية ملايين ونصف من الجنيهات فاستدانوها وجعلوا عليها املاك الدومين رهناً . وهذا هو الدين المعروف بدين رونشيلد . ثم رأى مجلس النظار وجوب توفير شيء من نفقات الجيش فرفت عدداً كبيراً من العساكر والضباط . وفي ٢٥ صفر سنة ١٢٩٦ هـ (١٨ فبراير (شباط) ١٨٧٩ م) ثار المرفوتون وجاء نحو من اثني نفر فاربعماية ضابط منهم الى نظارة المالية وامسكوا بنوبار باشا والمسترويلسون وطلبوا اليها ما كان متأخراً لهم من الرواتب ثم علت الغوغاء ولم ينكف الناس حتى اشرف اسماعيل باشا فلما رأى بهتوا رعبه وكأنه اثر عليهم تائيراً سحريراً فكلمهم وطيب خاطرهم ووعدهم باجراء مطلوبهم فانصرفوا . ثم استقال الوزيران رياض باشا ونوبار باشا تخلصاً

من المسئولية في حكومة لا يعرف لها رأس . فوَّلى اسماعيل باشا ابنه البرنس توفيق باشا (وهو الآن سمو الخديوي الحالي) رئاسة مجلس النظار وفي ١٤ ربيع آخر سنة ١٢٩٦ هـ (٧ افريل (نيسان) ١٨٧٩ م) قلب اسماعيل باشا هيئة مجلس النظار وعزل كل من كان فيه من الاجانب وجعل في اماكنهم نظاراً وطنيين تحت رئاسة المرحوم شريف باشا وامر ان تراد القوة العسكرية الى ستين ألفاً فشق ذلك على دولتي انكلترا وفرنسا لانهما اعبرتا عزلة للناظرين الانكليزي والفرنساوي لغير علة من الاعمال العدوانية فسعيا الى الانتقام بكل ما لديهما من السبل . وفي ٦ رجب سنة ١٢٩٦ هـ (٢٥ يونيو (حزيران) ١٨٧٩ م) أُقيل اسماعيل باشا من خديوية مصر ووَّلى ابنه محمد توفيق باشا الخديوي الحالي مكانه

ولاية محمد توفيق باشا الخديوي الحالي

من سنة ١٢٩٦ هـ او ١٨٧٩ م ولا تزال

نوّى سمو محمد توفيق باشا خديوية مصر يوم الخميس الواقع في ٧ رجب سنة ١٢٩٦ هـ (٢٦ يونيو (حزيران) ١٨٧٩ م) واعلنى اريكتها بين امور مختلة واحوال مرتبكة بسبب المضاعف التي طرأت على احوال القطر المصري قبل توليته . ومن اهم اسباب الاختلال اذ ذاك عسر المالية وعدم انتظام الجندية ونحو ذلك مما نشأ عن تداخل الاجانب في امور البلاد على عهد الوزارة المختلطة واشتداد وطأتهم على العسكرية وطموح ابصارهم الى ما اوجب يومئذ استحكام الضغائن في صدور الجهادية . وفي الساعة ٤ ١/٢ من نهار الخميس المذكور ورد الى مصر ثلغراف من الباب العالي مشعراً بتولية سموه وتعريته . —



ش ٩٢ محمد توفيق باشا الخديوي الحالي

« بناء على ان الخطة المصرية هي من الاجزاء المنمة لجسم ممالك السلطنة السنية وان غاية حضرة صاحب الشوكة والاقتدار انما هي تأمين اسباب الترقى وحفظ الأمن والعامة في الممالك وبناء على ان الامتيازات والشرائط المخصوصة الممنوحة للخديوية المصرية مبنية على بما للحضرة

الشاهانية من المقاصد المذكورة الخيرة وبناء على تزايد اهمية ما حصل في القطر المصر ناشئاً عما وقع فيه من المشكلات الداخلية والخارجية الفائقة العادة وجب تنازل والد جنابكم العالي اسماعيل باشا . ثم انه بناء على ما انصفت به ذاتكم السامية الآصفية من الرشد وحسن الروية وعلى ما ثبت لدى ملحق الخلافة الاسمي من ان جنابكم الداوري ستوفقون الى استحصل اسباب الامنية والرفاهية لصنوف الاهالي والى ادارة امور المملكة على وفاق ارادة الحضرة الشاهانية الملوكانية توجهت الارادة العلية بتوجيه الخديوية الجليلة الى عهدة استئصال آصنافيتكم وبناء على الفرمان العالي الشأن الذي سيصدر حسب العادة على مقتضى الارادة السنية السلطانية التي صار شرف صدورها وبناء على ما كتب في التلغراف الى حضرة المشار اليه اسماعيل باشا من تخليه عن النظر في امور الحكومة وتفرغه منها بصورة وقوع انفصاله قد تحرر تلغراف هذا العاجز لكي يعلن حال وصوله للعلماء والامراء والاعيان واهل المملكة جميعاً وتباشر من بعد امور الحكومة وهذا من التوجيهات الوجيبة الى اثر استخفاف آصنافيتكم لتجري التنظيمات والترقيات مبدأً ومقدمة ويصير تكرير الدعاء بتوفيق الذات الجليلة الفخيمة السلطانية ولذلك صارت المبادرة الى ايفاء لوازم النهضة لحضرتكم ايها الخديوي المعظم والامر والفرمان على كل حال لمن له الامر افندم»

الامضاء

خير الدين

فصدرت الاوامر باعداد ما يلزم للاحتفال بذلك وجلس سمو في القلعة يستقبل المهتئين من الوزراء والعلماء بتقديم نقيب الاشراف ثم القاضي ثم شيخ الجامع الازهر ثم جاء القناصل وبعد ذلك دخل الدوات وامراء العسكرية والملكية ثم رجال الحفانية ثم النواب ووجهاء البلاد ثم ارباب الجرائد ثم الموظفون والمستخدمون وغيرهم . ومن جملة من وفد للنهضة

وقد ماسوني جاء بالنيابة عن الشرق الاعظم المصري فقدم عبوديته فنال من سمع عواطف الرضاء عنهم وعن اعمالهم ووعدهم رعاية محافلهم وحمائنها فانصرفوا شاكرين . وبعد ذلك ارسل الجناب الخديوي تلغرافاً الى الباب العالي جواباً على التلغراف المؤذن بارنقائه الى كرسي الخديوية

وفي ١١ رجب سنة ١٢٩٦ هـ (٢٠ يونيو (حزيران) ١٨٧٩ م) سافر الخديوي السابق من القاهرة الى الاسكندرية ومنها ركب وسافر على الباخرة (المحروسة) الى اوربا وكان لوداعه على المحطة في القاهرة ازدهام وفي مقدمة المودعين سمو نجله الخديوي الحالي فكلهم اسما عيل باشا الجمهور مودعاً ثم خاطب نجله قائلاً

« لقد اقتضت ارادة سلطاننا المعظم ان تكون يا اعز البنين خديوي مصر فاوصيك باخونتك وسائر الآل برأ واعلم اني مسافر وبودي لو استطعت قبل ذلك ان ازيل بعض المصاعب التي اخاف ان توجب لك الارتباك على اني واثق بحزمك وعزمك فأتبع رأي ذوي شورك وكن اسعد حالاً من ابيك » ^(١)

ثم عين مجلس النظار رواتب العائلة الخديوية فتنازل سمو الخديوي عن عشرين الف جنيه من راتبه الخصوصي على ان يضمها لراتب والده . ثم استعفت الوزارة جرياً على المعتاد فنظمها الامير الجديد تحت رئاسة شريف باشا وكتب اليه رقيماً بذلك وبعث ايضاً الى هيئة النظار مشوراً بتاريخ ١٤ رجب سنة ١٢٩٦ هـ يظهر فيه افكاره واراءه ومستقبل سياسته واجراءات حكمه

ومضت مدة بعد ورود تلغراف الباب العالي المؤذن بولاية توفيق

(١) وقال اخرون انه خاطبه بذلك في منزله وانه بارح العاصمة

باشا ولم يرد الفرمان السلطاني المؤيد لذلك فاختلفت اقوال الناس وظنّونهم في اسباب تأخر الباب العالي عن اصداره . وفي اثناء ذلك صدر الامر للجهادية بصرف عشرة آلاف من الجند المجنّعين تحت السلاح وجعل الجيش اثني عشر ألفاً واهتمت الوزارة بتسوية الدين السائر وغيره . وفي ٢٦ شعبان سنة ١٢٩٦ هـ (١٤ اغسطس «آب» سنة ١٨٧٩ م) ورد الفرمان الشاهاني الامر بتولية سمو محمد توفيق باشا خديوية مصر وتعبئة .

«فرمان تولية توفيق باشا المعظم»

«الدستور الاكرم والمعظم الخديوي الافخم المحترم نظام العالم وناظم مناظم الامم مدير امور الجمهور بالفكر الثاقب منهم مهام الانام بالرأي الصائب ممد ببيان الدولة والاقبال مشيد اركان السعادة والاجلال مرتب مراتب الخلافة الكبرى مكمل ناموس السلطنة العظمى المحنوف بصنوف عواطف الملك الاعلى خديوي مصر الحائز لرتبة الصدارة الجليلة فعلاً الحامل لنيشاننا الهايوني المرصع العثماني ولنيشاننا المرصع المجيدي وزيري سيمر المعالي توفيق باشا ادام الله تعالى اجلاله وضاعف بالتأييد اقتداره واقباله
«انه لدى وصول توقيعنا الهايوني الرفيع يكون معلوماً لكم انه بناء

على انفصال اسماعيل باشا خديوي مصر في اليوم السادس من شهر رجب سنة ١٢٩٦ هـ وحسن خدماتكم وصدافتكم واستقامتكم لذاتنا الشاهانية ولنافع دولتنا العلية ولما هو معلوم لدينا من ان لكم وقوفاً ومعلومات نامة بخصوص الاحوال المصرية وانكم كفؤ لتسوية بعض الاحوال الغير المرضية التي ظهرت بمصر منذ مدة واصلاحها وجهنا الى عهدتكم الخديوية المصرية المحدودة بالحدود القديمة المعلومة مع الاراضي المنضمة اليها المعطاة الى ادارة مصر توفيقاً للقاعدة المتخذة بالفرمان العالي الصادر في ١٢ محرم سنة ١٢٨٢ هـ المتضمن توجيه الخديوية المصرية الى اكبر الاولاد وحيث

انكم اكبر اولاد الباشا المشار اليه قد وجهت الى عهدتكم الخديوية المصرية . ولما كان تزايد عمران الخديوية المصرية وسعادتها وتأمين راحة كافة اهاليها وسكانها ورفاهيتهم هي من المواد المهمة لدينا ومن اجل مرغوبنا ومطلوبنا وقد ظهر ان بعض احكام الفرمان العلي الشأن المبني على تسهيل هذه المقاصد الخيرية المبين فيه الامتيازات الحائقة لها الخديوية المصرية قديماً نشأت عنها الاحوال المشككة الحاضرة المعلومة فلذلك صار تثبيت المواد التي لا يلزم تعديلها من هذه الامتيازات وتأكيد ما صار بتعديل المواد المقتضى تعديلها وتعديلها واصلاحها فما نقرر اجراؤه الآن هو المواد الآتية وهي « ان كافة واردات الخطة المذكورة يكون تحصيلها واستيفائها باسمنا الشاهاني . وحيث ان اهالي مصر ايضاً من تبعه دولتنا العلية وان الخديوية المصرية ملزمة بادارة امور المملكة والمالية والعدلية بشرط ان لا يقع في حقهم ادنى ظلم ولا تعدية في وقت من الاوقات فخديوي مصر يكون مأذوناً بوضع النظمات اللازمة للداخلية المتعلقة بهم وتأسيسها بصورة عادلة . وايضاً يكون خديوي مصر مأذوناً بعقد وتجديد المشارطات مع مأموري الدول الاجنبية بخصوص الجمرك والتجارة وكافة امور المملكة الداخلية لاجل ترفي الحرف والصنائع والتجارة واتساعها ولاجل تسوية المعاملات السائرة التي بين الحكومة والاجانب او بين الاهالي والاجانب بشرط عدم وقوع خلل بمعاهدات دولتنا العلية البولوتيقية وفي حقوق متبوعية مصر اليها وانما قبل اعلان الخديوية المشارطات التي نعقد مع الاجانب بهذه الصورة يصير تقديمها الى بابنا العالي . وايضاً يكون حائزاً للتصرفات الكاملة في امور المالية لكنه لا يكون مأذوناً بعقد استقراض من الآن فصاعداً بوجه من الوجوه وانما يكون مأذوناً بعقد استقراض بالاتفاق مع المداثنين الحاضرين او وكلائهم الذين يتعينون رسمياً . وهذا الاستقراض يكون مخصصاً في تسوية احوال المالية الحاضرة ومخصوصاً

بها وحيث ان الامتيازات التي أُعطيت الى مصر هي جزء من حقوق دولتنا العلية الطبيعية التي خصّت بها الخديوية وادعت لديها لا يجوز لاي سبب او وسيلة ترك هذه الامتيازات جميعها او بعضها او ترك قطعة ارض من الاراضي المصرية الى الغير مطلقاً ويلزم تأدية مبلغ ٧٥٠ الف ليرة عثمانية الذي هو الوبركو المقرر دفعه في كل سنة في اوانه وكذلك جميع النفود التي تضرب في مصر تكون باسمنا الشاهاني ولا يجوز جمع عساكر زيادة عن ثمانية عشر ألفاً لان هذا القدر كافٍ لحفظ امنية اباله مصر الداخلية في وقت الصلح . وانما حيث ان قوة مصر البرية والبحرية مرتبة من اجل دولتنا يجوز ان يزداد مقدار العساكر بالصورة التي تستتب فيها حالة دولتنا العلية محاربة وتكون رايات العساكر البرية والبحرية والعلامات المميزة لرتب ضباطهم كرايات عساكرنا الشاهانية ونياشينهم وبياح الخديوي مصر ان يعطي الضباط البرية والبحرية الى غاية رتبة اميرالاي والملكية الى الرتبة الثانية ولا يرخص لخديوي مصر ان ينشئ سفناً مدرعة الا بعد الاذن وحصول رخصة صريحة قطعية اليه من دولتنا العلية . ومن اللزوم وقاية كافة الشروط السالفة الذكر واجتناب وقوع حركة تخالفها وحيث صدرت ارادتنا السنية باجراء المواد السابق ذكرها قد اصدرنا امرنا هذا الجليل القدر الموشح اعلاه بخطنا الهايوني وهو مرسل صحة افتخار الاعالي والاعاظم ومختار الاكابر والافاخم علي فواد بك باشكاتب الهايين الهايوني ومن اعظم دولتنا العلية الحائز والحامل للنياشين العثمانية والمجيدية ذات الشأن والشرف

« حرر في ناسع عشر شهر شعبان المعظم سنة ١٢٩٦ من هجرة صاحب العزة والشرف »

وفي غاية شعبان (١٧ اغسطس (آب)) استعفت وزارة شريف باشا استعفاء غير مبني على سبب ظاهر فتألفت وزارة جديدة تحت رئاسة

الجناب الخديوي . وكان رياض باشا اذ ذاك خارج القطر المصري فامر الخديوي ان يستقدم تلغرافياً . وفي يوم الاربعاء ٢ سبتمبر (ابول) سنة ١٨٧٩م الموافق ١٧ رمضان سنة ١٢٩٦هـ وصل رياض باشا الاسكندرية ومعه ولده وتوجه توجاً الى المحروسة . وفي ٢١ منه كلفه الجناب الخديوي بتشكيل وزارة جديدة تحت رئاسته بعد ان قدم الوزراء استعفاهم فلبى الطلب ونظم وزارة جديدة ولم تمض ٢ اشهر على وزارته حتى اخذت حال البلاد في التحسن وهدأت الامور

وفي ١٨ رمضان سنة ١٢٩٦هـ (٤ سبتمبر (ابول) ١٨٧٩م) وقع سمو الخديوي على الامر الناطق بتعيين الموسيو بارنج والمسيودي بلينيار بصنة مفتشين ماليين . وفي اواخر هذه السنة ايضاً قدم نوبار باشا من اوربا واستعفى غوردون باشا من حكمدارية السودان وكان قد وليها سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م) في عهد الخديوي السابق وتعيين رؤف باشا في مكانه وفي ايامه ظهر المهدي بدعوته . ثم كلفت الوزارة الجناب الخديوي ان يتجول في انحاء القطر جرياً على المألوف في مثل هذه الحال اي في حال تولية امير جديد فسار سموه في ١٠ صفر سنة ١٢٩٧هـ او ٢٢ يناير (ك ٢) ١٨٨٠م نحو الصعيد ثم الى الوجه البحري وعاد الى المحروسة في ٤ مايو وفي ١١ يناير من تلك السنة قرر مجلس النظائر تشكيل لجنة خصوصية للنظر في مبادي اعمال التصفية ومرجع هذه اللجنة يتخصر في ناظر المالية وكانت اسرارها الثاني . ولما قدم المفتشان العموميان الى مصر نظماً لائحة فيما يتعلق بتسوية الدين المنظم . وفي ٥ صفر سنة ١٢٩٧هـ او ١٧ يناير (ك ٢) ١٨٨٠م صدر الامر العالي بالغاء الضرائب الدينية والشخصية التي لا يتجاوز مجموعها ستماية الف جنيه في السنة وذلك بناء على تقرير رفعة اليه ناظر المالية

وفي ٩ صفر او ٢١ يناير (ك ٢) صدر امر خديوي متعلق بابطال

بون حليم باشا . وفي ٢٥ ربيع آخر او ٥ افريل (نيسان) من هذه السنة تعينت لجنة التصفية مؤلفة من خمسة اعضاء ورئيس اورباويين وعضو وطني هو بطرس بك غالي (اليوم بطرس باشا) لينوب عن الحكومة المصرية . وفي ١٨ جمادى الاولى او ١٧ افريل (نيسان) عقدت اللجنة جلستها التمهيدية وجرت المخابرات بين المفتشين الماليين ولجنة التصفية فيما يجب تقريره بخصوص المواد الآتية (١) الدين الممتاز (٢) الموحد (٣) التعيينات (٤) متأخرات كويونات الموحد (٥) القروض القريبة الآجال (٦) بيان اجمال الدين غير المنظم (٧) لائحة تتضمن مسائل عديدة وديوناً متنوعة . وفي ١٨ جمادى الآخرة او ٢٧ مايو « ايار » رفع رياض باشا الى سمو الخديوي كتاباً يتضمن بيان احتياج البلاد الى تعميم المعارف . فامر سمو بتشكيل لجنة للنظر في ما يتعلق بالتعليم العمومي وما يحتاج اليه من التحويل تحت رئاسة علي باشا ابراهيم ناظر المعارف اذ ذاك . وفي ١٦ رجب او ٢٢ يونيو « حزيران » تعين الموسيو كولفن مفتشاً مالياً بدلاً من المستر بارنج . وفي ١٩ رجب ورد تلغراف من الباب العالي بتوجيه رتبة المشيرية الى رياض باشا وفي ١٠ شعبان او ١١ يوليو « تموز » أتمت لجنة التصفية اعمالها وانتهت قانونها وصادق عليه الجنتاب الخديوي وهاك ملخصه

(١) ان صافي ابرادات السكك الحديدية والتلغرافات ومينا الاسكندرية يكون مخصصاً لتسديد فوائد واستهلاك الدين الممتاز دون غير . اما فائدته فتبقى ٥ بالمائة على القيمة الاسمية . والقيمة التي تدفع سنوياً لثلاثة واستهلاك هذا الدين تكون ١١٥٧٧٦٨ جنياً سنوياً

(٢) ان صافي ابرادات الكمارك وعوائد الدخان الوارد ومدبريات القرية والمنوفية والبحيرة واسيوط بما فيه جميع الرسوم المقررة الا ابراد الملح والدخان البلدي . جميع صافي هذه الابرادات تبقى مخصصة لتسديد الدين

الموحد والفائدة باعتبار اربعة بالمائة

(٣) ان املاك الدائرة السنية واملاك الدائرة الخاصة المذكورة في الكشوفات والرهونات العقارية المسجلة وغيرها تكون ملكاً للحكومة وهي تكون مخصصة لضمانة دين الدائرة السنية العمومي

(٤) نسوية الدين السائر تكون من البواقي من سلفة الاملاك الاميرية ومن النفود الباقية لغاية سنة ١٨٧٩ م في خزينة النظارات والمدبريات والمصالح التي لم تخصص للدين المنتظم ومن الزائد من دفعات المقابلة وموجود نقدية في صندوق الدين العمومي ومن المبالغ التي يمكن تحصيلها من المتأخرات لغاية ١٨٧٩ م من العوائد والرسوم والاموال من اي نوع كانت ومن العقارات الجائز للحكومة التصرف بها ولم تكن مخصصة وما ينتج من تغيير البونات او السندات ومن سندات الدين الممتاز التي توجد على مقتضى المدون في البند السادس من قانون التصفية ومن الجزء المخصص لاستهلاك الدين المنتظم حسب المدون في البند ١٥ من القانون ومن الزيادات التي تظهر في الموازن كما هو مبين في البند السابع من قانون التصفية

هذه شذرة صغيرة من قانون التصفية ومن احب التفصيل فليراجع القانون نفسه فانه مؤلف من ٩٩ بنداً وبرفقته كشفان عن التسويات التي حصلت وغيرها

وتكاثر مخ الرتب من انعام الحضرة الخديوية في ذلك الاثناء وكانت الرتب تستلزم زيادة المرتبات كما هي الحال الآن في رتب الجهادية فملافاة للتشجيع على المالية اصدرت نظارة الداخلية امراً مفاداً ان الرتب الملكية لا توجب زيادة المرتب وانما تكون لتحلية ذوبها بحجة الشرف فقط

واشتهر سمو الخديوي بميلو الخصوصي الى ابناء البلاد ورفع شأنهم وبت الحرية بين ظهرانيهم فتألفت قلوبهم واتحدت كلمتهم ووجهوا انتباههم

الى اصلاح شؤونهم . وانما كانت تلك الحرية لدى البعض هبة في غير محلها وقبل اوانها فجاءت بامور آلت الى الثورة العرابية التي كانت عثرة في سبيل فلاحهم فاوصلت البلاد الى ما نراها عليه الان

الحوادث العرابية

ولد احمد عراي في سنة ١٢٤٨هـ وقبل سنة ١٢٥٧هـ او سنة ١٨٥٩م في قرية (هريه رزنة) من مديرية الشرقية من عائلة بدوية الاصل وفي سنة ١٢٧٢هـ انتظم في سلك العسكرية في عهد المغفور له محمد سعيد باشا ثم ترقى في ايامه الى رتبة الملازم ثم الى رتبة البوزباشي ولم تأت سنة ١٢٧٦هـ حتى بلغ رتبة بكباشي . وفي سنة ١٢٧٧هـ نال رتبة القائمقام ثم اعتزل الخدمة ثم عاد اليها في اوائل ولاية اساعيل باشا سنة ١٢٧٩هـ وما زال حتى وقعت بينه وبين خسرو باشا الشرکسي مخاصمة ادت الى ابعاد عراي من الخدمة العسكرية مدة سنة وهذا سبب بغضه للشراکسة ثم الحق باشغال الدائر الحلبية واقترن بابنة مرضعة المرحوم الهاجي باشا التي هي شقيقة حرم الخديوي الحالي بالرضاع فعناعته الخديوي السابق وارجعه الى وظيفته في احد الالات سنة ١٢٩٢هـ فاخذ من ذلك الحين في تأليف قلوب الضباط وجمع كلمتهم على ولائه بما كان يظهره من الاسف على حرمانهم من الترقيات حال كون غيرهم من الشراکسة والاتراك متمتعين بها الى غير ذلك

وما زال في ذلك الى تولية الخديوي الحالي فارنقى الى رتبة امير الاي سنة ١٢٩٦هـ او ١٨٧٩م وكان على نظارة الجهادية عثمان باشا رفيق شارعاً في سن قانون عسكري يؤخذ من فحواه حرمان كل من تحت السلاح من الترفي فتذمر عراي ورفاقه وحملوا ذلك على الايقاع بابناء

الوطن وجعلهم انقاراً تحت سلطة الترك والشراسة فاجتمع ثلاثة من زعمائهم وهم علي فهمي (كان علي باشا فهمي) وعبد العال (عبد العال باشا) واحمد عبد الغفار (احمد بك عبد الغفار) في منزل عراي وتآمروا على معاكسة ذلك القانون ومنع صدوره فخالقوا وحشوا ضباط الاياتم على التشيع لم بعد ان اقنعوهم بنبالة مقصدهم واجمع رأيهم على كتابة تقارير ممضية من جميع الضباط مرفوعة اليهم بالنظم من ناظر الجهادية وطلب تنزيله فحفظوها عندهم وقدموا تقريراً منهم رفعوه الى مجلس النظار يطلبون تنزيل ناظر الجهادية فصدر امر النظار بسجنهم في قصر النيل فاستدعوا اليه فساروا بعد ان امروا الاياتم بالاستعداد للمقاومة عند اول اشارة . فلما وصلوا الى القصر جردوا من سلاحهم وأدعوا السجن فوصلت الاشارة الى الاي عابدين فسار الى قصر النيل واخرج المسجونين بالعنف وبعثوا الاعلامات الى الاي العباسية والاي طره بالحضور حالاً الى سراي عابدين وبعد يسير اجتمعت الاالايات امام سراي عابدين رغماً عما حاوله الجنب الخديوي من منع مجيئهم بواسطة الرسل والتهديد ولما تم اجتماعهم قام عراي خطيباً فيهم فشكرهم على تلك الهمة والغيرة وكانت ساحة عابدين غاصة بجهاهير المتفرجين ثم تقدم عراي امام سمو الخديوي وطلب لهم العفو عما اتوه من الفحة . وطلب خلع عثمان باشا رفيقي ناظر الجهادية . فاجاب سمو الطلب وجعل على نظارة الجهادية محمود سامي (كان محمود باشا سامي)

وبعد ان سكنت عوامل هذه الحركة خاف زعماء الثورة من هذا النجاح السريع واعتبروا اجابة طلبهم هذه مكيدة من الحكومة لتسكين جاشهم ثم تحال للاغتيال بهم فاكثروا من التحفظ وشرعوا في عقد مجالس سرية ليلية في منزل احمد عراي يدعون اليها خواصهم وينفوا وضون في امر اجتماع كلهم والوقاية من الاغتيال فاقترحوا على ديوان الجهادية اقتراحات

عديدة تعزّز جانبهم فتمكن عراي بذلك من استماله قوم العسكرية فطفق
يبث افكاره بين الاهالي من مشايخ العربان وعمد البلاد واعيانها وعلمائها
وتجارها استجلاً لمساعدتهم في مشروعه العائد الى نفعهم على ما زعم وكتب
اليهم في ذلك منشورات ثوروية ايفاعاً بالوزارة الرياضية

وفي ٢١ جمادى الاولى سنة ١٢٩٨هـ او ٢٠ ابريل (نيسان) ١٨٨١م
اصدر الجنب الخديوي بناءً على اقتراح رياض باشا رئيس النظر امراً
عالياً بشأن زيادة مراتب الضباط والعساكر وتعديل النظامات
والقوانين العسكرية بناءً على طلب محمود سامي ناظر الجهادية فاحفل
هذا احتفالاً فاخراً في قصر النيل دعا اليه النظر والمتشبين احفاء
بصدور ذلك الامر خطب فيه رياض باشا ومحمود سامي واحمد عراي
ثناء طيباً على المكارم الخديوية لما منحه لجماعة الجهادية من الانعام

وفي ٢٨ شعبان او ٢٥ يوليو (تموز) كان الجنب الخديوي في مصيفه
في الاسكندرية فانتقى ان عربية احد تجار الاسكندرية صدمت جندياً
من الطيحية صدمة قضت عليه فحملة رفاقه الى سراي راس التين
وطلبوا الى الخديوي النظر في امره فوعدهم فسكن جاشم . وبعد بضعة
ايام تشكل مجلس حربي اصدر حكمه على النفر الذي حمل رفاقه على
المسير الى راس التين بالاشغال الشاقة طول حياته . اما رفاقه وعددهم
نحو الثمانية فحكم عليهم بثلاث سنوات في الليمان وبعد ذلك يرسلون الى
السودان انقاراً للجهادية . فبعث عبد العال امير الفرقة السودانية الى
ناظر الجهادية محمود سامي يشكو من قسوة ذلك الحكم فرفع سامي تلك
الشكوى الى الخديوي فتكدر واستدعى في الحال الوزراء تلغرافياً الى
الاسكندرية فانوها في ٧ رمضان او ٢ اغسطس (آب) وعقدوا برئاسته
مجلساً قدم فيه ناظر الجهادية استعفاءه فقبل وعين بدلاً منه داود باشا
يكن واستلم الاعمال وعاد النظر الى العاصمة وهذات الاحوال

وفي شوال اوستمبر (ايلول) بعد عود الجنب الخديوي من الاسكندرية صدر امرٌ من نظارة الجهادية الى الاي القلعة بالتوجه الى الاسكندرية وامر آخر الى الاي الاسكندرية بالجمي الى المحروسة فاعز عراي الى الاي القلعة ان تلك الاوامر لا يقصد بها الا تفريق كلمهم فصرح ذلك الاي بعدم امثاله لما امر به . وفي خلال ذلك كان عراي يخاطب الالايات بالاشارة ان يستعدوا للحضور الى ميدان عابدين في اول سبتمبر ثم ارسل كتابة الى الجنب الخديوي والى نظارة الجهادية يخبرهم فيها ان الجيش سيحضر الى سراي عابدين لبدء اقتراحات عادلة تتعلق باصلاح البلاد وكتب مثل ذلك الى قناصل الدول مبيناً ان لا خوف من هذه الحركات على ابناء تابعينهم لانها متصلة الغاية بالاحوال الداخلية . فارسل الجنب الخديوي وفداً الى زعماء الثورة وهم عراي وعبد العال واحمد عبد الغفار يتصحهم ان يكتفوا عن اجراءاتهم وتوجه سموه بنفسه الى الاي عابدين واخذ يتصحهم فتظاهروا بالانتصاح وتوزعوا في نوافذ السراي وقاية لها ثم توجه وفي معيته النظار الى القلعة للغرض عينه . فاجابه الجيش هناك « نحن مطيعون لاوامر ولي نعمتنا غير اننا اخبرنا بان المقصود من تسفيرنا اغراقنا في كبري كفر الزيات » فقال سموه لمن معه يظهر ان العساكر مغرورون ثم تركهم وقصد العباسية لايقاف عراي فلم يجده وقيل له انه سار في جنح الى عابدين فعاد سموه ايضاً اليها

ولما تكامل اجتماع الالايات في ميدان عابدين في ١٥ شوال سنة ١٢٩٨ هـ (٩ سبتمبر (ايلول) ١٨٨١ م) كانت الساحة غاصة بجماهير المتفرجين وقناصل الدول داخل السراي فاشرف الجنب الخديوي من السلامك وامر باحضار عراي فحضر على جواده مشهراً سيفه وحوله ضباط السوارى فامرهم باغماد السيف والترجل وابعاد الضباط ففعل

فقال الخديوي الم اك سيدك ومولاك
 » عراي نعم
 » الخديوي الم ارقك الى رتبة الميرالاي
 » عراي نعم ولكن بعد ترقية نحو الاربعماية
 » الخديوي وما هي اسباب حضورك بالجنـد الى هنا
 » عراي لنوال طلبات عادلة
 » الخديوي وما هي هذه الطلبات
 » عراي هي اسقاط الوزارة وتشكيل مجلس النواب وزيادة
 عدد الجيش والتصديق على قانون العسكرية
 الجديد وعزل شيخ الاسلام
 » الخديوي كل هذه الطلبات ليست من خصائص العسكرية
 فكيف عراي واثارت الفناصل على الخديوي ان ينقلب الى داخل .
 ثم قال فنصل انكلترا الى عراي بالنيابة عن الجناب الخديوي « ان اسقاط
 الوزارة من خصائص الخديوي وطلب تشكيل مجلس النواب من متعلقات
 الامة ولا وجه لزيادة الجيش لان البلاد في طمأنينة فضلاً عن ان مالية
 البلاد لا تساعد على ذلك اما التصديق على القانون فسينفذ بعد اطلاع
 الوزراء عليه اما عزل شيخ الاسلام فلا بد من اسناده على اسباب »
 فاجاب عراي . اعلم يا حضرة الفـنصل ان طلباتي المتعلقة بالاهاـلي
 لم اقدم عليها الا لانهم انابوني في تنفيذها بواسطة هؤلاء العساكر لانهم
 اخونهم واولادهم فهم القوة التي ينفذ بها كل ما يعود على الوطن بالمنفعة .
 واعلم اننا لا نتنازل عن هذه الطلبات ولا نبرح من هذا المكان ما لم تنفذ
 الفصل . اذا تريد تنفيذ اقتراحاتك بالقوة الامر الذي يخشى منه
 ضياع بلادكم
 عراي . ذلك لا يكون ومن ذا الذي ينازعنا في اصلاح داخلينا

فاعلم اننا نقاومه اشد المقاومة الى ان نفنى عن آخرنا
 الفصل . وابن هذه القوة التي سنقاوم بها
 عراي . في وسعي ان احشد في زمن يسير مليوناً من العساكر طوع
 ارادتي

الفصل . وماذا تفعل اذا لم تنل ما طلبت
 عراي . اقول كلمة ثانية
 الفصل . وما هي
 عراي . لا اقولها الا عند القنوط

ثم انقطعت المخابرات بين الفريقين نحواً من ثلاث ساعات تداول
 القناصل والحديوي اثناءها داخل السراي واستقر الرأي على اجابة
 طلبات عراي وانفاذها تدريجياً لان بعضها يحتاج الى مخارج الباب العالي
 فاصرّ عراي على تنزيل الوزارة قبل انصرافه فنزلت واستدعي شريف
 باشا وبعد اللتيا والتي قبل بان يشكل وزارة جديدة بشرط ان يتعهد له
 رؤساء الحزب العسكري بالامثال لاوامره وان يقدم عمداً البلاد ضماناً
 على ذلك فحصل وتشكلت الوزارة وجعل محمود سامي ناظرًا للجهادية .
 فاعزز شريف باشا الى عراي ان يتوجه بالابه الى راس الوادي في
 مديرية الشرقية والى عبد العال ان يسير بالابه الى دمياط فامثلا وسارا
 الى حيث أمرا باحتفال عظيم وخطب عبدالله نديم محرر جريدة الطائف
 وحسن الشمسي محرر جريدة المنيد في المحطة خطباً هنأوا بها الحزب الوطني
 على فوزه

ولما استقر عراي في رأس الوادي جعل يتجول في انحاء المديرية
 يبث مبادئه في نفوس عمداً البلاد ومشائخ العربان فاستدعته الحكومة الى
 العاصمة وعرضت عليه رتبة لواء ووظيفة وكيل نظارة الجهادية فقبل
 الثانية ورفض الاولى ليبقى الا لاي في عهده . ولما استوى على منصبه

الجديد جعل يعقد المحافل في منزله علانية وتوسط بالعبء عن حسن موسى العقاد احد تجار المحروسة وكان مبعثاً في السودان فاجابه الجنب الخديوي الى ذلك ثم سعى الى عزل الشيخ العباسي من مشيخة الاسلام واستبداله بالشيخ الامباري

وفي ٢٨ شوال سنة ١٢٩٨ هـ (٢٢ سبتمبر (اليلول) ١٨٨١ م) صدقت الحكومة المصرية على القوانين العسكرية الجديدة وهي من ضمن طلبات الجهادية يوم حادثة عابدين تحتوي على قانون الاجازات العسكرية البرية والبحرية وقانون المستودعين وقانون معاشات الجهادية البرية والبحرية وفروعها وقانون القواعد الاساسية في النظمات العسكرية وقانون الترتي وقانون الضمان والامتيازات والاعانة العسكرية . وبعد التصديق عليها جاء الى شريف باشا وفد جهادي وقدموا له الشكر على اعنائه بمطالبتهم وبينوا ارتياحهم الى وزارته واكدوا له اخلاصهم

وفي ١١ ذي القعدة او ٤ اكتوبر (ت ١) من تلك السنة صدر الامر العالي باعتماد اللائحة في انتخاب مجلس النواب بناء على تقرير رفع الى شريف باشا مذيلاً بالف وستماية توقيع يتضمن طلب تشكيل المجلس النيابي ومن مقتضى تلك اللائحة ان يكون النواب واحد او اثنين من كل قسم من اقسام المديرية و٢ من مصر و٢ من الاسكندرية وواحد من دمياط على شروط مذكورة في اللائحة . ووزعت نظارة الداخلية منشورات بشأن ذلك في المديريات

وفي ١٢ ذي القعدة سنة ١٢٩٨ هـ او ١٠ اكتوبر (ت ١) ١٨٨١ م وصل الى الاسكندرية وفد عثماني وهو عبارة عن لجنة مخصوصة مبعوثة من الاستانة بامر الجنب السلطاني مؤلفة من نظامي باشا وراضي باشا وعلي فؤاد بك وصفر افندي فاستقبلوا في الاسكندرية وفي يوم وصولهم قدموا العاصمة فانزلهم الجنب الخديوي في قصر النهضة في شوبرا وفي اليوم التالي

ساروا لمقابلة سموه في سراي الاسماعيلية وبلغوه رضى الجنب السلطاني عما توجهت اليه هم الحضرة الخديوية من تحسين الاحوال وحفظ النظام وان حضور هذا الوفد انما هو عنوان ما للذات الملوكية من الاعتماد وشدة الوثوق بحضرة الخديوي المعظم وان المقصد الاول من حضورهم انما هو تأييد نفوذهم وتعزيز موقعه وثبيت مركزه فشكر سموه لتعطفات الحضرة السلطانية وابتهل الى الله تعالى بدوام بقاءها . ثم قاموا وانصرفوا وبعد يسير سار الجنب الخديوي لرد تلك الزيارة . ثم سار علي نظامي باشا لزيارة الاي قصر النيل فاحتفل به محمود ساي احتفالاً عظيماً وبعد ان لاحظ نظامي باشا حركات الاي اثني على اميره . ثم زار شيخ الاسلام ونقيب الاشراف . واقام رجال الوفد في مصر بضعة عشر يوماً ادبت لهم فيها المآدب وكان الناس يرحبون بهم . ثم ظهر للوفد ان ليس في مصر ما يوجب الاضطراب فعادوا الى الاسكندرية فاحضروا راضين مقتنعين عن طريق الاسكندرية في ٢٦ ذي القعدة سنة ١٢٩٨هـ (١٩ أكتوبر (ت ١) ١٨٨١م) ثم توجهت عناية شريف باشا الى تنظيم المحاكم الأهلية فانصرفت الانظار الى مشروع تنظيمها وفي ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٩٨هـ (١٧ نوفمبر (ت ٢) ١٨٨١م) صدر الامر العالي مؤذناً بذلك مع لائحة ترتيب المحاكم . وبتاريخه ألغيت جريدتنا الحجاز ولجيت الاولى لانها طعنت في الاجانب والثانية لخروجهما عن الحد في التعبير عن الحضرة النبوية . وفيه انفذ الخديوي الى الاسكندرية وفداً مصرياً رداً للوفد العثماني الذي جاءه . وفيه انشئ صندوق للاذخار في ديوان الجهادية يجعل فيه من ماهيات الضباط خمسة في المائة يشتري بجمعوعها قراطيس مالية ونظم الفائدة الى الاصل كل عام ويشتري بالمجموع قراطيس وهكذا . ومثل ذلك فعل مستخدمو الدائع السنية

وفي ١٩ محرم سنة ١٢٩٩هـ (٩ ديسمبر (ك ١) ١٨٨١م) صدر الامر

العالي بتولية العلامة الشيخ الامباي مشيخة الجامع الازهر بدلاً من الشيخ العباسي وقد تقدم ان عراي كان ساعياً الى ذلك . وفيه طلبت نظارة الجهادية ان يزداد في ميزانيتها مبلغ ١٢٠ ألف جنيه فاجيب طلبها رغماً عن امساك المالية عن اجابة مثل هذه الطلبات

وفي ٥ صفر سنة ١٢٩٩ هـ (٢٦ ديسمبر (ك) ١٨٨١ م) تم انتخاب اعضاء مجلس النواب بمقتضى اللائحة التي اشير اليها فكان مؤلفاً من اثنين وثمانين عضواً اُقيم منهم المرحوم سلطان باشا رئيساً وعبدالله باشا فكري رئيساً للكتابة واعدت قاعة المجلس في ديوان الاشغال لتكون مقراً انعقاده . وحضر تلك الجلسة الجناب الحديوي وقال المقالة الافتتاحية بين فيها شدة رغبته في تأليف ذلك المجلس وتنشيطه . وقال انه يرجو ان يكون مساعداً له في نشر العلوم والمعارف بين افراد الامة مخلصاً في خدمة المصالح . وحضر تلك الجلسة ايضاً جميع الوزراء ورجال الدولة فتكلم كل منهم حسب مقتضى المقام . ثم نظر المجلس في بعض الامور الداخلية وارفضت الجلسة . وعكف مجلس شوري النواب على الاهتمام بشؤونه فرتب اقلامه وانتخب رؤساءها ثم وجه التفاته على الخصوص الى اللائحة الاساسية الجديدة التي كان موعوداً من مجلس النظار بارسالها اليه لينظر فيها لان مجلس النواب افتتح بمقتضى اللائحة الشورية القديمة

وفي ١١ صفر سنة ١٢٩٩ هـ (٢ يناير (ك) ١٨٨٢ م) وفد شريف باشا على مجلس النواب لتقديم اللائحة الاساسية الجديدة التي اعدّها له فقدمها وخطب في ذلك خطاباً اثر في اذهان النواب وقد جاءت هذه اللائحة مشتملة على احكام حرة وحدود مطلقة يكون بمقتضاها للنواب حق النظر في القوانين والمصروفات العمومية وان لا يُنفذ قانون ولا يُعتبر نظام ما لم يصادق عليه في مجاسهم مع الحرية التامة لهم في ابداء ارائهم . فتعينت لجنة من اعضاء المجلس لمراجعة هذه اللائحة . وبعد الاجتماع مرات

عديده قررت أكثر بنود اللائحة ووقع الخلاف بين النواب والنظار في شأن ما يتعلق بالميزانية من تلك اللائحة . وفي ٢٧ صفر من تلك السنة اعاد النواب اللائحة المذكورة الى النظار بعد ان بينوا ما يريدون تخويره فيها . فرأى النظار ان يغيروا شيئاً من تخويرات النواب فلم يقبل أولئك واصروا على تنفيذ تخويرات لجنهم . وفي ١١ ربيع اول سنة ١٢٩٩ هـ (٢١ يناير (ك ٢) ١٨٨٢ م) اعاد النظار اللائحة الى النواب مرفوقة بافاده مفادها ان وكيلى الدولتين فرنسا وانكلترا يريان ان لا حق لمجلس النواب في تقرير الميزانية ولكنهما مع ذلك يقبلان المخابرة في هذا الشأن بشرط ان يستقر الاتفاق بين النواب والحكومة على سائر بنود اللائحة . وبناء على ذلك تطلب الحكومة من النواب تصديقهم على اللائحة مع اغفال ما يتعلق بالميزانية لبيما يعطي النواب رأيهم النهائي فيه . فنظر النواب في تلك الافادة عدة ساعات فقرروا احالنها الى اللجنة التي كانت مكلفة بتنقيح اللائحة وطلبوا اليها اعادة النظر في التعديلات التي أدخلها مجلس النظار فصدمت على بعضها ورفضت البعض الآخر وأدخلت على البند المتعلق بالميزانية تعديلاً على مقتضى ما ارادت . وقررت في الوقت نفسه عدم قبول تداخل الفئصلين في ذلك الامر

وفي يوم الخميس ١٢ ربيع اول (٢ فبراير « شباط ») سارت لجنة مؤلفة من ٥ ائباً الى الجناب الخديوي يطلبون تنفيذ ما قرروا واستعفاء الوزارة فوعدهم سموه الى صباح السبت وانصرفوا فتقابل مع شريف باشا بحضور الفئصلين فاصر شريف باشا على رأيه واستعفى للحال فاستدعى الجناب الخديوي لجنة النواب ولكنها ان تخار رئيساً للوزارة فقالوا ان ذلك من حقوق الجناب الخديوي فالح عليهم فامتنعوا ولكنهم قالوا نريد وزارة تنفذ لائحتنا فاخار لهم محمود سامي وقلدته منصب الوزارة وعهد اليه تشكيل وزارة جديدة فشكلها وجعل احمد عرابي ناظرًا للجهادية .

فسرّ الحزب الوطني بذلك كل السرور ووردت لم النهائي من سائر القطر من وطنيين واجانب واقام النواب احتفالاً لنوزم . وفي ١٥ ربيع اول او ١٤ فبراير « شباط » اجتمع ضباط الجهادية من رتبة الصاغفول اغاسي فما فوق ومثلوا بين يدي الجناب الخديوي للشكر واطهار الطاعة فشكرم سموه وخاطبهم بما شئت عن حبه لاصلاح البلاد . وفي ١٩ ربيع اول حضر محمود سامي الى مجلس النظار فقبل بالتعظيم والتكريم وسرّ النواب بنفوذ رأيهم فخطب فيهم ونشطهم واقرّ لهم على اللائحة كما حوروها . فلما علم الناس بالتصديق على لائحة النواب اقاموا الاحتفالات في مصر والاسكندرية سروراً بنفوز الحزب الوطني واصبح الجهاديون القوة المتسلطة في البلاد واليهم بوجه الثناء كان تلك المنى قد ادركت بمساعيمهم ولما جلس عراي على مسند نظارة الحرية والجرية احسن عليه وعلى عبد العال برتبة لوا « باشا » ثم سعى الى ترقية كثيرين من رفقاء الضباط وقرر قانون الضمان والمعاشات بصفة جمعت القلوب على ولائه . وتخلصاً من الحزب الشركي الذي كان لا يزال متخللاً الجهادية شكل لجنة لفرز الضباط المستودعين ففرزت نحو الستمائة منهم واكثرهم من الاتراك والشراكسة فاصبحت الجهادية وطنية محضة . وذكرت جرائد اوربا اذ ذاك ان الحزب الوطني وفي مقدمته عراي كان يتهدد مجلس النواب ويتوعده بالسوء اذالم يسر على غرضه فنشر رئيس المجلس المذكور في الجريدة الرسمية ما ينفي تلك التهمة . ثم تخصصت جريدة الطائف لنشر محاضر مجلس النواب والتكلم بافكار اعضائه والدفاع عنهم . وفي اواسط ربيع آخر او مارس « اذار » استعفى بلينيار احد المراقبين الماليين فعين بدلاً منه الموسيو بريدف . وفي ٦ جمادى الاولى سنة ١٢٩٩ هـ او ٢٦ مارس « اذار » سنة ١٨٨٢ م انفض مجلس النواب من اعماله لتلك السنة وقد قرر فيها (١) القانون الاساسي (٢) لائحة الداخلية

(٢) لائحة الانتخاب (٤) اموراً اخرى مهمة . وقد نقرر في لائحة الانتخاب ثبوت حق الانتخاب والنيابة معاً لاي من كان من رعايا الحكومة سواء كان مولوداً في القطر المصري او مقبلاً فيه منذ عشر سنين . ولما ودع النواب الجنب الخديوي سلم سموه كلاً منهم امراً مؤذناً بتعيينه عضواً في المجلس المشار اليه الى خمس سنوات

ثم بلغ عرابي ان بعض ضباط الشراكة المتأهين للسفر الى السودان تكلموا بشأنه بما لا يليق وان في عزمهم الكيد به فامر بالنقض عليهم فقبض على اربعين منهم وفي جملتهم عثمان باشا رفيق ناظر الجهادية سابقاً وادعهم السجن في قصر النيل وعاملهم بالفسوة والغلط . ثم تشكل مجلس حربي لحاكمهم برئاسة راشد باشا الشركسي فصدر الحكم عليهم بالنفي الى اقاصي السودان ثم خفف الجنب الخديوي هذا الحكم الى الابعاد عن القطر المصري . وبعد صدور ذلك الامر وقع الخلاف بين الخديوي والنظار في هذا الشأن فاجتمع النظار في ١١ مايو « ايار » اجتماعاً طويلاً حضر اثناءه وكلاء الدول وسألوا النظار عن حال الاوريين في القطر المصري وعما اذا كان يتوعدم خطر فاكدا لهم ان لا شيء في الامر من مثل ذلك

ثم بعث النظار يستقدمون النواب من بلادهم للاجتماع والنظر في امر ذلك الخلاف فاجتمعوا وحاولوا اصلاح الخلاف فلم ينوزوا وسار وفد منهم الى الجنب الخديوي برجونه اجابة سؤلهم فاجابهم اسفاً لعدم امكانه ذلك فعادوا واخبروا بما كان فتعينت لجنة ثانية في ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٢٩٩ هـ او ١٤ مايو « ايار » ١٨٨٢ م لتعرض على سموه قبول الاقتراح بشرط ان ينزل رئيس النظار فقط وان يجعل مكانه مصطفى باشا فهي فتوجهوا وعرضوا ذلك على سموه فقبل بعد التردد . فساروا الى مصطفى باشا فهي بسألونه اذا كان يقبل تلك الرئاسة فابي

فعمدت المسألة الى مركزها الاول بل زادت تجسماً فوقفت حركة الاعمال وبانت العيون شاخصة الى ماسيكون . واجتهد سلطان باشا الى توفيق ذلك الخلاف بكل طريقة ممكنة وساعده ناظر المعارف وناظر الاوقاف فلم ينجح . وبينما هم في ذلك ورد تلغراف من لندرا منبئ بصدر الامر الى الاسطول الانكليزي الراسي في بحر المانش ان يتأهب ليسافر في ٢٨ مايو الى البحر المتوسط فاجس الناس خيفة

وما زال النواب يسعون الى حل ذلك المشكل بدون نتيجة فاستدعوا العلماء والوجهاء لعقد اجتماع عمومي يتخبرون فيه ويتشاورون في كيفية حله . فاجتمعوا في ٢٧ جمادى الآخرة او ١٥ مايو « ايار » وسارت منهم لجنة الى الجناب الخديوي وما زالوا يستعطفونه حتى وافقهم على ما ارادوا مع استبقاء الوزارة . وفي اليوم التالي سار النظار الى دواوينهم وبعثوا الى الجهات يبشرون بزوال الخلاف الا ان الهواجس لم تهدأ تماماً . ثم كثرت الاشاعات عن قرب وصول الاسطول الانكليزي واسطول آخر فرنساوي فازداد الاضطراب وتلونت الاقويل . ثم ورد تلغراف من اكريت بنبيء بخروج الاسطول الفرنسي منها قاصداً ثغر الاسكندرية وان الانكليزي باق فيها ينتظر قدوم الاسطول العثماني فيأتي الاثنان في وقت واحد وينضمّان الى الاسطول الفرنسي

وفي مساء الجمعة غرة رجب او ١٩ مايو « ايار » وفدت على ميناء الاسكندرية دارعة انكليزية وفي الصباح التالي دارعتان اخريان وثلاث دواع فرنساوية فاطلقت المدافع للسلام كالعادة . ثم جعلت البواخر ترد الى ذلك الثغر حتى تكامل الاسطولان ولم يكن معها اسطول عثماني فكثرت نقول الناس في سبب قدوم هذه العمارات على هذه الصورة . ثم اشيع ان قدومها كان بوافق مع الباب العالي وبارتياح الدول عموماً بشرط ان تسرع بعد انتهاء المشاكل الى الانسحاب

وفي ٧ رجب او ٢٥ مايو «ايار» قَدَمَ قنصلا انكلترا وفرنسا بلاغًا نهائيًا من دولتيهما تطلبان فيه سقوط الوزارة وخروج عراي من القطر المصري بان نضمنا له حفظ رتبته ورواتبه ونياشينه وابعاد عبد العال حالي وعلي فهي الى الارياف في جهات لا يخرجان منها مع حفظ رتبتهما ورواتبهما ونياشينهما وان الدولتين عازمتان على تنفيذ كل ذلك وهما تكلفان الجنب الخديوي ان يصدر عَنَّا عامًا على جميع الذين لهم دخل في المسألة . فرفض النظر هذا البلاغ ولم يجيبوا عليه بدعوى قولهم « ان لا علاقة للدول الاوربية معنا فاذا شئنا فليخارن الاستانة امانحن فاننا مستعدون للمقاومة » فاخذ سلطان باشا يسعى الى التوفيق فحبط مسعاه . وفي ٨ رجب او ٢٦ مايو «ايار» استعفت الوزارة مخنجة على بلاغ الدولتين وطلبتهما فكلف شريف باشا بتشكيل وزارة جديدة فابي واصرَّ على الالباءة فاطلعه قنصل فرنسا على تلغراف وارد اليه من وزارة فرنسا ونصه

« الامل ان يقبل شريف باشا رئاسة الوزارة واكدوا له اننا نعضد ونؤيده بكل جهدنا » فلم يقنع ذلك واصرَّ على الرفض

ثم عقدت جلسة عند الجنب الخديوي حضرها بعض رؤساء الجهادية وفي مقدمتهم طلبة عصمت فقال شريف باشا انه يقبل ان يشكل وزارة جديدة بشرط ان تنفذ الجهادية مآل طلبات الدولتين فقال طلبة «نحن مطيعون انما يستحيل علينا تنفيذها ولا حق للدولتين بطلب ذلك لان هذه المسائل من اختصاص الباب العالي » قال ذلك وخرج فتبعه الضباط . وبتاريخه ورد تلغراف من راس التين بالاسكندرية ان العساكر هناك لا يقبلون غير عراي ناظرًا عليهم وانهم اذا مضت ١٢ ساعة ولم يرجع الى منصبه لا يكونون مسئولين عما يحدث مما لا يستحب وقوعه فزاد الاشكال والاضطراب فتمكن شريف باشا وغيره من اصرارهم على رفض تشكيل وزارة جديدة . وعند الغروب اجتمع النواب ورئيسهم وحضر

عراي وجعل بخطب فيهم وخطب ايضاً عبد العال وغيره يطلبون تنازل الخديوي فتناقم الخطب فارسل الجنب الخديوي يخبر الباب العالي ان الجند غير راضين عن استعفاء الوزارة وانهم اقاموا الحجة على طلب الدولتين . فاجابه ان الحضرة السلطانية امرت بتشكيل لجنة عثمانية تأتي مصر بعد ثلاثة ايام للنظر في هذا الامر . فامر الجنب الخديوي ان يرجع عراي الى مركزه مؤقتاً للتأمين على الاجانب لينتظر وصول الوفد العثماني فسر الجند بذلك . وبعث عراي منشوراً الى قناصل الدول بضمن لم تأيد الامن لجميع سكان النطر المصري من وطنيين واجانب مسلمين وغير مسلمين وفي الوقت عينه اقترح ثلاثة امور

- (١) اعادة لائحة الدولتين وانسحاب اسطوليهما
- (٢) وضع قانون اساسي تبين فيه حدود كل من الجنب الخديوي ووزرائه

(٣) قطع المخابرات والعلاقات توتراً مع الدولتين ومع سائر الدول
الابواسطة الدولة العثمانية

ثم عمل العرايون على خلع الخديوي وتولية البرنس حلم باشا وكثيراً ما كانوا يصرحون بذلك في مجالسهم . ثم صرفوا الهبة الى الالهة والتحصين كأنهم يتوقعون قتالاً فصرح المستر غلادستون وزير انكلترا اذ ذاك ان دولته تريد ان تؤيد كلمة الجنب الخديوي توفيق باشا لما اظهر من ادلة الصداقة والاخلاص . وفي ٢٠ رجب او ٧ يونيو (حزيران) وصل الى ثغر الاسكندرية اليخت الشاهاني بقل درويش باشا المعتمد العثماني فسار توتراً الى العاصمة للنظر فيما هو واقع بين الخديوي وجنده
« حادثة ١١ يونيو (حزيران) »

وما انقضى شهر مايو حتى بلغ الاضطراب والقلق من ساكني مصر مبلغاً عظيماً فكثرت الاشاعات وزادت بواعث الایحاس فتزع النزلاء

الاجانب الى الجلاء والمهاجرة الى اوربا خوفاً من امر يأتي او فراراً من
بلاء محسوب . فاصبحت الاسكندرية ملجأً للوافدين من جالية الريف
على امل ان يكونوا فيها آمنين غوائل التعدي لكثرة من فيها من الاجانب
او بالبحري احتماءً بجوار الاسطولين الانكليزي والفرنساوي

ثم احسن الاجانب فيها ان سفلة الاهالي ومعظم الجهاديين قد اغلظوا
في معاملاتهم واستبدوا في امورهم فكانوا يخطرون في الازقة نهباً يمتنون
الرفيع ويستعبدون الوضع ثم لاح لهم ان اولئك الاجانب يريدون بهم
شراً فجعلوا يتوقعون منهم ما يتذرعون به الى الوقعة بهم توهماً منهم ان
اولئك من الدّ الاعداء لوطنهم . فعلم الاجانب بتلك المقاصد فجعلوا
يتأهبون سرّاً للدفاع بما امكنهم من اقتناء الاسلحة والرجال واخائنهم في
منازلهم واستشاروا اميري الاسطولين فوافقاهم ثم عرضوا الامر على الفناصل
البحرية في القاهرة بواسطة مندوب مخصوص فانكروا عليهم ذلك فلبثوا
يتوقعون المفقور

اما اهل الفتنة فادركوا تحذر الاجانب منهم فهموا بهم في ٢٤ رجب
او ١١ يونيو وابتدأوا الفتنة بخصام بين حمار ومالطي اتصلوا منها الى
الغارة على البيوت والمنازل والفتك بكل من مروا به في السبل فلم تكن
تري الا اخلاطاً من السفلة بين صعيدي وسوداني وبدوي وفيهم الحمار
والحمالون وامثالهم يهجمون جماعات على من لقوه في طريقهم فقتلوا نحواً من
٢٠٠ نفس وقتل منهم نحو هذا العدد . كل ذلك والاسطولان لم يحركا
ساكناً وتمارض ما مور الضابطه المدعو السيد قديبل ولم ينزل يومئذ الى
المدينة وجرح في هذه الموقعة عدد كبير من كبار الاجانب وفيهم قنصل
اليونان والمستر كوكسون قنصل انكلترا في الاسكندرية وقنصل ايطاليا وفيس
قنصلها وقنصل الروسية وكثيرون غيرهم . فامر محافظ الاسكندرية (عمر
باشا لطفي) الامير الاري سليمان داود ان يبعث التجند لابقاف الاهالي

ومنهم من ارتكاب تلك الفظائع . فاجاب انه لا يستطيع ذلك الا بعد ان ياتيه امر من عرابي فجاءه الامر نحو الساعة الخامسة بعد الظهر فصار المجد والمحافظ امامهم ساعياً على قدميه يسكنون الخواطر وينادون باعادة الراحة فرأوا المخازن قد نهبت والارزاق قد تبعثرت على قارعة الطرق وعند الغروب هدأت الغوغاء وكف الناس فدخل كل منزله وانقضى الليل ولم يحدث شيء . وفي اليوم التالي كثر عدد المهاجرين بجزراً حتى خيل للناس انه لم يبق في المدينة احد من الاجانب فتزل من المدينة في يوم واحد نحو من عشرة آلاف وتفرقوا في السفن . كل ذلك خوفاً مما كانوا يخشون حدوثه من مثل ما قاسوه . وانصلت هذه الاخبار بالداخلية فانتشر الاضطراب وعمت البلوى ونقاطر الناس من سائر الاقطار الداخلية الى السواحل يطلبون الفرار كما فعل الاسكندرانيون واستمرت الحال على ذلك بضعة ايام حتى كاد يخلو القطر من النزلاء وقد عدل بعضهم عدد من هاجر في تلك المدة فبلغ زهاء مائة وخمسين ألفاً . فقلت الحوانيت وبطلت المعاملات ولم يبق في البلد شغل الا لارباب العربات واصحاب الصنادل وادارات البابورات والسكة الحديدية وما شاكل

« عود »

ولما اتصل خبر هذه الحادثة بالعاصمة اضطرب اهلها وفي صباح ١٢ يونيو خاطب القناصل درويش باشا معتمد الحضرة السلطانية بكلام عييف وسألوه ان يتخذ التدابير النعالة لصيانة الاوربيين واموالهم في جميع انحاء القطر فعقد مجلساً في عابدين حضره الجناب الخديوي ودرويش باشا ومن معه وشريف باشا ووكلاء الدول العظمى السياسيون وبعد المذاكرة اقرروا ان تعطى للقناصل ضمانات اكيرى تكفل اعادة الامن والمحافظة على ارواح الاوربيين واموالهم ومن اخص هذه الضمانات ان يمثل عرابي لاي الاوامر التي تصدر له من الخديوي فدعي وسئل فاجاب بالقبول وتعهد

باجراء ما يضمن الراحة واخذ درويش باشا على نفسه تبعة تنفيذ الاوامر الخديوية بمعنى ان يكون مشتركاً مع عرابي ومسئولاً معه في تنفيذ تلك الاوامر فرضي وكلاء الدول بذلك وانصرفوا واخذ عرابي يهتم قياماً بجمع فئشر المنشورات بمنع الاجتماعات وابطال كل ما يوجب الارتياح . وكانت قد تعينت لجنة بامر الجنب الخديوي للظفر في امر حادثة الاسكندرية تحت رئاسة عمر باشا لطفي محافظها وفيها مندوبو القناصل فاجتمعت اللجنة في الاسكندرية وباشرت اعمالها وقررت ما خيل لها انها تدابير فعالة لاعادة الامنية

وفي ٢٦ رجب او ١٢ يونيو (حزيران) وصل سمو الخديوي الى الاسكندرية بصحبة درويش باشا مندوب الحضرة السلطانية فصنّت لها المجدود من المحطة الى سراي راس التين وأطلقت المدافع تحية لها ثم زارهُ قناصل الدول الاّ قنصلا انكلترا وفرنسا فانهما بقيا في مصر فابدى لهم اسفه الشديد لما حدث ووعدهم بصرف العناية الى اخراج الفتنة وخاطبهم درويش باشا ايضاً بمثل ذلك وزاد عليهم انه واثق الثقة التامة باخلاص المجهادية . الاّ ان الخديوي اسرّ الى المستر كولفن المراقب العمومي الانكليزي انه غير واثق باستمرار الامن والراحة وانه يعتبر مهمة درويش باشا كأنها قد انتهت ولم تنلج وانه لا يرى بداً من مجيء جنود عثمانية لاعادة الراحة . وكان في ثكنات الاسكندرية نحو من ثمانية آلاف من المجند بالاسلحة الكاملة ولديهم من المهمات ما يكفي خمسين ألفاً

ثم بلغت القناصل رعاياها ان يتغذوا اقرب السبل للنجاة ما ربما يحدث فاو عزت اليهم ان يهاجروا من المدينة فتناقلت الالسن هذه الاخبار فتأكد الناس ان الساعة آتية لا ريب فيها وعينت كل دولة من الدول الاجنبية سفناً لنقل رعاياها المهاجرين مجاناً فتسارع الفقراء من كل ناحية بمقاطرين من مدن الداخلية والارياف الى الاسكندرية وبورت سعيد

حيث كانت تلك السفن معدة لنقلهم الى بلادهم . وكان المستر مالت
وكيل انكلترا السياسي لا يزال في العاصمة فجاءه امر من لندرا بان يحضر
الى الاسكندرية ويرافق الخديوي حينما توجه فاتاها واتى معه المسبق
سنكوفينش وكيل فرنسا فخلت العاصمة من رجال السياسة وخلا جوها
لعرابي وجماعته واستفحل امرهم ولا سيما لما بلغهم من انقسام دول اوربا في
المسألة المصرية فظنوا انهم في مأمن من الاغتيال . ثم حسب التناصل ان
تغيير الوزارة يأتي بحل هذه المشكلة فاشاروا على الجناب الخديوي
بذلك فشكل وزارة جديدة تحت رئاسة اسماعيل راغب باشا وبقي
عرابي ناظراً للجهادية والبحرية فكان رأي هذه الوزارة ان الطريقة
المثلئ للملافاة الامران يصدر عنو عمومي وان يعلن في الجرائد الرسمية « ان
كل من عليه مسؤولية او اشتراك بالحوادث الاخيرة فعليهم العنو
الاً المشتركين في حادثة الاسكندرية وهم تحت المحاكمة » فوافقها الجناب
الخديوي على ذلك . وفي ٥ شعبان سنة ١٢٩٩ هـ او ٢١ يونيو (حزيران)
سنة ١٨٨٢ م بعث الجناب الخديوي منشوراً الى راغب باشا يطلب
اليه التحري الحسن في مسألة حادثة الاسكندرية فاجابه بتلبية الطلب
ثم جاءت الاخبار بعزم الدول على عقد مؤتمر في الاستانة لاجل
البحث في المسألة المصرية وتمتع الباب العالي من ذلك بدعوى ان
ليس في مصر ما يوجب الاضطراب اعتماداً على تقارير درويش باشا
المرسلة منه وكان ذلك ما شدد عزائم الحزب الوطني ولا سيما لما رأى
الباب العالي واثقاً بهم يأتي عقد مؤتمر دولي . وكان عرابي يوءكده
لاتباعه ان وجود هذه الاساطيل في ميناء الاسكندرية لا يخشى منه البتة
لانها انما انت هذا البحر للتنزه كما فعلت مرات عديدة قبل هذه . اما
انكلترا فلم تنفك ساعية الى عقد المؤتمر بدعوى انه يستحيل اعادة الامن
الى مصر بغير واسطة فعالة وكان الباب العالي يجيب على ذلك بقوله انه

بعد تشكيل الوزارة الجديدة صار برجو استقرار السلام ووافقة على رأيه هذا دول المانيا واوستريا وإيطاليا والروسية وهذه الموافقة كانت مبنية على خوف الدول من مطامع انكلترا في مصر . فلما علمت هذه بنبأهم أكدت لهم انها تنعهد متى عقد المؤتمر مع سائر الدول ألا تسعى البتة الى ضم ارض ما اليها او الاستيلاء على مصر او قسم منها او الحصول على امتياز ما سياسي او تجاري بدون ان يكون فيه نصيب لسائر الدول فوافقها الجميع على عقد المؤتمر اما الدولة العلية فاصرت على عدم لزومو

وفي ٧ شعبان او ٢٤ يونيو «حزيران» عقد المؤتمر في الاستانة ولم يكن للدولة العلية معتمد فيه فقرر ما يأتي ممضيا من سائر المعتمدين . « ان الحكومات التي وقع وكلائها بالنيابة عنها على ذيل هذا البروتوكول تنعهد انها لا نقصد البتة اغتنام ارض ما ولا الحصول على امتيازات ما ولا ان يكون لرعاياها من الامتيازات المخيرية ولا يستطيع ان يناله غيرهم من رعايا اي الدول في مصر وذلك في اي مسألة حصل التوافق عليها بسعيها واشترآكمها في المخابرات لتنظيم امور تلك البلاد » . وقد كانت انكلترا اثناء سعيها الى عقد المؤتمر تحشد الجنود استعدادا للحرب مدعية ان تلك الاستعدادات انما هي من قبيل التهديد لعرايي وكانت في الوقت عينه تلح على سائر الدول ان تساعدوا في ذلك . اما دول اوربا فكانت شديدة الحذر من انفراد انكلترا في المسألة المصرية لكنها لم تكن تستطيع معارضتها بالعنف

وجاء في اثناء ذلك الى عرايي نيشان من لدن الحضرة السلطانية فانخذ الناس ذريعة الى اثبات رضا الباب العالي عن اعماله وكان هو يحاول اقناعهم ان جميع الدول تساعد على مقاومة انكلترا اذا مست الحاجة . وفي ٥ شعبان او ٢٢ يونيو «حزيران» تمارض المستر مالت وكبل انكلترا فأنزل الى احدى السفن وبقي فيها بضعة ايام ثم سافر الى

برندزي . وفي ٢٥ منه نفي المستر كوكسن قنصل انكلترا في الاسكندرية بدعوى مرضه بسبب الجراح التي كان قد اصيب بها اثناء حادثة ١١ يونيو وهكذا فعل قنصل مصر اما باقي القناصل فبقوا في الاسكندرية الى ٩ يوليو . وكان الخديوي ودرويش باشا مقيمين في سراي راس التين وعراي مقيما في الترسخانة وتحت امره في ثغر الاسكندرية تسعة آلاف مقاتل وفي جلسة المؤتمر السابعة اقرّ الدول على كتابة لائحة مشتركة يقدمونها الى الباب العالي يطلبون منه ارسال جنود عثمانية الى مصر لاختاد التتنة ففعلوا فالي فاتخذت انكلترا ذلك ذريعة لتدخلها بالقوة وكان به نجاح سياستها فاخذ الاميرال سيمور قومندان العمارة الانكليزية يتنقل سبياً ولوطيفاً لمباشرة العدوان فادعى ان الجهادية يحصنون القلاع في الثغر وينقلون احجاراً ضخمة يلقونها عند فم المضيق وان القصد بها سد مدخل المينا فيمنع المدد ويحصر الاسطول وقال ان هذا التعصين منافع لحقوقه فكلف الحكومة المصرية ان تكف عن تقوية الاستحكامات حالاً والا اضطرته الحال الى اطلاق مدافعها عليها فيدكها عن آخرها . فاجابة طلبة باشا عصمت ان لا صحة لما يقول وان الجهادية لم يهتموا قط بتحصين القلاع . وشاع ذلك فخافت الناس وأعز الى الجناب الخديوي بواسطة المستر كولفن ان يتخى صيانة لحياته فاجابة « لا يلقى بي ان اترك الكثيرين من رعيتي الامناء في اوان الشدة ولا يلقى بي ايضاً ان اترك البلاد في اوان الحرب » ثم توسطت قناصل الدول في الاسكندرية بين الاميرال سيمور وبين الجهادية المصرية فلم يتجهوا . فسعى عراي وسامي الى كاتب سر مجلس النظار وطلبوا اليه ان يكتب تقريراً في المسألة مفاده « ان الاميرال تجاوز الحدود فيما يطلب وانه لا بد من مقاومته وان عراي وقومه مفوضون في امر الدفاع عن البلاد » وداروا به على منازل النظار وطلبوا التوقيع عليه فوقع بعضهم اختياراً والبعض اضطراراً ويقال ان الخديوي

نفسه صدق عليه او المحيى للتصديق ثم ارسلوه الى الاميرال سيمور . وارسل عراي منشوراً الى المدراء يطلب اليهم ان يكونوا مستعدين للامداد بالجند والمال

وفي مساء ٢٢ شعبان او ٩ يوليو «تموز» جاء المستر كارتر ايت الى الخديوي واعلنه رسمياً عن عزم الاميرال سيمور على مباشرة القتال صباح الثلاثاء في ١١ يوليو «تموز» والحق عليه ان يترك سراي راس التين ويلجأ الى سراي الرمل ففعل . ثم حرر رسمياً الى درويش باشا يطلب اليه ان يحافظ على حياة الجناح الخديوي والقي عليه التبعة اذا أصيب بسوء

وفي ٢٢ شعبان او ١٠ يوليو «تموز» ارسل الاميرال سيمور كتابات رسمية الى كل من درويش باشا وراغب باشا رئيس الوزارة يعلمها عن خروج رجال الوكالة الانكليزية من القطر المصري اشارة الى قطع العلائق الودية واعلنت خارجية انكلترا سائر الدول بذلك بدعوى «انها لم تر بدا من ذلك غير انها مع ذلك تصرح ان ليس لها ارب خفي او نية غير بيّنة وانما عملها هذا من قبيل الدفاع وحرصاً على مصلحة الجناح الشاهاني» وفي مساء ذلك اليوم سافر الاسطول الفرنسي متفهماً تاركاً سفينتين من سفنه فقط

وفي الساعة السابعة من صباح الثلاثاء ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٩ هـ او ١١ يوليو «تموز» ١٨٨٢ م اطلقت العمارة الانكليزية مدافعها على حصون الاسكندرية وما زالت الى الساعة واحدة ونصف بعد الظهر فهدمت معظمها وانجر مستودع البارود في قلعة أطه . فجاء راغب باشا الى الجناح الخديوي في الرمل واخبره ان الحصون قاومت اشد المقاومة وان كثيراً من سفن الانكليز قد غرقت وكان يقول ذلك مسروراً ولكن قوله هذا ما لبث ان نفص بورود الخبر الصحيح . ثم جاء عراي فوق بين يدي سموه فسأله عن حالة الحصون فقال «لم يعد في وسعنا المقاومة ولا بد لنا من

تدابير اخرى اوان تتساهل مع الاميرال» وبعد المحاربة تقرر ارسال طلبه عصمت الى الاميرال وعاد عراي من حيث اتى . فعاد طلبه باشا من عند الاميرال واخبر الجناب الخديوي ان الاميرال يطلب احتلال ثلاث قلع والّا يستأنف القتال الساعة ٢ بعد الظهر . ثم قال « ولكي قلت له ان هذه المدة لا تكفي لانتم المحاربة بشأن ذلك فطلبت تطويلها فابي فاتيت لاعلم سموكم ملتصاً رأيكم» فعقد مجلس تقرر فيه انه لا يحق للحكومة المصرية الترخيص في احتلال جنود اجنبية بدون مخارج الباب العالي الا ان الوقت لم يسمح بتبليغ ذلك الفرار للاميرال

ولما رأى رجال الحصون المصرية عدم استطاعتهم مقاومة السفن الانكليزية رفعوا العلم الابيض اشارة الى ايقاف العدوان فانقطعت السفن عن قذف النار وكانت الحصون قد تهدمت فعلم الثائرون ان ذلك التسليم يعقبه احتلال الجيوش الانكليزية المدينة فوزعوا في غلس ١٢ يوليو «تموز» فرساناً في احياء المدينة يأمررون الوطنيين بالخروج من الاسكندرية على الفور وكانت هذه الاوامر تصدر من الاميرالاي سليمان داود وامر ايضاً زمراً من الرعاع ان تطوف المدينة وتحرقها فابتدأوا من الساعة الاولى بعد الظهر فكانت الاسكندرية مساء الاربعاء مضطربة الجوانب منهوبة المخازن لا ترى فيها الا لهباً متصاعدة واناساً حاملين الامتعة والمصاغ فارّين الى داخلية البلاد

وكان الخديوي في سراي الرمل وبعينيه عثمان باشا واسماعيل باشا الشركسيان وزير باشا السوداني والجنرال ستون باشا وفديريكو بك وطونينو بك ودي مارتينو بك واباتي بك وتيكران باشا وزهراب بك «اليوم زهراب باشا» وغيرهم لا يزيد عدد الجميع عن الخمسين . وبعد ظهيرة ذلك اليوم جاء الى سراي الرمل نحو اربعمائة فارس وبعض المشاة واحناطوا بها فسلّوا عن الغاية من مجيئهم فقالوا «قد اتينا للحفاظ على

السراي» والحقيقة انهم جاءوا مأمورين باحراقها وقتل من يخرج منها وفي الساعة ٧ مساءً بعث عراي باستدعيم اليه فصاروا وتخلف منهم احد البكباشية ومعه ٢٥٠ فارساً قتل بين يدي الجنب الخديوي واقسم انه يموت بين يديه واقتدى رجاله به واخبره انهم كانوا قد اتوا يريدون شراً . وفي خلال ذلك ارسل الاميرال سيمور ثلاث دوارع من اسطوله لترسو بجوار سراي الرمل صيانة لحياة الحضرة الخديوية ويقال انها هي التي كانت السبب في انسحاب الفرسان العراقيين . ثم جاء المحافظ الى الخديوي يخبره بما كان من النهب والحرق في احياء المدينة فارسل سموه كامل باشا الشرکسي وبرفته زبير باشا ليمنعوا الناس من ذلك

ونحو الساعة ٢ ١/٢ بعد ظهر ٢٦ شعبان او ١٢ يوليو (تموز) كانت جنود عراي قد انجالت عن الاسكندرية . فجاء زهرا بك بهذا النبأ الى الخديوي وان الاميرال سيمور عازم على انزال جنود بحرية الى راس التين وانه يدعو الحضرة الخديوية الى سفينته حيث يكون آمنة فنفضل سموه التوجه الى سراي راس التين فصار وبمعيته درويش باشا حتى جاء السراي فوجد هناك الاميرال سيمور وبعضاً من جنوده ينتظرونه في ساحة القصر . وفي المساء نزل بعض وكلاء الدول وهناك سموه بسلامته وكان في السراي ٢٠٠ من الحامية الانكليزية . وفي الصباح التالي انزل الاميرال فرقاً اخرى من رجاله يطوفون الشوارع ومعهم عدد من المدافع تسكيناً لخواطر الباقين فيها

وقد قدرت الخسائر فبلغت نحو ستماية من الوطنيين وخمسة من الانكليز على الدوارع هذا فضلاً عن المذابح التي حصلت في اثناء ذلك في طنطا والحلة الكبرى وسمند وجهاث اخرى . وبعد انتقال العائلة الخديوية الى راس التين استدعى الجنب الخديوي زهرا بك وجعله ترجماً بين السراي والضباط الانكليز وعهد اليه ان يمنع أباً كان من

الدخول الى القصر لان العرايين كانوا قد عينوا نفراً من الجواسيس لاستطلاع حالة السراي . اما عرابي واتباعه ففروا الى كفر الدوار وعسكروا هناك على نية الدفاع

ولما استتب المقام للانكليز في الاسكندرية جعلوا ينظرون في تنظيف الاسواق ونقل جثث القتلى ودعوا المهاجرين ان يعودوا الى منازلهم لاعادة الراحة والطمأنينة واستدعي اثناء ذلك درويش باشا الى الاستانة فتوجه . وحرر راغب باشا الى الاميرال سيمور بخبره ان اجراءات عرابي من الآن فصاعداً مخالفة لاوامر الخديوي وانه هو وحده (عرابي) المسئول عنها

ثم كتب الجناب الخديوي الى احمد عرابي يأمره بالامساك عن جمع العساكر واعداد التجهيزات لان الحكومة الانكليزية لا خصومة بينها وبين الحكومة المصرية وانه مستعدة لتسليم المدينة متى رأت فيها قوة منتظمة والبلاد في أمن وامره ان يأتي الى سراي راس التين حالاً

فاجاب عرابي « ان مقاومة العمار الانكليزية حصل باقرار مجلس النظار ودرويش باشا وان النظار هم الذين اعلنوا باقامة الحرب مع الانكليز وهكذا حصل فاذا كان الاميرال الآن قد عدل عن المحاربة الى المسالمة بعد وقوع الحرب فذلك بعد طلباً للصلح ولا يجوز ان يكون انكاراً للحرب » الى ان قال « انه يميل الى الصلح ولكن مع حفظ شرف البلاد والحكومة فاذا كان الاميرال يريد تسليم المدينة فليسلها ولتبارح مراكبه مياه الاسكندرية وانه للمحافظة على شرف الحكومة الوطنية ينبغي الاستمرار على الاستعداد العسكري حتى تفارق المراكب السواحل المصرية وانه يعتبر قول الانكليز هذا مكيدة لان الاسكندرية ما برحت محنلة بالانكليز ولذلك لا يمكنه الحضور اليها » ثم طلب التمام مجلس النظار في مركز الجيش للدولة في الامر وبعد ذلك بصرف الجيش وبحضر

فيظهر ان اصرار عراي هذا هو السبب في اتساع الحرق لان الحكومة الانكليزية لم تكن تطمع باحتلال هذه البلاد على ما يظهر من اقوالها . وحرر عراي الى وكيل الجهادية يعقوب سامي في القاهرة ايقاعاً في الحضرة الخديوية وانتمها انها متعاملة على الجهادية الوطنية وانها هي التي جلبت كل هذه المتاعب الى القطر المصري ويطلب اليه ان يتروى في الامر وينظر في صلاحية هذا الوالي للتولية عليها او عدمه . فلما وصل تخبر عراي هذا الى يعقوب سامي جمع اليه الذوات والاعيان والرؤساء الروحانيين في ديوان الحرية في غرة رمضان سنة ١٢٩٩ هـ (١٧ يوليو (تموز) ١٨٨٢ م) وعقدوا جلسة تحت رئاسة وكيل الداخلية قام فيها عدة خطباء اتهموا الجنب الخديوي ببيع الوطن . واستنفر الرأي اخيراً على لزوم الاستمرار على اعداد التجهيزات الحربية وان تعين لجنة من ستة اشخاص يتوجهون الى الاسكندرية لاستدعاء النظار الى العاصمة للاستعلام منهم عن حقيقة ما حصل . وبناء على ذلك الفرار سار الوفد فمرّ بكفر الدوار وتداول مع عراي ورؤساء الجند فاخير منه اثنان هما علي باشا مبارك واحمد بك السيوفي للتوجه الى الاسكندرية للغرض المتقدم ذكره . فوصلا اليها وقابلا الجنب العالي صباح الاثنين في ٢٤ يوليو وعرضا له الحالة فاصدر امراً عالياً يقضي بعزل عراي عن نظارة الجهادية واعلان ذلك في البلاد . ثم ارسل الى الباب العالي يخبره بعصيان عراي وان الجند انجاز اليه وهو المسئول عنه

اما عراي فلم ينفك عن اعداد المعدات والتحصين بمساعدة رفقاؤه فحاول سدّ ترعة الحمودية بجهة كفر الدوار فلم يفلح وجعل يشيع في البلاد ان الخديوي مشترك مع الانكليز على اضاءة البلاد الى غير ذلك اثاراً لحواطر الاهلين ولما وصل الامر بعزل عراي الى العاصمة اجتمع المجلس المتقدم ذكره في نظارة الداخلية وقرروا بقاء عراي للمدافعة عن الوطن

وابقاف اوامر الخديوي بدعوى انه خرج عن قواعد الشرع الشريف .
 واستولى العراقيون على الخطوط الحديدية والبرقية فجعل الاميرال
 سيمور سلكاً نلغرافياً بين الاسكندرية وبورت سعيد واعلن الخديوي
 ثانية بعصيان عراقي . غير ان جميع هذه الاوامر والمنشورات كانت تذهب
 ادراج الرياح لان الاهالي اصبحوا منقادين للحزب الوطني انقياداً امست
 البلاد به آلة بيد زعيم الثورة يدبرها كيف شاء .

ثم نزل العراقيون نحو الاسكندرية وعمكروا في الرملة فخرجت اليهم
 فرقة من الانكليز في ٥ اغسطس فلم تقو عليهم فتقهقرت الى الاسكندرية
 ثم عادت اليهم ثانية وقد تشددت فتقهقر العراقيون وتحصلوا بين ابي قير
 وخطوط الرملة ثم تقهقروا الى كفر الدوار فاعتبر الانكليز من ذلك
 الحين حالهم في مصر حالة حربية يحتاجون فيها الى الامداد فاستمدوا
 انكيترا فامدتهم بقوات كانت تنوارد اليهم عن طريق السويس . اما عراقي
 فكان في كفر الدوار في اربعة الايات من المشاة والاي من الفرسان
 والاي من الطيحية وبطارية من مدافع الرش وكثير من العربان وقد
 قدرت المجنود الانكليزية التي سارت لمحاربة عراقي فبلغت اربعة عشر
 الفا من المشاة واربعة فرق من الفرسان والفا من الطيحية معهم ٢٦ مدفعاً
 ونحو ست فرق من المهندسين . ثم انضم الى هذه القوة بعد ذلك قوة هندية
 مؤلفة من تسعة آلاف جندي ويقال بالاجمال ان جميع الحاميات
 الانكليزية التي كانت في مالطا وقبرص وجبل طارق انضمت الى
 حملة مصر

الآن كل هذه الاعدادات لم تكن لشئني العراقيين عن عزمهم فان
 عراقي حرر الى المدبرين بتاريخ ١٢ اغسطس ان يجمعوا جنداً يبلغ
 مجموعه ٢٥ الفا وطلب ان يكون فيهم الخفراء لانهم اقرب الناس الى
 الحركات العسكرية تلبية لما تدعوه اليه الحالة من السرعة في حشد الجيوش

وفرض ايضاً على المدبرين اموالاً يجمعونها من الاهالي امداداً للحرب فلا
نسل عن الطرق التي كانوا يجمعون بها تلك النفود . واخذ في تقوية
الاستحكامات وتشييد الطوايي فمدّها فيما بين ما فوق الرملة باربعة
كيلومترات الى كفر الدوار وانشأ في كفر الدوار سداً عرضه ٢٠ متراً
وخندقاً عرضه اربعة امتار وجعله فاصلاً بين السد وارض أكثر فيها
من مواقع الاستحكام وكان الخط الدفاعي الاول ممتداً ما بعد المحلة بمسافة
الف متر على طول الخط الممتد من الرملة الى البيضة وجعل ما وراء هذا
الخط من المرتفعات والتلال مواقع محصنة الى كفر الدوار فكانت كلها
نحو ٥٠٠ موقع واتم مثل هذه الاعمال الدفاعية من كفر الدوار الى ابي
حمص ويوجد بين ابي حمص ودمنهوور تل يفضل سائر التلال مساحة
وارتفاعاً فاختره عراي موقعاً بفيه من الانكليز اذا قضت عليه الحال
بالتقهقر الى دمنهور وعزز دمنهور بالمدافع

وقد قام بين الوطنيين من افاضلهم من خطب فيهم او حرر لهم
ايضاحاً لما اتوه وبأثونة من الاغلاط في سيرهم فلم ينفقوا بل كان يقوم من
بينهم من يخطب خطباً تهيجية مدحاً في عراي ومشروعاته . وكان عراي
اثناء قيامه بالاعمال الحربية معتمداً على مساعدة الباب العالي في مشروعه
ولكن خاب امله اثر صدور المنشورات الخديوية واتصال الخبر به ان
النوم في دار السعادة عدو عاصياً ولم تمض مدة حتى تحقق ذلك الخبر
بمنشور اصدرة الباب العالي بعصيان عراي واتباعه ووجوب الرضوخ
لاوامر الجناب الخديوي

وفي اواسط اوغسطس وصل الجنرال السير وولسلي الى الاسكندرية
واستلم قيادة الجيش . ثم اخذت تنوارد القوات الانكليزية فبلغت في
اواخر الشهر المذكور نحو ٢٥ الفاً وكان قدوم هذا القائد العظيم داعياً
لثيقن الناس بنوز الحملة الانكليزية نظراً لما اشتهر به من البسالة والدرابة

العسكرية . وبعد وصوله الى الاسكندرية نشر اعلاناً مآله انه لم يأت الى مصر الا لتأييد سلطة الخديوي وهو لا يجارب الا الذين يخالفون اوامر ملك البلاد . ثم اخذت العساكر الانكليزية تستكشف مراكز العرايين في كل يوم فكانوا اذا ظفروا بشرذمة من العرايين ولقوا منها مقاومة قابلوها بقوة السلاح فتولّى الادبار تاركة في ساحة القتال من جرح منها فينقلونه الى معسكره اما القتلى فكانوا يدفنونهم

وفي ٥ شوال سنة ١٢٩٩ هـ او ٢٠ اغسطس (آب) ١٨٨٢ م حصلت بين الفريقين موقعة في كفر الدوار استمرت ساعتين وكان فيها عدد العرايين ضعفي عدد الانكليز وانجحت عن انهزام قسم عظيم من العرايين وانتقلهم الى تل الوادي واحتل الانكليز بعض مواقع العصاة بعد ان قتلوا منهم ١٦٨ واسروا ٦٢ . وحصلت موقعة اخرى في اليوم التالي لم يفر بها احد الطرفين . اما في اليوم الثالث ٧ شوال فاقتل الفريقان في كفر الدوار اقتتالاً تعزز فيه جانب الانكليز بنجدة جاءتهم على قطار مخصوص فتكص العرايون وتربصوا تحت امرة طلبة عصمت في مواقعهم يتوقعون فرصة . وكان العرايون بعد كل موقعة يكتبون الى اخوانهم في العاصمة وغيرها انهم ظافرون . اما عرابي فذهب لتحصين التل الكبير في مديرية الشرقية

وبعث سير الاحوال وزارة راغب باشا على الاستعفاء فاستقدم الجناب الخديوي رياض باشا من اوربا حيث كان متغيّباً فقدم في واسط اغسطس وبعد قدومه دعا الخديوي شريف باشا الى تشكيل وزارة جديدة فلبى الدعوة وتعين رياض باشا ناظرًا للداخلية وعمر باشا لطفي ناظرًا للجهادية

وارسل الانكليز فرقاً من جيوشهم عن طريق الاسماعيلية ليقدموا مصر فاشتبكوا في ٩ شوال سنة ١٢٩٩ هـ او ٢٣ اغسطس سنة ١٨٨٢ م مع

العرايين بين المسخوطة والاسماعيلية وكان الفوز للانكليز واستولى الانكليز ايضاً على المحسمة فاصبحوا على عشرة اميال من التل الكبير وفي ٢٨ اوغسطس حصلت موقعة الفصاين بين المحسمة والتل الكبير . وفي ٢٩ شوال او ١٢ سبتمبر (ايلول) ورد للجناح الحديوي في الاسكندرية تلغراف من سلطان باشا منبئ باستعداد الانكليز لمهاجمة التل الكبير حيث تحصن العصاة ثم ورد تلغراف آخر من الاسماعيلية يعلن هجوم الانكليز على التل من كل ناحية وصوب في الساعة الرابعة والدقيقة ٢٠ افرنجي بعد منتصف الليل وان العرايين لم يقفوا امام الانكليز الا ٢٠ دقيقة استولى الانكليز بانقضائها على التل فغنموا ٤٠ مدفعاً وقتلوا النفي رجل واسروا النين واستولوا على المؤن والزخائر ثم اخذوا يتعقبون الجند المنهزم

وتنصّل ذلك ان عراي كانت قد وصلت اليه نسخة من جريدة الجوائب وفيها منشور جلاله السلطان باعتبار عاصياً فاغناظ وكاد يقع في اليأس لان حجة الكبرى كانت انه مدافع عن حقوق الدولة العلية في مصر فتشاور مع عبدالله نديم واقرّ على اخفاء ذلك عن الجند . فلما كانوا في التل الكبير وقد تحصنوا فيه بقوة ٢٠ الف مقاتل و ٧٠ مدفعاً زحفت الجنود الانكليزية تحت قيادة الجنرال وولسي بقوة ١٢ الفاً و ٦٠ مدفعاً وقبل وصولهم الى معسكر العرايين ارسلوا جواسيس من المصريين ومعهم نسخاً من الجريدة المشار اليها ففرقوها في الضباط وكبار الجيش . فلما اطلع اولئك عليها خارت قواهم ويئسوا من الفوز لان معظمهم كان يقاتل لاجل السلطان فعلم عراي بذلك فجمع اليه الضباط وتشاور معهم فاقرّوا على استمرار الدفاع محاربة ورياء . وفيو كتب علي بك يوسف امير الادي المقدمة الى عراي انه قد تحقّق ان العدو لا يخرج في هذه الليلة فاصدر عراي امره ان يرتاح الجيش اما العساكر الانكليزية فسارت من

اول الليل لا تنتر لما عزيمه وفي مقدمتها بعض الضباط المصريين الذين كانوا من حزب الجناب العالي وامامهم عربان الهنادي يرشدونهم الى الطريق فبلغوا المقدمة في آخر الليل فاخلى لهم علي بك يوسف الطريق ومروا بين العساكر لا راد يردهم فاطلقوا النار على الاستحكامات واوقعوا بالجند الراقد فالقت الاجناد اسلحتها وفرت فاستيقظ عراي من نومه على دوي المدافع وخرج من خيمته فارناع لما علم ان العدو قد استولى على الاستحكامات وانهزمت الجنود المصرية فاخذ بنادبهم فلم يلبه بحجب ثم رأى خيمته قد أصيبت بقنبلة فطارت فعلم انه لا ينجيه من الموت الا الفرار فركب جوادا كريما وفر وتبعه نديم فحاول بعض خيالة الانكليز ادراكها فما استطاعوا وما زالا حتى وصلا محطة ابي حماد فتزلا في القطار وامرا السائق بالمسير فتعلل فهداه فصار حتى وصل القاهرة

فتوجه عراي نوا الى قصر النيل وعقد مجلسا من امراء العسكرية والملكية واخبرهم بما كان واستشارهم فاختلفت الاراء فنهض البرنس ابراهيم باشا (ابن عم الجناب الخديوي) وخطب في الناس محرزا على الدفاع فوافقوه بحسب الظاهر واستقر الرأي على انشاء خط دفاعي في ضواحي المحروسة فسار عراي في فرقة من المهندسين نحو العباسية يستشيرهم عن انسب المواقع لبناء ذلك الخط فقال له احد الضباط «انك تجهلك وسوء تدبيرك قد احرق الاسكندرية وتريد الآن ان تحرق مصر فاذا لم يكن لك فيها ما يهلك فاعلم ان لنا فيها نساء واطفالا واملاكا لا نسأ بضياعها تنفيذا لا غراضك الا تدري انك تعرض مصر للخطر بانشاء الاستحكامات وتجعل منازلها هدفا لكرات المدافع فنحن لا نوافقك على ذلك واني اقول لك ذلك بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع الضباط الحاضرين فلا ترج منا مساعدة وبكفي ما قد جرى»

فاندهل عراي وارتابك في امره لا سيما لما رأى الباقين مستحسنين ما

قاله رفيقهم فكر راجعاً على عفيوه كثيراً فاجتمع باصدقائه ودعاهم الى النظر في الامر فلم يجدوا افضل من رفع عريضة الى الجنب الخديوي يعتذرون بها عن افعالهم ويقدمون له الخضوع فحرروا عريضة وارسلوها مع وفد مؤلف من بطرس باشا غالي وعلي باشا الروي ومحمد رؤوف باشا ثم اردفوها بعريضة اخرى ارسلوها مع عبدالله نديم في قطار مخصوص وكان ذلك في غرة ذي القعدة سنة ١٢٩٩هـ او ١٤ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٨٢م فابي الخديوي قبول العريضة وامر بالقبض على الروي وسجنه . اما نديم فانه ركب القطار الذي قدم عليه وعاد من فوره بعد ان وصل كفر الدوار ثم اخفى بعد ذلك ولم يتيسر للحكومة القبض عليه الى الان اما الجنود الانكليزية فانها بعد استيلائها على الثل الكبير سارت فمرت ببليس فالزقازيق واستولت عليهما ثم سارت حتى انت العباسية خارج القاهرة في مساء الخميس ١٤ منه وعسكرت في سفح الجبل المقطم فاجس الناس خيفة ان يدخل الانكليز مصر محاربين ولكن الامر جاء بخلاف ما كانوا يتوهمون لان الجيوش الانكليزية دخلت العاصمة بحالة سلمية في يوم الجمعة ١٥ سبتمبر طبقاً لما تنبأ به الجنرال وولسلي والقت القبض على عراي . وبعد وصول الجنرال وولسلي الى القاهرة انشد السير الجنرال افلين وود الى كفر الدوار فوصلها في ١٦ منه فسلمت فامر بنسف الطابية التي كان قد بناها العرايون في قرية اصلان ومثل ذلك سلمت باقي الحصون في بورت سعيد ورشيد واخيراً دمياط فانها لم تسلم الا في ٢١ سبتمبر (ايلول)

وبعد وصول الجنود الانكليزية الى القاهرة احتلوا قسلاً قلات العباسية والقلعة والمقطم وقصر النيل ونزل الجنرال السرو وولسلي في سراي عابدين وكان من جملة قواد هذه الحملة البرنس دي كوت ابن ملكة انكلترا . وأودع عراي ومحمود سامي في سجن العباسية والاسرى من الملكية في سجن

الضبطية والمجاهدية في القلعة

ثم صدرت الاوامر الخديوية بتعيين حكام المديریات من اهل النزاهة والاخلاص وصدرت اوامر اخرى بتعيين لجنة مخصوصة في الاسكندرية لتحقيق مواد السرقة والقتل والحرق التي وقعت فيها في حادثتي ١١ يونيو و ١١ يوليو الى غاية ١٦ منه وتقديم التقارير بما تستطلعها . واوامر اخرى بتعيين مثل هذه اللجنة في طنطا لتحقيق مثل هذه الحوادث التي حدثت خارج الاسكندرية . وارسلت نظارة الداخلية منشورات الى المديرين يستقدمون من يجدون ممن وقعت عليهم الشبهة بالاشتراك مع العرايين . ولا تسئل عن التهاني التلغرافية التي وردت للجناب الخديوي والجنرال وولسلي بما اناها الله من النصر المبين . وفي ٢٢ سبتمبر أُلغيت جر يدنا الزمان والسفير وفي ٢٥ منه أقبل الجناب الخديوي الى العاصمة وبصحبه شريف باشا وسائر الظار فتواردت الجماهير لملاقاة سموه في المحطة ثم ساروا الى يساره ابن الملكة وامامه الجنرال وولسلي والمستمر مالت حتى اتى سراي الاسماعيليه فتنزل وفي اليوم التالي سار الى سراي الجزيرة لاجراء التشریفات الاعيادية واستمرت الزينة في القاهرة ثلاث ليل متوالية وفي ١٥ اذي القعدة سنة ١٢٩٩ هـ و ٢٨ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٨٢ م امر سموه بتشكيل لجنة مخصوصة بالقاهرة تحت رئاسة اسماعيل باشا ايوب لتحقيق قضية كل من كان له يد في الحوادث الاخيرة وان تقدم ما تقرره لنظارة الداخلية لتنفذه . واصدر امراً آخر بتشكيل محكمة شرعية في القاهرة تحت رئاسة محمد راوف باشا للحكم بالدعاوي التي تقدم من اللجنة المختصة وان تكون احكام هذه المحكمة قطعية لا تستأنف . واصدر امراً آخر بتشكيل لجنة عسكرية بالاسكندرية للحكم في الدعاوي التي تقدم لها من اللجنتين المخصوصتين اللتين تشكلنا في الاسكندرية وطنطا وان تكون احكامها قطعية تحت رئاسة عثمان نجيب باشا . فشرع كل من هذه اللجان والمحاكم

في اجراء ما عهد اليه . وفي ١٨ اذي القعدة سنة ١٢٩٦ هـ او ٢ اكتوبر (ت ١) سنة ١٨٨٢ م تعين الشيخ محمد العباسي لمشيخة الجامع الازهر بدلاً من الشيخ الامباري . وكافاً الجناب الخديوي سلطان باشا بمبلغ عشرة آلاف جنيه على صداقته التي ابداه اثناء الثورة . ثم اصدر الجناب العالي امراً بالغاء الجيش المصري بقصد صرف العساكر التي جاهرت بالعصيان والاكنتفاء بمحاكمة الضباط وكبار قادة الجيش كعراي وعبد العال وغيرها ثم امر بتجديد تنظيمه . وفي ١١ ذي الحجة او ٢٤ اكتوبر (ت ١) صدر النوع من الملازمين واليوزباشية الذين كانوا في جيش عراي مع بعض الاستثناء . وانعم الجناب الخديوي بالنيشان المجيدي والعثماني من رتب مختلفة على ٥٢ ضابطاً من ضباط الجيش الانكليزي . واخذت الحكومة المصرية بمشاركة قناصل الدول تسعى الى تسكين البال وتوطيد الراحة والقبض على من اشترك بتلك الثورة ومكافأة الذين ساعدوا في اطفائها وبرهنوا على اخلاصهم للمليك البلاد . وعينت في الاسكندرية لجنة للنظر في تعويض الخسائر التي تكبدها اهاليها بسبب الحرق والنهب ثم جاء اللورد دوفرين معتمداً من قبل دولة انكلترا لتسوية المسائل المصرية وتنظيم تقرير بشأنها ولم يكن ذلك برضاء الباب العالي . واخذ اللورد دوفرين منذ وصوله الى القاهرة يجتمع بالخديوي والوزراء ويتداول معهم في المسائل التي يجب النظر فيها ذلك بعد ان درس احوال البلاد ومحت بنفسه عن الامور التي كان عازماً على وضعها . ثم حرر تقريره المشهور وارسله الى لندن في ٦ فبراير سنة ١٨٨٢ م بحث فيه بحثاً دقيقاً في حالة مصر السياسية والقضائية والمالية وعلى نوع خاص بديون الفلاحين ثم شرع الانكليز في الغاء المراقبة الانكليزية الفرنسية بقصد الانفراد بالعمل فكبر ذلك على فرنسا ولكنها لم تستطع امراً يمنع الغاءها فألغيت وجعل في مكانها بامر الحضرة الخديوية مأمور مصري دعوى مستشاراً

مالياً وله الحق ان يحضر في جلسات مجلس النظار فتعين السير اوكلاند كولن في هذا المنصب . وكانت الحكومة قد باشرت محاكمة زعماء الثورة العرابية بواسطة اللجن التي سبق ذكرها وكان الفراغ من تلك المحاكمة في ١٩ شوال سنة ١٢٩٩ هـ (٢ دسمبر (ك ١) ١٨٨٢ م) ثم التأمّت اللجنة مراراً للنظر في تثبيت تلك الاحكام ثم عُرضت على الجناب العالي فتكرّم بالعفو عن حكم عليهم بالقتل فاصبحت الاحكام بعد ذلك العفو نقضي يتجرّدهم من الرتب والالقب والنياشين ونفيهم وهاك ما صدر بشأن ذلك « (١) الحكم الصادر على كلّ من احمد عراي وطلبة عصمت وعبد

العال حلي ومحمود سامي وعلي فهمي ومحمود فهمي ويعقوب سامي المفتضي جزاؤهم بالنصاص وقع تبديله بالنفي الى الابد من الاقطار المصرية وملحقاتها « (٢) ان هذا العنوي بطل وينع اجراء الحكم على المذكورين بالقتل

اذا رجعوا الى الاقطار المصرية او ملحقاتها . ثم ارنأى مجلس النظار ان تضبط املاكهم المنقولة وغير المنقولة وان يعين لهم في مقابل ذلك راتب سنوي كافٍ لمعيشتهم فصدر بذلك امر عالٍ في ٢٠ شوال او ١٤ دسمبر (ك ١) من تلك السنة فعينت لجنة لاجراء ذلك ثم صدرت الاحكام

المختلفة على من بقي من اتباع عراي كلّ بحسب استحقاقه . وكان الامر بالنفي على ما تقدم بنقضي بتسنيرهم حالاً وانما رات الحضرة الخديوية امهالهم الى ١٦ صفر او ٢٧ دسمبر (ك ١) وعند ذلك ركبوا في قطار مخصوص مع من ارادوا استصحابه من ذوبهم الى السويس ومنها الى جزيرة سيلان محل منقام ولا يزالون هناك الى اليوم . ثم اصدر الجناب الخديوي امراً عالياً بتاريخ ٢٢ صفر سنة ١٣٠٠ هـ الموافق ٢ يناير (ك ٢) سنة ١٨٨٢ م بالعفو عن كل اهالي النظر المصري الذين اشتركوا في الثورة العرابية ما عدا الذين سبق صدور الحكم عليهم لغاية تاريخه

ولاحظ رياض باشا بعين الناقد ان نبات الانكليز منصرفة الى

مساعدة عراقي ورفقائه اثناء محاكمتهم فابت نفسه الكظم على ما في ضميره .
 فقدم استعفاءه من نظارة الداخلية فكان ذلك مكدرًا لعموم الاهالي .
 وقد خاضت الجرائد بهذا الشأن ولا سيما جريدة الديبا وابانت ما لهذا
 الوزير الخطير من المآثر الغراء في التنظيمات الادارية وحرية التصرف
 بالاحكام وقد اجمعت تلك الجرائد على استحسان فعله مؤثرًا الاستعفاء على
 قبول خدمة لا يستطيع فيها التصرف بالحرية التي تقتضيها مصالح الامة
 التي هو اكثر الناس غيرة عليها . فلما قبل استعفاؤه عين بدلاً منه اسماعيل
 باشا ابوب ثم توفي هذا بعد يسير فعين بدلاً منه خيري باشا

وفي ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٢٠٠ هـ (١ مايو (ايار) ١٨٨٢ م)
 صدر الامر العالي بتشكيل (١) مجالس المدبريات مجلس في كل مديرية
 ويكون لها ان تقرر رسوماً فوق العادة لصفها في منافع عمومية تتعلق
 بالمديرية انما لا تكون قراراتها في هذا الشأن قطعية الا بعد تصديق
 الحكومة عليها (٢) مجلس شورى القوانين . وفائدته النظر في القوانين
 التي تسن حديثاً قبل نشرها ولا يجوز اصدار قانون او امر يشتمل على
 لائحة ادارة عمومية ما لم يتقدم ابتداء الى هذا المجلس لاخذ رأيه فيه وان
 لم تعول الحكومة على رأيه فعليها ان تعلنه بالاسباب التي اوجبت ذلك
 انما لا يترتب على اعلانه بهذه الاسباب جواز مناقشة فيها (٣) الجمعية
 العمومية . وهذه لا يجوز ربط اموال جديدة او رسوم على منقولات او
 عقارات او عوائد شخصية في النظر المصري الا بعد مباحثة الجمعية
 العمومية في ذلك وافزارها عليه (٤) مجلس شورى الحكومة . صدر الامر
 بتشكيله وتأجل بيان وظائفه

ثم شرعت الحكومة في تنظيم الجيش المصري الجديد بعد ما ألغيت
 الجيش القديم على ما تقدم فانتخبت من الضباط من لم يكن له يد في
 المحوادث العرابية واخذت بعد ذلك في تنظيم الجندرية والبوليس وجعلت

السير افلن وود قائداً عاماً للجيش المصري وباكر باشا قائداً للجندرية والبوليس فكان عدد الجندرية ٢٠٠٠ فارس و ٢٠٠٠ ماش . ثم تعين الجنرال السير افلن وود سرداراً للجيش المصري ورئيساً لاركان حربه فاختر لمساعدته عدداً من الضباط الانكليز جعلهم في اركان حربه وعهد اليهم قيادة الفرق لتعليمها المحركات العسكرية . ثم نظمت المجالس المحلية ووضع لها قوانين عادلة وتعين لها رجال يقضون على ازماتها وقد انصرف اليها هم اللورد دوفرين فتشكلت لجنة تحت رئاسة فخري باشا لانتقاء اللاتمين الذين يجب انتخابهم ليعهد اليهم بالعمل والادارة . ثم اهتم مجلس النظار في مسألة القضاة الاوربيين فقررت لجنة التعديل ان يكون في كل مجلس ابتدائي اوربيان وفي الاستثنائي اربعة . وفي ٨ شعبان سنة ١٢٠٠ هـ (١٤ يونيو (حزيران) ١٨٨٢ م) صدر الامر الخديوي بترتيب هذه المحاكم ولائحة قوانينها . ثم صدر الامر الكرم بكل من القانون المدني والتجارة البرية والبحرية والمرافعات وتحقيق الجنايات وفي صيف سنة ١٨٨٢ م ظهر في هذا القطر السعيد الوباء المشوم المعروف بالكوليرا (الهواء الاصفر) فاقبضت المنجور الصحية واعنتت الحكومة بتنظيف البلاد وبلغ عدد الوفيات بهذا الداء نحواً من ستمين الف نسمة

الحوادث السودانية

ظهر في رمضان سنة ١٢٩٨ هـ اوائل اغسطس (آب) سنة ١٨٨١ م رجل نوبي المشلول يدعى احمد محمد بن عبدالله وادعى انه المهدي المنتظر وكان مقبلاً في جزيرة ابا من اعمال السودان فالتفت حوله عصابة قوية وكان على حكمادارية السودان رؤوف باشا فانفذ اليه احد رجال بطانيته

يطلب حضوره الى الخرطوم عاصمة السودان فابى فبعث اليه ثلاثمائة مقاتل على باخرتين فعادوا خاسرين فاستمسك الرجل بمهدويتيه وكثر انصاره فبعث محمد سعيد باشا مدير كردوفان جيشاً كبيراً يقفني اثره وكان قد نزع الى جبل الغور شمالي فنشوده واستنجد باهله فعاد ولم ينل منه وطراً . ثم جرد اليه راشد بك مدير فنشوده وقاتله فشنت المقاتلة عن قتل راشد بك وتشتت رجاله واكتسب المهدي كل ما كان معهم من المؤن والزخائر . وانتشر اتباع المهدي المعروفون بالدرأويش بين القبائل السودانية يحثونهم على الجهاد في سبيل الله وما زالت الفتنة تقوى وتنشر حتى اوائل سنة ١٨٨٢ م حينما استقدم رؤوف باشا من السودان واقام عبد القادر باشا مكانه

وفي ربيع اول سنة ١٢٩٩ هـ اوائل افريل سنة ١٨٨٢ م تقدم احد اقارب المهدي في شردمة من رجاله الى سنار فسارت نجدة من رجال الخرطوم لمساعدة حامية سنار فشنت شمل العصاة وانفذت سنار . وظهر في ذلك الاثناء رجل يدعى محمد طاهها ادعى انه وزير المهدي وجمع اليه عصابة زادت اتباع المهدي قوة لكنه ما لبث ان ظهر حتى تبدد شمله وشمل رجاله

وفي شوال من تلك السنة نزل المهدي الى العبيد في ستين الفاً وكانت حاميته سنة آلاف بالاسلحة التامة و١٢ مدفعاً فحاصرها بعد ان هاجمها دفعتين ولم يفر منها بشيء . فوجه عبد القادر باشا عنايته الى تحصين الخرطوم خوفاً من الغائلة . وفي اواخر هذه السنة ارسل القانمقام سنيوارت الى الخرطوم ليرفع للحكومة تقريراً عن احوال السودان . وفي اوائل سنة ١٨٨٣ م ملئت حامية العبيد الحصار فسلمت فصارت كردوفان ومن فيها انصاراً للمهدي . ثم استقدم عبد القادر باشا الى مصر واقام مقامه علاء الدين باشا وتولى حسين باشا قيادة جيش سنار . ثم نالت

الحوادث الى اوائل فبراير من هذه السنة فانفذت الحكومة المصرية حملة من ١١ الف مقاتل تحت قيادة قائد انكليزي التزعة يقال له هيكس باشا لانتفاذ العبيد وفتح العصاة المهديين وما زالت حتى انت الخروطوم فكنت مدة للراحة ونهضت منها قاصدة العبيد فهلكت عن آخرها بمكة كانت منصوبة لها في وسط الصحراء وهلك معها قائدها ولم يرجع منها مخبر

وفي اثناء ذلك كان توفيق بك محافظ سواكن محاصراً في سنكات لاحتماد نار الثورة في تلك الاقطار تحت قيادة احد قواد المهدي المدعو عثمان دجنا . واشتد الحصار على توفيق بك ولم يكن لديه الا ستون مقاتلاً واما عدد العصاة فلا يقدر لكثيره فطلب عثمان من توفيق بك ان يسلم والا قتله ومن معه فطاولة حتى تحصن فهم عليه عثمان فقتل بعضاً من رجاله ولكنه لم يفر به . فانتشر سم الثورة في تلك الانحاء وحاصر العصاة طوكار وهي على ٤٥ ميلاً من سواكن ثم تقدموا حتى هاجموا سواكن نفسها وعادوا خائبين . وفي اواخر سنة ١٢٠٠ هـ او سنة ١٨٨٢ م أعدت الحكومة المصرية حملة تسير الى جهات سواكن تحت قيادة باكر باشا لانتفاذ الحاميات ثم تسير الى بربر وتعيد المواصلات بينها وبين سواكن . فسار اولاً الى مصوع ليتحالف مع روساء القبائل ليعد طريقاً لانتحاب حامية الخروطوم عن طريق كسالا ثم عاد الى سواكن واخذ في اعداد ما يلزم لتخايص حاميات طوكار وسنكات وحصلت مواقع كثيرة انتهت باستيلاء العصاة على سنكات وقتل توفيق بك حاميتها وبطلها بعد ان اظهر من البسالة وعلو الهمة ما يتفخر التاريخ بذكره وعاد باكر باشا بجيشه الى سواكن وحصنها ثم انيطت حكومتها بالاميرال هيوت واستقدم باكر باشا الى القاهرة وبقيت طوكار محاصرة

وفي اثناء ذلك اشارت الحكومة الانكليزية على الحكومة المصرية ان تخلي السودان وتسحب جيوشها منها فلم يصادف ذلك قبولاً لدى شريف

باشا رئيس النظار فاصر الانكليز ومن ذهب مذهبهم على الاخلاء واستمسك شريف برأيه علماً منه بإمكان اخضاع السودانين واستبقاء السودان فلما رأى اصرار الفئة المضادة لرأيه استقال من رئاسة النظار في ٥ ربيع اول سنة ١٢٠١ هـ (٤ يناير (ك) سنة ١٨٨٤ م) ورضي نوبار باشا بتشكيل وزارة جديدة قبالاً بما اشار به الانكليز على شرط استبقاء سواكن فلم يعد على الحكومة الا سحب حاميتها ورعاياها المقيمين في الاقطار السودانية فدار البحث على انسب طريقة لذلك . وفي ٩ ربيع اول او ٨ يناير (ك) منها انتدبت الحكومة الانكليزية غوردون باشا احد رجالها المشهورين ليسير الى السودان يرفع عنها تقريراً مفصلاً وعلى الخصوص عن حالتها الحرية والوسائط المناسبة لسلامة من بها من الحاميات والسكان الاورباويين وعن احسن طريقة لاخلاء داخليتها وتنشيط حكومة منتظمة على سواحل البحر الاحمر وابطال تجارة الرقيق التي كانت قد عادت الى ما كانت عليه واسلم طريقة لانتخاب الجيش المصري . وكان غوردون عالماً باحوال السودان لانه تولاه في عهد الخديوي السابق فبارح الجنرال غوردون انكلترا مستصحباً الكولونيل سنيوارت كاتم اسراره فوصل القاهرة في ٢٥ يناير (ك) فاخبره السير افلن بارنج وكيل انكلترا السياسي في مصر ان الحكومة الانكليزية قد فوضت اليه اخلاء السودان وانها تطلب اليه اعادة حكم الامراء الذين كانوا يحكمون فيها عند ما فتحها المغفور له محمد علي باشا . وفي اليوم التالي اصدر الجناب الخديوي امراً عالياً بنولية غوردون على الاقطار السودانية وفوض اليه امر اخلائها ثم سافر غوردون فوصل بربر في ١١ ربيع آخر او ٩ فبراير (شباط) وهناك اباح للاهالي جهاراً الاتجار بالرقيق بدعوى ان السودان اصبحت دولة مستقلة عن مصر وان المهدي قد اقيم سلطاناً على كردوفان . وفي ١٨ فبراير (شباط) وصل غوردون الى الخرطوم فتلقاه اهله

وحاميتها بالترحاب فقال لهم «اني اتيت لانتفاذ السودان مما رزئت به ولم آت بجيش بل اتكلت على معونة الله فلا احارب الا بسلاح العدل» وكانوا بحبونه فوق كلامه من قلوبهم موقع الاستحسان واستتبت الراحة في الخرطوم ثم رأى الناس قد عادوا الى الثورة فحرر الى انكلترا مشيراً بوجوب كسر شوكة المهدي قبل اخلاء السودان لانه يخشى منه اذا ملك الخرطوم ان يسير الى حدود مصر وشاربترك سواكن ومصوع . واخذ من الجهة الثانية يبشر السودانيين بالسلم وبانه لم يأت الا مسالماً فلم تجمع دعواه فناهضهم فلم يفز وكان عند وصوله قد ارسل الى المهدي يخبره انه قد عينه سلطاناً على كردوفان فرفض تلك العطية وتهده بالقتال والمسير الى مصر فاخذ في عدوانه وجعل يرسل بواخره الى البحر الازرق لمحاربتيه ولم ينته مارس (اذار) من تلك السنة حتى اصبحت الخرطوم في حصار نام فجعل غوردون يستحث الحكومة الانكليزية على انه لا بد من محاربة المهدي وكسر شوكتهم وانه يكفي لذلك ٢٠ آلاف من مشاة الانترك وبعض خيالاتها وفي اثناء ذلك بعثت الحكومة الانكليزية جيشاً من رجالها لانتفاذ طوكار وحاميتها تحت قيادة الجنرال غرام . ولكن «لم يأت الترياق من العراق حتى كان العليل فارق» الا ان الجنرال غرام ما انفك حتى جاء طوكار بعد مقاساة شديدة وانفذ حاميتها وكانت قد أسرت واستعبدت ورجع الى سواكن . ثم عاد ثانية لمحاربة العربان ففتك بهم ولكن لم تكن ثم نتيجة لتلك الغلبات الا زيادة الرعب للقبائل المسالمة ولا سيما بعد انسحاب غرام من سواكن في ٢٧ جمادى الاولى سنة ١٢٠١ هـ او ٢٥ مارس (اذار) سنة ١٨٨٤ م

وتماهلت الحكومة الانكليزية في اجابة طلب غوردون فكتب الى صديق له في لوندرا يدعى السير صموئيل باكر يقول «الا يقرضنا اغنياء انكلترا واميركا مئتي الف ليرة انكليزية فنستأجر بها الفين او ثلاثة

آلاف من الباشبوزوق التركي وارسلمهم الى بربر . ثم كتب الى السير افلن بارنج في القاهرة يقول « قد علمت منك ان قصدك ان لا نمدنا بجدة الى هنا او الى بربر فلذلك اراني حرًا ان افعل بحسب ما تقتضيه الاحوال فساقي هنا ما امكن وساخذ الثورة اذا استطعت والّا فاني ارجع الى خط الاستواء ويبقى العار على الذين اهلوا حامية سنار وكسالا وبربر ودنقلة عالمًا حتى العلم انه لا بدّ لكم من محاربة المهدي وقهره في ظروف وعن واحوال عسرة اذا كان قصدكم حفظ السلام في القطر المصري » وقد قال انه سائر الى خط الاستواء لانه ظنها الطريق الافضل للنجاة بمن معه لان الاعداء كانوا قد احاطوا به من كل الجهات وقد سقطت بربر وما جاورها

الّا ان الحكومة الانكليزية أقرّت اخيراً على ارسال حملة من رجالها دعنها الحملة النيلية لتسير الى السودان عن طريق النيل لانتفاذ غوردون ومن معه جعلتها مؤلفة من سبعة آلاف جندي تحت قيادة الجنرال اللورد وولسلي قائد حملة سنة ١٨٨٢ م . فبارح لندرا في ٩ ذي القعدة سنة ١٢٠١ هـ او ٢١ اغسطس (آب) سنة ١٨٨٤ م وبارح القاهرة في ٢٧ سبتمبر منها . وكان قد سار في مقدمة الجيش الماجور كتشنر (اليوم كتشنر باشا) ليستطلع الاحوال فأخبر ان الكولونيل سنيوارت كاتب اسرار غوردون بينما كان نازلاً في باخرة مرّ ببربر فانكسرت به الباخرة وغدر العربيان به وبمن معه وقتلوه . اما الحملة النيلية فسارت حتى انت حلقتا عند الشلال الثاني وقاست اشر العذاب في تطليع مراكبها فوق الشلالات وعلى الخصوص الشلالين الاول والثاني ومن حلقتا مدوا سكة حديدية الى سرس على مسافة ٢٠ ميلاً منها ومن هناك سار وولسلي حتى اتى دنقلة فلاقاه مديرها مصطفى بك ياور (اليوم مصطفى باشا ياور) فسلمه لقب ورتبة (سير) من انعام جلالة ملكة

انكلترا مكافأة على خدماته في محاربة العصاة لانه يشبانو مع قلة رجاله
منعهم من التقدم الى ما وراء بربر

ثم اخذ اللورد وولسلي رسالة من غوردون باشا بتاريخ ٤ نوفمبر يقول
فيها انه لا يمكنه حفظ المدينة (الخرطوم) اكثر من اربعين يوماً ويشير
عليه ان يأتي برجاله عن طريق امبوكول فالمنمة عن طريق الصحراء .
فراى وجوب الاسراع فصار الى كورتى قرب امبوكول وهناك جعل
جيشه قسمين ارسل احدهما تحت قيادة الجنرال إيرل ليسير على النيل حتى
الي حمد وبربر فيقهر العربان الذين قتلوا الجنرال سنيوارت ثم يفتح طريق
الصحراء بين ابي حمد وكروسكو لتسهيل نقل المؤن . والقسم الثاني ارسله
عن طريق الصحراء الى المنمة تحت قيادة الجنرال سنيوارت ليفتح طريق
الخرطوم ويسرع الى غوردون فينقذه . وبين كورتى والمنمة مسير ١٢
يوماً في ارض رملية قاحلة لا ماء فيها الا في بعض الآبار التي ماء معظمها
ممنوع من الامطار وهي افضل طريق موصلة الى الخرطوم من امبوكول .
فسار الجنرال سنيوارت في ١٢ ربيع اول سنة ١٢٠٢ هـ او ٢٠ دسمبر
« ك ١ » سنة ١٨٨٤ م في فرقة من الجند لاستكشاف احوال الآبار فجاء
اولاً آبار الهوائ ثم آبار جكدول فراى فيها ماء كافياً لحملة مع الجهد
فعاد الى كورتى

وفي ٢١ ربيع اول سنة ١٢٠٢ هـ او ١ يناير « ك ٢ » ١٨٨٥ م عاد
قاصداً المنمة في الف وستماية مقاتل ونحو الفين من الجمال وثلاثماية من
الهمائة المصريين فوصل جكدول في ١٢ يناير وبارحها في ١٤ منه بعد
ان ترك فيها حامية قليلة وبعد يومين قابل التلال التي تحيط بآبار ابي
طلح فارسل بعض الفرسان لاستطلاع حالة الآبار فعادوا واخبروا انها
محنوفة بالخيام والاعلام المهدوية ومعظم السواد الى غربيها . فعسكر سنيوارت
في منخفض وسيع واحاط معسكره بزريرة وباتوا تلك الليلة ساهرين وفي

الصباح التالي انتظروا هجوم العدو فلم يهجم احدٌ منهم فأمر الجنرال سنيوارت رجاله ان يترجلوا تاركين مطيهم في الزريبة وليسيروا على هيئة مربع لامتلاك الآبار لان الماء لا يلبث ان يتند من معسكرهم وترك في الزريبة ١٥٠ جندياً لحراسة المتاع وسار نحو العدو فمضى ساعة ثم هجم عليه العربان فلاقاهم بعزم ثابت فتفقهروا ففتنهم المربع حتى تواروا فوصل الآبار واستولى عليها وفي صباح اليوم التالي استفد من كان باقياً في الزريبة . وقد قُتل من الانكليز في هذه الموقعة تسعة ضباط وستون جندياً وقتل من العربان ثمانمائة

وفي غاية ربيع اول او مساء ١٧ يناير «ك ٢» بارح الجنرال سنيوارت آبار ابي طليح تاركاً عندها حامية وسار في ظلام الليل قاصداً المنمة حيث ينزل على النيل الى الخرطوم وكان ليلاً حالاً كما وقد أُنْج لي ان اكون من رفقاء تلك الحملة في تلك الليلة اللبلاء فكما سائرني لا نرى شيئاً من آثار الطريق المؤدي الى المكان المقصود لشدة الظلام فاضطررنا الى الاستدلال عليها بالابرة المغنطيسية (البصلة) والنجم القطبي وكما تارة نصعد على آكام منتهسين وطوراً نعتارجل جمالنا باعشاب او أنجم شوكية ولم نكن نخرج صوتاً ولا نقدح ناراً لئلا يكون بالقرب منا من الاعداء من يستطلع احوالنا فتحبط مقاصدنا ولم يأت آخر الليل حتى اصبحنا وليس فينا من لم يأخذ منه النعس مأخذاً عظيماً . وكانت تأخذ من احدنا سنة الوسن وهو على ظهر الجمل فينتبه وهو على وشك السقوط فيعندل

وعند ما اصبح يوم غرة ربيع آخر او ١٨ يناير «ك ٢» اشرفنا على النيل المبارك عن بعدٍ والمنمة عن يسارنا ولم نكد نقف والغزالة في الضحى حتى خرج البنا من اسوار المدينة (المنمة) جيش جرار من العربان وقفوا على مرمى رصاص منا وقد حالوا بيننا وبين النيل وجعلوا يطلنون علينا النار من وراء الاشجار والصخور فامر الجنرال سنيوارت بالترجل

وانشاء زريبة وماكدنا نفعل حتى اخدمت نيران العدو فامر الجنرال بتشكيل مربع ثم وقف وراء احد المدافع ويده المنظر يراقب حركات العدو فاصابته رصاصة في بطنه فسقط على الارض وسقطت قلوبنا معه وكان بجاني المستر سانكي هررت كانب سر الجنرال فسألته ما ظنة بحياة الجنرال فاجاب متأسفا انه لا يرجو له شفاء . وما اتم كلامه حتى اصيب هو برصاصة في رأسه فشقق وسقط ميتا لا حراك به وكان خادمة بجانيه يخاطبه في بعض حاجاته فلما رآه ساقطاً رفع يده منادياً يا سيدي يا سيدي ولم يتم قوله هذا حتى اصيبت يده عند المعصم برصاصة ثقتبها من الجانب الواحد الى الآخر وكنا نرى كثيرين غيره يسقطون مثل تلك السقطه . فلا نسل عما حل بالجند من اليأس الا انهم تجلدوا واقاموا عليهم اكبر ضباطهم قائداً فاموا بتشكيل المربع بعد ان رفعوا الجنرال جريحاً جرحاً بليغاً لم يعيش بعد أكثر من شهر واحد فمات عند انسحاب الحملة ودفن عند آبار جكدول في وسط الصحراء

فسار المربع ونحن داخله فاصداً النيل فهاجمنا الاعداء ببسالة غريبة ثم ما لبثوا ان اقتربوا من مربعنا حتى نشئت شملهم فسرنا حتى ادركنا النيل عند الظلام بعد مفارقتنا اياه نفحوا من اسبوعين فحييناه تحية ملتاح وعسكرنا على ضفته للمبيت تلك الليلة . وفي الصباح التالي جاءت العساكر مع من كان معهم في الزريبة ثم انتقلنا الى قرية جنوبي المنمة يقال لها القبة وقد دعاها بعض الكتبة « جوبات » غلطاً . وهناك التقى الجيش باربع بواخر كان قد ارسلها غوردون من الخرطوم لللاقائهم فاستلموها وكان فيها نصحي باشا وخشم الموس بك « اليوم خشم الموس باشا » وكلاهما من المخلصين لغوردون باشا والحكومة المصرية

وفي ٧ ربيع آخر او ٢٤ يناير « ك ٢ » ركب السير شارلس ولسن رئيس قلم المخابرات في سرية من الجند على باخرتين ومعه خشم الموس

بك وسار قاصداً الخرطوم وفي اليوم التالي وصلوا الى الشلال السادس « شلال السيلوكا » فانكسرت احدى الباخرتين فاحتشد المجند في الباخرة الباقية ثم ساروا قليلاً فلاقاهم اعرابي واخبرهم ان الخرطوم قد سقطت فلم يصدقوا حتى وصلوا اليها ورأوا الاعلام المهدوية تخفق فوق اسوارها فعادوا وقد يؤسوا مما ارادوا . ثم علموا ان سقوطها كان بخيانة فرج باشا اكبر قواد الاسوار وان غوردون قد قُتل وقتل معه كثيرون من الاوربيين وغيرهم فعاد السير شارلس بباخرته وعند وصوله الى الشلال المعهود صدمت الباخرة الباقية صخرة فانكسرت فتزل بمن كان معه من الجيش الى البر فاتهم اعرابي وفي يد كناناب من المهدي يطلب اليهم التسليم فطاولوه الى ان انتهت باخرة من الممتة ولم تصلهم الا بعد شق الانفس لما كان يتهدها من الطواحي القائمة على الضفتين وكانوا قد ارسلوا احد الضباط لاستجلابها وتبلغ ما كان من الخرطوم وسقوطها . فركبوا الباخرة حتى اتوا القبة وهم لم يصدقوا انهم نجوا . فأرسلت هذه الاخبار الى اللورد وولسي في كورتي فاستنشار حكومته فامرته بالانتحاب فبعث بتلك الاوامر الى حملي الممتة وابي حمد

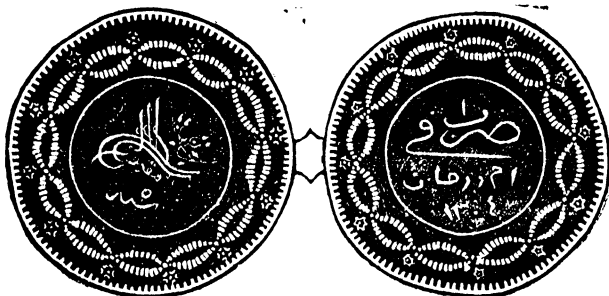
اما حملة ابي حمد التي كانت تحت قيادة الجنرال ايرل فكانت قد حاربت العربان في اماكن متعددة قتل فيها الجنرال ارل واميرالايان وسبعة عساكر ثم تقدموا الى ابي حمد فظفروا ببقية باخرة الكولونيل سنيوارت وبعض اوراقه ثم ادركهم اوامر اللورد وولسي بالانتحاب فانسحبوا الى كورتي . ومثل ذلك فعلت حملة الممتة فانها عادت حتى اتت كورتي وفي ٢٢ جمادى الاولى سنة ١٢٠٢ هـ او ١ مارس « اذار » سنة ١٨٨٥ م النفث عساكر اللورد وولسي مرة ثانية في كورتي فاعلنهم ان الحكومة الانكليزية قد عزمت على سحب كل الحملة في الخريف القادم وكان الانكليز قد ارسلوا حملة ثانية الى سواكن تحت قيادة الجنرال

غرام انفع طريق بربر ومد سكة حديدية فمدوها الى عطوة وطنبوك بكل مشقة لما كان يحول دون ذلك من مناوشات العربان وتعدياتهم وفي رجب سنة ١٢٠٢ هـ او اوائل مايو «يار» سنة ١٨٨٥ م جاء اللورد وولسلي الى سواكن وشاهد تلك الاجراءات وفي اواخر هذا الشهر اعتمدت الحكومة الانكليزية على اخلاء السودان من عساكرها لاسباب دعنها اليها سياستها الخارجية فاخذت الجيوش بالانتحاب وفي شوال او يوليو (تموز) شرعوا بالانتحاب من دنقلة على نية ان يتغنصوا في وادي حلنا وكروسكو واصوان ويتركوا للعصاة ما وراء ذلك من البلاد

اما المهدي فبقي في حصن ام درمان بجوار الخرطوم بمحشد جيشاً لافتتاح النظر المصري . وفي ٦ رمضان سنة ١٢٠٢ هـ او ١٩ يونيو (حزيران) ١٨٨٥ م اصيب بالجدري ومات في مساء اليوم التالي بعد ان استغلف ابن اخيه . ولم يضعف موت المهدي شيئاً من الثورة بل بقيت على ما كانت عليه قبل موته وظل العصاة يتجمعون ويتفرقون ويفتنون ابر الانكليز حتى احلوا دنقلة فصارت تجارة الرقيق الى ما كانت عليه وتكاثر عدد الثغاسين

اما الجيوش الانكليزية فاصبحت بعد سفر اللورد وولسلي تحت قيادة الجنرال غرانفيل ومعه بعض الجيوش المصرية وقد احملت الحدود المصرية الى وادي حلنا فكانت نهاجهم الدراويش مرةً وبهاجمونهم اخرى حتى كانت واقعة جنس ثم مواقع اخرى وكان النور دائماً للعساكر الانكليزية والمصرية الى ان خمدت ولم نعد نسمع الا بمناوشات طنينية وقد اصبحت آخر الحدود المصرية الآن وادي حلنا ولا يزال العربان في ما وراء ذلك على نية مقاومة الحكومة المصرية وقاها الله من كل غدر وحرسها بعنايتي . وقد استغل الدراويش المهدويون بالاقطار السودانية وتشبهوا بالدول الأخرى فخطبوا لمهديهم وخلفائهم وضربوا النقود بامرهم في ازمته

مختلفة فمنها ما هو مضروب في سنة الهجرة وهي هجرت المهدي على ما يزعمون ومنها ما هو مضروب بعد ذلك . وقد عثرت على قطعة فضية من هذه النفود ترى رسمها في شكل ٩٢ بحجبتها الطبيعي على احد وجهيها اسم المدينة التي ضربت فيها «ام درمان» بجوار الخرطوم قد اتخذها المهدي عند افتتاح الخرطوم مقراً له وعند اسنل ذلك تاريخ ١٢٠٤ هـ وهي سنة استقلالهم بالاقطار السودانية وإلى اعلاها رقم واحد يقصدون به السنة الاولى من سلطانتهم وعلى الوجه الآخر ما يشبه الطغراء يقرأ منها كلمة «مقبول» كأنهم يريدون بها ان هذه النفود مقبولة عند حكومتهم وعند اسنل الطغراء يقرأ سنة ٥ ربما يقصدون بها السنة الخامسة من ظهور المهدي او هجرته



ش ٩٢ نفود محمد احمد المهدي

هذا ملخص الحرب السودانية التي انتهت بخروج معظم الاقطار السودانية من حوزة الحكومة المصرية بعد ان هدرت في سبيل ذلك دماء غزيرة وأنفقت مبالغ جسيمة تفوق ما بذله المغنور له محمد علي باشا على افتتاحها فقد صح فيها قول الشاعر
 وبلأه ان نظرت وان هي اعرضت وقع السهام وتزعمن اليم
 «عود»

اما ما كان من امر مصر فان الاشاعات تكاثرت بعزم الحكومة

الانكليزية ان تضع حمايتها على هذا البر ثم اثبت الزمان كذب تلك الاشاعات . ثم تكاثر القول بقرب انجلاء عسكرها عن مصر . وفي شعبان سنة ١٢٠١ هـ اوبونيو (حزيران) ١٨٨٤ م تشكل مؤتمر دولي من جميع الدول وانعقد في لندرا تحت رئاسة اللورد غرانفيل ناظر خارجية انكلترا للبحث في امور كثيرة تتعلق بمصر فقرر تحويرات كثيرة انتهت الى غير نتيجة فلا حاجة الى ذكرها

وفي ذي القعدة سنة ١٢٠١ هـ (اوائل سبتمبر (ايلول) ١٨٨٤ م) وفد على القطر المصري اللورد نورثبروك معتمداً من انكلترا للنظر في المسألة المالية واحوال الادارة الداخلية مستصحباً معه القاضي الهندي سبيع الله خان بناء على رغبة اللورد في انتخاب قاض مسلم يصحبه الى مصر ويكون شريكاً له في هذه المهمة فتحدثت الناس كثيراً بسبب قدوم هذا المعتمد اما هو فاخذ في ملاحظة ما اتى من اجله وطاف البلاد شمالاً وجنوباً وبعد ان قضى اياماً طويلاً عاد الى بلاده ونظم تقريراً رفعه الى حكومته فلم يحضر قبولاً فنسجت عليه عناكب النسيان

ورأت الحكومة المصرية انها لا تنوى على القيام بالتعهدات وبذل النفقات وكانت الاحوال تسندعي التخفيف عن المالية بقدر الامكان فرأت ان تعمد الى توقيف استهلاك الدين الموحد بالرغم مما في ذلك من مس قانون التصفية فعملت . ثم عمدت ملافاة لعسر المالية ايضاً الى الانتصاد وعلى الخصوص في نفقات الدوائر فاخذت في رقت مستخدميها الذين تراءى لها امكان استغناء مراكزهم عنهم فرفقت منهم ما يعد بالآلاف ومعظمهم من اصحاب الرواتب القليلة والذين لم يعد يمكنهم معاطاة اشغال اخرى تجارية او صناعية او غيرها فتظلموا على اساليب مختلفة وقد جالت الجرائد المحلية في هذا الشأن واكثرت من تعنيف الحكومة ولومها على ذلك . وانما ذلك لم يكن ليسد عوز المالية ويكفي الحكومة

وفي اواخر عام ١٨٨٤م أنشأت الحكومة المصرية المعرض الفطني وأصدرت نظارة الداخلية لأتمة عمومية في تعيين يوم افتتاحه وتنظيمه وإدارة أعماله . وفائدته ان تُعرض فيه كل المحصولات الأما كان فيها داخلا في نطاق الصناعة الداخلية ويُعطى لمن يأتي باجود المحصولات جائزة . وفي ٨ ربيع آخر سنة ١٢٠٣ هـ او ٢٤ يناير (ك) ١٨٨٥م افتتح هذا المعرض بحضور الجناب الخديوي والنظار والفتااصل

ثم اهتمت الحكومة الخديوية باستبدال النقود المصرية القديمة بنقود جديدة وما زالت المسألة تحت البحث حتى اواخر سنة ١٨٨٥ م فصدر امر عال بتاريخ ٧ صفر سنة ١٣٠٤ هـ او ١٤ نوفمبر (ت ٢) ١٨٨٥ م مؤذن^٢ بضرها وفي اواخر سنة ١٨٨٧ م ظهرت وتداولنها الايدي وهي مبنية على حساب الكسور العشرية تسهيلاً للعاملة . وكيفية ذلك انهم جعلوا الجنيه المصري بقيمة مائة غرش كما كان قبلاً وقسموه الى الف جزء دعوا الواحد منها ملياً اي جزء من الف فالمليم هو جزء من الف من الجنيه المصري والغرش عشر مليات والريال مائتا مليم (عشرون غرش) وهكذا والجنيه واجزائه مصنوعة من الذهب والريالات واجزائها من النضة والمليم ومركبائه الى ابي الخمس مليات من النكل وقسموا المليم الى نصفين يعرف الواحد منها بنصف عشر الغرش وقسموا كلاً من هذين القسمين الى نصفين يعرف الواحد منها بربع عشر الغرش اي جزء من اربعين من الغرش وهي البارة وجميع اجزاء المليم مصنوعة من النحاس وترى في شكل ٩٤ مثال النقود المضروبة حديثاً وهذه القطعة تعرف بنصف ريال وقيمتها عشرة غروش او مائة مليم وترى على احد وجهيها من الاسفل تاريخ سنة ١٢٩٢ هـ وهي السنة التي تولى بها جلالة السلطان

عبد الحميد خان الخلافة العثمانية ومن الأعلى رقم عشرة وهي السنة العاشرة من تولية جلالته وفيها ضربت هذه النقود . وترى على الوجه الآخر الطغراء العثمانية باسم جلالته أيضاً وإلى أسفلها رقم عشرة تحته حرف شين للدلالة على قيمة هذه القطعة أي عشرة غروش



ش ٩٤ النقود المصرية الجديدة

أما قيم النقود الأجنبية بالنسبة للنقود المصرية فعلى الوجه الآتي

بارة غرش صاغ او مليا

الليرة الانكليزية تساوي ٣٠ ٩٧ ٩٧٥

الليرة العثمانية » ٢٠ ٨٧ ٨٧٧ ١/٢

الليرة الفرنسية (فانتي) ٦ ٧٧ ٧٧١ ١/٢

ومتى عرفت قيم الليرات يمكنك استخراج قيم اجزائها

وفي ١٧ ربيع آخر سنة ١٢٠٤ هـ او ١٢ يناير (ك) سنة ١٨٨٧ م

الح الباب العالي على الحكومة الانكليزية ان تعين زمن انجلاء جيوشها

عن النظر المصري فاجابت انها لا يمكنها ذلك الا متى استتب النظام فيها

وفي ٢ فبراير تقرر ان يكون جيش الاحتلال منحصراً في ثلاثة مراكز

فيقيم في القاهرة القان وتسع مئة جندي وفي الاسكندرية ٢٠٠ وفي اصوان

٤٠٠ . وفي ١٥ جمادى الاولى او ٩ فبراير اقترح السير ولف معتمد

أنكلترا في الاستانة على الباب العالي الاقتراحات الآتية بما يتعلق بمصر وهي

(١) استقلال مصر تحت سيادة جلاله السلطان والفاء المهود
والامتيازات الفئصلية

(٢) ان تكون حالة مصر من قفيل الحفاده على مثال حالة بلجفكا

(٣) حرية المرور فف قنال السويس فف زمني الحرب والسلم

(٤) اخلاء انكلترا للفطر المصري بعد ان فجمع الدول على وجوب

ذلك

ففلقي جلاله السلطان هذه الاقتراحات بففور وطلب ان بفقدم
كل ذلك ففحدد انكلترا زمن الانجلاء وبعد النظر فف هذه الاقتراحات
مده فومفن رفضت

وفف ٢٥ رجب سنة ١٣٠٤ هـ او ١٩ افرفل (ففسان) ١٨٨٧ م
توفف شرف باشا رففس مجلس النظر سابقاً بففا كان فف اورفا فسى
الى تروج النفس فاسف الفجمع على ففقد وحملت جففو الى مصر
ودففت ففها

وفف ١١ شعبان او ٥ مابومنها عرضت انكلترا على الباب العالي ان
فكون زمن اخلالها فف مصر خمس سنوات فطلب الباب العالي ان
فكون ٢ سنوات ولم ففقرر فف . وفف اوائل فونفو عرض على الباب
العالي وفاق بففه وبفن انكلترا بففصوص مصر وهاك نصه

(١) فبقف مصر كما فف ففب فصوص الفرمانات السلطانية

(٢) فبقف ففلف السويس على الففاده وفففن الدول سلامة مصر

(٣) فبقف العساكر الانكلفزفة فف مصر مده ثلاث سنوات وعفد

انقضاءها فلبث الضباط الانكلفز فف رئاسة الفففش المصري ستفن

(٤) لا ففخرج انكلترا عساكرها من مصر بعد ففنا السنة الثالثة من

التوففق على هذا الوفاق اذا ففد اضطراب فففد فف مصر فافلفاً كان
ام فارجياً

(٥) يحق لانتكثرا احتلال مصر بمساعدة العساكر العثمانية اذا وقع احتلال بها او خشي ان ترسل دولة اجنبية عساكرها الى مصر
 (٦) تستدعي الدولة العلية وانتكثرا بقية الدول للتصديق علي هذا الوفاق ونطلبان من الدول اجراء بعض التعديلات في المعاهدات الدولية المخولة للاجانب في مصر جملة امتيازات
 وبعد المخبرات الطويلة بشأن هذا الوفاق رفض الباب العالي المصادقة عليه

وفي ١٨ رمضان سنة ١٢٠٤ هـ او ١٠ يونيو (حزيران) ١٨٨٧ م توفي خيرى باشا رئيس الديوان الخديوي . وزاد ارتفاع النيل في هذه السنة فطاف على كثير من الاراضي وخشي الناس فتكته . وفي ٢٢ سبتمبر منها طاف الجنب الخديوي في جهاب القطر متفقدًا احوال الاهالي ومعزياً الذين اصيبوا بطغيان النيل فسار اولاً الى الوجه البحري ثم القبلي فاستغرقت السباحة المشار اليها ١٦ يوماً

واهم حوادث سنة ١٨٨٨ م سقوط الوزارة النوبارية وتشكيل الوزارة الرياضية لان الناس ما فتئوا منذ اعتزال رياض باشا عن الاعمال بعد حادثة عراي بشخصون اليه بابصارهم وقد احاطت به آمالهم لما اشتهر به هذا الوزير الخطير من الحب الشديد للشعب المصري ورغبته الفائقة في اصلاح البلاد ولما له من الولع الخاص بالزراعة وهو مشهور بذلك شهرة تضاهي شهرته في حب العلم وتنشيط ذويه . ومن مبادئه حرية الضمير والصرامة في اتباع الحق من حيث هو وكثيراً ما فاده ذلك الى التخلي عن قبول منصب الوزارة في الاحوال التي كان يخشى معها تقييد افكاره ومخالفة مبادئه . فعندما سقطت الوزارة النوبارية في ٢٠ رمضان سنة ١٢٠٥ هـ او ٩ يونيو «حزيران» ١٨٨٨ م لم يكن يصدق الناس ان رياض باشا يقبل ان يشكل وزارة جديدة . فلما انبأهم البرق بجلوسه على

دسناها ونقلده اعمال نظارتي الداخلية والمالية كادوا يطيطرون على اجنحة
الآمال ونطاوالت اعناقهم استطلاعا لما سيكون من امر هذه الوزارة
الجديدة . وقد تحققت بعض الامال الآن ولا يزال الناس ينتظرون تحق
الباقى مع الزمن

ومن اعمال الوزارة الرياضية انشاء المحاكم في جهات الصعيد وهي
مأثنة لا تخفى اهينها على احد . وقد باشرت امورا كثيرة تعود بالخير
والفلاح على الامة المصرية وحكمومتها نطلب الى الله ان يعضدها في
مشروعاتها وينفعنا بسعيها ونشاطها تحت ظل الحضرة الخديوية النخبة
ورعاية جلالة مولانا امير المؤمنين السلطان عبد الحميد خان ابد الله
سلطانه وعزز جنوده واعوانه

ثم الجزء الثاني

(فائدة) اذا تأملت بصور النود المطبوعة في هذا الكتاب
وقابلت اشكال خطوطها بعضها ببعض متدرجا بذلك من قديمها الى
حديثها يتمثل لك كيفية انتقال الخط العربي من الشكل الكوفي الى ما
هو عليه الآن



جدول عام

وهو يتضمّن أسماء الذين حكموا في مصر منذ فتوح الاسلام الى هذه الايام . وهم على ثمانية اقسام

(١) الامراء العرب . وهم الذين تولوا مصر منذ فتوحها الى مجيء الخليفة المعزّ لدين الله الفاطمي الى القاهرة . وقد تولوها تحت رعاية الخلفاء الراشدين والامويين والعباسيين من سنة ١٨ - ٢٦٢ هـ او من ٦٤٠ - ٩٧٢ م وقد دعوناهم عرباً لان معظمهم من العرب

(٢) الخلفاء . وهم الخلفاء الفاطميون اولهم المعزّ لدين الله وآخرهم العاضد بن يوسف من سنة ٢٦٢ - ٥٦٧ هـ او من ٩٧٢ - ١١٧١ م

(٣) السلاطين . وهم سلاطين الدولة الابوية ودولة المماليك الاولى والثانية . اولهم السلطان صلاح الدين الايوبي وآخرهم السلطان الملك الاشرف طومان باي من سنة ٥٦٧ - ٩٢٤ هـ او من ١١٧١ - ١٥١٦ م

(٤) الباشوات . وهم الولاة الذين تولوا مصر باسم الدولة العثمانية منذ فتوحها اياها الى استبداد الامراء المماليك من سنة ٩٢٤ الى ١١١٩ هـ اولهم خير بك باشا وآخرهم حسن باشا

(٥) الامراء المماليك . وهم مشايخ البلد الذين كانوا يتولون حكومة القاهرة وقد كانت سلطنتهم في بادئ الرأي محدودة ثم قويت شوكتهم فاستبدوا اما مرجعهم فالى الدولة العثمانية اولهم قاسم عيواظ بك وآخرهم ابراهيم بك ومراد بك من سنة ١١١٩ الى ١٢١٣ هـ

(٦) الامراء الفرنسيون . وهم قواد الحملة الفرنسية اولهم نابوليون بوناپرت وآخرهم الجنرال مينو من سنة ١٢١٣ الى ١٢١٦ هـ

(٧) باشوات آخرون . وهم الولاة الذين تولوا مصر باسم الدولة العلوية منذ خروج الحملة الفرنسية الى ايام محمد علي . اولهم خسرو باشا وآخرهم خورشيد باشا من سنة ١٢١٦ الى ١٢٢٠ هـ

(٨) الدولة المحمدية العلوية . وهم سلالة رجل الاصلاح المغفور له محمد علي باشا من سنة ١٢٢٠ هـ ولا تزال

وهاك جدولاً شاملاً لاسماء الذين حكموا في مصر مرتبة حسب سني تولياتهم مع مراعاة التقسيم المتقدم ذكره والاشارة الى الاماكن المذكورة فيها تلك التوليات من هذا الكتاب ثم اذا كانوا امراء او ولاة تذكر بجانب ذلك اسماء الخلفاء او السلاطين الذين حكموا تحت رعايتهم

(١) الامراء العرب

تحت رعاية الخلفاء الراشدين

الامير	سنة ٥٠ هـ	الصفحة ج ١	الخليفة
عمرو بن العاص	١٨	٩٤	عمر بن الخطاب
عبدالله بن سعد	٢٥	١٢٤	عثمان بن عفان
محمد بن ابي حذيفة	٢٥	١٢٨	»
قيس بن سعد	٢٦	١٢٢	علي بن ابي طالب
محمد بن ابي بكر الصديق	٢٧	١٢٤	»

تحت رعاية الخلفاء الامويين

عمرو بن العاص (ثانية)	٤١	١٤٠	معاوية بن ابي سفيان
عنتبة بن ابي سفيان	٤٢	١٤٠	»
عنتبة بن عامر	٤٤	١٤١	»

اسم الامير	سنة ٥٠	الصفحة ج ١	الخليفة
مسلمة بن مخلد	٤٥	١٤١	معاوية بن ابي سفيان
سعيد بن يزيد الازدي	٦٢	١٤٢	يزيد بن معاوية
عبد الرحمن بن عتبة	٦٤	١٤٥	عبدالله بن الزبير
عبد العزيز بن مروان	٦٥	١٤٦	مروان بن الحكم
عبدالله بن عبد الملك	٨٦	١٤٨	عبد الملك بن مروان
قرة بن شريك	٩٠	١٤٩	الوليد بن عبد الملك
عبد الملك بن رفاعه	٩٦	١٤٩	»
ايوب بن شرحبيل	٩٩	١٥١	عمر بن عبد العزيز
بشر بن صفوان	١٠١	١٥٢	يزيد بن عبد الملك
حنظلة بن صفوان	١٠٢	١٥٢	»
محمد بن عبد الملك بن مروان	١٠٤	١٥٢	»
الحمر بن يوسف	١٠٥	١٥٢	هشام بن عبد الملك
حفص بن الوليد	١٠٨	١٥٢	»
عبد الملك بن رفاعه (ثانية)	١٠٩	١٥٢	»
الوليد بن رفاعه	١٠٩	١٥٢	»
عبد الرحمن بن خالد	١١٧	١٥٢	»
حنظلة بن صفوان (ثانية)	١١٩	١٥٢	»
حفص بن الوليد (ثانية)	١٢٤	١٥٤	»
حسان بن عناهية	١٢٧	١٥٦	مروان بن محمد
حفص بن الوليد (ثالثة)	١٢٧	١٥٧	»
الحوثة بن سهل الباهلي	١٢٨	١٥٧	»
المغيرة بن عبيدالله	١٢١	١٥٧	»
عبد الملك بن موسى	١٢٢	١٥٧	»

تحت رعاية الخلفاء العباسيين

الخليفة	الصفحة ج ١	سنة ٥٠	اسم الامير
صالح بن علي	١٥٩	١٢٢	صالح بن علي
ابو عون عبد الملك بن يزيد	١٦٠	١٤٠	ابو عون عبد الملك بن يزيد
موسى بن كعب	١٦٠	١٤١	موسى بن كعب
محمد بن الاشعث	١٦٠	١٤١	محمد بن الاشعث
حميد بن قنطبة	١٦٠	١٤٢	حميد بن قنطبة
يزيد بن حاتم	١٦٠	١٤٤	يزيد بن حاتم
عبد الله بن عبد الرحمن	١٦١	١٥٢	عبد الله بن عبد الرحمن
محمد بن عبد الرحمن	١٦٢	١٥٥	محمد بن عبد الرحمن
موسى بن علي	١٦٢	١٥٦	موسى بن علي
عيسى بن لقمان	١٦٢	١٦١	عيسى بن لقمان
واضح مولى ابي جعفر	١٦٢	١٦٢	واضح مولى ابي جعفر
منصور بن يزيد الرعيني	١٦٢	١٦٢	منصور بن يزيد الرعيني
يحيى بن داود	١٦٢	١٦٢	يحيى بن داود
سالم بن سودة	١٦٢	١٦٤	سالم بن سودة
ابراهيم بن صالح	١٦٢	١٦٥	ابراهيم بن صالح
موسى بن مصعب	١٦٢	١٦٧	موسى بن مصعب
اسامة بن عمرو	١٦٤	١٦٨	اسامة بن عمرو
الفضل بن صالح	١٦٤	١٦٨	الفضل بن صالح
علي بن سليمان	١٦٥	١٦٩	علي بن سليمان
موسى بن عيسى	١٦٦	١٧١	موسى بن عيسى
مسلمة بن يحيى	١٦٦	١٧٢	مسلمة بن يحيى

اسم الامير	سنة هـ	الصفحة ج ١	الخليفة
محمد بن زهير	١٧٢	١٦٦	»
داود بن يزيد بن حاتم	١٧٢	»	هارون الرشيد
موسى بن عيسى (ثانية)	١٧٥	»	»
ابراهيم بن صالح	١٧٦	»	»
عبدالله بن المسيب	»	»	»
اسحق بن سليمان	١٧٧	»	»
هرثة بن اعين	١٧٨	»	»
عبد الملك بن صالح	»	١٦٧	»
عبدالله بن المهدي	١٧٩	»	»
موسى بن عيسى (ثالثة)	١٧٩	»	»
عبيدالله بن المهدي (ثانية)	١٨٠	»	»
اسماعيل بن صالح	١٨١	»	»
اسماعيل بن عيسى	١٨٢	»	»
الليث بن الفضل	١٨٣	»	»
احمد بن اسماعيل	١٨٧	١٦٨	»
عبيدالله بن محمد	١٨٩	١٦٨	»
الحسين بن جميل	١٨٩	١٦٨	»
مالك بن دلم	١٩٢	١٦٨	»
الحسن بن جميل	١٩٢	١٦٨	»
حاتم بن هرثة	١٩٤	١٧٠	محمد الامين
جابر بن الاشعث	١٩٥	١٧٠	»
عباد بن محمد	١٩٦	١٧١	»
المطلب بن عبدالله الخزاعي	١٩٨	١٧١	عبدالله المأمون

الخليفة	الصفحة ج ١	سنة ٥٠	اسم الامير
عبدالله المأمون	١٧١	١٩٨	عباس بن موسى ابن عيسى
»	١٧٢	١٩٩	المطلب بن عبدالله (ثانية)
»	»	٢٠٠	السري بن الحكم
»	»	٢٠٤	محمد بن السري
»	١٧٢	٢٠٦	عبيدالله بن السري
»	»	٢١١	عبدالله بن الطاهر
»	»	٢١٢	عيسى بن يزيد الجلودي
»	»	٢١٤	عمير بن الوليد النيمبي
»	»	٢١٤	عيسى بن يزيد الجلودي (ثانية)
»	»	٢١٥	عبدويه بن جبلة
»	١٧٤	٢١٦	عيسى بن منصور
»	»	٢١٧	كيدر الصفدي
محمد المعتصم	١٧٧	٢١٩	المظفر بن كيدر الصفدي
»	»	»	موسى بن ابي العباس
»	»	٢٢٤	مالك بن كيدر الصفدي
»	»	٢٢٥	ابو جعفر اشناس
الواثق بن المعتصم	١٨١	٢٢٨	علي بن بجي الارمني
»	»	٢٢٩	عيسى بن المنصور (ثانية)
المتوكل بن المعتصم	١٨٢	٢٢٢	هرثة بن نصر الجبلي
»	»	٢٢٤	حاتم بن هرثة (ثانية)
»	»	»	علي بن بجي الارمني (ثانية)
»	»	٢٢٥	اسحق بن بجي الجبلي
»	»	٢٢٦	خوط عبد الواحد بن بجي

الخلافة	الصفحة ج ١	سنة ٥٠	اسم الامير
عنبسة بن اسحق	٢٢٨	١٨٣	المتوكل بن المعتصم
يزيد بن عبدالله	٢٤٥	»	»
مزاحم بن خاقان الترك	٢٥٣	١٨٨	المعتز بن المتوكل
احمد بن مزاحم	٢٥٤	١٨٩	»
باكباك	٢٥٤	»	»

الدولة الطولونية

تحت رعاية الدولة العباسية

احمد بن طولون	٢٥٥	١٨٩	المعتز بن المتوكل
خمارويه بن احمد	٢٧١	٢١٨	المعتد بن المتوكل
ابو العساكر جيش بن خمارويه	٢٨٢	٢٢٥	المعتضد بن الموفق
هارون بن خمارويه	٢٨٣	»	»
شيبان بن احمد	٢٩٢	٢٢٨	المكفي بن المعتضد

تحت رعاية الدولة العباسية الثانية

محمد بن سليمان	٢٩٢	٢٢٨	المكفي بن المعتضد
عيسى بن محمد النوشري	»	٢٢٢	»
محمد بن الخليلج	٢٩٥	»	المقتدر بن المعتضد
عيسى بن محمد النوشري (ثانية)	٢٩٥	»	»
نكين الخزري ابو منصور	٢٩٧	»	»
زكا الروي ابو الحسن الاعور	٢٠٢	»	»
نكين الخزري (ثانية)	٢٠٧	٢٢٣	»
محمد بن نكين	»	»	»

الخطبة	الصفحة ج ١	سنة ٥٠	اسم الامير
الفاهر بن المعتضد	٢٢٢	٢٢٠	محمد بن طنج
»	٢٢٥	٢٢١	احمد بن كبلغ

الدولة الاخشيدية

تحت رعاية الدولة العباسية

الرازي بن المنذر	٢٢٥	٢٢٢	محمد بن طنج (ثانية)
المطيع بن المنذر	٢٤٢	٢٢٤	انوجور بن الاخشيد
»	٢٤٤	٢٤٩	علي بن الاخشيد
»	٢٤٥	٢٥٥	كافور الاخشيدي
»	»	٢٥٧	ابي الفوارس ابن علي

(٢) الخلفاء

الدولة الفاطمية

الصفحة ج ١	سنة ٥٠	اسم الخليفة
٢٤٦	٢٦٢	المعز بن المنصور
٢٥٤	٢٦٥	العزیز بالله ابن المعز
٢٥٨	٢٨٦	الحاکم بامر الله ابن العزیز
٢٦٢	٤١١	الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاکم
٢٦٢	٤٢٧	المستنصر بالله ابن الظاهر
٢٨٤	٤٨٧	المستعلي بالله ابن المستنصر
٢٨٩	٤٩٥	الأمير باحكام الله ابن المستعلي
٢٩٢	٥٢٤	الحافظ لدين الله ابن محمد
٢٩٥	٥٤٩	الظاهر بامر الله ابن الحافظ
٢٩٦	٥٤٩	الفائز بنصر الله ابن الظاهر

٢٩٨ ٥٥٦

العاقد لدين الله ابن يوسف

(٣) السلاطين

الدولة الايوبية

اسم السلطان		
الملك الناصر صلاح الدين يوسف الايوبي	٥٦٧	٢١٥
" العزيز عماد الدين ابن يوسف	٥٨٩	٢٢٤
" المنصور بن العزيز	٥٩٥	٢٢٧
" العادل بن ايوب	٥٩٦	٢٢٨
" الكامل بن العادل	٦١٥	٢٤١
" العادل بن الكامل	٦٣٥	٢٥٠
" الصالح بن الكامل	٦٣٧	٢٥٠
" المعظم بن الصالح	٦٤٧	٢٥٥

دولة المماليك الاولى

اسم السلطان	سنة ٥٠	الصفحة ج ٢
شجق الدر الصاحبة	٦٤٨	٠٠٥
الملك المعز اييك الجاشنكير	٦٤٨	٠٠٦
" الاشرف بن يوسف	٦٤٨	٠٠٦
" المنصور نور الدين علي بن اييك	٦٥٥	٠١١
" المظفر سيف الدين قطوز	٦٥٧	٠١٢
" الظاهر بيبرس البندقداري	٦٥٨	٠١٤
" السعيد برقة خان ابن بيبرس	٦٧٦	٠٢٢
" العادل سلامش بن بيبرس	٦٧٨	٠٢٢

الصفحة ج ٢	سنة ٥٠	اسم السلطان
٠٢٢	٦٧٨	الملك المنصور قلاون الانلي
٠٢٧	٦٨٩	" الاشرف خليل بن قلاون
٠٢٧	٦٩٢	" الفاهر بيدرا
٠٢٨	٦٩٢	" الناصر ابن قلاون (اولاً)
٠٢٨	٦٩٤	" العادل زين الدين كتبوغا
٠٣٠	٦٩٦	" المنصور حسام الدين لاجين
٠٣١	٦٩٨	" الناصر ابن قلاون (ثانية)
٠٣٢	٧٠٨	" المظفر بيبرس الجاشنكير
٠٣٤	٧٠٩	" الناصر ابن قلاون (ثالثة)
٠٣٧	٧٤١	" المنصور ابو بكر ابن الناصر
٠٣٧	٧٤٢	" الاشرف كجيك بن الناصر
٠٣٧	٧٤٢	" الناصر احمد بن الناصر
٠٣٧	٧٤٢	" الصالح اسماعيل بن الناصر
٠٣٧	٧٤٦	" الكامل شعبان بن الناصر
٠٣٧	٧٤٧	" المظفر حاجي بن الناصر
٠٣٨	٧٤٨	" الناصر حسن بن الناصر
٠٣٨	٧٥٢	" الصالح صلاح الدين بن الناصر
٠٣٩	٧٥٥	" الناصر حسن بن محمد بن قلاون
٠٣٩	٧٦٢	" المنصور محمد بن حاجي
٠٤٠	٧٦٤	" الاشرف شعبان بن حسين
٠٤١	٧٧٨	" المنصور علي بن شعبان
٠٤٢	٧٨٢	" الصالح حاجي بن شعبان

دولة المالك النانية

الصفحة ج ٢	سنة ٥٠	اسم السلطان
.٤٤	٧٨٤	الملك الظاهر برقوق
.٤٧	٨٠١	" الناصر فرج بن برقوق (اولاً)
.٤٨	٨٠٨	" المنصور عبد العزيز بن برقوق
.٤٩	٨٠٨	" الناصر فرج بن برقوق (ثانية)
.٥٠	٨١٥	الخليفة الامام المستعين بالله
.٥١	"	الملك المؤيد الشيخ المحمودي
.٥٢	٨٢٤	" المظفر احمد بن المحمودي
"	"	" الظاهر سيف الدين نثر
"	"	" الصالح محمد بن نثر
"	٨٢٥	" الاشرف برس باي
.٥٣	٨٤١	" العزيز يوسف بن برس باي
.٥٤	٨٤٢	" الظاهر جقمق
.٥٤	٨٥٧	" المنصور عثمان بن جقمق
.٥٥	"	" الاشرف بنال
"	٨٦٥	" المؤيد احمد بن بنال
.٥٦	"	" الظاهر خوش قدم
"	٨٧٢	" الظاهر بلباي
"	"	" الظاهر تمار بوغا
.٥٧	"	" الاشرف قايت باي
.٥٩	٩٠١	" الناصر محمد بن قايت باي
.٦٠	"	" الظاهر قنسو خسيبة

اسم السلطان	سنة ٥٠	الصفحة ج ٢
الملك قنسو ابو سعيد	٩٠٤	٦٠
الاشرف جان بلد	٩٠٥	"
العادل طومان باي	٩٠٦	"
الاشرف قنسو الغوري	"	٦١
طومان باي	٩٢٢	٦٢

(٤) الباشوات

تحت رعاية الدولة العثمانية

اسم الباشا	سنة ٥٠	الصفحة ج ٢	السلطان
خير بك باشا	٩٢٢	٦٦	سليم بن بيازيد
مصطفى	٩٢٦	٧١	سليمان بن سليم
احمد	٩٢٧	٧٢	"
قاسم	٩٢١	"	"
ابراهيم	٩٢٢	"	"
سليمان	٩٢٢	"	"
داود	٩٤٥	"	"
علي	٩٥٦	٧٣	"
محمد	٩٦١	"	"
اسكندر	٩٦٢	"	"
علي	٩٦٨	"	"
مصطفى	٩٦٩	"	"
علي	٩٧١	"	"
محمود	٩٧٢	"	"

اسم الباشا	سنة هـ	الصفحة ج ٢	السلطان
سنان باشا	٩٧٥	٠٧٤	سليم بن سليمان
حسين "	٩٨٠	٠٧٥	"
مسح "	٩٨٣	٠٧٦	مراد بن سليم
حسن " الخادم	٩٨٨	"	"
ابراهيم " (٢)	٩٩١	"	"
سنان " "	٩٩٣	٠٧٧	"
عويس "	٩٩٤	"	"
حافظ احمد باشا	٩٩٩	"	"
قورط باشا	١٠٠٣	٠٧٨	محمد بن مراد
السيد محمد باشا	١٠٠٤	"	"
خضر باشا	١٠٠٦	٠٧٩	"
علي " السلحدار	١٠٠٩	"	"
ابراهيم " (٢)	١٠١٣	٠٨٠	احمد بن محمد
محمد " الكورجي	١٠١٣	٠٨١	"
حسن "	"	٠٨٣	"
محمد " الصوفي	١٠١٦	"	"
احمد " (٢)	١٠٢٢	٠٨٤	"
مصطفى " لفلي	١٠٢٦	٠٨٥	مصطفى بن محمد
جعفر "	١٠٢٧	"	عثمان بن احمد
مصطفى " (٤)	١٠٢٨	"	"
حسين " (٢)	"	٠٨٦	"
محمد " (٤)	١٠٣١	"	"
ابراهيم " (٤)	"	"	مصطفى بن محمد (آ)

اسم الباشا	سنة هـ	الصفحة ج ٢	السلطان
مصطفى باشا (٥)	١٠٢٢	٨٦	مصطفى بن محمد (٢)
علي (٥)	"	٨٧	مراد بن محمد
مصطفى (٥) (ثانية)	"	"	"
بيرام	١٠٢٧	٨٩	"
محمد (٥)	"	٨٩	"
موسى	١٠٤٠	٩٠	"
خليل	١٠٤١	٩١	"
احمد الكورجي	١٠٤٢	٩٢	"
حسين (٢)	١٠٤٣	٩٣	"
محمد بن احمد باشا	١٠٤٥	٩٤	"
مصطفى باشا البستاني	١٠٤٩	٩٥	ابراهيم بن احمد
مقصود	١٠٥١	٩٦	"
ايوب	١٠٥٤	٩٩	"
محمد ابن حيدر	"	"	"
احمد (٤)	١٠٥٨	١٠١	محمد بن ابراهيم
عبد الرحمن باشا	١٠٦٢	١٠٢	"
عدة باشوات		١٠٣	"
حسن باشا (٢)	١١١٩	"	احمد بن محمد

(٥) الامراء المماليك

تحت رعاية الدولة العثمانية

اسم الامير	سنة هـ	الصفحة ج ٢	السلطان
قاسم عيواظ بك	١١١٩	١٠٣	احمد بن محمد

اسماعيل بك	١١٢٦	١٠٤	احمد بن محمد
شركس بك	١١٢٦	١٠٦	"
ذوالفقار	"	١٠٦	"
عثمان	١١٤٢	١٠٨	محمود بن مصطفى
ابراهيم كحيا	١١٥٦	١١٢	"
رضوان بك	١١٦٨	١١٦	عثمان بن مصطفى
حسين	"	١١٧	"
خليل	"	"	"
علي	١١٧٧	١١٩	مصطفى بن احمد
محمد	١١٨٦	١٢٨	"
اسماعيل	(٢)	١١٨٩	عبد الحميد بن احمد
ابراهيم بك ومراد بك	"	"	"

(٦) الامراء الفرنسيون

تحت رعاية الجمهورية الفرنسية

بونابرت	١٢١٢	١٦٨
كلابر	١٢١٤	٢٠٢
مينو	١٢١٥	٢١٠

(٧) باشوات آخرون

تحت رعاية الدولة العثمانية

خسرو باشا	١٢١٦	٢١٧	سليم بن مصطفى
علي باشا الطرابلسي	١٢١٨	٢٢٢	"
خورشيد باشا	"	٢٢٤	"

(٨) العائلة المحمدية العلوية

تحت رعاية الدولة العثمانية

اسم الباشا	سنة ٥٠	الصفحة ج ٢
محمد علي باشا	١٢٢٠	٢٢٦ سليم بن مصطفى
ابراهيم "	١٢٦٤	٢٥٠ عبد الحميد بن محمود
عباس "	١٢٦٥	٢٥٢ "
سعيد "	١٢٧٠	٢٥٤ "
اسماعيل "	١٢٧٩	٢٥٦ عبد العزيز بن محمود
محمد توفيق باشا	١٢٩٦	٢٧٢ عبد الحميد بن عبد الحميد



فهرس الجزء الثاني من تاريخ مصر الحديث

دولة المالك الاوئ

صفحة	
٢	منشأ المالك ومبدأ امره
٥	سلطنة شجرة الدر
٦	" ابيك الجاشنكير
٦	" الملك الاشرف ابن يوسف
١١	" نور الدين علي بن ابيك
١٢	" المظفر سيف الدين قطوز
١٤	" الظاهر بيبرس البندقداري

صفحة

٢٢	سلطنة برقة خان بن يبرس
٢٢	" سلامش بن يبرس
"	" الملك المنصور قلاون
٢٧	" خليل بن قلاون ثم الفاهر بيدرا
٢٨	" الملك الناصر ابن قلاون «اولاً»
"	" " العادل كتبوغا
٢٠	" " المنصور لاجين
٢١	" " الناصر ابن قلاون «ثانية»
٢٢	" يبرس الجاشنكير
٢٤	" الملك الناصر ابن قلاون «ثالثة»
٢٧	" اولاد الناصر بن قلاون
٢٩	" محمد بن حاجي
٤٠	" شعبان بن حسن
٤١	" علي بن شعبان
٤٢	" حاجي بن شعبان

دولة الممالك الثانية

٤٢	منشأ الممالك الشراكمة
٤٤	سلطنة الملك الظاهر برقوق
٤٧	" فرج بن برقوق «اولاً»
٤٨	" عبد العزيز بن برقوق
٤٩	" فرج بن برقوق «ثانية»
٥٠	" الامام المستعين بالله
٥١	" الشيخ المحمودي

صفحة

- ٥٢ سلطنة احمد بن المحمودي ثم سيف الدين تتر ثم محمد بن تتر
 ٥٢ » الملك الاشرف برس باي
 ٥٢ يوسف بن برس باي
 ٥٤ » الملك الظاهر جقمق
 ٥٤ » عثمان بن جقمق
 ٥٥ » الملك الاشرف ينال
 ٥٥ » احمد بن ينال
 ٥٦ » الظاهر خوش قدم
 ٥٦ » الظاهر بلباي ثم الظاهر تمار بوغا
 ٥٧ » الملك الاشرف قايت باي
 » محمد بن قايت باي ثم قنسو خمسمية ثم قنسو ابي سعيد ثم
 ٥٩ قنسوجان بلد ثم العادل طومان باي
 ٦١ » قنسو الغوري
 ٦٢ » الملك الاشرف طومان باي

الدولة العثمانية

- ٦٥ سلطنة سليم بن بيازيد
 ٦٨ » سليمان بن سليم
 ٧٤ » سليم بن سليمان
 ٧٦ » مراد بن سليم
 ٧٨ » محمد بن مراد
 ٨٠ » احمد بن محمد
 ٨٥ » مصطفى بن محمد ثم عثمان بن احمد ثم مصطفى بن محمد

ثانية

صفحة

٨٧	سلطنة مراد بن احمد
٩٥	» ابراهيم بن احمد
١٠١	» محمد بن ابراهيم
١٠٢	» سليمان بن ابراهيم ثم احمد بن ابراهيم ثم مصطفى بن محمد
١٠٣	» احمد بن محمد
١٠٩	» محمود بن مصطفى
١١٦	» عثمان بن مصطفى
١١٧	» مصطفى بن احمد
١١٩	» علي بك الكبير
١٢٣	» عبد الحميد بن احمد
١٤٣	» سليم بن مصطفى

الحملة الفرنسية

١٤٨	لماذا جرّد الفرنسيون الى مصر
١٥٣	حالة مصر عند قدوم الحملة الفرنسية
١٥٦	قدوم الفرنسيين الى مصر
٢١٥	من انتخاب الفرنسيين الى تولية محمد علي

الدولة المحمدية العلوية

٢١٨	ولاية محمد علي باشا
٢٥٠	» ابراهيم باشا بن محمد علي
٢٥٢	» عباس باشا
٢٥٤	» سعيد باشا
٢٥٦	» اسماعيل باشا الخديوي الاول

صفحة

٢٥٨

تاريخ الوسائل لايصال البحرين

٢٧٢

ولاية محمد توفيق باشا الخديوي الحالي

٢٨٢

الحوادث العراقية

٢١٨

" السودانية

٢٢٦

جدول عام

فهرس عام

قد رأيت ان اضع فضلاً عن الفهرس لكل جزء من جزئي الكتاب
فهرساً عاماً يتضمن أهم مواد هذا الكتاب مرتبة على الحروف الابدية
تسهيلاً للاهداء الى اماكنها

(١)

الجزء	صفحة	الجزء	صفحة
ج ١	١٦٢	ج ١	١٢ الآثار المصرية
"	١٥٥	"	٢١ الامة المصريين
ج ٢	١١٢	"	٢٨٩ الأمر باحكام الله
"	٢١١	ج ٢	٢٤ اباكه خان
ج ١	١٩٠	"	٧٢ ابراهيم باشا «١»
ج ٢	١٢٢	"	٧٦ " «٢»
ج ١	١٥٧	"	٨٤ " «٣»
"	٢٢٥	"	٨٦ " «٤»
ج ١	٢٤٥	ج ٢	٩٥ ابراهيم بن احمد
			ابو الفارس بن علي

صفحة		صفحة	
٢ ج ٥٥	احمد بن ينال	٢ ج ١٢٧	ابراهيم بك الكبير
١ ج ٢٤٢	الاشيد	" ٢٢٥	" بن محمد علي
" ٧٥	ادفو	١ ج ٢٩	ابو الهول
" ٢٨٦	الارثيون	٢ ج ٢٧	ابو بكر بن الناصر
٢ ج ٢٢٨	الازبكية	١ ج ١٧٧	ابو جعفر اشناس
١ ج ١٦٤	اسامة بن عمر	٢ ج ٢٢٥	ابو طلح
" ١٥٠	" " بريد	١ ج ١٦٠	ابوعون بن بريد
" ١٦٦	اسحق بن سليمان	٢ ج ١٧٢	ابو فير
" ١٨٢	" " بجي	١ ج ٧٥	اينان
" ٧٨	اسكندر الثاني	" ٢٧٩	انسز
" ٧٢	المكدوني	٢ ج ٧٢	احمد باشا « ١ »
٢ ج ٧٢	" باشا	" ٨٤	" " « ٢ »
" ٢٥٦	اسماعيل باشا الخديو	" ٩٢	" " الكورجي
" ٢٢٦	" بن محمد علي	" ١٠١	" " « ٤ »
" ١٠٤	" بك « ١ »	" ١٠٢	احمد بن ابراهيم
" ١٢٧	" " « ٢ »	١ ج ١٦٨	" " اسماعيل
" ٢٧	" بن الناصر	٢ ج ٥٢	" " المحمودي
١ ج ١٦٧	" صالح	" ٢٧	" " الناصر
" "	" عيسى	١ ج ١٩٢	" " طولون
٢ ج ٥٢	الاشرف برس باي	" ٢٢٥	" " كيغلغ
" ٠٦	" بن يوسف	٢ ج ٨٠	" " محمد
" ٥٧	" قايت باي	" ١٠٢	" " "
" ٥٥	" ينال	١ ج ١٨٩	" " مزاحم

صفحة		صفحة	
٤٢ ج ٢	برقوق	٧٧ ج ١	افريحيث الثاني
٢٩ ج ١	بركة موريس	" ٢٨٤	الافضل شاهين شاه
" ١٥٢	بشر بن صفوان	" ١٧٢	الامام الشافعي
" ٧٢	البطالسة	١٦٦ ج ٢	ادبائه
٥٦ ج ٢	بلباي الظاهر	٤٩ ج ١	امنوفيس الثالث
" ٢٥	بولاق مصر	" ٧٢	انس الوجود
" ١٥٠	بونابرت « قدمه »	" ٢٤٢	انوجور بن الاخشيد
" ١٦٨	" « سفره »	" ٢٠	اهرام الجيزة
" ٤٥	بيازيد الاول	٢٧٠ ج ٢	الاوبرا الخديوية
" ٨٩	بيرام باشا	٧٩ ج ١	اولينس
" ٢٤	بمارستان فلاون	٢٩ ج ٢	الاوبراتية
(ت)		" ٦	ايبك الجاشنكير
٢٧ ج ١	تنا	" ٩٩	ايوب باشا
٤٦ ج ١	تخونس الثالث	١٥١ ج ١	ايوب بن شرحيل
٢٥٨ ج ٢	ترعة السويس	(ب)	
" ٢١٠	الثل الكبير	٩٦ و ١١٢ ج ١	بابليون
٢٢٢ ج ١	نكين الخزري	١٨ ج ٢	الباطنيون
٥٦ ج ٢	نماربوغا	١٨٩ ج ١	باكباك
" ٢٧٢	توفيق باشا الخديوي	٢٢٠ ج ٢	باكر باشا
" ٤٥	نيمورلنك النتري	٢٧٢ ج ١	بدر الجمالي
(ث)		" ٢٩٢	بردويل
٨٢ ج ١	نيودوسيوس	٥٢ ج ٢	برس باي
		" ٢٢	برقة بن يبرس

صفحة	(ج)	صفحة
١ ج ٢٠٩	١ ج ١٧٠	جابر بن الاشعث
" ٢٢٥	" ٢٠٥	جامع ابن طولون
(ح)	" ٢٥٢	" الازهر
١ ج ١٧٠	" ١٩٦	" التنوير
٢ ج ٢٧	" ٢٦١	" المحاكم
" ٤٢	" ٢٠٠	" الحسين
" ٢٩٧	" ٢٠	" الظاهر
" ٧٧	" ٢٩	" السلطان حسن
١ ج ٢٩٢	" ٢٥	" الجامع الناصري
" ٢٥٨	" ٤٦	" جامع برقوق
" ١٤	" ٢٨	" شيخون
" ١٥٢	١ ج ١١٦	" عمرو
" ١٥٦	٢ ج ٥٩	" قايت باي
٢ ج ٧٦	" ٢٤	" قلاون
" ٨٢	" ٢٢٦	" جدول حكام مصر
" ١٠٢	١ ج ٧٢	" جزيرة فيلوي
" ٢٧	٢ ج ٨٥	" جعفر باشا
١ ج ١٦٨	١ ج ٨٩	" جغرافية مصر الحديثة
٢ ج ٧٥	" ١٦	" " القديمة
" ٨٦	٢ ج ٥٤	" جغنى الظاهر
" ٩٢	" ١٧٧ و ١٦٠	" الجوكار
" ٢١٥	١ ج ٢٤٧	" جوهر القائد
١ ج ١٦٨		

صفحة		صفحة	
٢٠ ج ١	خوفو	١١٧ ج ٢	حسين بك
٦٦ ج ٢	خيربك باشا	١٥٢ ج ١	حنص بن الوليد
(د)		١٤٨ ج ٢	الحملة الفرنسية
٧٢ ج ٢	داود باشا	٢٠٠ و ١٤٠	حملة عثمانية
١٦٦ ج ١	داود بن يزيد	٢٢٢	الحملة النيلية
١٦٤	دحية	١٦٠ ج ١	حميد بن قحطبة
٢٩٦ ج ٢	درويش باشا	١٥٢	حنظلة بن صفوان
١٢٠ و ١٨٢ و ٢١٢	دمياط	١٥٧	الحوثة بن سهل
٢٢٩ و ٢٥٢ ج ١ و ١٢٨ ج ٢		٢٧٥	حي دارا
ديانة المصريين القدماء ٢٠٠ ج ١		(خ)	
١٩٠ ج ٢	دبزه	٢٧ ج ٢	الحان الخليلي
(ذ)		١٧٢	الحانكاه
١٠٧ ج ٢	ذو الفقار بك	٢١٧	خسرو باشا
(ر)		٧٩	خضر باشا
٢٢٥ ج ١	الراضي بن المقتدر	٢٠ ج ١	خفرع
٢٠٠ ج ٢	راغب باشا	١٢١	خليج امير المؤمنين
٥٨ ج ١	رجب عام	٩١ ج ٢	خليل باشا
١١٦ ج ٢	رضوان بك	١١٧	بك
٤١ ج ١	الرعاة	٢٧	بن قلاون
٥٢	رعمسيس الثاني	٢١٨ ج ١	خمارويه بن احمد
٩٥	رفح	٢٢٤ ج ٢	خورشد باشا
٢١٧ و ٢٧٩ ج ٢	رياض باشا	٥٦	خوش قدم
٢٢٤	"	١٨٢ ج ١	خوط بن يحيى

صفحة	(ز)
سنان باشا «٢» ٠٧٧ ج ٢	صفحة
سوتر الاول والثاني ٠٧٨ ج ١	زبير باشا ٢٠٥ ج ٢
السودان ٢٢٦ ج ٢	زگا الرومي ٢٢٢ ج ١
سور الفاهق ٢٢٨ و ٢٢٢ ج ١	(س)
السيد محمد باشا ٠٧٨ ج ٢	سالم بن سودة ١٦٢ ج ١
السير سدي سميت ١٩٨ ج ١	سباقون ٠٦١ ج ١
سيسيليا ٢٨٢ ج ١	سبسكاف ٠٢١ ج ١
سيف الدولة ٢٤١ ج ١	السبع سفايات ٠٢٠ ج ٢
الدين نثر ٠٥٢ ج ٢	سحورع ٠٢١ ج ١
(ش)	السري بن المحكم ١٧١ ج ١
شاور ٢٩٩ ج ١	سعيد باشا ٢٥٤ ج ٢
شجرة الدر ٢٥٤ ج ١ و ٥ ج ٢	سعيد بن يزيد ١٤٢ ج ١
شركس بك ١٠٧ ج ١	سلاطيس ٠٤١ ج ١
شناق ٠٥٧ ج ١	سلامش بن يبرس ٠٢٢ ج ٢
شعبان بن حسن ٠٤٠ ج ٢	سليم بن بيازيد ٠٦٢ ج ١
الناصر ٠٢٧ ج ١	بن سليمان ٠٧٤ ج ١
شمس الدين ٠٢٥ ج ١	بن مصطفى ١٢٤ ج ١
شوطار ٠٧٨ ج ١	سليمان الحلبي ٢٠٩ ج ١
شيبان بن احمد ٢٢٨ ج ١	باشا ٠٧٢ ج ١
الشيخ ظاهر ١٢٤ ج ٢	بن ابراهيم ١٠٢ ج ١
المحمودي ٠٥١ ج ١	سليم ٠٦٨ ج ١
شيركويه ٢٠١ ج ١	عبد الملك ١٥٠ ج ١
	سنان باشا ٠٧٤ ج ٢

صفحة		(ص)	صفحة	
١ ج	الظاهر بن الحاكم ٢٦٢		١ ج	الصالح بن الكامل ٢٥٠
٢ ج	" البندقاري ١٤		"	" علي ١٥٩
"	" تمار بوغا ٥٦		"	" نور الدين ٢٢٠
"	" جفقي ٥٤		"	" طلائع ٢٩٨ و ٢٠٨
"	" خوش قدم ٥٦		٢ ج	صلاح الدين بن ٢٧
	(ع)			الناصر
١ ج	العاقل بن ايوب ٢٢٨		١ ج	صلاح الدين يوسف ٢٠١
"	" بن الكامل ٢٥٠			(ض)
"	" العاضد بن يوسف ٢٢٤		٢ ج	ضرب الاسكندرية ٢٠٢
١ ج	عباد بن محمد ١٧١		١ ج	ضرغام ابو الاشبال ٢٠١
٢ ج	عباس باشا ٢٥٢			(ط)
١ ج	عباس بن احمد ٢٠٩		١ ج	طلائع بن رزبك ٢٩٧
"	عباس بن موسى ١٧١		١ ج	الطواحين ٢٢٢
٢ ج	عبد الحميد الاول ١٢٢		٢ ج	طوسون باشا ٢٢١
"	" الثاني ٢٦٩		١ ج	طولون ١٨٠
٢ ج	عبد الرحمن باشا ١٠٢		٢ ج	طومان باي الاشرف ٦٢
١ ج	" بن خالد ١٥٢		"	طومان باي العادل ٥٩
"	عبد الرحمن بن عنبة ١٤٥			(ظ)
٢ ج	عبد الشهيد ٢٨ و ٢٤		١ ج	الظافر بن الحافظ ٢٩٥
"	عبد العزيز السلطان ٢٥٥		٢ ج	الظاهر برقوق ٤٤
٢ ج	عبد العزيز بن برقوق ٤٨		٢ ج	الظاهر بلباي ٥٦
١ ج	" " " مروان ١٤٦			
١ ج	عبد الله المأمون ١٧١			

صفحة		صفحة	
٢٥٤	العزیز بن المعز	١٤٢	عبد الله بن الزبير
٢٢٤	" " يوسف	٩٥	عبد الله بن سعد
١٥٨	العسكر	١٦٦	عبد الله بن المسيب
١٤١	عقبة بن عامر	١٧٢	عبد الله بن طاهر
١٨١	علي الارمني	١٦٢	عبد الله بن عبد الرحمن
٧٢	" باشا	٢٤٥	عبد المجيد - السلطان
٨٧	" " « ٤ »	١٤٩	الملك بن رفاعه
٧٢	" الخادم	١٦٧	" " صالح
٧٩	" السليدار	١٤٧	" " مروان
٧٢	" " الصوفي	١٥٧	" " موسى
٢٢٢	" الطرابلسي	١٦٠	" " بزيد
١١٤ و ١١٩	علي بك	١٧٢	عبدويه بن جبلة
١٢٠	علي بن ابي طالب	١٧٢	عبيد الله بن السري
٢٤٤	علي بن الاخشيد	١٦٧	" المهدي
١٦٥	علي بن سليمان	١٦٨	" محمد
٤١	علي بن شعبان	١٤٠	عنبه بن ابي سفيان
٩٢	عمر بن الخطاب	١٠٨	عثمان بك
١٥١	عمر بن عبد العزيز	٨٥	عثمان بن احمد
١٢٦ و ٩٤	عمرو بن العاص	٥٤	" " جعفر
١٧٢	عمير التميمي	١٢٢	" " عفان
١٨٢	عنيسة بن اسحق	١١٦	" مصطفى
٧٧	عويس باشا	٢٨٢	عراي
١٧٢	عيسى الجلودي	٢٠٥	العريش

صفحة		صفحة	
٢٢٢ ج ١	القاهر بن المعتضد	٢٢٢ ج ١	عيسى النوشري
٢٧ ج ٢	القاهر بيدرا	١٦٢ "	عيسى بن لقمان
٢٥٠ ج ١	القاهرة (بناؤها)	١٧٤ "	عيسى بن منصور
٥٧ ج ٢	فايت باي	١٠٤ ج ٢	عياض بك
٢٢١ و ٢٢٧ ج ١	الفرامطة	(غ)	
١٤٩ "	قرع بن شريك	٦١ ج ٢	الغوري
١١٢ "	قصر الشمع	(ف)	
١٩٢ "	القطائع	٢٩٦ ج ١	النائر بن الظافر
٢٢٢ ج ٢	قلاون (السلطان)	٠٠٨ ج ٢	النارس اقطاعي
٢٢٢ ج ١	قلعة الجبل	٦٩ ج ١	فتاح
٢٤٠ ج ٢	القناطر الخيرية	٩٤ "	فتح مصر (الاسلامي)
٢٠ "	قناطر السباع	٦٤ ج ٢	فتح مصر (العثماني)
٥٩ "	قنسو ابوسعيد	٤٧ "	فرج بن برقوق
٥٩ "	قنسو جان بلد	١٠٧ ج ١	الفسطاط
٥٩ "	قنسو خمسمية	١٦٤ "	الفضل بن صالح
٦١ "	قنسو الغوري	٢٥٧ "	فهرس الجزء الاول
٢٧ "	قوجوق بن الناصر	٢٥١ ج ٢	فهرس الجزء الثاني
٧٨ "	قورط باشا	٧٢ ج ١	فيلاذ لنوس
١٢٠ ج ١	قيس بن سعد	٧٥ "	فيلوباتر
(ك)		٧٧ "	فيلوماتر
٢٤٥ و ١٤١ ج ١	كافور الاخشيدي	(ق)	
٢٤١ "	الكامل بن العادل	٧٢ ج ٢	قاسم باشا
٢٨ "	كابه خوس	١٠٢ "	قاسم بك عياض

صفحة		صفحة	
٢ ج ٠٨٦	محمد باشا «٤»	٢ ج ٠٢٨	كتبوغا
" ٠٨٩	" «٥»	" ٢٠٦	كفر الدوار
" ٠٩٤	" البستانجي	" ٢٠٩ و ٢٠٢	كلابر
" ٠٩٩	" حيدر	١ ج ٠٧٩	كليويطرا
" ١٤٠	" قبطان	" ٠٦٦	كهميس
" ١٢٨	" بك ابو الذهب	" ١٧٤	كيدر الصندي
" ١٠١	" بن ابراهيم	" ٠٦٦	كبروس
١ ج ١٢٤	" بن ابي بكر	(ل)	
" ١٢٨	" بن ابي حذيفة	١ ج ٠٢٩	لابرانتا
٢ ج ٠٩٤	" بن احمد باشا	٢ ج ٠٢٠	لاجين (المنصور)
١ ج ١٦٠	" بن الاشعث	" ٢١٥	اللورد دوفرين
" ١٧٢	" بن السري	١ ج ١٦٧	الليث بن الفضل
" ٢٢٢	" بن الخليج	(م)	
٢ ج ٠٥٢	" بن نذر	١ ج ١٦٨	مالك بن دلم
١ ج ٢٢٢	" بن نكين	١ ج ١٧٧	مالك بن كيدر
٢ ج ٠٢٩	" بن حاجي	" ٢٢٩	المتقي لله
١ ج ١٦٦	" بن زهير	" ١٨١	المتوكل بن المعتصم
" ٢٢٧	" بن سليمان	" ١٦٩	محمد الامين
" ٢٢٢	" بن طنج	" ٢٩٢	" الكاتب
" ١٦٢	" بن عبد الرحمن	" ١٦٢	" المهدي
" ١٥٢	" بن عبد الملك	٢ ج ٠٧٢	" باشا «١»
٢ ج ٠٥٩	" بن فايت باي	٢ ج ٠٨١	" باشا الكورجي
" ٠٧٨	" بن مراد	" ٠٨٢	" باشا الصوفي

صفحة		صفحة	
٢ ج	مصطفى باشا «٤» ٨٥ .	٢ ج	محمد توفيق باشا ٢٧٢
"	" «٥» ٨٦ .	"	" سعيد " ٢٥٤
"	مصطفى الاول ٨٥ .	"	" علي " ٢٢٦
"	الثاني ١٠٢	"	محمود الثاني ٢٢٨
"	الثالث ١١٧	"	" باشا ٧٢
"	الرابع ٢٢٨	"	" بن مصطفى ١٠٩
١ ج	المعتز بن المتوكل ١٨٧	"	مراد بك ١٢٧
"	المعتصم ١٧٢ و ١٧٧	"	مراد بن احمد ٨٧ .
"	المعتض بالله ٢٢٢	"	مراد بن سليم ٧٦ .
"	المعتمد بن المتوكل ١٩١	١ ج	مروان بن الحكم ١٤٢
٢ ج	مطبعة بولاق ٢٧٠	"	" بن محمد ١٥٦
١ ج	المطرية ٢٧	"	مزارح بن خاقان ١٨٨
"	المطلب بن عبدالله ١٧١	"	المستعلي (ال خليفة) ٢٨٤
"	المطيع لله ٢٤٠	٢ ج	المستعين بالله ٥٠ .
"	المظفر بن كيدر ١٧٧	١ ج	المستعين بن محمد ١٨٥
٢ ج	المظفر قطوز ١٢	"	المستكفي بالله ٢٤٠
"	معاهدة العريش ٢٠٥	"	المستنصر بن الظاهر ٢٦٢
"	معاهدة كوناهايا ٢٤٢	"	مسلمة بن مخلد ١٤١
"	معاهدة لندرا ٢٤٥	"	مسلمة بن يحيى ١٦٦
١ ج	معاوية بن ابي ١٢١ و ١٤٠	٢ ج	مسيح باشا ٧٦ .
"	سفنان	"	مصطفى باشا «١» ٧٢ .
"	معاوية بن يزيد ١٤٢	"	" «٢» ٧٢ .
"	المعز بن المنصور ٢٤٦	"	" لفغلي ٨٥ .

صفحة		صفحة	
١ ج ٢٦	منف (بناؤها)	١ ج ٢٦٤	المعز بن باديس
" ٢١	منكورع	" ٢٥٥	المعظم بن الصالح
" ٢٦	منّا	" ١٥٧	المغيث بن عبدالله
" ١٩١	المهتدي بن الوائق	" ٢٢٢	المقتدر بن المعتضد
٢ ج ٢١٨	المهدي السوداني	" ٢٨٢	المقتدي بالله
" ٢٠١	مؤتمر الاستانة	٢ ج ٩٦	منصود باشا
١ ج ٢٢٢	الموسكي	١ ج ٩٢ و ٩٧	المفوقس
" ١٦٥	موسى الهادي	٢ ج ٢٧٠	المكتبة الخديوية
٢ ج ٩٠	" باشا	١ ج ١١٠	مكتبة الاسكندرية
١ ج ١٧٧	" بن ابي العباس	" ٢٢٢ و ٢٢٧	المكتفي بالله
" ٢٠٤	" بن بغا	" ١٧٩	الممالك - اصلهم
" ١٦٢	" بن علي	٢ ج ٤٢ و ٢	"
" ١٦٦	" بن عيسى	" ١١٠	الممالك الخلفية
" ١٦٠	" بن كعب	" ١٠٢	" الفقارية
" ١٦٢	" بن مصعب	" ١٠٢	" القاسمية
" ٢١٤ و ١٩٩	الموفق بن المتوكل	" ١١٠	" القزدغلية
٢ ج ٢١٠	مينو	" ٢٢١	الممالك - مهلكهم
(ن)		١ ج ٢٨٤	المنتصر بن المتوكل
١ ج ٢٧٠ و ٢٦٦	ناصر الدولة	" ١٦٠	المنصور بن محمد
٢ ج ٢١٨ و ٢١٤ و ٢٨	الناصر بن قلاون	" ١٦٢	منصور الرعيني
" ٢٠٦	ناصيف باشا	" ٢٢٧	المنصور بن العزيز
١ ج ٢٨٥	نزار بن المستنصر	" ٢٤٥	المنصورة
٢ ج ٢٢٢	النقود الجديدة	٢ ج ٢٠	المنصور لاجين

صفحة		صفحة	
١٧٢ ج ٢	واضح مولى ابي جعفر ١٦٢	١٧٢ ج ٢	نلسون
" ١٥٢ ج ١	الوليد بن رفاعه	٢٠١ ج ١	نور الدين العادل
" ١٤٨ ج ٢	الوليد بن عبد الملك	١٠ ج ٢	" علي
" ١٥٤ ج ٢	" بن يزيد	(٥)	
٢٢٩ ج ٢	الوهايون	١٦٤ ج ١	هارون الرشيد
" ٢٠٩ ج ٢	وولسلي	" ٢٢٥ ج ١	" بن خمارويه
(ي)		٢١٢ ج ٢	هتشنسون
١٦٢ ج ١	بجي بن داود	١٦٦ ج ١	هرثة بن اعين
" ١٥٥ ج ١	يزيد بن الوليد	" ١٨٢ ج ١	هرثة بن نصر
" ١٦٠ ج ١	" بن حاتم	" ٨٢ ج ١	هرقل
" ١٨٢ ج ١	" بن عبدالله	" ١٥٢ ج ١	هشام بن عبد الملك
" ١٥٢ ج ١	" بن عبد الملك	" ٢٥٥ ج ١	هفكنين الشراي
" ١٤٢ ج ١	" بن معاوية	١٢ ج ٢	هولاكو التتري
" ٢٥٢ ج ١	يعقوب بن كلس	١٢ ج ١	المير وغليف
٢٠٤ ج ٢	يوسف باشا الصدر	٢٢٠ ج ٢	هيكس باشا
" ٥٢ ج ١	" برس باي	(و)	
		١٨١ ج ١	الواتق بن المعتصم

« حالة مصر الادبية »

قد وعدنا في مثال نشرناه من هذا الكتاب اننا سندبلك بشرح موجز عن حالة مصر الادبية الحاضرة فتعدد ما فيها من الجرائد والمدارس والجمعيات على اختلاف نزعاتها وقد سعينا الى انجاز هذا الوعد جهدا فاعلنا بطرق مختلفة نطلب الى المدارس والجمعيات في النظر المصري ان تبعث الينا

بما يفيدنا عن تاريخها فاجابنا بعضها ولا نزال في انتظار البعض الباقي .
فالآن قد نجز طبع الكتاب ولم تتم لدينا المعدات اللازمة لاستيفاء الكلام
بهذا الشأن فارجأنا ذلك الى فرصة اخرى فنفرد لهذا الموضوع كتاباً
مخصوصاً مستوفياً ان شاء الله تعالى

اصلاح خطاء

الجزء الاول	صفحة	سطر	خطاء	صواب
١٢٤	١٨	اخيه	اخاه	١٧٨٩ . ٢ . ٦٥
١٨١	٠٧	٢٨٨	٢٢٨	١٧٩٨
٢٣٤	٢٢	خلفاً	خلعاً	١٠٧ ٢٢ موقعة (ضعها في
٢٣٩	١٤	بالي هور	بانوجور	آخر سطر ٢١)
الجزء الثاني				
٠٦٥ . ٢ . ١٢٠٢	٢٤٢	٢٤	يوثمن يد من يوئيد	١٤٢ ٢٠ جعل يعينا جعلايعينان
	٢٣٥	"	"	٢٢٢ ١٢ و١٤ جنبو ينبع
		"	"	٢٣٥

مكتوب تحت صورة محمد علي باشا انه « خديوي مصر » وذلك
خطاء من حافر الرسم يجب اصلاحه لان المذكور لم يكن خديوياً كما يفهم
من تلاوة هذا التاريخ . وقد وقع سهو في ترتيب الصفحات في الجزء الثاني
فوضعت صفحة ٧٩ قبل ٧٨ فعلى المطالع الانتباه الى ذلك . وربما يعثر
القارئ على اغلاط اخرى مطبعية كزيادة او نقصان حرف او حركة او
ابدال احدهما بما يماثله شكلاً ما لا يخفى اصلاحه على اللبيب ولذلك
اغضبنا عن ابراده هنا

تم الكتاب بعون الله

